



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه و آله

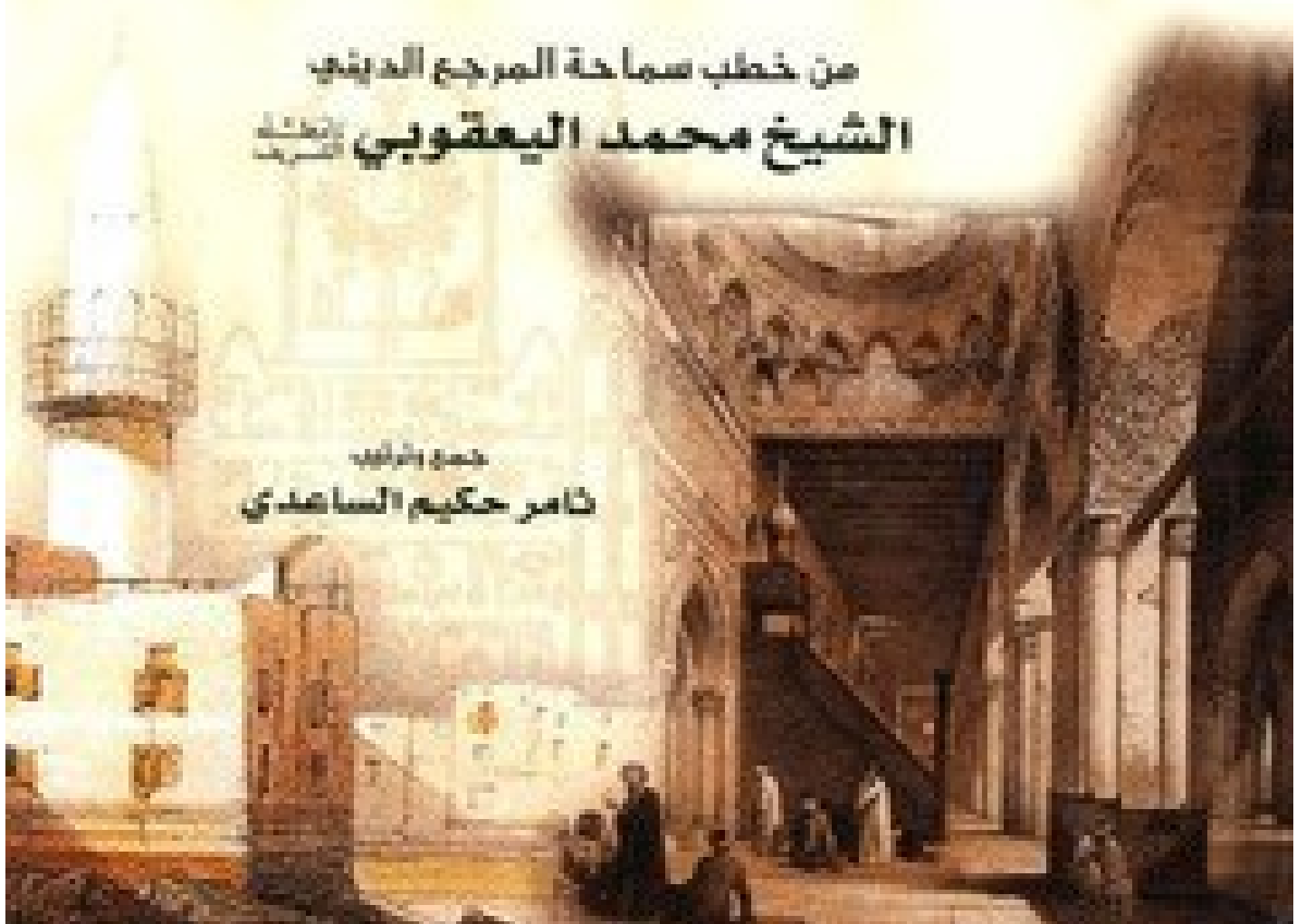
www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

السبيل إلى المعنويات

رشحات من المواعظ الأخلاقية
وقواعد السير إلى الله تعالى

من خطب سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي

جمهورية العراق
دامر حكيم الساعدي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السبيل الى المعنويات

كاتب:

آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي

نشرت في الطباعة:

دار الصادقين

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
35	السييل الى المعنويات
35	هوية الكتاب
35	اشارة
37	المقدمة: ميدانكم الأول لتحصيل المعنويات أنفسكم
37	اشارة
39	ميدانكم الأول لتحصيل المعنويات أنفسكم
39	الإنسان معنوي بالفطرة:
39	السعادة تأتي من داخل النفس:
40	أسباب التوفيق من داخل النفس:
41	الانتصار الحقيقي:
41	الحرية والعزة تبدأ من داخل النفس:
41	الدولة الكريمة حينما يكون رعاياها أحراراً:
42	الفرج الحقيقي:
43	لا تطلبوا الفرج للدنيا:
45	الفصل الأول: مع التوحيد والإخلاص والصناعة الإلهية للإنسان
45	اشارة
47	من أين نبدأ
47	اشارة
47	أهمية المجالس:
47	من معاني المحاسبة:
47	كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة:
48	توحيد الله تعالى:

48	معنى الإخلاص لله تعالى:
49	مراتب الإخلاص لله تعالى:
49	أهمية الإخلاص:
51	تعرضوا لنفحات ربكم
51	إشارة
51	النفحات الخاصة:
52	لتعرض لكل سبل الطاعة:
53	المسارعة الى الخير:
54	أشكال النفحات:
54	لطف الله تعالى للجميع:
55	طلبات جامعة:
58	لا يستعبدكم غيركم وقد أرادكم الله أحراراً شعار مشترك للبعثة النبوية والنهضة الحسينية
58	إشارة
58	من معاني (حسين مني وأنا من حسين):
58	الهدف هو تحرير الإنسان مما سوى الله تعالى:
59	رفض العبادة والطاعة لغير الله تعالى:
60	هدف النهضة الحسينية:
60	معنى العبادة:
61	كونوا أحراراً:
62	سبب التشتت والضياع:
63	قولوا لا إله إلا الله تفلحوا
63	إشارة
63	البشرية التاتئة وحلول الإسلام لمشاكلها:
64	التوحيد الخالص قضية الإسلام الكبرى:
64	عندما نكتفي بالنظريات ولا نعمل:

- 66 الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى
- 66 اشارة
- 66 علة البلاء:
- 66 الله تعالى يعلمنا طريق الحل:
- 68 وابتغوا إليه الوسيلة:
- 68 الانفعال والارتجالية:
- 69 هل غضبنا لله تعالى أم لأنفسنا؟
- 69 التربية الى نصف الطريق:
- 70 المعركة الكبرى:
- 70 النصر الحقيقي:
- 71 ابتعادنا عن أدب السلف الصالح:
- 73 الصناعة الإلهية للإنسان
- 73 اشارة
- 73 أهمية الطفولة:
- 73 التربية الإلهية:
- 74 نتيجة الاصطفاء الإلهي:
- 75 كيف ننال الاصطفاء الإلهي؟
- 76 ما يوجب الصناعة الإلهية:
- 77 الدعاء يوصل الى الصناعة الإلهية:
- 78 شكوى الإمام (عليه السلام) من قلة المخلصين
- 78 اشارة
- 78 أصحاب القانم (عليه السلام):
- 78 أين المشكلة؟
- 79 الإخلاص شرط النهوض:
- 81 أزمة الإخلاص في حديث الشهيد الصدر (قدس سره):

83الطمع وحب الدنيا في العمل السياسي:
84العدو الحقيقي:
84تذكروا أنكم بمحضر الله تعالى والمعصومين(عليهم السلام)
85لنستشعر الرقابة الإلهية:
86من مصاديق الغفلة:
86الغفلة عن إمام الزمان (عليه السلام):
88موجبات الرحمة الإلهية
88اشارة
88سعة الرحمة الإلهية:
89مثال في الرحمة الإلهية:
89الرحمة العامة والخاصة:
90تعرضوا لرحمة الله تعالى:
91ما تستلذ به الرحمة الإلهية:
92كالوالد الرحيم:
93من موجبات الرحمة:
95الفصل الثاني: مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأنمة المعصومين عليهم السلام
95اشارة
97لنتأسى بالأخلاق النبوية
97ما هي الأمور التي يمكن أن تتأسى بها؟
97المعرفة بالله تعالى:
99الإعراض عن الدنيا المحللة:
100الاهتمام بالقرآن الكريم
101التواضع:
102سعة الصدر:
102عدم الاستماع الى النميمة:

- 103 الالتزام بالأخلاق الفاضلة:
- 103 الإكثار من ذكر الموت
- 105 عدم الاعتزاز بالمنصب:
- 107 أسلوب عملي للتأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
- 107 إشارة
- 107 الحث على التأسي:
- 111 احذروا عرض أعمالكم على رسول الله
- 111 إشارة
- 111 الحذر من الاعتزاز بالدنيا:
- 112 ندره الصالحين:
- 114 لا تتسوا الغاية في كل الحالات
- 114 إشارة
- 114 درس من سورة النصر:
- 114 من أدب رسول الله(صلى الله عليه وآله):
- 115 الغفلة عن الهدف:
- 116 مثال عن الإنسان المغرور:
- 118 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
- 118 إشارة
- 118 عوامل نجاح الدعوة الإلهية:
- 118 استجابة الناس لما يحييهم:
- 119 وصف الرسول:
- 120 معجزة النبي (صلى الله عليه واله) في أخلاقه
- 120 إشارة
- 120 معجزة لرسول الله (صلى الله عليه وآله):
- 121 ما الذي نستفيد منه؟

125	الألطف الإلهية في البعثة النبوية الشريفة
125	اشارة
125	معنى (اللطيف) من اسماء الله تعالى:
125	ألطف الله تعالى:
126	الذكر والمناجاة لطف:
126	البعثة النبوية أعظم الألفاف:
127	نكتة قرآنية:
127	لنتخلق بأخلاق الله تعالى ونقرب الناس من الطاعة:
129	المرجعية لطف من الله تعالى:
130	إنما بلغ علي (عليه السلام) منزلته بالصدق وأداء الأمانة
130	اشارة
131	تعاليم السلوك الى الله تعالى:
132	معنى الأمانة ومصاديقها:
132	أمانة العهد والميثاق:
133	تخلقوا بأخلاق الله:
134	نفسك التي بين جنبيك:
136	الجسد من مصاديق الأمانة:
137	أداء الأمانة:
138	أمانة الموقع السياسي والاجتماعي:
140	معيار المؤمن:
140	الخيانة قبال الأمانة:
142	من مواضع الإمام الجواد(عليه السلام)
142	اشارة
142	التأثر بالموعظة علامة حياة القلب:
142	الطاعات القلبية:

- 143 المعرفة متاحة لكل من طلبها:
- 143 لن تخلو من عين الله تعالى:
- 144 بذل الوسع في السيطرة على الغرائز:
- 145 حاجة المؤمن الى ثلاث:
- 145 توفيق الله تعالى لعبده:
- 146 واعظ من نفسه:
- 146 الأخ الناصح:
- 147 نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر:
- 147 بذل النعم لمستحقيها:
- 148 أهل المعروف:
- 148 أهمية الكلمة:
- 149 التحذير من الظلم:
- 149 لنكسب الناس الى الدين:
- 151 سعة كرم الله تعالى
- 151 اشارة
- 151 لا حدود لعطاء الله تعالى:
- 152 قصة وعبرة:
- 152 لتعرف فضل النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام):
- 153 عطاء الشهيد:
- 153 لماذا نزور الحسين (عليه السلام) في أغلب المناسبات؟
- 153 واجباتنا في يوم عرفة:
- 155 كونوا من الكنوز التي يكشف عنها الإمام المهدي (عليه السلام)
- 155 اشارة
- 155 الخبايا المدخرة لعصر الظهور:
- 155 قصة الغلام مع نبي الله عيسى (عليه السلام):

- 158 لنكن من هذه الكنوز:
- 158 الطريق الموصل الى الله تعالى:
- 159 مصطلح المتدين:
- 160 أعظم القربات الى الله تعالى:
- 161 الفصل الثالث: تفعيل دور القرآن الكريم في حياتنا
- 161 اشارة
- 163 دعوة المؤمنين إلى أن تكون قلوبهم وعقولهم أودية كبيرة لمعارف القرآن الكريم
- 163 اشارة
- 163 بالطهارة المعنوية نال المعرفة:
- 164 قصة عن علماء السلف:
- 164 معنى ذكرنا لهذه الفكرة:
- 166 التواصي بالحق والتواصي بالصبر
- 166 اشارة
- 166 أهمية سمرة العصر:
- 166 معنى (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكْفُورٌ):
- 167 ثمن النفس هو الجنة:
- 168 لماذا يحصل الخسران؟
- 169 المستثنون من الخسران:
- 170 إصلاح الآخرين:
- 171 التواصي بالحق والتواصي بالصبر:
- 172 قاعدة في السلوك المعنوي من سورة الحديد
- 172 اشارة
- 172 أهمية المسبحات:
- 172 سورة الحديد ومحاسبة النفس:
- 172 موعظة من السورة:

177	قاعدة مهمة في السير الى الله تعالى:
177	أمثلة للشباب:
179	الاختبار مستمر في الدنيا:
179	القواعد من الأحاديث الشريفة
182	القرآن الكريم يخفف آلام العاملين الرساليين
182	اشارة
182	المواجهة مع الملام من السنن الإلهية:
182	صعوبة الإيذاء المعنوي:
183	القرآن الكريم يطيب قلب النبي (صلى الله عليه وآله):
183	مع سورة القصص:
184	مع سورة يوسف:
184	الدعوة الى أن نعيش في كنف القرآن الكريم:
185	نحو بناء دولة الحق والعدل:
186	القرآن الكريم يوقظ الإنسان من غفلته عن نفسه
186	اشارة
186	التدبر في القرآن الكريم:
186	غفلة الإنسان عن نفسه:
187	التعاطي مع النفس:
188	مواعظ عن النفس من كلمات أهل العصمة (عليهم السلام):
189	الواعظ الداخلي:
189	قصة في من يخلع نفسه:
191	أعطوا للقرآن الكريم دوراً متميزاً في حياتكم
191	اشارة
191	نظم القرآن ومعانيه:
191	قصة لسيد قطب:

192 لننطلق في حياتنا من القرآن الكريم:
194 معاني القرآن لا تنتهي
194 اشارة
194 لا تحصى عجائبه:
194 مثال من الاستصحاب:
195 ديمومة التفاسير والنهضة القرآنية:
197 الفصل الرابع: الصلاة والتحصين من الأمراض المعنوية
197 اشارة
199 الصلاة والتحصين من الأمراض المعنوية
199 اشارة
199 شكوى الشباب:
199 الصلاة وسيلة للتحصين:
200 الحماية من المعاصي:
201 الثمرة الأبرز لإقامة الصلاة:
202 الصلاة حبل النجاة:
203 موقع الصلاة في الدين:
204 التشديد على تارك الصلاة:
204 كيفية الصلاة التي تؤدي دورها الكامل في حياة الإنسان؟
205 موانع تأثير الصلاة في حياة الإنسان:
205 نصيحة وتوصية:
207 المحافظة على الصلوات: آخر وصية للإمام الصادق (عليه السلام)
207 اشارة
207 لا تنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة:
208 أهمية الصلاة:
208 فضل الصلاة وثوابها:

209	الصلاة التامة:
209	المحافظة على أوقات الصلوات:
211	علموا أولادكم الصلاة:
211	الفرق بين الزاني وتارك الصلاة:
212	حملة لتفعيل الصلاة في حياتنا:
212	لذة الصلاة:
215	الفصل الخامس: تربية النفس
215	اشارة
217	نوازع الخير والشر كامنة في داخل النفس وتستثيرها العوامل الخارجية
217	اشارة
218	مشاكلنا هي بسبب عدم التهذيب والتربية الصالحة:
219	العلاج بعيد عن شغاف الحقيقة:
221	مواجهة التحديات بمعرفة قيمة النفس
221	اشارة
221	الجهاد الأكبر طويل حتى نهاية العمر:
221	معالم التحلي بالخلق:
222	من عرف قدر نفسه:
223	الاستعاذة وطلب العون من الله تعالى:
224	الدولة الكريمة والفرج الحقيقي يبدأ من داخل النفس
224	اشارة
224	معنى الفرغ:
224	من معاني الدولة الكريمة:
225	الفرج الحقيقي يبدأ من النفس:
225	متى يتحقق الفرغ؟
227	البنية التحتية للإنسان

227	اشارة
227	رواية عن القلق من المستقبل:
228	القلق المشروع:
228	النعم العظيمة:
229	أصول النعم الإلهية:
229	الفضل الحقيقي:
229	المسؤولية أمام هذه النعم:
230	الأمل بالشباب الرسالي:
232	الحاجة إلى الموعظة ودروس الأخلاق
232	التوجه الى الله تعالى:
232	تطهير القلب:
232	تهذيب سلوك المجتمع:
233	موعظة من تراث الجد الشيخ يعقوب:
233	المراجعة والتقويم:
233	طي مراحل السير الى الله تعالى:
234	قصة عن الإخلاص:
235	تذكير للمشغولين بالعمل الرسالي
235	اشارة
235	معنى الرسالي:
235	إصلاح النفس وتهذيبها:
235	الغفلة عن البر بالوالدين:
237	مع السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره):
238	قصة سعد بن معاذ:
239	انتبهوا لتهذيب أنفسكم:
241	مما يقوي عزيمة الفتيان والشباب في مواجهة المغريات

- 241 اشارة
- 241 عناصر الحصانة في المؤمن:
- 244 تزودوا بالموعظة والوعي
- 244 اشارة
- 244 المراجعة والتقييم خلال العام:
- 244 تزودوا من الموعظة:
- 245 الفرغ لمن بلغ الأهداف:
- 245 افتتاح السنة بذكرى الحسين (عليه السلام):
- 245 انصروا الحسين (عليه السلام) بوعيكم:
- 247 فرص التكامل للشباب أكثر
- 247 اشارة
- 247 إصلاح النفس من أول العمر:
- 247 فرص الشباب:
- 248 الانتصار أمام المغريات:
- 249 دونوا ما ينفعكم:
- 249 من الخواطر التي كتبها:
- 250 من حاول شيئاً في معصية الله:
- 251 الدنيا بحر عميق فما هي سفينة النجاة؟
- 251 من مواظب لقمان الحكيم:
- 251 اشارة
- 251 معنى تشبيه الدنيا بالبحر:
- 252 كيف ننجو من الدنيا؟
- 252 سفن النجاة:
- 253 كونوا من سفن النجاة:
- 255 من البلاء ما تستطيع دفعه بنفسك

255	اشارة
255	بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ:
255	دفع البلاء قبل حصوله:
256	قواعد في فهم سنة البلاء:
258	في الصراع على الدنيا ثلاث آفات
258	اشارة
258	مشاكل البشرية اليوم:
258	حديث في الموعظة:
259	في الحلال عتاب:
259	الانشغال بالدنيا:
260	الصلاة أول الضحايا:
261	التوازن بين سبل الإيمان ووسائل الانحراف ..
261	اشارة
261	الفساد ونتيجته:
261	اللطف الإلهي يقتضي زيادة سبل الإيمان:
262	موعظة للشباب: لنغتتم الفرص ..
264	قواعد بناء المستقبل المعنوي للشباب ..
264	اشارة
264	أسسوا لمستقبلكم المعنوي:
264	أدوات البناء المعنوي:
265	القاعدة الأولى:
265	القاعدة الثانية:
266	القاعدة الثالثة:
267	القاعدة الرابعة:
267	القاعدة الخامسة:

- 268 ما أفيح المؤمن أن تكون له رغبة تُدُلُّه
- 268 اشارة
- 268 المؤمن عزيز بعزة الله تعالى:
- 268 ليست المشكلة في أن تكون لنا رغبات:
- 269 مفهوم الرغبة في القرآن والحديث:
- 270 الحذر من الانسياق وراء الرغبات:
- 270 قصة عن الرغبة المذلة:
- 271 عرضوا رغباتكم على رضا الله تعالى:
- 271 نحتاج الى الإرادة لنسيطر على الرغبات:
- 273 على الخريجين أن يخططوا لمستقبلهم بالمشاريع المادية والمعنوية
- 273 اشارة
- 273 رسم معالم المستقبل:
- 273 الاهتمام بالزواج:
- 274 محدودية الأهداف الدنيوية:
- 274 من الأمثلة لذلك:
- 275 الفصل السادس: مواعظ وتوجيهات في رأس السنة
- 275 اشارة
- 277 موعظة في ورأس السنة الميلادية
- 277 اشارة
- 277 الأمور التي يجب الالتفات لها:
- 277 أحذروا المعاصي:
- 278 كيف يجب أن تكون مشاعرنا:
- 279 العمر رأس مال الإنسان:
- 280 موعظة قرآنية:
- 280 المطلوب محاسبة النفس كل ليلة:

- 281 الموعدة لست للمسلمين فقط: ..
- 284 الاحتفال في رأس السنة لمن استثمر وقته خلالها .
- 284 اشارة .
- 284 لنستحضر الموعدة في كل الأوقات:
- 285 الفرح المذموم:
- 285 إنما أنت عدد أيام:
- 286 اهتمام الشارع المقدس بالوقت:
- 286 الوصية بالاهتمام بالوقت:
- 287 إنما أنت ابن ساعتك:
- 287 مضيعات العمر:
- 288 مزيادات العمر:
- 289 العمر الطويل:
- 289 مطولات العمر المادية:
- 290 مطولات العمر المعنوية:
- 290 الطريق الأمثل لاستثمار الوقت:
- 291 الاستفادة من التجارب:
- 293 المشاركة والمحاسبة في أول السنة وآخرها وإحياء الشعائر الحسينية .
- 293 اشارة .
- 293 آليات للوصول الى الاستقامة:
- 293 فوائد مراقبة النفس:
- 294 محطات للتزود المعنوي:
- 295 مشاعر المؤمن في رأس السنة:
- 296 لطف الله تعالى بنا بأيام الحسين (عليه السلام): ..
- 296 شروط القبول في العمل:
- 297 استنكار المنكر:

298	هل من ناصر؟
301	الفصل السابع: الاستعداد لدار الآخرة
301	اشارة
303	وَأَنْتُمْ تَنْسُوا مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ
303	اشارة
303	لنراجع أنفسنا:
304	سفر الآخرة:
304	التقوى حركات وسكنات:
305	من حكمة الله تعالى تنوع القابليات:
307	من أراد الآخرة فليسع لها سعيها
307	الأمر بخواتيمها:
307	قصة أحمد بن هلال العبراني:
308	أهمية حسن الخاتمة:
309	متطلبات الفوز بالآخرة:
310	ما يؤمنك من سوء العاقبة:
311	لا بد أن يقترن الدعاء بالسعي:
313	كيف نكون من المقربين
313	اشارة
313	التفاوت في الدرجات يوم القيامة:
313	عجوز بني اسرائيل:
314	مراتب الإيمان:
314	كفالة الأيتام:
315	مرتبة بكر بن أعين:
316	تضحية العلماء (محمد بن أبي عمير نموذجاً):
317	الفصل الثامن: السنن والمستحبات

- 317 اشارة
- 319 صورة العبادة لا تكتمل إلا بالمستحبات
- 319 اشارة
- 319 ضرورة المستحبات:
- 319 التخطيط الإلهي لحفظ الفرائض:
- 320 المكروهات ودورها في اجتناب المحرمات:
- 320 السعي لإقامة المستحبات:
- 322 الاهتمام بفعل المستحبات وترك الشبهات والمكروهات
- 322 اشارة
- 322 ضرورة الالتزام بالمستحبات وترك المكروهات:
- 323 أهمية الواجب والمستحب:
- 324 ثمرات الالتزام بالمستحبات:
- 326 آثار ترك المكروهات:
- 327 الاتيان بالمستحبات على قدر الإمكان:
- 327 عدم الشعور بالمسؤولية ينتج تضييع الفرائض العظيمة:
- 327 مشكلة عدم الحضور لصلاة الجمعة:
- 328 لبس (الماتنو) من قبل النساء:
- 328 الشباب ومشكلة الحوار مع الجنس الآخر:
- 329 منهج عدم الاعتناء بالمستحبات والمكروهات:
- 331 من سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
- 331 اشارة
- 331 التأسي بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
- 331 السنن النبوية في القرآن الكريم:
- 332 وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأمر المؤمنين g:
- 333 الاستمداد من الله تعالى:

- 333 صفة العبودية لله تعالى:
- 334 لكي نعمل بسنن النبي (صلى الله عليه وآله):
- 334 الزواج من سنن النبي (صلى الله عليه وآله):
- 334 نقل الكلام الجرح:
- 335 الكذب أبغض الخصال:
- 335 الرحمة للناس:
- 336 الحل يبدأ من الالتفات الى هذه المبادئ:
- 336 سنن عند النوم:
- 337 الفصل التاسع: الذنوب: آثارها والعصمة منها وكفاراتها.
- 337 إشارة
- 339 كيفية الاعتصام من الذنوب
- 339 إشارة
- 339 كيف نحافظ على حالة التوبة؟
- 340 رادع الحياء والخوف من الله تعالى:
- 340 من العواصم: ذكر الله تعالى:
- 341 الالتفات الى قبح الذنب:
- 341 الانشغال بالمباحات:
- 342 ذنوبٌ قلما نلتفت إليها
- 342 إشارة
- 342 الرضا عن النفس:
- 342 درس عملي من رسول الله (صلى الله عليه وآله):
- 343 العلاج الناجع:
- 345 بعض السيئات تحرق الحسنات:
- 346 مع الصحيفة السجادية:
- 348 الذنوب وآثارها والعصمة منها وكفاراتها.

- 348 إشارة
- 348 موعظة:
- 349 فللتقوى ركنان:
- 350 معرفة الذنوب:
- 350 لماذا يذنب العبد؟
- 357 كيف نحصل القدرة على اجتناب الذنوب؟
- 360 آثار الذنوب في الدنيا والآخرة:
- 361 وقد حصلنا من الروايات على جملة من تلك الآثار:
- 365 والخلاصة:
- 366 العواصم من الذنوب:
- 368 مكفّرات الذنوب:
- 370 أما مكفّرات الذنوب فهي:
- 370 1- التوبة والاستغفار بصدق:
- 370 2- القيام بالأعمال الصالحة والطاعات:
- 371 3- الصلاة في أوقاتها:
- 372 4- الابتلاءات والمصائب والمصاعب في الدنيا:
- 372 5- رعاية حرمة شهر رمضان:
- 373 6- الأمراض:
- 373 7- الأحزان والهموم:
- 373 8- إتيان المساجد:
- 373 9- العفو والصفح عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم:
- 374 10- اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والاستئنان بسنته الشريفة في الأفعال والأقوال:
- 374 11- إغاثة الملهوف:
- 374 12- كفارات خاصة:
- 375 13- حسن الخُلُق:

- 375 14- كثرة السجود:
- 375 15- الحج والعمرة:
- 376 16- افتتاح صحيفة العمل واختتامها بالخير:
- 376 17- الصلاة على محمد وآله:
- 376 18- سكرات الموت:
- 377 الفصل العاشر: كيف نحقق السعادة؟ وعناصر اكتمالها ومواقف تصنع الحياة السعيدة
- 377 اشارة
- 379 بـمَ تتحقق السعادة؟
- 379 اشارة
- 379 أهمية السعادة:
- 380 الفوز الحقيقي:
- 381 علامة السعادة:
- 381 متى تحصل الشقاوة؟
- 381 السعادة والشقاوة تبعان من النفس:
- 382 الدنيا للعبور والسعادة من المساعدة:
- 382 مخاطبة عوالم الإنسان:
- 383 السعادة بالتوازن بين الإفراط والتفريط:
- 385 كيف نحقق السعادة؟
- 389 كيف نحذر من الشقاوة؟
- 391 تلخيص السعادة الحقيقية:
- 393 لا تكتمل السعادة بالعمل الصالح إلاّ بعناصر ثلاثة
- 393 اشارة
- 393 الاطمئنان والارتياح بتأدية العبادات:
- 394 لا بد من إحسان العمل وإدامته:
- 397 رُبَّ موقف يكون مصدراً لبركات كل الحياة

397	اشارة
397	مثال أهل الكهف:
397	مع مريم بنت عمران:
398	قصة عن الإخلاص في العمل:
399	من أسباب زيادة التكامل:
400	الحذر من العجب:
401	من درجات الإخلاص:
401	قصة عن العمل الذي غير حياتي:
402	النهي عن التكاسل:
405	الفصل الحادي عشر: ذكر الله تعالى
405	اشارة
407	ذكر الله تعالى
407	المعنى الحقيقي للتزين:
407	معنى التكبير:
408	الذكر في القرآن الكريم:
409	معنى (ذكر الله تعالى على كل حال):
411	جزاء الذكر وآثاره وفضل مجالس الذكر:
412	جزاء الذكر وآثاره:
413	ومما ورد في كتاب الله تعالى:-
414	جزاء الذكر في الأحاديث الشريفة:
417	خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في فضل الذكر:
417	من مصاديق الذكر الكثير:
418	خسارة الغفلة والإعراض عن الذكر:
418	الروايات المحذرة من الغفلة:
419	حقيقة الذكر:

- 421 مجالس أهل البيت (عليهم السلام) من الذكر:
- 423 الفصل الثاني عشر: تعويق الغفلة للتنمية الأخلاقية والرسالية
- 423 اشارة
- 425 تعويق الغفلة للتنمية الأخلاقية والرسالية
- 425 الغفلة الأخلاقية:
- 426 معنى الغفلة:
- 427 الغفلة أضّر الأعداء:
- 428 ما يوقظ من الغفلة:
- 429 الغفلة عن القيادة الرسالية:
- 430 نتائج الغفلة عن القيادة الحقيقية:
- 431 الفصل الثالث عشر: الدعاء أفضل العبادة
- 431 اشارة
- 433 الدعاء أفضل العبادة وسلاح المؤمن
- 433 اشارة
- 433 الأعمال بآثارها وخواتيمها:
- 434 تحصيل التقوى هو الغرض من التشريع:
- 434 يوم عرفة يوم التوبة:
- 435 الدعاء أسبر الوسائل إلى أعظم الخزان:
- 436 الدعاء لكل حاجة:
- 436 الدعاء في كل زمان:
- 437 الدعاء يمنع اليأس والإحباط:
- 438 ظروف استجابة الدعاء:
- 441 فوائد الدعاء:
- 443 لغة الجسد في الأدعية وسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)
- 443 اشارة

- 443 الحركات الظاهرية لها مدلولها الباطني:
- 444 معنى ضرب الفخذ في دعاء العهد:
- 444 معنى القبض على اللحية والإشارة بالسبابة:
- 445 القيام ووضع اليد على الرأس:
- 445 لغة الجسد في السكنات أيضاً:
- 445 الهدف من هذه الحركات:
- 446 أمير المؤمنين (عليه السلام) ولغة الجسد:
- 446 العلم الحديث بدأ يدرك أهمية هذه الحركات:
- 449 الفصل الرابع عشر: العمل وتركيبته
- 449 اشارة
- 451 يتحقق التكامل بالعمل بما تتعلم
- 451 اشارة
- 451 الكل هالك إلا العالم العامل المخلص:
- 451 حولوا كل معلومة الى عمل:
- 454 أنتم في امتحان دائم فأحسنوا العمل
- 454 اشارة
- 454 سنة الابتلاء:
- 454 الابتلاءات متفاوتة كالامتحانات الاكاديمية:
- 456 الفتنة والابتلاء في الأحاديث الشريفة:
- 457 لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا:
- 457 الدعوة لإعمار المساجد وإقامة الشعائر:
- 458 فرصة لعمل الخير:
- 459 أهم من العمل أمران:
- 459 اشارة
- 459 العمل وحده لا يكفي:

- 460 لنضرب لكم مثلاً:
- 460 اقتران العمل بتحسينه:
- 460 كيف يمكن تحسن العمل؟
- 464 النية تركي العمل وتَمِّيه
- 464 اشارة
- 465 بذكر الله تعالى نلتفت الة النية:
- 465 الالتفات الى النية يزيد الهمة:
- 466 تركيز النية ومضاعفة العمل:
- 466 تداخل النية والعمل:
- 467 النية توجب الثواب:
- 469 الفصل الخامس عشر: مواعظ من مناسك الحج
- 469 اشارة
- 471 مواعظ من مناسك الحج
- 471 اشارة
- 471 علينا أن نستشير الموعدة:
- 472 لنحیی قلوبنا بالموعدة:
- 472 مواعظ من الحج:
- 474 رمي الجمرات: شعار لرفض كل الآلهة من دون الله تعالى
- 474 اشارة
- 474 ما المراد من رمي الجمرات؟
- 474 الاصنام التي تعبد من دون الله تعالى:
- 475 التشريعات البشرية:
- 476 آلهة الأعراف والتقاليد غير الصحيحة:
- 477 الحكام والطواغيت:
- 477 كونوا موحدین:

- 478 موعظة الشيخ جعفر الشوشيري:
- 478 خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً:
- 480 من أسماء الله الحسنی (اللطيف).
- 480 اشارة .
- 480 اللطف الإلهي محيط بالإنسان:
- 480 العبادات من لطف الله تعالى بنا:
- 481 كرامة الحاج:
- 482 لا تتهيّبوا أو تستصعبوا الطاعات:
- 482 كونوا ممن يلي دعوة الله تعالى:
- 483 لنأخذ الدرس من عنوان (اللطيف):
- 484 كيفية إدامة حالة الطاعة كالحج
- 484 اشارة .
- 484 قلق المؤمن:
- 489 الفصل السادس عشر: الاستقامة وحسن الخاتمة
- 489 اشارة .
- 491 الاستقامة
- 491 اشارة .
- 491 لنستفد من القرآن الكريم:
- 492 مفردة الاستقامة:
- 492 ثمرات الاستقامة:
- 494 معنى الاستقامة:
- 495 صعوبة الاستقامة:
- 496 لنحقق الاستقامة:
- 498 كيف نحقق الاستقامة؟
- 498 مفردات عملية لتحقيق الاستقامة:

- 499 موعظة وتذكير:
- 502 أعمال تكون كالقشة التي تقصم ظهر الجمل
- 502 اشارة
- 502 لتتعظ بغيرنا:
- 503 ثمرة الطاعة:
- 503 استثمار فرص الطاعة:
- 504 من موجبات المقت الإلهي:
- 504 الاستدراج الإلهي:
- 506 معنى الطاعة الموجبة للرضا:
- 506 معنى المعصية الموجبة للغضب الإلهي:
- 508 أيها الشباب الرسالي اثبتوا على الخير فان الأمور بخواتيمها ..
- 508 اشارة
- 508 لطف الله تعالى بالشباب:
- 508 شواهد عن الثبات في الطريق الإلهي:
- 511 نموذج معاصر ممن فشل في الثبات:
- 512 وصيتنا للشباب:
- 513 الفصل السابع عشر: أحبو الله تعالى وحبوه وتحببوا اليه ..
- 513 اشارة
- 515 أحبوا الله تعالى وحببوهو تحببوا اليه ..
- 515 حبوا الله تعالى للناس:
- 516 كيف تحبب الله تعالى؟
- 518 حب الله تعالى:
- 520 آثار حب الإنسان لله تعالى وعلاماته:
- 524 جزء من يحب الله تبارك وتعالى:
- 526 ما يحببكم إلى الله تعالى:

- 527 أوثق عرى الإيمان:
- 529 الفصل الثامن عشر: مع النعم المعنوية:
- 529 اشارة
- 531 على الشباب المتدينين أن يتحدثوا بنعمة ربهم
- 531 اشارة
- 531 معنى أن تتحدث بنعمة ربك:
- 531 من أين تبدأ بالإصلاح؟
- 532 التفقه في الدين:
- 532 لا تعزفوا عن طلب العلم:
- 534 وَلَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النِّعَمِ
- 534 اشارة
- 534 الالتفات الى نعم الله تعالى:
- 534 علينا أن نشكر الله تعالى على نعمه:
- 535 شكر النعم المعنوية:
- 536 نعمة الولاية لأمر المؤمنين (عليه السلام):
- 536 تذكير الناس:
- 537 نعمة حسن الخلق:
- 538 نعمة الزوجة الصالحة:
- 538 علينا أن نتحدث بالنعم المعنوية:
- 539 شهر رمضان: من النعم المعنوية:
- 540 وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ:
- 540 ماذا علينا تجاه النعم المعنوية؟
- 543 الفصل التاسع عشر: عناصر شخصية المسلم في آثار أهل البيت (عليهم السلام)
- 543 اشارة
- 545 عناصر شخصية المسلم في آثار أهل البيت (عليهم السلام)

- 545 الإمام (عليه السلام) يستعرض أعمالنا كل يوم:
- 546 الإمام (عليه السلام) يشكو ابتعادنا عن الصفات الحقيقية التي كان عليها السلف الصالح:
- 548 الخطاب ليس للشيعة فقط:
- 549 ما ورد في فضل شيعة علي (عليه السلام):
- 551 محاور صفات المؤمن:
- 551 المحور الأول: مع الله تبارك وتعالى معرفة الله تعالى أساس الدين:
- 552 فضل معرفة الله تعالى:
- 553 قبول الأعمال مقرون بولاية أهل البيت (عليهم السلام):
- 555 الإيمان لا يكون إلا بعقيدة وعمل:
- 555 حديث جامع لكل العقائد:
- 556 أداء الواجبات:
- 557 اجتناب المحرمات:
- 560 التقوى والورع:
- 563 المحور الثاني: صفاته في نفسه:
- 563 محاربة الهوى:
- 563 إصلاح العيوب:
- 564 انصاف الناس من نفسه:
- 564 ترك التعصب:
- 564 انتهاز فرص الخير:
- 565 المحاسبة:
- 565 التحلي بالصدق:
- 566 الصبر:
- 567 تقديم الآخرة:
- 568 الأدب في الحديث والدعوة بالحسنى:
- 568 التوبة:

569 البطن والفرج:

570 التفقه:

571 المحور الثالث: العلاقة مع الآخرين:

576 غيظ من فيض:

578 تعريف مركز:

السبيل الى المعنويات

هوية الكتاب

السبيل الى المعنويات

رشحات من المواعظ الأخلاقية

وقواعد السير الى الله تعالى

من خطب

سماحة المرجع الديني

الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

جمع وترتيب

ثامر حكيم الساعدي

ص: 1

إشارة

المقدمة: ميدانكم الأول لتحصيل المعنويات أنفسكم

أشارة

ص: 3

ميدانكم الأول لتحصيل المعنويات أنفسكم

ميدانكم الأول لتحصيل المعنويات أنفسكم(1)

الإنسان معنوي بالفطرة:

يبحث الإنسان بطبعه وفطرته عن الأمور المعنوية والكمالات الروحية، ويظنّ أنه يحصل عليها من خارجه فيتحرك نحو الأسباب الموجبة لها بحسب ظنّه، لكنه يكشف أنه لم يصل إلى ما يريد، لأنه لا يعلم إنها موجودة في باطنه وداخل نفسه فعليه استشارتها واستخراجها من داخله، فالساحة الأولى للعمل والميدان الأول للانطلاق هي النفس، حكى عن أمير المؤمنين قوله (ميدانكم الأول أنفسكم فحاسبوها قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر)، وهذا المعنى مكرّر كثيراً في كلمات المعصومين (عليهم السلام) حتى أصبح متواتراً كقول علي (عليه السلام): (سياسة النفس أفضل سياسة).⁽²⁾

السعادة تأتي من داخل النفس:

خذ مثلاً السعادة التي هي مطلوب كل إنسان والغاية التي يريد أن يصل إليها، يظن كثير من البشر أنها في كثرة المال، والحياة المترفة أو في مواقع السلطة والنفوذ، أو أنها في قضاء الوقت في اللهو والمتعة، ونحو ذلك، وقد تتحقق لهم بذلك لذة وراحة آنية لكنهم يشعرون في النهاية أنهم لم يحققوا السعادة المرجوة، ولا نستغرب من وجود أعلى نسب للانتحار والمصابين بالأمراض النفسية في دول الغرب المترفة مادياً.

ص: 5

1- كلمة سماحة الشيخ العقبوبي (دام ظلّه) في تجمع أئمة الجمعات في محافظات العراق يوم الأحد 20 شعبان 1434 المصادف 2013/6/30.

2- غرر الحكم: 5589.

وهذا شيء طبيعي لأن السعادة من الأمور المعنوية التي لا تتحقق بالأسباب المادية للزوم وجود مشاكله بين الأسباب والنتائج فلا تصلح الأسباب من عالم معين لتحقيق نتائج في عالم آخر وهكذا كل الأمور المعنوية لا بد أن تتحقق بأسباب معنوية من سنخها -بحسب المصطلح- كالمعرفة بالله تعالى التي هي أصل الدين والغرض من إيجاد الإنسان { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } {الذاريات/56، فإنها تنبع من داخل النفس بتهذيبها وكبح جماحها وشهواتها إلا فيما أحلّ الله ورخص فيه، وتطهير القلب من الرذائل الخلقية كالحسد والغل والحقد والأنانية، حينئذٍ تشرق المعرفة الإلهية في قلب الإنسان، ورد في الحديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه) (1) فالطريق إلى معرفة الله تعالى يمرّ عبر معرفة النفس وما يصلحها ويهدبها.

أسباب التوفيق من داخل النفس:

والتوفيق أيضاً استعداد في النفس للاستجابة لداعي الهداية فمن طلبها عليه أن يوفّر أسبابها في نفسه، ومن لا تتوفر فيه لا تزيده الموعظة والإرشاد والنصيحة إلاّ اعتوا واستكباراً، قال تعالى (وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِدَاةً إِيْمَانًا فَآمَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة/124-125) وقال تعالى (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) (المدثر/31)، فأسباب الهداية والتوفيق تعرض على الجميع لكن المواقف إزاءها متباينة بحسب الجهة الغالبة في النفس هل هي جنود الرحمن أم جنود الشيطان، ومن لا يناله التوفيق والهداية فبسببه وهو الذي لم يؤهل نفسها لتلقيها (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) (التوبة/67) كذبذبات الراديو والتلفزيون أو اتصالات الأجهزة

ص: 6

المحمولة فإنها موجودة في الفضاء إلا أنه لا يستقبلها إلا الجهاز الذي يحمل المواصفات المناسبة لتلك الموجات.

الانتصار الحقيقي:

وهكذا النصر والغلبة إنما ينطلق من داخل النفس فمن انتصر على نفسه وعزز قواه المعنوية الداخلية من التقوى والصبر والمصابرة كان هو المنتصر حقيقة، ومن عاش الهزيمة في داخله فلم يلتزم بما أمره الله تعالى كان هو المهزوم في الخارج، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) (القرآن/155).

الحرية والعزة تبدأ من داخل النفس:

وكذلك الحرية والعزة والكرامة يحيها الإنسان في داخله فتنعكس على حياته الخارجية في المجتمع، من مناجاة أمير المؤمنين (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي ربا) (1) فالعزة كلها في تحرير النفس مما سوى الله تعالى، (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (المنافقون/8)، ولا- يُستعبد الإنسان والمجتمع من قبل الطواغيت والمستكبرين إلا بعد أن تتكبل نفوسهم بأغلال الخوف والجهل والطمع والشهوة والوهم والشك والتمرد فيصبح سلس القياد لغيره، قال الله تعالى (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) (الزخرف/54) فإن فرعون لم يستعبد قومه ويصادر حرياتهم ويستخف بعقولهم إلا بعد أن أصبحت نفوسهم أسيرة الشهوات والخوف والقلق.

الدولة الكريمة حينما يكون رعاياها أحراراً:

ص: 7

1- مفتيح الجنان: ص 164.

ومحل الشاهد من هذه الفكرة تطبيقها على علاقتنا بامانا المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه) (فحينما نطلب في الدعاء (اللهم إنا نرغب إليك بدولة كريمة...) (1) فهذا لا يعني أن أملنا يتحقق ودعاءنا يستجاب بقيام حكومة يترأسها وتضم رجالاً يرفعون لافتات إسلامية أو يتظاهرون بالارتباط بالمرجعية الدينية، وإنما تتحقق الدولة الإسلامية بأن نعيش الإسلام في كل تفاصيل حياتنا ونحكمه في كل أمورنا وقضايانا وتصرفاتنا {فلا- وَرَبِّكَ لا- يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمَوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} النساء65، وهذا واضح من أوصاف هذه الدولة في الدعاء (تُعزُّ بها الإسلام وأهله، وتُذللُّ بها النفاق وأهله) ووصف الله تعالى الذين يقومون بشؤون هذه الدولة الكريمة بقوله سبحانه (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) (الحج/41) فلا تكون الدولة كريمة إلا حينما يكون رعاياها أحراراً يعيشون بعزة وكرامة وأعداؤهم أذلاء مقهورين.

الفرج الحقيقي:

وقد يتحقق هذا المعنى للدولة الكريمة عند المؤمنين وهم بعيدون عن الحكم وليس لهم في السلطة نصيب، كما كان عند أهل البيت (سلام الله عليهم) (2). ((وهكذا فحينما ندعو لإمامنا المهدي (عليه السلام) بالفرج وتعجيل الظهور فإن الفرغ الحقيقي يبدأ من داخل أنفسنا حينما نهذبها بطاعة الله تبارك وتعالى وتسير نحو الكمال، وإلا فما الذي نجنيه من ظهور الإمام (عليه السلام) إذا لم نحقق هذه الدرجات في داخلنا؟ ربما سنكون في الصف المعادي له أو مع المتخاذلين عن نصرته حرصاً على مصالح دنيوية أو وضع اجتماعي أو مكاسب سياسية ونحوها.

ص: 8

1- إقبال الأعمال: ج 1 ص 127.

2- خطاب المرحلة: 129 / 3.

فالدولة الكريمة والفرج بيدان من داخل النفس ثم يشرقان على الآخرين فإذا عاش المجتمع أجواءً إسلامية وكان سلوكه إسلامياً، وتفكيره مبنياً على أساس الإسلام فهذه هي الدولة الكريمة وهذا هو الفرج الحقيقي.

وهذا لا يتحقق إلا بمواصلة العمل الدؤوب على صعيد تهذيب النفس وعلى صعيد إقامة المشاريع الإسلامية الإصلاحية في المجتمع وإدامتها وأن لا يكتفي بالعمل الارتجالي الذي دافعه وهج العاطفة أو ردود الأفعال)).(1)

(ففي الكافي عن أبي بصير قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جُعِلت فداك متى الفرج؟ فقال: يا أبا بصير وأنت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فُرِّج عنه لا تتظاره)).(2)

لا تطلبوا الفرج للدنيا:

((ولا يخفى ما في جواب الإمام (عليه السلام) من توبيخ لمن ينتظر الفرج طلباً للدنيا مثلاً لكي يكون الحكم لأتباع أهل البيت (سلام الله عليهم) فتكون له حصة من (الكعكة) كما يقولون فيكون الوصول إلى الحكم غاية وهدفاً وليس وسيلة لإحقاق الحق وإقامة العدل فيقع أمثال هؤلاء في الظلم والانحراف ولا يحققون الهدف المنشود، وهذا أحد وجوه معنى الرواية الشريفة (كل راية قبل المهدي فهي راية ضلالة) لأنها تتحرك لتغيير الظالم وأخذ موقعه والتمتع بالجاه والسلطة والثروة وليس لتغيير الظلم وخدمة الناس وإصلاح أحوالهم وتأسيس الدولة الكريمة التي تضمن الحياة السعيدة لكل إنسان)).(3)

ونندب الإمام (عليه السلام) وندعوه لإزالة الظلم والجور وإقامة العدل (أين المعدُّ لقطع دابر الظلمة، أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان)، ولا

ص: 9

1- خطاب المرحلة: 3/130.

2- الكافي: ج 1 ص 371.

3- خطاب المرحلة: 370/4 - 371.

يكون الإنسان جزءاً من هذه الحركة المباركة إلا إذا أقام حياته وعلاقاته على العدل والإنصاف الآخرين، فليراجع الإنسان نفسه هل هو عادل في علاقته مع زوجته وأسرته ووالديه أو جيرانه أو أصدقائه في العمل أو من هم في رعايته إذا كان في مواقع المسؤولية، أم إنه جائر عليهم مقصر في حقوقهم ويظلمهم كالذي يحصل كثيراً في مجتمعنا؟ وحينئذٍ فلا يمتني نفسه بإتباع الإمام والانخراط في جماعته الميمونة.

ص: 10

الفصل الأول: مع التوحيد والإخلاص والصناعة الإلهية للإنسان

إشارة

ص: 11

من أين نبدأ (1)

أهمية المجالس:

إن مثل هذه اللقاءات والاجتماعات والمؤتمرات مهمة وذات فوائد عظيمة، أولها نفس الاجتماع والتلاقي وتبادل الأفكار ووجهات النظر بغض النظر عما تسفر عنه من نتائج، وهي تندرج في مصاديق قول الإمام الباقر (عليه السلام): (أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيأ أمرنا)(2).

وهي فرصة للمراجعة والتقييم والنقد البناء وتحديد مواطن النجاح والفشل.

من معاني المحاسبة:

وقد اخترت عنواناً لحديثي هو (من أين نبدأ) وهو لا يعني طبعاً إننا لازلنا لم نبدأ بعد، فإن جهوداً مشكورة كثيرة قدّمت ولا زالت، ولكننا أمرنا بمراجعة أنفسنا (ليس منّا من لم يحاسب نفسه)(3) والنفس التي تحاسب شاملة لنفس الفرد والمؤسسة والكيان والمشروع وحتى الدولة، وبعد كل محاسبة تكون هناك بداية لانطلاقة جديدة نحو العمل وفق نتائج هذه المحاسبة فنديمكل عناصر الخير والنجاح وننميها، ونعالج كل مواطن الفشل وتصليحها، فعن هذه البداية أتحدث وأقول من أين نبدأ.

كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة:

ص: 13

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع الفضلاء والخطباء المشاركين في ملتقى أئمة الجمعة والجماعة في محافظات العراق يوم

الثلاثاء 10/ ربيع الثاني / 1430 هـ المصادف 2009/4/7

2- هداية الأمة الى أحكام الأئمة، الحر العاملي: ج5 ص127.

3- الكافي: ج2 ص453.

ووجدت كلمة مختصرة لبعض الأعاظم- وهو العالم العامل المرحوم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (قدس سره) - تصلح أن تثبت هذه البداية والأساس الذي ننطلق منه نحو النجاح والفلاح، قال (قدس سره): (بني الإسلام على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة) وقد لخصها (قدس سره) ببلاغته المعروفة من وصايا القرآن الكريم والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

وأقول هنا إن الأساس والمنطلق بالدقة هو واحد وهي كلمة التوحيد أما توحيد الكلمة فهو أثر من آثار الصدق في تبني عقيدة التوحيد، والقائل يعرف ذلك لكنه أراد إلفات النظر إلى أهمية توحيد الكلمة في بناء الجماعة الصالحة المؤمنة وتشديد كيانها.

توحيد الله تعالى:

وقد نبهنا أمير المؤمنين إلى هذه الحقيقة بقوله (عليه السلام) (أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له) (1) فمن هنا يبدأ البناء وعلى هذا الأساس يستقر، إنها المعرفة بالله سبحانه المستندة إلى توحيده تبارك وتعالى، وعلامة التوحيد الصادق الذي يتجاوز مرحلة لقلقة اللسان إلى انعقاد القلب على التسليم لله تعالى والإخلاص له، فأصبح الإخلاص هو خلاصة التوحيد الذي هو تمام المعرفة بالله سبحانه وكمالها.

معنى الإخلاص لله تعالى:

والإخلاص - لغة- يعني التصفية، قال تعالى «بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ» (النحل: 66)، أي مصفى من الفرث والدم وآثارهما اللذين خرج من بينهما.

ولكن معنى الإخلاص هنا في المصطلح تجريد النية والغرض والهدف عن كل ما

ص: 14

1- نهج البلاغة: الخطبة: 1.

سوى الله تبارك وتعالى سواء على مستوى الأفعال والسلوكيات والعلاقات مع الآخرين، أو على مستوى المشاعر والأحاسيس التي تكتنف القلب وتملأه فيكون الحب في الله والبغض في الله، والغضب لله، والعمل لله، وهكذا.

مراتب الإخلاص لله تعالى:

والإخلاص له مراتب، كما أن ضده وهو الشرك له مراتب قال تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (يوسف:106)، وقد تختلط مراتبهما وتتداخل وتشابك في أعماق الإنسان في عملية معقدة تخفى حتى على صاحبها، لذا سمي بالشرك الخفي وشبهه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: (ديب الشرك في أمتي كدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء)(1).

ولذا وصف الصراع داخل الإنسان من أجل تحقيق الإخلاص بأنه (الجهاد الأكبر) ومحلها معاً القلب الذي إن نقي عما سوى الله تبارك وتعالى كان قلباً سليماً، قال تعالى «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الشعراء:89).

والحديث عن تعريف الإخلاص وحقيقته وحدوده ومراتبه وكيفية امتحان تحققه وما هي معوقات الحصول عليه، ومسارب الشيطان لتشويشه ومعالجة هذه المشاكل حديث طويل تعرضت له كتب الأخلاق والمعرفة وقد نصحنا بمراجعتها باستمرار كموسوعة الفيض الكاشاني (قدس سره) (المحجّة البيضاء) وجامع السعادات والقلب السليم.

أهمية الإخلاص:

وتدل الأحاديث على أن الإخلاص هو مفتاح الفلاح والفوز بالألطف الإلهية ففي الكافي عن الإمام الباقر (عليه السلام) (ما أخلص العبد الإيمان بالله عز وجل أربعين يوماً

ص: 15

1- منتخب الأنوار للنيلي: ص 16.

إلا زهده الله في الدنيا وبصره داءها ودواءها، فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه(1).

لذا أمرنا بالإخلاص في أعمالنا وتبائنا، قال تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» (البينة:5)، وقال عز من قائل «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» (الزمر:3)، وقال تعالى «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ» (النساء:146).

ولا- ينجو إنسان أو شريحة من البشر من هذا الصراع حتى العلماء والمنشغلون بالعمل الإسلامي إلا من عصم الله تبارك وتعالى، قال سبحانه حكاية عن إبليس اللعين «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ» (ص:82-83). فقد يطلب بعضهم العلم ليستأكل به أو ليماري به الناس أو ليرز ويشار إليه وغيرها من النيات الباطلة والعياذ بالله.

ص: 16

1- البحار: ج 67 ص 240.

تعرضوا لنفحات ربكم(1)

النفحات الخاصة:

ورد حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقونَّ بعدها أبداً)(2) وفي حديث مماثل (اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده)(3).

والحديث يشير إلى نوع خاص من الألفاظ الإلهية وليست الألفاظ العامة الشاملة لكل الناس، والدليل عليه وجهان:

1- التعبير بالنفحات، والنفحة هي القطعة من الشيء أو هي الدفعة منه وليس كله ولا معظمه، كما في قوله تعالى «وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» (الأنبياء:46) وهذا القول منهم إذا كان رجوعاً وتوبة في وقت قبولها فهو موقف حسن وإلا فإن الأغلب يكون موقفهم التمادي والاستكبار، قال تعالى «وَلَئِن أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» (هود:8).

2- الأثر العظيم المترتب على التعرض لها والتوفيق للشمول بها بحيث أن من تناله تلك النفحات لا يحتاج إلى ابتلاء ويحسم أمره في الصالحين والسعداء بحيث لا يشقى بعدها أبداً ولتوضيحه بمثال نقول أنه يصبح كالتالِب الذي

ص: 17

1- تقرير لحديث سماحة الشيخ يعقوبي في حشد من الإخوة والأخوات الذين تعودوا منذ سنتين أن ينطلقوا مشياً من الكوفة إلى كربلاء لإحياء ذكرى وفاة العقيلة زينب وزيارة النصف من رجب وتأسياً بالعقيلة التي قطعت هذه المسافة، وكان اللقاء يوم 11 رجب 1430 المصادف 2009/4/7.

2- كنز العمال : 21324 ، 21325.

3- كنز العمال : ج2 ص74 ح3189

يحرز درجات عالية في السعي السنوي فيُعفى من الامتحانات النهائية ولا يحتاج إلى اختبارات أخرى كأقرانه.

على أي حال فالمراد من النفحات ألطاف إلهية خاصة بدلالة التعبير عنها بالنفحات إذ أن الألفاظ الإلهية العامة متواصلة على طول الدهر ولولاها لما خلق الإنسان والكون ولا استمر وجودهما.

لنتعرض لكل سبل الطاعة:

وفي ضوء هذا فقد حث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على التعرض لتلك النفحات، ويكون ذلك بالتعرض لأسبابها واقتناص فرصها وهي غير معروفة بالتحديد لأن الله تبارك وتعالى أخفى رضاه في طاعته كما أخفى سخطه في معصيته لذا فحرِّي بطالب الكمال والسعادة أن يتعرض لكل ما ييسر له من سبل الطاعة وفرص الخير عسى أن تكون إحداها سبباً لنيل تلك الألفاظ الخاصة، ولذا جاء في الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): (تعرضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته)(1)

وفي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا هم أحدكم بخير فلا يؤخره فإن العبد ربما صلى الصلاة أو صام اليوم فيقال له: اعمل ما شئت بعدها فقد غفر الله لك)(2) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره فإن الله عز وجل ربما اطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة فيقول: وعزتي وجلالي لا أعذبك بعدها أبداً، وإذا هممت بسيئة فلا تعملها، فإنه ربما اطلع على العبد وهو على شيء من المعصية فيقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً) كالتالي الذي يفشل خلال السنة الدراسية فيحرم من فرصة المشاركة في الامتحانات العامة فكأن تقصيره ذلك أو جب نهايته مبكراً ولم يسمح له باستمرار فرصة الامتحان والسعي لنيل النجاح.

ص: 18

1- تنبيه الخواطر ونزهة الناظر (مجموعة ورام): ص 439.

2- الكافي: ج 2 ص 142.

وعنه (عليه السلام) إذا أردت شيئاً من الخير فلا تؤخره، فإن العبد يصوم اليوم الحار يريد ما عند الله فيُعْتَقَهُ الله به من النار، ولا تستقلّ ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله عز وجل ولو شقَّ تمرّة(1).

المسارعة إلى الخير:

وهذه المسارعة إلى فعل الخير لها ما يبررها من أكثر من جهة:

1- إن الفرص تمرُّ مرَّ السحاب وقد لا تتكرر بل هي فعلاً لا تتكرر لأن الفرصة الثانية هي غير الأولى وإضاعة الفرصة غصة وإن عمر الإنسان هو رأس ماله في المتاجرة مع الله تبارك وتعالى وكل ثانية من عمره يمكن أن ترفعه درجة عند الله تبارك وتعالى.

2- إن التأخير يعطي فرصة للشيطان والنفس الأمارة بالسوء للوسوسة والشيطان وإضعاف الهمة، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): (من همَّ بشيء من الخير فليعجله، فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة)(2).

3- إن القلوب لها أحوال متغيرة فتارة تكون في إقبال على الطاعة وأخرى في إدبار فإذا لم يستغل الحال الأول - أي حال إقبال 1 - القلب - فقد يقع في الثاني - أي حال إدبار القلب - فلا يجد في نفسه إقبالا على الطاعة، سأل حمران بن أعين الإمام الباقر (عليه السلام): (أخبرك - أطل الله بقاءك لنا وأمتعنا بك - أأنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترقّ قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرجُ

ص: 19

1- هذا الحديث واللذان سبقاه في أصول الكافي، ج 2، كتاب الإيمان والكفر، باب تعجيل فعل الخير.

2- نفس المصدر.

من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): إنما هي القلوب مرة تصعبُ ومرة تسهلُ(1).

2- إن الطاعة مهما تبدوا شاقة فإنما هي جهد اللحظة التي أنت فيها، ومهما تبدو المعصية لذيدة فإنما هي لذة اللحظة التي هو فيها وهذا ييسر المضي على الطاعة واجتناب المعصية ففي موثقة سماعة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (سمعتَه يقول اصبروا على طاعة الله، وتصبروا عن معصية الله فإنما الدنيا ساعة فما مضى فليس تجد له سروراً ولا حزناً وما لم يأت فليس تعرفه فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها، فكأنك قد اغتبطت)(2).

أشكال النفحات:

وسببية التعرض للنفحات للحصول عليها وشمولها أمر طبيعي، كما أن البائع الذي يتعرض للناس ببضاعته فينوعها ويتفنن في عرضها ويحاكي أذواق الناس بها يكون الإقبال عليه أكثر من التاجر الساكن الجامد الخامل، مع أن الله تبارك وتعالى قد تكفل للجميع بالرزق، ولكن الطافاً خاصة تعطي للمتعرض لها دون غيره.

ومع أن الطاعات كلها شكل من أشكال التعرض للنفحات الإلهية إلا أن لبعض الموارد مزيد عناية ومظنة لتلك النفحات، وبعض هذه الموارد (مكانية) كالمساجد والعتبات المقدسة وفي حلقات العلم ومجالس الموعظة والإرشاد، وبعضها (زمانية) كليلة الجمعة ويومها والأشهر الشريفة رجب وشعبان ورمضان، وبعضها (حالية) كاجتماع المؤمنين والدعاء للغير وحال التوجه والاضطرار وانكسار القلب خصوصاً إذا امتزج الحزن بالبكاء وعند مجالسة العلماء وبعد الصلوات المفروضة وفي حال السجود.

لطف الله تعالى للجميع:

ص: 20

1- المصدر، باب: في تنقل أحوال القلب.

2- («2») المصدر، باب: محاسبة العمل.

ولا شك أن لطف الله تبارك وتعالى وكرمه متاح لكل أحد كما في أدعية شهر رجب (يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة) (بابك مفتوح للراغبين، وخيرك مبذول للطالبيين، وفضلك مباح للسانلين، ونيلك متاح للآملين، ورزقك مبسوط لمن عصاك، وحلمك معترض لمن ناوأك)(1) لكن بعض النفحات تتطلب تعرضاً لها وصعوداً إليها.

أتذكر أنني عندما كنت أحضر بحث الأصول للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في مباحث المشتق وكان يفسر آية «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (البقرة:124) فقال (قدس سره): ((إن الآية عبرت «لا ينال» ولعل في ذلك إشارة إلى هذه المراتب وغيرها من مراتب الكمال إنما تنال بالتكامل والتصاعد في عالم الملكوت الأعلى فكلما تكامل الفرد إلى درجة معينة استحق أيضاً مناسباً لتلك الدرجة ومنها الإمامة فهم يصعدون إليها لاهي تنزل إليهم)) (2)

فقلت له بعد الدرس على هذا لا بد من أن يكون ذيل الآية (الظالمون) ليكون فاعلاً وساعياً لنيل العهد وعهدي مفعول به وليس العكس كما في الآية، فأيد الاعتراض لكنه - لإيمانه بصحة فكرته - عرض حلاً وسطاً يجمع بين الفكرة والإشكال وهو أن الألفاظ تنزل من الله تعالى إلى مرتبة معينة ويصعد إليها الفرد إلى تلك المرتبة.

وإذا تهيب الفرد أو تردد ولم يقتنع الفرصة ويبادر إليها فإنه سيحرم بركتها ففي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمر مر السحاب فاتتهزوا وفرص الخير)(3).

طلبات جامعة:

وليكن تعرضك وطلبك مناسباً لكرم الله تعالى، وتوجد في بعض الأدعية طلبات جامعة لخصال الخير كله كما في أدعية رجب (أعطني بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَجَمِيعَ خَيْرِ

ص: 21

1- مفاتيح الجنان: ص 229.

2- («2») (المشتق عند الأصوليين: 343).

3- الوسائل: ج 16 ص 84.

الآخرة، وَاصْدِرْفُ عَنِّي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ شَرِّ الدُّنْيَا وَشَرِّ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوصٍ مَا أَعْطَيْتَ، وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ يَا كَرِيمُ (1) وفي دعاء آخر (اللهم إني أسألك أن تدخلني في كل خير أدخلت فيه محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وان تخرجني من كل سوء أخرجت منه محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (2)؛ وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان نزل على رجل بالطائف قبل الإسلام فأكرمه فلما أن بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) إلى الناس قيل للرجل: أتدري من الذي أرسله الله عز وجل إلى الناس؟ قال: لا، قالوا له: هو محمد بن عبد الله يتيم أبي طالب وهو الذي كان نزل بك بالطائف يوم كذا وكذا فأكرمه، قال: فقدم الرجل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسلم عليه وأسلم، ثم قال له: أتعرفني يا رسول الله؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا رب المنزل الذي نزلت به بالطائف في الجاهلية يوم كذا وكذا فأكرمتك فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): مرحباً بك سل حاجتك، فقال: أسألك ما أتى شاة برعاتها، فأمر له رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما سأل، ثم قال لأصحابه: ما كان على هذا الرجل أن يسألني سؤال عجوز بني إسرائيل لموسى (عليه السلام) بما سأل، فقالوا: وما سألت عجوز بني إسرائيل موسى؟ فقال: إن الله عز ذكره أوحى إلى موسى أن أحمل عظام يوسف من مصر قبل أن تخرج منها إلى الأرض المقدسة بالشام فسأل موسى عن قبر يوسف (عليه السلام) فجاءه شيخ فقال: إن كان أحد يعرف قبره فقلنا، فأرسل موسى (عليه السلام) إليها فلما جاءت قال: تعلمين موضع قبر يوسف (عليه السلام)؟ قالت: نعم، قال: فدليلني عليه ولك ما سألت: قال: لا أدلك عليه إلا بحكمي، قال: فلك الجنة، قالت: لا إلا بحكمي عليك، فأوحى الله عز وجل إلى موسى لا يكبر عليك أن تجعل لها حكمها فقال: لها موسى فلك حكمك، قالت: فإن حكمي أن

ص: 22

-
- 1- مفاتيح الجنان: ص 170.
 - 2- مفاتيح الجنان: ص 285.

أكون معك في درجتك التي تكون فيها يوم القيامة فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما كان على هذا لو سألتني ما سألت
عجوز بني إسرائيل(1).

ص: 23

1- الكافي: ج 8 ص 155.

لا يستعبدكم غيركم وقد أرادكم الله أحراراً شعار مشترك للبعثة النبوية والنهضة الحسينية(1)

من معاني (حسين مني وأنا من حسين):

نعيش اليوم بين مناسبتين عظيمتين هما ذكرى البعثة النبوية المباركة وذكرى ميلاد الإمام الحسين (عليه السلام).

فما هي المشتركات بين هاتين المناسبتين، أو قل بين هاتين الشخصيتين العظيمتين؟

ويكفينا لمعرفة سعة الاشتراك والتطابق بل الاتحاد قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في سبطه الحسين (عليه السلام): (حسين مني وأنا من حسين) (2).

الهدف هو تحرير الإنسان مما سوى الله تعالى:

ولكنني أستغل هذه الأيام الشريفة للإشارة إلى الهدف المشترك لهاتين الحركتين المباركتين حركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في البعثة النبوية وحركة الإمام الحسين (عليه السلام) نحو الشهادة في كربلاء، والهدف هو تحرير الإنسان قال تعالى «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف:157) فالهدف تخلص الإنسان وتحريره من القيود والأغلال والأوزار التي تكبله وتثقل ظهره نتيجة تخبطه في الجاهلية الظلماء وإتباع الهوى وشياطين الإنس والجن لذا كانت أول كلمة صدع بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ص: 24

1- («1») من حديث سماحة الشيخ العنقوبي مع حشد من أبناء مدينة الشعلة والجوادين والرحمانية وفدوا لزيارة سماحته يوم السبت 2 شعبان 1430/المصادف 2009/7/25.

2- المستدرک علی الصحیحین: ج 3 ص 177.

وسلم) أمام قريش وأهل مكة (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)(1) وهذه الجملة فيها محتويان أو عقدان كما يقال في المصطلح، عقد سلبي وهو نفي الإلوهية عن كل شيء، وعقد إيجابي وهو إثبات الإلوهية لله تبارك وتعالى، والتوحيد ينعقد بضمهما والاعتقاد بهما معاً، وإلا فإن المشركين كانوا يعتقدون بالإلوهية والربوبية لله تبارك وتعالى لكنهم أشركوا حينما لم يسلبوا هذه الصفات عن غيره تبارك وتعالى.

رفض العبادة والطاعة لغير الله تعالى:

وهذا ما فهمه طواغيت قريش من دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى التوحيد فإنه لو اكتفى بعبادة الله وحده ولم يتعرض لرفض عبادة غيره لتركوه، فقد كان الأحناف(2) بين ظهرانيتهم مدة طويلة يتعبدون لله تبارك وتعالى على دين إبراهيم الخليل (عليه السلام) ولم يتعرض المشركون لهم.

وقد جاؤوا بعرض أو صفقة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يعبدوا إلهه يوماً ويعبد آلهتهم يوماً لكن الجواب الإلهي جاء حاسماً لا مجال فيه لأنصاف الحلول «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» فهم إذن لم يكن عندهم اعتراض على عبادة الله تبارك وتعالى. وإنما تصدوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) رفض العبادة والطاعة لغير الله تبارك وتعالى من الآلهة التي صنعوها بأيديهم وخدعوا الناس بالقداسة المزيفة التي منحوها لها، للمتاجرة بها والتنعم بالامتيازات التي يحصلون عليها مما يقدمه المخدوعون

ص: 25

1- السيرة الحلبية: ج 1 ص 303، وتاريخ الطبري: ج 2 ص 65.

2- الأحناف: هم الذين كانوا على دين إبراهيم الخليل، وتنقل المتون التاريخية العديد منهم: كعبد مناف بن قصي، وعبد المطلب، وكعب بن لؤي بن غالب، وعمير بن جندب الجهني، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس، وأمثالهم. وفي السيرة الحلبية إن كتاباً لعبد مناف بن قصي وجد مكتوباً عليه: (أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشاً بتقوى الله وصلة الرحم). السيرة الحلبية: ج 1 ص 80.

بها من نذور وهدايا والتزامات وطقوس، فالقضاء عليها يعني تجريدهم من كل تلك الامتيازات لذا قاوموا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل وسائل البطش والقسوة والنوم.

هدف النهضة الحسينية:

وهذا-أي تحرير الإنسان- هو الهدف الذي سعى لتحقيقه الإمام الحسين (عليه السلام) وصرح به في كلماته كقوله (يا شيعة آل أبي سفيان! إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ، فَكُونُوا أحراراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عُرْباً كَمَا تَزْعُمُونَ.... أَنَا الَّذِي أَقَاتِلُكُمْ، وَتَقَاتِلُونِي، وَالنِّسَاءَ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ، فَأَمْنَعُوا عُنَاتِكُمْ وَطَعَاتِكُمْ وَجَهَالِكُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِحَرَمِي مَا دُمْتُ حَيًّا(1).

وقال (عليه السلام): (ألا- وإن الدَّعِيَّ ابن الدَّعِيَّ قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيئات منّا الذلة، يأبى الله ذلك لنا، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تُؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام(2).

وقال (عليه السلام): (الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معاشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديّانون(3).

معنى العبادة:

ولأجل أهمية العبادة والتي تعني الطاعة والانقياد ولزوم تكريسها لله تبارك وتعالى ومن أمر بطاعتهم فقد تكفل القرآن الكريم والأئمة المعصومون (سلام الله عليهم) إيضاح معناها وشرح أبعادها، فقد ورد في تفسير قوله تعالى «اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ

ص: 26

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 2 : 33، الفتوح لابن الأعمش 5 : 134، تاريخ الطبري 3 : 333.

2- اللهوف: ص 97.

3- البحار: ج 44 ص 382.

عَمَّا يُشْرِكُونَ» (التوبة: 31) قول الإمام الصادق (عليه السلام) في الكافي: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون)(1). وقد وصل التدقيق لديهم (عليهم السلام) في هذا المعنى إلى حد قول الإمام الباقر (عليه السلام): (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله، فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان، فقد عبد الشيطان)(2).

كونوا أحراراً:

أيها الأحبة: علينا أن نأخذ هذا المعنى ونستفيد من هذا اللطف الإلهي ونحن نحبي هذه المناسبات الشريفة، ونستحضره دائماً ما دام هو الهدف من بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحركة الإمام الحسين (عليه السلام) لنكون أحراراً لا نطيع إلا الله تبارك وتعالى ولا نعبد إلا إياه، هذه العبودية التي يفتخر بها مثل أمير المؤمنين (عليه السلام) ويعتز بها، قال (عليه السلام): (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، إلهي أنت كما أحب فاجعلني كما تحب)(3).

وهذه هي الدعوة التي أطلقها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) (متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)(4)، فقد خلقكم الله تبارك وتعالى أحراراً واقتضت إرادته ذلك ويسّر لكم كل أسباب الحرية، فمن الغريب أن يكون هذا عبداً لأهوائه وأطماعه وأنانيته، وذاك عبد لشياطين الإنس والجن يزينون له المعاصي والموبقات فيقتحمها ويعرض عن

ص: 27

- 1- الكافي: ج 1 ص 53.
- 2- السابق: ج 6 ص 434.
- 3- مفاتيح الجنان: ص 171
- 4- منهاج البراعة: ج 14 ص 134.

طاعة ربه الكريم، وآخر رضي لنفسه أن يكون عبداً للطواغيت والظالمين وجندياً مخلصاً لهم يأتمر بأمرهم ولا يرقب في الله تعالى إلا ولا ذمة، ورابع خدعته القداسات المزيفة لهياكل بشرية صنعتها لها أبواق الكهنة والسدنة والمستفيدين وأموالهم وسلطانهم فصار المعروف ما عرفوه والمنكر ما أنكروه وجعلوا تلك الهياكل مقياساً لمعرفة الحق وليس الحق معياراً لمعرفة الرجال، وخامس اتخذ رئيسعشيرته رباً يعبده ويطيعه من دون الله تبارك وتعالى فالمهم طاعة هذا الرئيس والالتزام بالسنيّة العشائرية وإن كان مخالفة لله تبارك وتعالى وما جاء به الذكر الحكيم، والله تعالى يقول: «وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (التوبة: 31).

سبب التشتت والضياع:

وهذا التعدد في العناوين التي تطاع من دون الله تبارك وتعالى هو الذي أوجب هذا التشتت والضياع والتفرقة بين أبناء الدين الواحد والمذهب الواحد وحتى البيت الواحد، ولو كانوا أحراراً في دنياهم لا يطيعون إلا من أمر الله بطاعته لتوحدوا ولكنهم تفرقوا فسلبت البركات منهم والعياذ بالله.

إن الحرية التامة والانعتاق الحقيقي هي في العبودية التامة والتسليم المطلق لله تبارك وتعالى فكلما أزداد العبد طاعة وتسليماً لله تبارك وتعالى تحرر من الرق لغيره أكثر «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» (النساء: 65).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يستخلصنا لنفسه وأن لا يجعل لغيره سلطاناً علينا أبداً ولا طرفة عين.

قولوا لا إله إلا الله تفلحوا(1)

البشرية التائهة وحلول الإسلام لمشاكلها:

تعيش أمتنا بل الإنسانية جميعاً الكثير من المشاكل والتعقيدات سواء على الصعيد الشخصي أو العائلي أو على الصعيد الاجتماعي أو السياسي وغيرها، فالقلق والخوف والضيق ضارب بأطنابه في كل أرجاء الحياة، والبشر في حيرة من أمرهم لا يعرفون كيفية حل الأزمات ومعالجة المشاكل والخروج من هذه المعضلات، وكلما قدمت عقولهم القاصرة حلاً بحسب ظنهم وجدوا أنفسهم أكثر غرقاً في المشاكل فما هو المخرج؟

لقد أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحل قبل ألف وأربعمائة عام وفي أول كلمة قالها لقريش في بدء رسالته المباركة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) (2)، فالفلاح والسعادة في التخلي عن طاعة وإتباع ما سوى الله تبارك وتعالى من أهواء وشهوات وشياطين الإنس والجن.

ولا تعني كلمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الاكتفاء بقول هذه الكلمة بل العمل بمقتضاها وهذا ما فهمته قريش ووقفت بكل قوة في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن في العمل بهذه الكلمة تهديداً لمصالحهم وزوالاً لوجوداتهم الزائفة، ولذلك فهم لم يكونوا يواجهون الأحناف الموحدين الذين كانوا بين ظهرانيتهم قبل بعثة

ص: 29

1- لبي سماحة الشيخ (دام ظله) دعوة حملة (الشهاب) لحجاج القطيف في مكة المكرمة مساء الخميس 5/ذ.ح. 1431 الموافق 2010/11/11، وكان في استقباله مجموعة من الفضلاء والمؤمنين، وألقى سماحته هذه الكلمة فيهم.

2- السيرة الحلبية: ج 1 ص 303، وتاريخ الطبري: ج 2 ص 65.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم لم يكونوا يتحركون لتجسيد هذه الحقيقة على الأرض.

التوحيد الخالص قضية الإسلام الكبرى:

وكان ترسيخ هذه الحقيقة والعمل على نشرها هي قضية الإسلام الكبرى التي واصل إرسائها الأئمة المعصومون (سلام الله عليهم) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحينما اجتمع أربعة آلاف من العلماء ورواة الحديث حول الإمام الرضا (عليه السلام) في نيسابور وهو في طريقه من المدينة المنورة إلى خراسان وطلبوا منه حديث يروونه عنه عن آبائه الطاهرين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فماذا كان حديثه (عليه السلام) قال بعد أن ذكر السند المبارك الذي قيل فيه انه لو قرئ على مجنون لبرئ عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جبرئيل عن الله تبارك وتعالى قال (لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي) وهمس (عليه السلام) (بشروطها وأنا من شروطها)(1).

عندما نكتفي بالنظريات ولا نعمل:

لكن الناس الذين آمنوا بهذه الحقيقة نظرياً ولم يحولوها إلى واقع يعيشونه في حياتهم هم الذين أوقعوا أنفسهم في هذه الحياة النكدة المعقدة، فقد آمنوا بالله تعالى نظرياً وعبدوه شكلياً لكنهم في كثير من تفاصيل حياتهم يعبدون ويطيعون آلهة أخرى . قال تعالى «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (يوسف:110).

قال تعالى «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» (طه:124) وقال تعالى «وَمَنْ يَعُشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

ص: 30

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج2 ص145.

قَرِينٌ» (الزخرف:36) فتصورا شقاء الإنسان إذا كان قرينه الذي يصاحبه شيطاناً يضلّه ويصده عن سواء السبيل.

لكن من يحيا حياة الإيمان ويحسدّها في حياته بالأعمال الصالحة فإن حياته تكون سعيدة طيبة، قال تعالى «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل:97).

ص: 31

الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى (1)

علة البلاء:

من الحقائق التي بينها الله تبارك وتعالى من خلال القرآن الكريم لتشبيتها في قلوب وعقول المؤمنين أن ما يصيبهم من بلاء وعنت وضيق وشدة فإنما هي نتيجة أعمالهم السيئة «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (الشورى: 30) «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» (النحل: 34) «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ» (النساء: 79)، ويلفت أنظار المسلمين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم في قمة المواجهة العسكرية مع مشركي قريش في معركة أحد أن هزيمتهم كانت بسبب عدم تهذيب أنفسهم فهذا هو السبب الحقيقي وليس الأسباب المادية «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا» (آل عمران: 155).

الله تعالى يعلمنا طريق الحل:

وفي نفس الوقت يعلمنا الحل وسبيل النجاة من هذه المعاناة.

انه بالعودة إلى الله تبارك وتعالى والتضرع إليه والتوسل إليه تبارك وتعالى وتصفية القلوب مما فيها من غلٍّ وضغائن وورذائل كالحسد والعجب والكراهية والأنانية «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَيَّ

ص: 32

1- من النصائح والمواعظ التي كان يوجهها سماحة الشيخ (دام ظله) إلى الأمة من خلال أئمة الجمعة خلال فترة المواجهات المسلحة، عام 2004.

قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ» (الأعراف: 96-100).

والمراد بالبأس هنا ليس الاستئصال كما كان يحصل للأمم السابقة على الإسلام، فإن مثل هذا العذاب قد رُفِعَ عن هذه الأمة ببركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن الأمة بقيت معرضة -بسوء تصرفها- لألوان أخرى من العذاب: نقص الثمرات، وقوع الفتن والحروب بينهم فيزيد بعضهم بأسبعض، تداعي الأمم الأخرى عليهم لاستعبادهم، وهذه البلاءات كلها قد نزلت بالأمة والعياذ بالله. وقال تعالى «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (الطلاق: 2-3)، ويخاطب الأمم التي تتخبط في جهلها وغفلتها وبعدها عن الطريق الحقيقي «قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خِزْفٍ ثُمَّ تَذَكَّرُونَ» (سبأ: 46) أي أن تلتفتوا إلى أنفسكم فتعودوا إلى الله تبارك وتعالى أفراداً وجماعات وتجأرون إلى الله بالدعاء والاستغاثة.

وهذا لا يعني أن هذا القيام لله تبارك وتعالى واللجوء إليه مختص بحال الاضطراب، إذ المطلوب أن يكون الإنسان في كل حالاته ذاكراً لله تعالى مستجيراً به طالباً منه التوفيق والثبوت على الإيمان والزيادة من عمل الخير والتأييد، بل إنه سبحانه يعرض مستغرباً مثل هذا النموذج الذي لا يعرف الله إلا في أوقات الضيق والشدة كإقطاع السبل في البحر الهائج «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» (العنكبوت: 65)، ولا يقصد الشرك الظاهري أي عبادة الأصنام ونحوها لأنه خلاف دعوتهم لله مخلصين، وإنما يريد الشرك الخفي أي الإعراض عن الله والالتجاء إلى الأسباب من دونه.

ويضرب لنا مثلاً في قوم يونس فإنهم قد أحيطوا بعذاب، وظن نبيهم أنهم قد أخذوا ولم تبق فرصة لنجاتهم، فغادر المدينة إلا أنهم عادوا إلى الله وخرجوا جميعاً مستغيثين بالله أن يرفع عنهم البلاء، فاستجاب الله تبارك وتعالى لهم ونجاهم «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ» (يونس: 98).

وابتغوا إليه الوسيلة:

ولا- يتم هذا الاتصال بالله تبارك وتعالى وينتج ثمراته إلا بولاية أهل البيت والتوسل بهم إلى الله تبارك وتعالى وإدامة ذكرهم وإقامة شعائرهم والاستغاثة بالإمام القائم بالأمر (عجل الله تعالى فرجه)، قال تعالى «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» (طه:124) وقد ورد في الروايات أن الذكر هي ولاية أهل البيت (عليهم السلام) فمن لم يتمسك بهم يكن في عيشة ضيقة تعيسة خالية من الإمدادات الروحية.

يروى عن الإمام الهادي (عليه السلام) قوله عن دعاء (يا من تحل به عقد المكاره...) (إنه دعاء آل محمد (عليهم السلام) عند إشراف البلاء وظهور الأعداء وخوف الفقر وضيق الصدر)(1).

وهو من أدعية الصحيفة السجادية ويوجد في كتاب مفاتيح الجنان.

هكذا علمنا الله تبارك وتعالى وهكذا أدبنا أهل البيت (عليهم السلام) فأين نحن من ذلك التأديب الذي يراد منه نفعنا وسعادتنا؟

الانفعال والارتجالية:

أنا لا أنكر تقدم المستوى الإيماني لدى هذا الجيل بفضل الله تبارك وتعالى بشكل أذهل الأعداء وأصاب خططهم بالخيبة والخسران، إلا أنه مع الأسف في كثير من حالاته عبارة عن وهج عاطفي وحرارة متدفقة غير مقترن بوعي عميق وتربية راسخة للقلب والنفس، مما يجعل هذه الاندفاع في مهب الريح-والعياذ بالله- إذا لم نتداركها بما يصلحها.

وإلا بماذا تفسر انتشار الافتراء والبهتان والتسقيط والتشويه بين المؤمنين بل أصبح شغل الكثير من أهل الغفلة هو ذم العلماء والمراجع والقدح فيهم وانتقادهم، ولا أدري من

ص: 34

أين نال هؤلاء القيمومة على الآخرين ليعطوا لأنفسهم الحق في تقييم أعمال المراجع والمفكرين؟! ألم يسمعوا الحديث الشريف (إن حرمة المؤمن أعظم من الكعبة)⁽¹⁾، فالاعتداء على سمعة المؤمن وكرامته وتشويه صورته اشد من الاعتداء على الكعبة، أو على العتبات الطاهرة للأئمة المعصومين (عليهم السلام) -رغم أنها من الجرائم الشنيعة-، فهل التفت المؤمنون إلى هذه الكبائر التي تورطوا فيها، وعميت بصائرهم عن رؤيتها حتى تنشر صحائف أعمالهم أمام الحكم العدل «فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (ق: 22).

هل غضبنا لله تعالى أم لأنفسنا؟

وهل غضبوا لانتهاك حرمة المؤمن أم على العكس إنهم خاضوا في هذه الكبائر وشربوا كأسها حتى الشماله، حتى أن بعض أئمة الجمعات استغلوا هذا الموقع الألهي الذي يعبر عنه الإمام (عليه السلام) (اللهم إن هذا مقام أوليائك وخلفائك)⁽²⁾ استغلو للمهاترات الكلامية وتصفية الحسابات الشخصية ولانتقاد العلماء.

التربية الى نصف الطريق:

عن هذا النقص في تربية المشتغلين بالعمل الاجتماعي الإسلامي والأسف من عدم اكتمال التربية قال الشهيد السيد محمد باقر الصدر رائد الحركة الإسلامية في العراق⁽³⁾. (إننا استطعنا أن نربي الآخرين إلى نصف الطريق) وعلق عليه الشهيد السيد محمد الصدر (قده): (ولم يقل إلى نهايته لأنه لو كان الأمر كذلك لما حصل أي شيء من تلك النتائج).

ص: 35

1- مستدرك سفينة البحار: ج2 ص271.

2- أنظر: مصباح الزائر: ص44، وراجع البحار: ج100 ص160.

3- (1) من بحث بعنوان (التربية الدينية) كتبه السيد الشهيد الصدر الثاني أيام إقامته الجبرية في الثمانينات وهو مخطوط محفوظ عندي، ونشر ضمن سلسلة (حديث الروح).

ولو كان أولئك المتدينون قد أصلحوا أنفسهم قبل إصلاح الآخرين، وما رسوا المقدمات المنتجة لصفاء النفس ونور القلب وعمق الإخلاص وقوة الإرادة وعفة الضمير لما عانوا ما عانوا، بل ولعلمهم لم يحتاجوا في الحكمة الإلهية إلى كل هذا البلاء الذي وقع عليهم، وإنما كانوا مع شديد الأسف مصداقاً لقوله تعالى «وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ» (محمد: 38) ولم يكونوا مصداقاً لقوله تعالى «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» (الحج: 41)، وليس ذلك إلا لان الأفراد التامين من جميع الجهات والأوصاف الجامعين للشرائط عددهم قليل، وأقل من الحاجة بكثير(1).

المعركة الكبرى:

إننا مطالبون بمحاربة الشياطين في أنفسنا الأمانة بالسوء قبل كل شيء، ومهما تعاظمت شياطين الجن والأنس فإنها دون هذا العدو الأكبر الذي وصفه الحديث الشريف (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)(2)،

بل إن كل شياطين الإنس هي ثمرة هذا الشيطان ولو أصلحنا ما في نفوسنا لم يبق شيء من تلك الشياطين؛ لذا سمى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جهاد النفس بالجهاد الأكبر ومعناه أن العدو في هذا الجهاد هو العدو الأكبر. وجهاد الأعداء الآخرين مهما تفرعنوا بالأصغر.

النصر الحقيقي:

إن نصرنا الحقيقي حينما نستطيع سحق أهوائنا وأنانياتنا ونزيل الغل والحقد والكراهية وحب الدنيا بكل أشكالها (وأخطرها حب الرئاسة والتسلط وتصفيق الجماهير) والحسد والرياء والعجب والتكبر والعنجهية والاستعلاء وغيرها من الرذائل، ونملاً قلوبنا

ص: 36

1- الشهيد الصدر (قدس سره) كما أعرفه: ص 302.

2- البحار: ج 67 ص 36.

بالحب والرحمة والشفقة والعفو والصفح والتآلف والمودة والصبر وكظم الغيظ وغيرها من الفضائل.

هذه هي وصايا أهل البيت (عليهم السلام) وهذه تربيتهم، حتى حينما كان يظن شيعتهم أن الفرصة قد حانت وان الثمرة قد آن قطافها، كانوا (عليهم السلام) دائماً يذهبون في الاتجاه الآخر غير الذي يفكر به الآخرون مهما قربوا من الإمام (عليه السلام)، وهو اتجاه محاسبة النفس ومراقبتها وعرضها على الميزان الذي نصبه أهل البيت (عليهم السلام)، وأقرأ كشواهد على ذلك أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) لمن عرضوا عليه النصره وتسليم مفاتيح السلطنة بعد القضاء على الأمويين، ونصائح الإمام الرضا (عليه السلام) للذين خرجوا لاستقباله على طول الطريق من المدينة المنورة إلى مرو.

ابتعادنا عن أدب السلف الصالح:

إننا ضيعنا حتى الحد الأدنى من ذكر الله تعالى وهو الالتجاء إليه عند الاضطرار، فهذا هو البلاء يحيق بنا والأعداء يتربصون بنا ولا أجد المؤمنين يعقدون مجالس الدعاء والتوجه إلى الله تعالى والاستغاثة بالمعصومين (عليهم السلام) والتوسل إلى صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه) كي يتولانا برعايته مع عدم الإخلال بالواجبات الأخرى طبعاً، يروي لنا سلفنا انه إذا مر بهم بلاء اجتمعوا في المساجد والحسينيات للدعاء ولذكر مصائب أهل البيت (عليهم السلام) وزيارتهم، وكان طلبة العلم في النجف يتوجهون مشياً على الأقدام إلى مسجد السهلة مستغيثين بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) أو كربلاء لزيارة الحسين (عليه السلام) أو أي مسجد جامع لأبناء المدينة فيرفع الله عنهم البلاء، كما فعل بقوم يونس، بل ما حصل لنفس النبي يونس (عليه السلام) فانه لما نادى «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» (الأنبياء: 87) جاء الغوث والخلص «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ» (الأنبياء: 88) وقال تعالى «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (الصافات: 143) -

لذا يبين الإمام المهدي (عليه السلام) امتعاضه من شيعته لأجل هذه الغفلة عن الله تعالى وعن أهل البيت (عليهم السلام) في كثير من اللقاءات معه (عليه السلام) ومنها قصة السيد الرشتي المذكورة في مفاتيح الجنان لما ضلَّ الطريق في ظروف صعبة قال له موبخاً لماذا تتركون زيارة عاشوراء والنافلة وزيارة الجامعة الكبيرة(1).

هذا هو الحل وهذا هو طريق النجاة أن نقوم لله تعالى مثني وفرادي متآلفين ومتحابين أنقياء القلوب أصفياء النفوس ونعمل بوصايا المعصومين (عليهم السلام) ونتأدب بأدبهم ونترك التعصب والشنج والتطرف والأنانية وحب الدنيا.

«قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»

ص: 38

1- تفصيل الكلام في كتاب (شكوى الإمام (عليه السلام)). وانظر مفاتيح الجنان، قصة السيد الرشتي: ص 595.

الصناعة الإلهية للإنسان(1)

أهمية الطفولة:

من المعروف أن فترة الطفولة لدى الإنسان هي أطول من كل الكائنات الحية، وما ذلك إلا لينال التربية الكاملة والكافية التي تؤهله لممارسة دوره كخليفة لله تعالى في أرضه وليستطيع بناء كل قواه البدنية والعقلية والفكرية والنفسية حتى يتمكن من تلقي التشريف الإلهي ويبلغ سن التكليف الذي يتأخر عن السنة التاسعة عند الإناث وأكثر من ذلك عند الذكور.

ولاشك أنه كلما تتوفر للإنسان عوامل أقوى لتربيته وبنائه فإن فرصته لبلوغ الكمال والراقي أفضل وأوسع، وكلما كان الدور المناط بالشخص والمسؤولية التي سيضطلع بها أهم وأوسع، كان نوع المربي المطلوب متصفاً بكمالات أرقى.

التربية الإلهية:

ولما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكمل البشر وأفضلهم ومعداً لأداء أعظم الرسالات الإلهية، فلم يكن هناك من هو جدير بتربيته وتأديبه، لذا تكفل الله تبارك وتعالى بذلك، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أدبني ربي فاحسن تأديبي)(2) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) (أنا أديب الله وعلي أديبي)(3).

ص: 39

1- الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على أساتذة وطلبة مدرسة الإمام الجواد (عليه السلام) الدينية في النجف الأشرف يوم الثلاثاء 15/ع/1434 2/المصادف 2013/2/26.

2- البحار: ج 68 ص 382.

3- ميزان الحكمة: 1/80.

وفي نهج البلاغة يصف أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الصناعة بقوله (ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله وسلم) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره)(1).

وأزقّ تعبير وألطفه وأعظمه لهذه الفكرة هو ما ورد في القرآن الكريم في حق نبي الله تعالى وكليمه موسى (عليه السلام)، قال تعالى: (وَلْتُصْنَعْ عَلَى عَيْنِي) (طه/39) وقال تعالى: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) طه/41، حينما يحظى الإنسان بلحظة من العناية الإلهية والألطف الإلهية فإنها تغنيه وتكفيه، فكيف بمن يُصنع كله بعين الله تعالى ورعايته ولطفه، وليس هذا فقط بل يصطنعه لنفسه خالصاً مخلصاً ليحمل رسالته الكريمة إلى البشرية فليس له نظرٌ إلى ما سوى الله تبارك وتعالى، ولا يطمع فيه أحد من شياطين الجن والإنس، والصنع كما في المفردات (إجادة الفعل) أما الاصطناع فإنه (المبالغة في إصلاح الشيء)(2).

نتيجة الاصطفاء الإلهي:

وكانت النتيجة أن يكون موسى (عليه السلام) مخلصاً لله تبارك وتعالى نبياً رسولاً من أولي العزم {وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً} {مريم/51}. هكذا تتدخل الألفاظ الإلهية في صناعة الأفاضل المؤهلين للأدوار العظيمة، والمستحقين للمقامات السامية، ومنهم أهل البيت (عليهم السلام)، فقد أراد الله تعالى أن يكونوا معصومين مطهرين مخلصين له تبارك وتعالى، قال تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب/33) وإذا أراد الله شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولا رادّ لقضائه.

ص: 40

1- نهج البلاغة، الخطبة، 192 المسماة بالقاصعة.

2- المغردات: ص 286.

هل تساءل أحد كيف يمكن أن توجد مثل خديجة بنت خويلد التي لُقِّبت بالسيدة الطاهرة في ذلك المجتمع الجاهلي المملوء بالجرائم والموبقات والمفاسد التي لم يسلم منها إلا الأفاذ من بني هاشم؟ وهل يوجد تفسير لذلك إلا الصناعة الإلهية لتلك القديسة الطاهرة؟.

وهكذا يجد من يراجع سير العظماء ان يداً من وراء الغيب تتولى أمرهم وتنعم بحب وشفقة واتقان لتعدّهم للدور الكبير الذي يراد لهم.

كيف نال الاصطفاء الإلهي؟

والذي يهتّمنا من ناحية عملية هو هل يمكن أن نحظى بهذه الألفاظ الإلهية ونكون ممن يصنعهم الله تعالى على عينه ويصطنعهم لنفسه بدرجة من الدرجات؟ ومن الواضح اننا نتحدث هنا عن التربية الإلهية الخاصة، لأنّ العامة شاملة للجميع، فهو (رب العالمين) و(مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) (هود/56).

والجواب واضح بإمكان ذلك إذ أن الله تبارك وتعالى لا يخل في ساحته -كما قيل- ولا يحتجب عن خلقه، إلا أن تحجبهم الذنوب دونه - كما في الدعاء.

والسؤال الأهم في كيفية تحصيل ذلك، ويمكن ان نستفيد معنيين من نفس الآيات الشريفة.

الأول: من نفس الآية الأولى (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه/39) فالطريق أن تحبّ الله تعالى ويحبّك الله تعالى، وقد شرحنا علامات هذا الحب المتبادل وطريقة تحصيله في خطاب سابق، وورد في كلمات الحكماء (إن الله إذا أحبّ عبداً تفقّده كما يتفقّد الصديق صديقه)(1).

الثاني: من الآية الثانية (فَلَبِثْتَ سِتِينَ سَنًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرًا يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (طه/40-41) فعندما يكون الإنسان ذا همّة عالية وطموح كبير

ص: 41

للعمل في إعلاء كلمة الله تعالى ونشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) وإصلاح النفس والمجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الله يستخلصه لنفسه وسيصلح شأنه ويتولاه بنفسه ويعينه على هذه الرسالة ويؤهله لأدائها.

ما يوجب الصناعة الإلهية:

ويستفاد من الروايات الشريفة ما يوجب تلك الألفاظ الإلهية.

(منها) صحيحة أبان بن تغلب عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في حديث - (إن الله جلّ جلاله قال: ما يتقرب إلي عبد من عبادي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبسط بها، إن دعاني أجبت، وإن سألتني أعطيت)(1).

(منها) ما في الحديث القدسي (أيما عبد اطلع على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكرى تولى سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه)(2). (ومنها) ما في الحديث الشريف: (ما يتقرب إلي عبد من عبادي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت إذا سمعته الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبسط بها، إن سألتني أعطيت)(3).

وفي البحار عن إرشاد الديلمي وغيره (فمن عمل برضائي ألزمه ثلاث خصال: أعره شكراً لا يخالطه الجهل، وذكر لا يخالطه النسيان، ومحبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين).

فإذا أحببني أحببته، وأفتح عين قلبه إلي جلالي، ولا أخفي عليه خاصة خلقي، وأناجيه في ظلم الليل ونور النهار حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم، وأسمعه كلامي

ص: 42

1- وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب اعداد الفرائض ونوافلها، باب 17، ح 6.

2- البحار: ج 90 ص 162.

3- الكافي: ج 2 ص 352 ح 8.

وكلام ملائكتي، وأعرّفه السر الذي سترته عن خلقي، والبسه الحياء حتى يستحي منه الخلق كلهم، ويمشي على الأرض مغفوراً له، وأجعل قلبه واعياً وبصيراً، ولا- أخفي عليه شيئاً من جنة ولا نار، وأعرّفه ما يمرُّ على الناس في القيامة من الهول والشدة، وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهّال والعلماء، وأنومه في قبره، وأنزل عليه منكرًا ونكيرًا حتى يسألاه، ولا يرى غم الموت وظلمه القبر واللحد وهول المظلم، ثم أنصب له ميزانه وأنشر ديوانه، ثم أضع كتابه في يمينه فيقرؤه منشوراً ثم لا أجعل بيني وبينه ترجماناً، فهذه صفات المحيين(1).

الدعاء يوصل الى الصناعة الإلهية:

ولا- شك أن الدعاء وطلب معالي الأمور يوشك أن يوصل إلى ذلك فليجتهد العبد في الطلب والدعاء، من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في طلب مكارم الأخلاق(2) (واصلحني بكرمك وداوني بصنعك) وورد في دعائه (عليه السلام) الذي أوله (يا من تحلّ به عقد المكاره)(3) (وأذقني حلاوة الصنع فيما سألتُ) ومن دعائه (عليه السلام) في طلب العفو (اجعلني... وخلصته بتوفيقك من ورطات المجرمين، فأصبح طليق عفوك من أسار سخطك، وعتيق صنعك من وثاق عدلك)(4). خصوصاً أنتم معاشر الشباب ما دمتم في مقتبل العمر وبداية الطريق لصناعة مستقبلكم المعنوي والمادي، فاسألوا الله تعالى أن يختاركم لأعظم الأدوار وأرقى المسؤوليات وأن يصنعكم بيده سبحانه لأدائها، وواظبوا على طلب ذلك بإخلاص وسوف يعطيكم ربكم ذلك كما حكى سبحانه عن عباد الرحمن أن من دعائهم (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان/74).

ص: 43

1- البحار: ج74 ص29.

2- مفاتيح الجنان: ص105.

3- السابق: ص148.

4- الصحيفة السجادية، من دعائه (عليه السلام) في طلب العفو والرحمة: ص170.

شكوى الإمام (عليه السلام) من قلة المخلصين (1)

أصحاب القائم (عليه السلام):

ورد في الروايات أن أصحاب الإمام المهدي الموعود (أرواحنا له الفداء) الذين يبدأ بهم حركته المباركة هم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما روى الشيخ الطوسي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (يباع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أن يقيم) (2).

وفي حديث عن أمير المؤمنين ع جاء فيه (... وبقي المؤمنون، وقليل ما يكونون ثلاث مائة أو يزيدون) (3).

أين المشكلة؟

ومثل هذه الروايات تدفعنا إلى السؤال بتعجب: ألا يوجد في هذه الملايين من الموالين لأهل البيت (سلام الله عليهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر ممن يقتنع بهم الإمام (عليه السلام) لينطلق بحركته المباركة خصوصاً وإنهم يمتلكون السلطة والنفوذ في أكثر من دولة ويرفعون فيها شعار طاعة المرجعية الدينية وولاية الفقيه النائب عن الإمام (عليه السلام)؟! فأين المشكلة؟

ص: 44

-
- 1- من حديث سماحة الشيخ مع وفد من مدينة الحلة يوم 16/1ع ووفود من الناصرية وطلبة مدينة تلعفر المهجرين إلى جامعة الكوفة وكلية الهندسة في جامعة البصرة يوم 18ع/1428/1 المصادف 2007/4/7.
 - 2- الغيبة للطوسي: 477، ح 502.
 - 3- بحار الأنوار للمجلسي: 52/137.

والجواب توّصّحه الروايات فقد روى جابر الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام متى يكون فرجكم؟ فقال: هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا يقولها ثلاثاً حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو) (1).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال (كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى، ولا علم، يبرأ بعضكم من بعض فعند ذلك تميّزون وتمحصّون وتغربلون إلخ) (2).

وشبّه الإمام الباقر (عليه السلام) هذه الصفوة المنتجة بطعام في بيت (فأصابه آكل - أي تسوّس - فنقي ثم أصابه آكل فنقي حتى بقي منه ما لا يضره الأكل، وكذلك شيعتنا يميّزون ويُمحصّون حتى يبقى منهم عصابة لا تضرها الفتنة) (3).

الإخلاص شرط النهوض:

فلا زالت سنة التمحيص والغربلة جارية حتى يثبت المخلصون وقليل ما هم، من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليوم والشواهد كثيرة، فرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي عاش بين أظهرهم (23) سنة يبلغهم رسالات ربهم ويخبرهم بما في خلجات أنفسهم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا - وحي يوحى من لدن ربهم الذي هو أقرب إليهم من حبل الوريد ويعلم ما توسوس به أنفسهم، ولم يردعهم ذلك عن قول (إن الرجل ليهجر) (4) حينما طلب منهم قرطاساً ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا من بعده أبداً، وانقلبوا على الأعقاب ولم يستجيب لدعوة أمير المؤمنين (عليه السلام) لنصرته واسترداد حقه إلا عدد الأصابع.

ص: 45

1- الغيبة للطوسي: 339، ح 278.

2- كمال الدين: 348، ح 36.

3- غيبة النعماني: 211، باب 12، ح 18.

4- صحيح البخاري: ج 3 ص 60، وج 4 ص 5 و 173، وج 1 ص 21 و 22، وج 2 ص 115.

والإمام الحسن (عليه السلام) اضطر إلى مهادنة معاوية بعد فشل أصحابه في الثبات على الحق والإمام الحسين (عليه السلام) لم يثبت معه إلا سبعون من هذه الدنيا الواسعة، ورغم أنه عبأ لحركته بمختلف الوسائل حيث أقام عدة أشهر في مكة والتقى بوفود مختلف المدن وبعث بالرسائل إلى الوجوه وكانت حركته معلنة وواضحة حتى قال (عليه السلام): (إن الناسعييد الدنيا، والدين لَعَقَّ على ألسنتهم، يحوطونه ما دَرَّتْ معائشهم، فإذا مُحِّصُوا بالبلاء قَلَّ الدَيَّانُونَ)(1).

ولقي عباد البصري علي بن الحسين (عليهما السلام) في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه، وإن الله عز وجل يقول: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا» فقال الإمام (عليه السلام): أتم الآية، فقال: «التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ» إلى قوله تعالى «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» فقال الإمام عليه السلام (إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج)(2).

هذه اللوعة وهذا الألم من قلة المخلصين عبّر عنه الإمام الصادق (عليه السلام) في كلامه مع سدير الصيرفي حين دخل على الإمام (عليه السلام) فقال: يا أبا عبد الله ما يسُعُك القعود، فقال عليه السلام: ولم يا سدير، فقال: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، فقال (عليه السلام): يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قال: مائة ألف فقال الإمام (عليه السلام) مستغرباً: مائة ألف، قال: نعم ومائتي ألف، فقال (عليه السلام) له: لو كان عندي عدد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في بدر لنهضت (3).

ص: 46

1- تحف العقول: ص 245، والمناقب: ج 4 ص 68.

2- وسائل الشيعة كتاب الجهاد باب 12، ح 3.

3- دور الأئمة في الحياة الإسلامية: 329.

وهكذا تستمر الشواهد إلى أن نصل إلى عصرنا الحاضر وقد ذكرنا في حديث سابق ألم وأسف الشهيد الصدر الأول (قدس سره) قبيل استشهاده والشهيد الصدر الثاني (قدس سره) بعد الانتفاضة الشعبانية عام 1991.

أزمة الإخلاص في حديث الشهيد الصدر (قدس سره):

إن الجهاد الذي يتبادر منه مواجهة الطواغيت والسعي لتغيير نظام الحكم، والانخراط في العمل الاجتماعي، ونشر الوعي الإسلامي، الذي قادتته الحركة الإسلامية في العراق وغيره.

ولا شك أن هذه أعمال مباركة ثقيلة الميزان عند الله تبارك وتعالى؛ لكن بشرط أن تبنى على الإخلاص لله تبارك وتعالى، ولا يحصل ذلك إلا بعد جهد وجهاد طويلين في ميدان تهذيب النفس وتطهير القلب، والسير في مدارج الكمال، أما الانهماك في العمل الاجتماعي من دون النجاح في جهاد النفس، فإنه يجعل صاحبه من الأخسرين أعمالاً {الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} الكهف: 104.

وقد أولى السيد الصدر الثاني (قدس سره) هذا المعنى اهتماماً كبيراً وتذكيراً مستمراً، وكان يرثي لحال الغافلين عنه، وهو معنى مأخوذ من وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسرية من المقاتلين بالالتفات إلى الجهاد الأكبر - وهو جهاد النفس - وعدم الاقتصار على الجهاد الأصغر.

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث سرية، فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس، وقال: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه) (1).

ومن كلماته (قدس سره) في هذا المجال: (وبحسب فهمي وتجاربي من الاتجاه الإسلامي الاجتماعي هو اهتمامه بمصالح المجتمع أكثر من اهتمامه بمصالح الفرد، أو قل: اهتمامه

ص: 47

1- معاني الأخبار: ص 160.

بتربية الآخرين أكثر من اهتمامه بتربية النفس، مع العلم أن النفس التي لم تصل في التربية إلى درجة معينة فإنها لا تكون صالحة لتربية الآخرين بالمرّة، أو في حدود تربية ناقصة وفاسدة، ولن يكون التلميذ أحسن من أستاذه، ما لم تدرّكه رحمة الله عز وجل، أو حسن التوفيق، وهذا حسب فهمي من الأخطاء أو النقصان الذي عاناه ولا زال يعانيه الاتجاه الاجتماعي الإسلامي، الأمر الذي يجعل أفرادَه أقل صبراً وأضعف تحملاً من تحمل ما سيواجهون من مصاعب وبلاء في طريقهم الطويل.

وهناك نتيجة أخرى مهمة في هذا الصدد نفسه، وهو أن الهدف الأعلى للاتجاه الاجتماعي الإسلامي دنيوي بطبيعته، وهو الذي يجعله الناس مشجعاً ومرغباً للآخرين في تحمل المصاعب والصبر على الشدائد، وانك ستنتال شهرة ومنصباً وقوة وكذا وكذا... وسوف لن ينال الآخرون من خيراتنا ومن أنفسنا ومن التحكم فينا، ومع احترامي الشديد لهذه الأهداف، إلا أنها بطبيعتها دنيوية(1).

وقال مستشهداً بكلام للسيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) منبهاً إلى النقص في التربية: (وأريد أن أقول كلاماً أكثر صراحة، وهو أن التجارب السابقة مع المتدينين والواعين فيها وجدنا الأغلب منهم يتهاوون ويضعفون أمام الدنيا بمختلف الأسباب: أما المال أو الخوف في المجتمع أو التعذيب داخل السجون، وأكد أقول: انه حتى كثير ممن قتل منهم إنما تم قتله بعد اخذ الاعتراف الكاذب منه، ثم إدانته المحكمة باعتبار اعترافه، ولم يكن صامداً على طول الخط!!

ولذا صدر من سيدنا الأستاذ -يعني الشهيد الصدر الأول (قدس سره): أننا استطعنا أن نربي الآخرين إلى نصف الطريق، ولم يقل إلى نهايته لأنه لو كان الأمر كذلك، لما حصلت أي شيء من تلك النتائج.

ولو كان أولئك المتدينون قد أصلحوا أنفسهم قبل إصلاح الآخرين، ومارسوا المقدمات المنتجة لصفاء النفس، ونور القلب، وعمق الإخلاص، وقوة الإرادة، وعفة الضمير، لما

ص: 48

1- من بحث بعنوان (في تربية الدين للنفس والمجتمع) نشر في كتاب (الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) كما أعرفه): ص 297.

عانوا ما عانوا، بل ولعلمهم لم يحتاجوا في الحكمة الإلهية إلى كل هذا البلاء الذي وقع عليهم، وإنما كانوا مع شديد الأسف مصداقاً لقوله تعالى {وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسَّرَ لِيَسِّرْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ} محمد:38، ولم يكونوا مصداقاً لقوله تعالى {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} الحج:41، وليس ذلك إلا- لأن الأفراد التامين الجهات الكاملين الأوصاف الجامعين للشرائط عددهم قليل، وأقل من الحاجة بكثير). (1)

الطمع وحب الدنيا في العمل السياسي:

والذي يراقب عمل المتصددين اليوم في الحكومات التي ترفع لواء التشيع والولاء للإمام (عليه السلام) (فضلاً عن غيرهم) يصل إلى نفس النتيجة، فقد طغى حب الدنيا وقست القلوب «وَأَحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ» وشيئاً فشيئاً سقطوا في الفتنة، وتخلَّوْا عما تعلموه من أهل البيت (سلام الله عليهم)، ولم يتورعوا عن ارتكاب المحرمات حتى ولغوا في الدماء التي شدد الله تبارك وتعالى في حرمتها حتى جعلها اشد من حرمة الكعبة! ومن أجل ماذا؟ من أجل دنيا زائفة سمَّوها مصالح علياً.

ولا- زال دم العراقيين الأبرياء ينزف لأنه أريد له أن يكون كبش فداء لهذه المصالح العليا لمن يرفعون لافتات الإسلام في العراق ودول الجوار، ولا أعلم شيئاً عند الله أكرم من الإنسان الذي خلق كل ما في الدنيا من أجل كماله ورقبه وسعادته. إن الإمام المهدي (سلام الله عليه) بمراى وبمسمع من كل هذه الأفعال بنص الآية الشريفة «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» (التوبة:105) حيث تعرض أعمال العباد عليه لأنه حجة الله على خلقه.

قد يقال أن هذا الكلام يزرع اليأس في قلوب الناس وأنا أقول العكس فإنه: يزرع الأمل ويدفعنا للعمل لتكون من تلك القلّة التي حماها الله تبارك وتعالى من الوقوع في

ص: 49

الفتنة حتى تشملها أطفاف صاحب العصر (عليه السلام) وتحظى برضاه ونكون ممن يمهد لدولته المباركة، ونزداد بذلك شكراً لله تبارك وتعالى.

وإنه يحذر الأمة من الوقوع في شرك الشعارات البراقة فيجعلها الآخرون وقوداً يحترق لتستمر ماكنة مصالح أولئك الآخرين بالعمل فينالون بذلك خزي الدنيا وعذاب الآخرة ويكونون من أشد الناس حسرة وندامة يوم القيامة الذين باعوا دينهم لدنيا غيرهم كما في الحديث الشريف.

وإنه يخفف عن الرسالين العاملين حين يطمأنون بأن ما يجري خاضع لسنة الله في خلقه «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» (فاطر 43) وليتقنوا أن المعيار الحقيقي هو بناء الإنسان الصالح المخلص وليس ما يلهث وراءه الآخرون من دنيا زائلة وإن رفعوا شعارات برّاقة.

العدو الحقيقي:

إن الاحتلال والإرهاب وغيرهما أعداء حقيقيون لكنهم واضحون، والأخطر منهم عدو خفي يكمن في النفوس الأمارة بالسوء ولذا سمى النبي (صلى الله عليه واله) مواجهته بالجهد الأكبر، فلا يحق لإنسان يطمح إلى الكمال أن ينشغل بذلك عن هذا.

وليعلم السبب الحقيقي الذي يعطل حركة الأئمة نحو بناء المجتمع الذي يقوم على أساس الحق والعدل، أما الأعداء الآخرون فهم كما وصفهم الله تبارك وتعالى «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (العنكبوت 41).

تذكروا أنكم بمحضر الله تعالى والمعصومين (عليهم السلام)

تذكروا أنكم بمحضر الله تعالى والمعصومين (عليهم السلام) (1)

ص: 50

1- يوم الاثنين 2/ذو الحجة الموافق 2010/11/8 زار وفد من إحدى حملات الكرامة الشرفية في بغداد مقر بعثة سماحة الشيخ (دام ظله) في مدينة مكة المكرمة، وألقى مرشد الحملة كلمة بهذه المناسبة وطلب من سماحة الشيخ كلمة إرشادية فاستجاب (دام ظله) لطلبهم وألقى هذه الكلمة فيهم.

غالباً ما يدفع الشعور بالمراقبة من قبل الغير بالإنسان إلى سلوك معين مختلف عن سلوكه لو لم يكن يشعر بكونه مراقباً، وهذا أمر واضح وله عدة أمثلة وتطبيقات في الواقع، فالإنسان يفعل في السر أموراً يخشى ويخجل من فعلها في العلن، ولو علم حينها أنه مراقب لما فعلها بكل تأكيد، فسائق السيارة مثلاً حين يواجه إشارة المرور في طريقه لا يجد أثراً لشرطي المرور فإنه يتجاوز الإشارة الحمراء دون تردد، لكنه لو كان يعلم بأن هناك كاميرات خفية تقوم برصده وأن هناك من يراقبه لما أقدم على تجاوز حدوده في الشارع، وهكذا كثير من أفعال الإنسان التي يقوم بها في السر وهو في غفلة عمى يراقبه فيها.

وأوضح مصاديق ذلك وأشدها غفلة وخسارة هي عدم الشعور بكون الله تعالى رقيباً عليه، فتجد الإنسان قد يؤمن نظرياً بأن الله تبارك وتعالى يراه «وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصَدَّ غَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ» (يونس: 61) لكن من حيث التطبيق لا تجد هذا الاعتقاد منعكساً على أفعاله، وهو علامة على أن إيمانه لم يكن واقعياً، وإلا لو كان كذلك لظهر أثر واقعية الإيمان في فعله.

وقد أشارت بعض نصوص الأدعية الشريفة إلى هذه المفارقة، فمن ذلك قول الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (يا من سترني من الآباء والأمهات أن يزجروني، ومن العشائر والإخوان أن يعيروني، ومن السلاطين أن يعاقبوني، ولو اطلعوا يا مولاي على ما اطلعت عليه مني إذن ما أنظروني، ولرفضوني وقطعوني)⁽¹⁾. ومنه قول الإمام السجاد (عليه السلام) في دعاء أبي حمزة: (فلو اطلع اليوم على ذنبي أحد غيري ما فعلته، ولو خفت تعجيل العقوبة لا-جتنبته، لا-لأنك أهون الناظرين إلي وأخف المطلعين عليّ، بل لأنك يا رب خير الساترين وأحكم الحاكمين، وأكرم الأكرمين،

ص: 51

ستار العيوب، غفار الذنوب، علام الغيوب، تستر الذنوب بكرمك، وتؤخر العقوبة بحلمك، فلك الحمد على حلمك بعد علمك، وعلى عفوك بعد قدرتك(1).

من مصاديق الغفلة:

ومن مصاديق ذلك أيضاً الغفلة عن الموت مع الاعتقاد به يقيناً، حتى قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما رأيت يقيناً أشبه بشك من الموت)(2)، فنحن نؤمن بأن الموت حق، وأنه لا بد أن يختطفنا في أية لحظة من لحظات العمر، ولكن كم واحد منا يؤمن بذلك عملياً، بمعنى أنه استعد له وتهياً وأدى ما عليه واجتنب كل ما حرم الله عز وجل، والحال أنك تجد العكس من ذلك، فالكثير منا يعمل وكأنه سيظل خالداً في هذه الدنيا.

الغفلة عن إمام الزمان (عليه السلام):

ومن مصاديق الغفلة والتصرف بخلاف وجود المراقبة ما ذكرته الرواية الشريفة: (والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه)(3) وهي رواية موجودة وصحيحة، إذن نحن بمرأى من الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فمن يستشعر الخجل والحياء من فعل أمر أمام الناس علناً في حين يفعله في السر، مثل هذا الإنسان كيف به إذا اعتقد أن إمامه يراه دائماً، بالتأكيد إن ذلك سيدفعه إلى أن يكون أكثر مراقبة لنفسه في تعاملاته وتصرفاته، وبطبيعة الحال إن مثل هذه الأحاديث حين يمر بها الإنسان ويستشعر كل هذه الكاميرات التي تراقبه فإنه لن يتعامل مع الآخرين وكأنه في مغالبة على الدنيا، وسعي إلى الحصول على الغنائم والمكاسب الدنيوية، بل يستشعر مسؤوليته أكثر، ويحاسب نفسه أكثر، لأننا لن نترك سدىً وليس الأمر منتهياً، صحيح أن

ص: 52

1- السابق: ص224

2- بحار الأنوار: 75/246.

3- الغيبة: 9/18.

حلم الله تبارك وتعالى طويل لكنه يؤجلهم إلى يوم «لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا»
(الكهف: 49). نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على طاعته وأن ينقذنا من الغفلة وأن نكون ذاكرين لله تبارك وتعالى وإمامنا عجل الله
فرجه الشريف، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

ص: 53

موجبات الرحمة الإلهية (1)

سعة الرحمة الإلهية:

ورد في الدعاء الشريف (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك) (2) وطلب الرحمة أمر طبيعي لأنه لا نجاة ولا توفيق إلا برحمة الله تعالى، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله، قالوا: ولا أنت؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني) (3).

فما هي موجبات الرحمة الإلهية؟ وهل تحتاج الرحمة الإلهية إلى موجبات وأسباب وقد وسعت كل شيء؟

في الحديث الشريف عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال (لا يهلك مؤمن بين ثلاث خصال: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وشفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسعة رحمة الله عز وجل) (4).

(وقيل له (عليه السلام) يوماً أن الحسن البصري قال: ليس العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا، فقال (عليه السلام): أنا أقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا، وإنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله) (5).

وتصديق هذا في كتاب الله تعالى فإن السؤال يوم القيامة لا يكون عن الناجين كيف نجوا، وإنما «عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ» (المدثر: 41-42).

ص: 54

1- كلمة سماحة الشيخ العقوبي في المواكب التي تجمعت يوم الخميس 11 رجب 1431 المصادف 2010/6/24 للانطلاق من النجف الأشرف إلى كربلاء مشياً على الأقدام لإحياء ذكرى وفاة العقيلة زينب وزيارة النصف من رجب للإمام الحسين (عليه السلام).

2- البحار: ج 83 ص 63.

3- كنز العمال: 10407.

4- بحار الأنوار: 159/78.

5- المصدر: 153/78.

وقد أشارت عدة آيات كريمة إلى سعة رحمة الله تبارك وتعالى، قال عز من قائل «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ» (الأعراف:156).

وقال تعالى «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» (غافر:7).

مثال في الرحمة الإلهية:

ويقرب لنا النبي (صلى الله عليه وآله) سعة رحمة الله تعالى بقوله (إنَّ لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تعالى تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)(1) فتصوروا سعة رحمة الله تعالى التي كتبها على نفسه وألزم تبارك وتعالى نفسه بها، قال تعالى «قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» (الأنعام:12) وقال تعالى «وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَّحِيمٌ» (الأنعام:54) بل إن الله تعالى إنما خلق الخلق ليرحمهم بأن يجعلهم أمة واحدة متفقة على التوحيد، قال تعالى «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» (هود 118-119).

الرحمة العامة والخاصة:

ولكن - اعلّموا أيها الأحبة- أن لله تبارك وتعالى رحمة عامة لكل مخلوقاته وهي التي أشير إليها في موارد كثيرة كما في أدعية رجب (يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة)(2)، وفي دعاء آخر (ورزقك مبسوط لمن عصاك،

ص: 55

1- كنز العمال: ج4 ص249، ح10382.

2- إقبال الأعمال: ج3 ص211.

وحلمك معترض لمن ناواك، عادتك الإحسان إلى المسيئين وسيلك الإبقاء على المعتدين(1) فجميع خلقه حتى الذين يبارزونهم بالمعصية والإنكار يرفلون بنعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وهناك رحمة خاصة يمنُّ بها على عباده المؤمنين الذين عرفوه ودلَّهم عليه بفضلهم وكرمه وهداهم إلى طاعته فراحوا يتحرَّون رضاه، وهي التي أشير إليها في الحديث النبوي الشريف (اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرَّضوا لنفحات الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) (تعرَّضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته)(2) والتعرض لها يعني التعرض لأسبابها وموجباتها، كما في الدعاء (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك)(3).

تعرضوا لرحمة الله تعالى:

وقد ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ذكر الكثير من هذه الموجبات للرحمة الإلهية، فنحن لا يمكن أن نعرفها ونهتدي إليها إلا أن يهديننا الله تبارك وتعالى «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ». وبعض هذه الأسباب لا يكون الإنسان مسؤولاً عن توفيرها وإنما جعلها الله بكرمه وفضله وليس على العاقل الكيس إلا استثمارها والتعرض لها كالأضرحة المقدسة للمعصومين (سلام الله عليهم) وقد حبانا الله تعالى نحن العراقيين بالعديد من أبواب الرحمة هذه، ومنها عموم المساجد، ومنها صلاة الجمعة والجماعة وحلقات العلم والمذاكرة، وعموم التجمعات الإيمانية، والأزمنة الشريفة قليلة الجمعة ويومها، ومنها هذا الشهر الشريف: شهر رجب الذي لقب في الأحاديث الشريفة بالأصَّب لأن الرحمة تُصبُّ فيه صبًّا.

ص: 56

1- السابق: ص 210.

2- تنبيه الخواطر: ج 2 ص 120.

3- البحار: ج 83 ص 63.

ومن أسباب الرحمة الإلهية ما يوفرها الإنسان بفضل الله تبارك وتعالى، وقد وجدت من أهل تلك الموجبات الاتصاف بالرحمة بحيث تكون محرّكة لأفعاله ومنبعاً لمشاعره وتبنى عليها علاقاته مع الآخرين من خلال الرحمة بهم والشفقة عليهم والرفق بهم ومداراتهم والتفاعل مع قضاياهم وحوائجهم عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أبلغ ما تُستدر به الرحمة أن تضمّر لجميع الناس الرحمة)⁽¹⁾، لأن الرحمة من صفات الله تبارك وتعالى، وقد وصف الله عباده الذين رضي عنهم بأنهم «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (الفتح: 29) «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» (البلد: 17) «وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً» (الحديد: 27) وقال تعالى «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ» (الأعراف: 56).

وفي الأحاديث الشريفة عن النبي (صلى الله عليه وآله): (من لا يرحم لا يُرحم)⁽²⁾ (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)⁽³⁾ (من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله)⁽⁴⁾ (الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة، أرحم من في الأرض يرحمك من في السماء)⁽⁵⁾ (قال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أحب أن يرحمني ربّي قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ارحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله)⁽⁶⁾. والرحمة بالآخرين تبدأ من رحمة نفسه بأن يجتنبها ما يضرّها في الدنيا ككثير من الحماقات والأفعال اللاعقلانية كالتدخين وصرف الأموال الطائلة في اللهو والعبث، وما يضرّها في

ص: 57

- 1- ميزان الحكمة: ج 2 ص 1050.
- 2- الوسائل: ج 4 ص 197.
- 3- البحار: ج 79 ص 91.
- 4- كنز العمال: ج 6 ص 263.
- 5- البحار: ج 74 ص 167.
- 6- كنز العمال: ج 16 ص 128.

الآخرة كارتكاب المعاصي والعياذ بالله وصرف العمر في التفاهات وعدم التفقه في أمور الدين والمعرفة الضرورية.

ثم تتوسع الرحمة إلى من يليه في بيته كوالديه، قال تعالى «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَأَخْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» (الإسراء 23-24).

ثم الرحمة بالزوجة والزوج بالنسبة للمرأة، قال تعالى ممتناً على عباده «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم: 21) وورد في الحديث الشريف (اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة) (1) ثم الرحمة بالأقرباء وقد اشتق لهم اسم من الرحمة فيقال لهم الأرحام والأوامر في صلة الرحم كثيرة والنواهي عن قطعه شديدة.

ثم الرحمة بالآخرين خصوصاً إذا كانوا من ذوي الحاجة والمرضى والفقراء والمبتلين ببلاء ما، وهكذا حتى يمتلئ قلبه رحمة وشفقة على كل الموجودات، ومنبع هذه الرحمات كلها تقوى الله تبارك وتعالى وحب الله تبارك وتعالى، فالتقوى تردعه عن ظلم الآخرين والإساءة إليهم والتقصير في أداء حقوقهم وحب الله يترشح منه حب الخير لجميع الخلق حتى أعدائه بأن يسأل الله تعالى لهم الصلاح والهدى لأن الجميع عيال الله تبارك وتعالى، وخلقهم فيحبهم حباً لخالقهم وربهم ومدبر شؤونهم وفي بعض الأحاديث ما مضمونه (الخلق عيال الله، فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله) وفي حديث آخر عن الإمام الكاظم عن مثل هذا الشخص أنه معنا في درجتنا.

كالوالد الرحيم:

وكلما ازدادت ساحة مسؤولية الفرد، ازداد مقدار الرحمة الواجب توفرها، سواء كانت المسؤولية دينية - كالمرجعية الدينية ومعتمديها- أو سياسية - ككبار مسؤولي الدولة- أو اجتماعية - كزعماء العشائر أو وجهاء المجتمع- أو إدارية - كمدبر

ص: 58

الدائرة أو المدرسة- أو تعليمية- كالمدرس مع طلبته- في كتاب الخصال بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال (إن الإمامة لا تصلح إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزهن المحارم، وحلم يملك به غضبه، وحسن الخلافة على من وُلِّي حتى يكون له كالوالد الرحيم)(1) والحديث مطلق يشمل أي إمامة ورياسة وزعامة مما ذكرنا.

من موجبات الرحمة:

وللرحمة الإلهية موجبات أخرى، وهي كثيرة نذكر منها شيئاً مختصراً لإلغاف نظرکم.

منها: طاعة الله ورسوله قال تعالى «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (آل عمران: 132) وقال تعالى «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (النور: 56) وقال تعالى «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» (النساء: 175).

ومنها: الصبر على المصائب قال تعالى «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (البقرة: 156-157).

ومنها: الاستغفار قال تعالى «لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (النمل: 46).

ومنها: الإصلاح بين الإخوة المتخاصمين، قال تعالى «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْحِبْ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ بَيْنًا مُّبِينًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات: 10).

ومنها: ما ورد في الأحاديث الكثيرة من قولهم (عليهم السلام) رحم الله امرءاً كذا وكذا، كقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (رحم الله امرءاً أحيا حقاً وأمات باطلاً، وأدحض الجور وأقام العدل) وقوله (رحم الله امرءاً علم أن نفسه خطاه إلى أجله فبادر عمله وقصر أمله)

ص: 59

ومنها: ما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال (سبعة يُظلمهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل، وشابّ نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان كانا في طاعة الله عز وجل فاجتمعا على ذلك وتفرّقا، ورجل ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل، ورجل دعت امرأته ذاتحسب وجمال، فقال: إني أخاف الله عز وجل، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما يتصدق بيمينه)(1).

نسأل الله تعالى أن يتغمدنا برحمته في الدنيا والآخرة وأن يوفقنا لموجبات رحمته إنه لطيف بعباده.

ص: 60

1- الخصال للصدوق: 2/342

الفصل الثاني: مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام

إشارة

ص: 61

ما هي الأمور التي يمكن أن نتأسى بها؟

إن حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حافلة بالكثير مما يتأسى به، وكيف لا يكون كذلك وهو صنو القرآن الذي هو «تَبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ» (النحل: 89) و«مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (الأنعام: 38) وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك، والقرآن شفاء وهدى ورحمة ونور وبيان وذكر ومبارك وحكيم وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك، وقد أشبعنا البحث عن هذه الملازمة في كتاب (شكوى القرآن)(1).

ولكي نختصر الوقت ونخفف عنكم المؤونة نلفت أنظاركم إلى بعض ما يمكن أن نتأسى به من حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعيننا على أداء مسؤولياتنا، وسنجد على شكل نقاط، وهي عبارة عن سلسلة محاضرات بعنوان (الأسوة الحسنة في بناء الذات وإصلاح المجتمع)(2) لكنني أختصرها لكم بذكر بعض عناوينها وقد ذكرت بعضها في مناسبات متعددة، لكن تذكرها ضروري، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ومنها:

المعرفة بالله تعالى:

لمعرفة بالله تعالى والإخلاص له، فما من كلمة يقولها أو فعل يفعله أو ترك يتركه إلا لله تبارك وتعالى، ولو خيّر بين أمرين اختار أَرْضَاهُمَا لله، وكان على ذكر دائم لله دلّ عليه ما روى من مكارم أخلاقه، حيث تجد له في كل

ص: 63

1- وأنظر كذلك: خطاب المرحلة: ج 1 ص 83.

2- طبعت لاحقاً في كتاب بعنوان (الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين). أنظر: خطاب المرحلة: ج 1 ص 263.

حالٍ ذكراً، فلاأكل دعاء، وللنوم 1- دعاء، وللتخلي دعاء، وللوضوء دعاء، وللسفر دعاء، فكانت حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) كلها عبادة وفناء تام في الله سبحانه، وإذا اقتضت طبيعته البشرية وجسده المادي أن يعطيه حقه من النوم والأكل ونحوهما مما يراه (صلى الله عليه وآله وسلم) غفلة عن الله تبارك وتعالى وتقصيراً في وظائف العبودية، فكان يستغفر الله سبحانه من ذلك حتى نزل الوعد من قبل المولى تبارك وتعالى: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» (الفتح: 1-2) وإن كان الاعتقاد أنهم (عليهم السلام) إذا ناموا نامت أعينهم فقط، أما قلوبهم فهي واعية متصلة ببارئها، كما هو المنقول عنهم (عليهم السلام).

وقد ربى أصحابه المخلصين على هذه العبودية الكاملة، فيوصي أبا ذر (رضي الله عنه): (يا أبا ذر، اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (1)، ويقول له ما معناه: يا أبا ذر إنك تستطيع أن تجعل كل حياتك طاعة لله تبارك وتعالى حتى أكثر الأمور ارتباطاً بشهوات النفس كإتيانك امرأتك، فقال أبو ذر (رضي الله عنه): وكيف يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ -فبينها (صلى الله عليه وآله وسلم) له:- ليس في هذا العمل إدخال السرور على أهلك وتحصين نفسك وزوجتك من الحرام وزيادة عدد النسمات الموحدة لله، وكل تلك النيات وغيرها طاعات وقربات إلى الله تعالى).

ص: 64

1- أمالي الطوسي: ص 526.

ولمعرفته بحقيقة العبودية لله سبحانه كان كثير العبادة لا يفتر عنها(1)، وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قَرَّةٌ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)(2) لأنها معراجة (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرابته واتصاله بالحبيب، يصلي حتى تتورم قدماه فيقف على واحدة ويرفع الأخرى لتستريح قليلاً فأشفق الله عليه بقوله: «طه ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى»(طه:1-2).

الإعراض عن الدنيا المحللة:

2- الإعراض عن الدنيا وعدم الاغترار بها، وطبعاً نقصد بالدنيا المحللة منها لا المحرمة، لأن اجتناب المحرمات من أول شروط العصمة المتحققة فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) والاهتمام بالأعمال الصالحة، يوصي قيس بن عاصم المنقري: (يا قيس؛ إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن لكل أجل كتاباً، وإنه يا قيس لا بد لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لثيماً أسلمك، لا يحشر إلا معك ولا تحشر إلا معه، ولا تُسأل إلا عنه، ولا تبعث إلا معه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلا به، وإن كان فاحشاً لا تستوحش إلا عنه، وهو عمك)(3).

نزل جبرائيل الأمين (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً وقال له: (إنّ العلي الأعلى يُقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام وهو

ص: 65

1- واعلم أن باب الله تعالى مفتوح للجميع حيث لا يدخل في ساحته تعالى ولكن الأمر يحتاج شيئاً من الالتفات والهمة والمواظبة على العبادة وخصوصاً قراءة القرآن وأدعية المعصومين (عليهم السلام) فإنها تؤثر تأثيراً نورانياً في النفس وإن لم تقرأ بخشوع.

2- وسائل الشيعة: ج2 ص144.

3- الخصال: ص114.

يقول لك أن لو شئت صيرت لك تهامة ذهباً وفضةً وأنت على ما أنت عليه من المقام الرفيع عند الله تبارك وتعالى، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): حبيبي جبرائيل ثم ماذا؟ قال: الموت، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إذن دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، أما اليوم الذي أجوع فيه فأسأل ربي وأصبر، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأشكر ربي(1)، فما الذي يضرنا لو قللنا إقبالنا على الدنيا واكتفينا منها بالضروري لنكون من المخففين الذين يقال لهم جوزوا، لا المثقلين الذين يقال لهم حطوا.

وينبغي الالتفات إلى أن الدنيا التي أعرض عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليست الدنيا المحرمة، فهذا أوضح مصاديق العصمة ومتطلباتها، بل هو الحد الأدنى من تكليف أي مسلم، وإنما كان إعراضه عن الدنيا المحللة، ولما سئل (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك قال (صلى الله عليه وآله وسلم): تواضعاً لله سبحانه(2)؛ فإعراضه كان تعظيماً لله سبحانه وإجلالاً له أن يجعل في قلبه حباً وشغلاً غيره تبارك وتعالى.

جاء يوماً لزيارة فاطمة (عليه السلام) فوجد على باب دارها إزاراً ملوناً، فرجع عن زيارتها، فبلغها الخبر فتصدقت به على المسلمين، فعاد إلى زيارتها وضمها إلى صدره وهو يقول: ذرية طيبة بعضها من بعض.

الاهتمام بالقرآن الكريم

1- الاهتمام بالقرآن الكريم شغفاً به، لأنه رسالة الحبيب وهل تُمل رسالة الحبيب؟ وامثالاً لأمره تبارك وتعالى: «يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ، قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً، نَصْفَهُ

ص: 66

1- بحار الأنوار: 276 / 42.

2- أنظر الكافي: ج 8 ص 130.

أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً» (المزمل: 1-5).

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يطلب من ابن مسعود أن يتلو القرآن عليه، فيقول ابن مسعود: اقرأه عليك وقد نزل عليك، فيقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (أحب أن أسمع منك)، يريد أن يمتنع جميع جوارحه بكلام الله تعالى، فيقرأ ابن مسعود وعين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تفيض من الدمع.

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينام حتى يقرأ سور المسبّحات (1)، أي التي تبدأ بكلمات التسبيح، ويوصي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتلاوة القرآن وتدبر معانيه والعمل به، ويبين الثواب العظيم لذلك، وقد بينا بعضاً منه في كتاب (شكوى القرآن).

وإنك لتشعر أن أي مصلح اجتماعي أو قائد عظيم لا يكون ناجحاً إلا إذا عاش في ظل القرآن وتربى في أحضانه وتفاعل مع آياته.

التواضع:

4- التواضع (2) بحيث كان الأعرابي يدخل إلى المسجد فيقول: أيكم محمد؟ (3) لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتميز عن أصحابه بمجلس أو ملبس أو أي

ص: 67

1- أنظر مستدرک الوسائل: ج 4 ص 289.

2- روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتاب غرر الحكم هذه الروايات: 1 - لو رخص الله سبحانه في الكبر لأحد من الخلق لرخص فيه لأنبيائه لكنه كره إليهم التكبر ورضي لهم التواضع. 2 - ثلاث يوجبن المحبة حسن الخلق و حسن الرفق و التواضع. 3 - أشرف الخلائق التواضع و الحلم و لين الجانب.

3- البحار: ج 43 ص 334.

شيء آخر، يواسي في حياته أذناهم، وهو يفعل ذلك أدباً مع الله تعالى واستشعاراً للحقارة في حضرة الربوبية.

سعة الصدر:

5- سعة الصدر وتحمل الناس على اختلاف مستوياتهم وطبائعهم، وفي الحديث (آلة الرئاسة سعة الصدر)(1).

وأية رئاسة أعظم من منصبه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويوصي عمه العباس: (يا بني عبد المطلب، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم)(2).

يقول مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر سنين ما قال لي يوماً لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: لِمَ لَمْ تَفْعَلْهُ؟)(3)، وهي قابلية إعجازية ومن معجزاته أخلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد وصفه الله تبارك وتعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» (التوبة: 128)، من رحمته كان يود أن يؤمن جميع الناس ويحرص على ذلك حتى نزل قوله تعالى: «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ - بَعْدَ تُولِيهِمْ عَنكَ - إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا» (الكهف: 6) وقال تعالى: «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» (الشعراء: 3).

عدم الاستماع الى النميمة:

ص: 68

1- نهج البلاغة: الحكمة 176.

2- أنظر: أمالي الصدوق: ص 62.

3- أنظر: أنساب الأشراف: ج 1 ص 464، وتاريخ بغداد: 6 ص 393.

6- عدم الاستماع إلى النميمة ونقل الكلام السيئ عن أصحابه خصوصاً من المتزلفين وضعيفي النفوس، فكان إذا أراد أحد أصحابه أن يتقل كلاماً سيئاً عن أحد منعه، وقال له (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)(1).

الالتزام بالأخلاق الفاضلة:

7- الالتزام بالأخلاق الفاضلة، وقد امتدحه الله تبارك وتعالى عليها قائلاً: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم:4)، وفي وصيته لأمير المؤمنين (عليه السلام): (عليك بمحاسن الأخلاق فاركبها، عليك بمساوي الأخلاق فاجتنبها، فإن لم تفعل فلا تلومن الا نفسك)(2)، وقد جعلها (صلى الله عليه وآله وسلم) محور رسالته قائلاً: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(3)، وهذه النقطة وحدها تستوعب مجلدات من الكلام والمصادر حافلة بالشواهد التفصيلية(4).

الإكثار من ذكر الموت

ص: 69

1- البحار: ج16 ص231.

2- الوسائل: ج15 ص182.

3- البحار: ج16 ص210.

4- جاء في كتاب أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) تعريف حسن الخلق: هو حالة نفسية تبعث على حسن معاشرته الناس ومجاملتهم بالبشاشة وطيب القول، وكما عرّفه الإمام الصادق (عليه السلام) حينما سئل عن حده فقال: (تلين جناحك وتطيب كلامك وتلقى أخاك ببشر حسن). وقال (عليه السلام): (إن شئت أن تُكرّم فلن وإن شئت أن تُهان فأخشن) تحف العقول. وقال (عليه السلام): (إنكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم). من لا يحضره الفقيه.

8- الإكثار من ذكر الموت(1)، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يسميه هادم اللذات، ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء قيل: وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن)(2)، وروي أن أسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر، فسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: (لا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر؟ إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفس محمد بيده ما طرفت عيناى إلا- ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي، ولا رفعت طرفي وظننت أنني خافضه، حتى أقبض، ولا تلقت لقمة إلا ظننت أنني لا أسيغها)(3) حتى أغص بها من الموت ثم قال: يا بني 1- آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده، إن ما تواعدون لآت، وما

ص: 70

1- إتماماً للفائدة نورد هذه الرواية من كتاب مصباح الشريعة ص 171: قَالَ الصَّادِقُ (عليه السلام): (ذَكَرَ الْمَوْتَ يُمِيتُ الشَّهَوَاتِ فِي النَّفْسِ وَيَقْطَعُ مَدَابِيتَ الْغَفْلَةِ وَيَمَوِّي النَّفْسَ بِمَوَاعِدِ اللَّهِ وَيُرِقُّ الطَّنْبَعُ وَيَكْسِرُ أَعْلَامَ الْهَوَى وَيُطْفِئُ نَارَ الْحِرْصِ وَيُحَقِّرُ الدُّنْيَا وَهُوَ مَعْنَى مَا قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِكْرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ وَذَلِكَ عِنْدَ مَا يَحُلُّ أَطْنَابَ خِيَامِ الدُّنْيَا وَيَشُدُّهَا فِي الْآخِرَةِ وَلَا تَسْكُنُ بِزَوَالِ الرَّحْمَةِ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ بِهِ الصِّفَّةُ وَمَنْ لَا يَعْتَبِرَ بِالْمَوْتِ وَقَلَّةِ حِيلَتِهِ وَكَثْرَةَ عَجْزِهِ وَطُولِ مُقَامِهِ فِي الْقَبْرِ وَتَحْيِيرِهِ فِي الْقِيَامَةِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) اذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ قِيلَ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ الْمَوْتُ فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَلَا فِي شِدَّةٍ إِلَّا انْسَدَّتْ عَلَيْهِ وَالْمَوْتُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ وَآخِرُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الدُّنْيَا فَطُوبَى لِمَنْ أُكْرِمَ عِنْدَ التَّزْوُلِ بِأَوْلِيهَا وَطُوبَى لِمَنْ أَحْسَنَ مُشَايَعَتَهُ فِي آخِرِهَا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَهُوَ يَعُدُّهُ أَبْعَدَ فَمَا أَجْرًا الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَا أَضْعَفُهُ مِنْ خَلْقٍ وَفِي الْمَوْتِ نَجَاةُ الْمُخْلِصِينَ وَهَلَاكُ الْمُجْرِمِينَ وَلِذَلِكَ اشْتَقَّ مِنَ اشْتِقَاقِ الْمَوْتِ وَكَرِهَ مَنْ كَرِهَ قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ).

2- كنز العمال: الخبر 42130.

3- («3») أساغ الطعام أو الشراب: سهل له دخوله في الجوف.

أنتم بمعجزين(1)، ولذكر الموت فوائد عديدة: العظة والاعتبار وتحقير الدنيا وعدم الإكتراث بها، ترقيق القلوب، استباق الخيرات، والإكثار من الأعمال الصالحة، وغيرها.

عدم الاغترار بالمنصب:

9-عدم الاغترار بالمنصب والجاه وكثرة الأتباع والمريدين في أي موقع كنت (مرجعاً دينياً أو إمام جماعة أو مدرسا حوزوياً أو خطيب منبر)، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك)(2)، إن هذا الداء إذا تمكن من قلب المتصدي، فإنه يؤدي به إلى الانحدار، لأنه أولاً منشأ لعدة رذائل قلبية أولها الرياء، فإنه يبدأ بالتصنع والتكلف ليجتذب إليه الناس وسيكون هدفه رضا الناس لا رضا الله تبارك وتعالى. وثانياً: أنه سيسير وفق أهواء الناس ومشترياتهم، لأنه يخشى انفضاضهم عنه، لذا حذره الله تبارك وتعالى: «وَتَخَشَى النَّاسَ - أَي انفضاضهم عنك - وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» (الأحزاب: 37)، وما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليجامل أحداً على حساب الحق، ولكنها على أية حال نصيحة وموعظة ضرورية يجب تقديمها إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى كل حملة الرسالات وتحذيره من عواقبها، وقال الله تعالى: «وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ» (الأنعام: 116)، وقال تعالى: «وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» (المؤمنون: 71). ويستحوذ هذا الداء على تفكير المبتلى به ويأخذ عليه مجاميع تفكيره، فلا يرى غيره حتى يصبح مسيراً

ص: 71

1- البحار: ج 70 ص 166.

2- الكافي: ج 2 ص 297.

من قبل العامة لا مسيراً لهم، وفي مقابل ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) تلميذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأول: (لا يزيدني كثرة الناس معي 1- عزة، ولا تفرقهم عني وحشة)(1)، وهذا الصحابي الرسالي الواعي عمار بن ياسر يقول في معركة صفين: (والله لو ضربونا بسيفهم حتى أبلغونا سعفان هجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل)(2). وثالثاً إنه يبدأ بالكيد والحسد لمن يزاحمه في هذا المكان، أو إذا اقتنع الناس بغيره فسوف لا يتورع عن الكذب والغيبة والافتراء والبهتان للانتقاص من ذلك الغير والصعود على حساب قتل الشخصية المعنوية للآخرين، وهي أعظم من قتل الشخص «وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» (البقرة: 191)، وقد ورد في تفسير قوله تعالى «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ» (البقرة: 61) أي يكذبونهم ويستهزئون بهم ويحاولون إماتة دعوتهم وتنفيذ الناس عنهم.

ص: 72

1- البحار: ج 34 ص 24

2- أمالي الطوسي: ص 142.

أسلوب عملي للتأسي برسول الله (1)

البحث على التأسي:

بمناسبة المولد النبوي الشريف وميلاد حفيده الإمام الصادق (عليه السلام) فإنني أكلفكم بعمل لله فيه رضا ولكم فيه صلاح تستثمرون من خلاله الحالة المعنوية التي تعيشونها في هذه الذكرى المباركة، حيث توزع فيها (عيديات) على المؤمنين وتعرضوا لنفحات الله تبارك وتعالى وألطافه.

فإن الله تعالى يحثكم على التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: 21)، ولتحقيق هذه الحالة ليقراً أحدكم سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والحوادث التي مرت به وما نقل عنه من أقوال وأفعال ويحاول أن يستنبط منها دروساً في جميع المستويات، ابتداءً من حياته الخاصة إلى علاقته مع الله تبارك وتعالى وعلاقته داخل بيته ومع الآخرين وهكذا، فستجتمع عندكم حصيلة من الدروس التربوية تكون نبراساً لكم في العمل الصالح وإذا ضمتم ما استفادته بعضكم إلى ما استفاده البعض الآخر ويُنقح المجموع فسيتم لدينا كتاب مفيد للأجيال عنوانه (دروس تربوية) مستفادة من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واضرب لك أمثلة:

1- لو أن أحدكم أمر زوجته أو ولده بأن يأتيه بقدح من الماء أو أي شيء آخر فلم يفعل لسبب أو لآخر فإنه غالباً سيزجره ويعنفه وربما يضره وقد تحصل خلافات زوجية تؤدي إلى الطلاق لمثل هذه الأسباب، وقد يتقبل الأمر بروح

ص: 73

1- ورد هذا الكلام في حديثه (دام ظلّه) مع موكبي مالك الأشتر من مدينة الصدر في الناصرية وموكب السراج المنير من القرية العصرية في الناصرية وحشد آخر من المدينة وغيرها من المدن العراقية، ونشر في الصفحة الثانية من العدد (22) من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ 26 ربيع الأول 1426 الموافق 5 أيار 2005.

رياضية ويقوم بنفسه ليشرب الماء وحينئذٍ ستشعر الزوجة أو الولد بالتقصير وستعتذر وتندم وتتحمس للقيام بما يسعد الزوج، وهو الأسلوب الصحيح للتربية وعلى مثل هذا يربينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث نقل خادمه أنس بن مالك: (خدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر سنين ما قال لي يوماً لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: لِمَ لَمْ تفعله؟) (1)،

فهذا درس في الحلم وسعة الصدر ومدارة الآخرين وعدم إزعاجهم.

ودرس آخر في الرحمة بالآخرين حتى بالحيوانات فقد رأى أحد أصحابه رمى حيواناً بحجر فقال له: استعد للمساءلة أو ذبح عصفوراً عبثاً فيقول (صلى الله عليه وآله وسلم) له: أن هذا العصفور سيقودك للقصاص يوم القيامة أمام الحكم العدل ويقول: يا رب سل هذا لِمَ ذبحني وهو لا يستفيد من لحمي، وأوقف جيشاً كان يقوده عن مسيرته لأنه علم أن أحد أفراد الجيش قد اخذ 1- صغار طير أثناء مسيرهم وأمهم تحوم فوق الجيش لا تستطيع مفارقة صغارها فأمر ذلك الرجل أن يعيد الصغار إلى عشها ليطمئن الطير ثم تحرك الجيش، وهؤلاء أدياء حقوق الإنسان والديمقراطية يسحقون شعوباً بأكملها ويهلكون الحرث والنسل من أجل أهوائهم ومصالحهم.

ونستفيد منه (صلى الله عليه وآله وسلم) درساً في إنصاف الآخرين ورد مظالمهم ومحاسبة النفس حينما جمع (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه وخطب خطبة، وجلت منها القلوب وبكت العيون. ثم قال: أيها الناس، أي نبي كنت لكم؟ فقالوا: جزاك الله من نبي خيراً، فلقد كنت لنا كالأب الرحيم، وكالأخ الناصح المشفق... فقال لهم: معاشر المسلمين! أنشدكم بالله وبحقّي عليكم من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتصم منّي قبل

ص: 74

القصاص في القيامة . فقام من بين المسلمين شيخ كبير يقال له: عكاشة، فتخطى المسلمين حتى وقف بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: فدائك أبي وأمي لولا أنك نشدتنا بالله مرة بعد أخرى ما كنت بالذي أتقدم على شيء من هذا، كنت معك في غزاة، فلما فتح الله عز وجل علينا ونصر نبيّه (صلى الله عليه وآله)، وكنا في الانصراف، حاذت ناقتي ناقتك، فنزلت عن الناقة ودنوت منك لأقبل فخذك، فرفعت القضيب فضربت خاصرتي، ولا أدري أكان عمداً منك، أم أردت ضرب الناقة؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أعيذك بجلال الله أن يتعمدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالضرب، يا بلال انطلق إلى بيت فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق . فخرج بلال من المسجد يده على أم رأسه وهو ينادي: هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطي القصاص من نفسه!! ففرع الباب على فاطمة (عليها السلام) فقال: يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)! ناوليني القضيب الممشوق. فقالت فاطمة (عليها السلام): يا بلال! وما يصنع أبي بالقضيب، وليس هذا يوم حج ولا يوم غزاة؟ فقال: يا فاطمة! ما أغفلك عما فيه أبوك، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يودع الدين الناس ويفارق الدنيا ويعطي القصاص من نفسه! فقالت فاطمة (عليها السلام): يا بلال! من ذا الذي تطيب نفسه أن يقتص من رسول الله (صلى الله عليه وآله) -1 الله عليه وآله؟! يا بلال! إذا قتل للحسن والحسين يقومان إلى هذا الرجل فيقتص منهما ولا يدعانه يقتص من رسول الله (صلى الله عليه وآله). فدخل بلال إلى المسجد ودفع القضيب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ودفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) القضيب إلى عكاشة ... فقام الحسن والحسين (عليهما السلام) فقالا: يا عكاشة! أليس تعلم أنا سبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وألْقِصَّصْ مِنَّا كَالْقِصَّصِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)؟!!

فقال لهما النبي (صلى الله عليه وآله): اقعدا يا قرّة عيني! لا نسي الله لكما هذا المقام، ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله): يا عكاشة اضرب إن كنت ضارباً. قال: يا رسول الله! ضربتني وأنا حاسر عن بطني. فكشف (صلى الله عليه وآله) عن بطنه، وصاح المسلمون بالبكاء وقالوا: أترى عكاشة ضارب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! فلما نظر عكاشة إلى بطن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كأنه القباطي لم يملك أن أكب عليه، فقبّل بطنه وهو يقول: فداك أبي وأم! ومن تطيب نفسه أن يقتصّ منك؟! فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): إمّا أن تضرب وإمّا أن تعفو؟ قال: قد عفوت عنك يا رسول الله! رجاء أن يعفو الله عني في يوم القيامة(1)

وهكذا يمكن أن نتعلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكثير من الدروس العملية في الأخلاق والسلوك.

ص: 76

1- المعجم الكبير: ج 3 ص 58، حلية الأولياء ج 4 ص 73، مجمع الزوائد ج 9 ص 27.

احذروا عرض أعمالكم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) (1)

ورد في رواية معتبرة عن الإمام الصادق أنه قال: (ما لكم تسوؤن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له رجل كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسروه (2).

وفي رواية أخرى عنه قال: (تعرض الأعمال على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعمال العباد كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها وهو قول الله تعالى: «اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ» وسكت (3).

أقول مادام الأمر كذلك وتعرض أعمالنا أولاً بأول على رسول الله والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم)، فماذا سيجدون في أعمال أمتهم اليوم؟ وكم يكون الالتفات إلى هذه الحقيقة مؤثراً على مراقبتنا لأنفسنا والمحاسبة على ما يصدر منها؟ لا شك إن أعمال الأمة اليوم سيئة تؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يطلع عليها ويرى فيها كيف غلب حب الدنيا على أمته حتى انتهكت المقدسات وارتكبت المحرمات، وهذه مدينة الصدر ببغداد أحد الشواهد حيث بلغ عدد ضحايا المواجهات (4)

المستمرة منذ أكثر من شهر أكثر من ألف قتيل وثلاثة آلاف جريح وشردت آلاف الأسر ويعاني مليوناً إنساناً آمريين.

الحذر من الاغترار بالدنيا:

ص: 77

1- من حديث سماحة الشيخ العنقوبي مع ثلثة من طلبة جامعة الصدر الدينية / فرع بغداد الجديدة الذين ارتدوا الزى الديني يوم 22 ع 2008/4/29 المصادف

2- الكافي: ج 1 ص 219.

3- أصول الكافي / ج 1 / كتاب الحجّة / باب عرض الأعمال على الله والأئمة (صلوات الله عليهم).

4- لمعرفة المقصود: راجع خطاب المرحلة: ج 5 ص 323 .

يقول أمير المؤمنين في إحدى مواعظه (عَبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمَلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ وَمَدِينُونَ مُقْتَضُونَ أَجَلَ مَنْقُوصٍ وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ قَرَبٌ دَائِبٌ مُضَيِّعٌ وَرَبٌّ كَادِحٌ خَاسِرٌ وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزِدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِفْتَالًا وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاقِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا فَهَذَا أَوْانٌ قَوِيٌّ عُدَّتُهُ وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ وَأَمَكَّتْ فَرِيَسَتُهُ(1).

ثم يصنف الناس إلى عدة أصناف فيقول (اصْدَرْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يَكَابِدُ فَقْرًا أَوْ غَنِيًّا بَدَلَ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَقْرًا أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَ بِأُذُنِهِ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا(2).

ندرة الصالحين:

ثم يتأسف لندرة الصالحين في الأمة ويهزأ بمن يمّني نفسه بالجنة من دون عمل صالح فيقول عليه السلام (أَيْنَ أَحْيَاؤُكُمْ وَصَلَحَاؤُكُمْ وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسَمَحَاؤُكُمْ وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْغَصَةِ وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حَثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي إِلَّا بِذَمِّهِمُ الشَّقَاتَانِ اسْتَبَدَّ غَارًا لِقَدْرِهِمْ وَذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرٌ مُغَيِّرٌ وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ وَتَكُونُوا أَعْرَ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ هَيْهَاتَ لَا يُخَدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ لَعَنَ اللَّهُ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ وَالتَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ(3).

ونجد كلمات أمير المؤمنين عليه السلام صادقة على المجتمع اليوم والناس هم الناس والتصنيف منطبق عليهم. فنسمع أن في البصرة بعد أن منّ الله عليهم بالخلاص من سطوة العصابات المسلحة وجرائمها انتشرت الخمر على أرصفة الشوارع وأصبحت علامة النصر

ص: 78

1- نهج البلاغة: الخطبة: 129.

2- السابق.

3- السابق.

المزعوم المجاهرة بمعصية الله تبارك وتعالى وسب العلماء والمباهة بفعل المحرمات فهذا نموذج لمن بدّلوا نعمة الله كُفراً، قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ» (إبراهيم: 28-29).

ص: 79

لا تنسوا الغاية في كل الحالات(1)

درس من سورة النصر:

القرآن الكريم رسالة هداية وإصلاح وتكامل من الله تبارك وتعالى إلى خلقه، فما أحرى بالعباد أن يطيلوا النظر والتعمق والتأمل والإعادة في سطور هذه الرسالة الصادرة من الحبيب جل وعلا.

ومن دروس القرآن الكريم ما أدب به نبيه المصطفى (صلى الله عليه وآله) في سورة النصر، حيث أن للنصر نشوة وسكرا تتبعها غفلة وانسياقاً وراء نزوات النفس وشهواتها خصوصاً في مثل النصر الذي تحقق لرسول الله (صلى الله عليه وآله) على طواغيت قريش ودخل مكة فاتحاً منتصراً وأذعنت له جزيرة العرب، فماذا كان التوجيه الذي صدر من الله تبارك وتعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله) وهو في ذروة ذلك النصر «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا». أن تسبح الله وتنزهه عن كل ما يخالط النفس من أهواء ونزوات وشياطين تطاع من دون الله، وإن تحمد ربك الذي مأصابك من خير إلا بلطفه ورعايته، واستغفره من كل ما خالطك من غفلة أو شعور بالزهو والخيلاء، واعتقاد بأن لك يداً في تحقيق النصر أو ما صادف من تصرف لا يليق بالعبد في محضر ربه المتعال.

من أدب رسول الله (صلى الله عليه وآله):

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يقول (أدبني ربي فأحسن تأديبي)(2) في مستوى ما يريده الله تبارك وتعالى منه، ففي الروايات انه صلى الله عليه وآله دخل مكة

ص: 80

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي يوم 29 ربيع الأول 1431هـ المصادف 2010/3/13 م مع حشد من أبناء المرجعية جاؤوا للتعبير عن سرورهم بفوز مرشحهم بالانتخابات البرلمانية الأخيرة التي جرت يوم 2010/3/7.

2- البحار: ج16 ص210.

وقد طأ رأسه الشريف حتى يكاد يلصق برحله تواضعا لله تبارك وتعالى وامتناناً لفضله واحتراما لبيته وخشية منه تبارك وتعالى . والقاسم المشترك لكل هذه التوجيهات هو أن تتذكر الهدف والغاية الحقيقية التي خلقت لأجلها، ولا يشغلك شيء عنه مهما كان ذلك الشيء مهماً وعظيماً كالنصر المؤزر على الخصوم، لأن قيمة ما تتاله من الأشياء إنما تكون بمقدار ما تؤدي إلى تلك الغاية وهو رضا الله تعالى والقرب منه والزلفى لديه.

الغفلة عن الهدف:

أما الغافلون عن ذلك الهدف فتراهم سادرين في غيهم فرحين بما لا يدوم لهم بل يكون وبالاً عليهم، وربما ساقهم ذلك إلى التنافس غير الشريف والصراع المحموم الذي تنتهك فيه الحرمات ويُعتدى خلاله على المقدسات ويُظلم الأبرياء، وهذا هو شأن الفريقين، فريق يعمر دار

آخرته ويوظف كل ما عنده لإعمار حياته الباقية، وآخر يعمر دار فئائه التي وصفها الإمام الحسين (علي السلام) بأنها (دار بلاء وزوال متغيرة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته)(1).

ويشبه بعض الأخلاقيين حال الفريقين بصورتين من السجناء الذين تدفع لهم الحكومات عادة مبالغ يسيرة أو كبيرة كمصروف جيب، فمنهم من يصرف منها بمقدار الضرورة على نفسه ويرسل الباقي مع أهله عندما يأتون لمواجهة ليشتروا له داراً أو يفتحوا له مشروعاً تجارياً ينفعه عند خروجه من سجنه ويصرف منه على أهله فعندما يخرج يجد له وضعاً مريحاً ويبدأ بحياة سعيدة، وفريق آخر من السجناء يصرف كل ما يأتيه على إعمار موضعه من السجن وتزيينه ووضع النقوش عليه وفجأة يقال له أخرج من السجن فلا يجد أمامه شيئاً يمكن أن يبدأ به حياته فيندم على ما ضيّع من أموال وجهود على شيء لا يدوم له.

ص: 81

وهكذا نحن في هذه الدنيا، فإنها سجن للبشر لا بد أن يتحرّر منه الإنسان في يوم ما ويموت وينتقل إلى العالم الآخر «وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ» «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» وقد ضرب الله تبارك وتعالى لنا في القرآن الكريم الكثير من الأمثلة، وحث على التدبر فيها والتأمل في حقائقها، ومن فائدة الأمثال أنها تقرب الفكرة وتقنع الإنسان بها لأنسه بالصورة المحسوسة عنده.

مثال عن الإنسان المغرور:

فالإنسان المغرور الذي يقول (أنا ربكم الأعلى) ويعتقد أنه قادر على فعل ما يريد ويعيش نشوة السلطة وسكر الجاه والقوة وكثرة الأتباع، ولا يقتنع بحقيقته العاجزة القاصرة التي لا تملك ضراً ولا

نفعاً، ولكن إذا ضرب له مثل لضعفه وعجزه «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ» (الحج:73) فإنه يصحو من غروره وجهله ويدعن إلا من يجحد الحقائق، وقد استيقنت بها أنفسهم ظلماً وعتواً.

ومما يضرب به الأخلاقيون من أمثال لحقيقة الفريقين الذين ذكرناهما، بشخصين كتب عليهما السفر لأداء فريضة الحج واتخذا راحلتيهما للسفر، فواحدٌ جهّز راحلته بما يحتاج لسفره وحينما حان وقت السفر خرج إلى مقصده فوصل وأدى ما عليه وبلغ أمنيته، وآخر انشغل بتزيين دابته والاعتناء بها وبمظهرها حتى فاته وقت السفر وفاتته الرحلة، فانشغل بالوسيلة عن الهدف.

هذه الأمثلة قد تبدو غريبة لكنها حاكية بدقة عن واقع الناس اليوم فهم ينشغلون بالوسائل التي مكّنتهم الله تبارك وتعالى منها كالمال والجسد ويغفلون عن الهدف الذي خلقوا من أجله وهو رضا الله تبارك وتعالى، فلا بد من اليقظة من الغفلة، ولا بد من المعرفة ومن المراقبة ومن الموعدة المستمرة، ونشر هذه المواعظ والمعارف في المجتمع خصوصاً من قبل

الفضلاء والمبليغين وأئمة الجماعة وخطباء الجمعة والمنبر، و المثقفين الرساليين، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ص: 83

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ(1)

عوامل نجاح الدعوة الإلهية:

إن نجاح أي دعوة مرتبط بجهتين: الداعي والمدعو، فقد يمتلك الداعي أرقى وسائل الإقناع ومنهجاً متكاملًا يدعو إليه لكنه لا يستطيع هداية كل الناس وإصلاحهم مهما بذل من جهود مضيئة كالذي قام به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى خاطبه ربُّه «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا» (الكهف:6) ومع ذلك لم يهتد به عمه أبو لهب لا لتقصير في أداء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - معاذ الله - ولكن لقصور في قابلية أبي لهب، ويُسمى العامل الأول (فاعلية الفاعل) والثاني (قابلية القابل) ولا بد من انسجام العاملين لنجاح الدعوة.

استجابة الناس لما يحييهم:

وفي ضوء هذين العاملين نستطيع تشخيص سبب حصول درجة من درجات الفشل في أداء المرجعيات لوظائفها المتمثلة بتفعيل مشروع الإسلام في هداية الناس وإصلاحهم وإسعادهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» (الأنفال:24) والدعوة متحققة من الرسول (صلى الله عليه وآله) أكيداً لأنه لا يتصور أنه يقصر في أداء الرسالة فلا بد أن تقابلها استجابة من الناس لما يحييهم. ويكون سبباً لسعادتهم في حياتهم المادية والمعنوية.

وقد قلنا في أكثر من مناسبة إن استعمال وصف (الرسول) يعني أن هذا التوجيه مرتبط بالموقع وليس بالشخص أما لو كان عنوان الخطاب (النبى) أو اسمه الشريف كقوله تعالى «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ» أو قوله «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ...» فهذا خاص بشخصه الشريف (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا يعني أن الأمر متوجه لجميع الأجيال أن تستجيب لقادتها العظام إذا دعواهم لما يحييهم والمفروض أن هؤلاء القادة يؤدون ما عليهم في دعوة الأمة إلى الهداية والصلاح ورفع الظلم وفتح كل الفرص الممكنة التي توصل إلى رضا الله تبارك وتعالى وسعادة الإنسان. وعلى كل من الطرفين أن يعي مسؤوليته ويحاسب نفسه على القيام بها.

معجزة النبي (صلى الله عليه وآله) في أخلاقه (1)

معجزة لرسول الله (صلى الله عليه وآله):

روى لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) معجزة تحققت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان شاهداً عليها، نذكرها تبركاً وإحياءاً لهذه المنقبة العظيمة ولناخذ منها بعض الخصائص النفسية والسمو الأخلاقي عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فمن خطبة جلييلة لأمر المؤمنين (عليه السلام) تسمى القاصعة قال (ولقد كنتُ معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملائمة من قريش، فقالوا له: يا محمد، إنك قد ادعيت عظيماً لم يدعه أبوك، ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه، وأرئيتنا علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب). فقال صلى الله عليه وآله: (وما تسألون؟) قالوا: (تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك)، فقال صلى الله عليه وآله: (إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟) قالوا: (نعم). قال: (فإنني سأريكم ما تطلبون، وإنني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القلب، ومن يحزب الأحزاب) ثم قال صلى الله عليه وآله: (يا أيها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أني رسول الله، فأنقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي يا ذن الله!). فوالذي بعته بالحق لا نقلعت بعروقها، وجاءت ولها دوي شديد، وقصفت كقصف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله، وبيعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله. فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً: (فمرها فليأتك

ص: 86

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع عدد من الوفود، بينهم مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) في مدينة الصدر ببغداد ومدرسة أئمة البقيع للفتيان يوم الثلاثاء 21/1/1433 المصادف 2012/2/14م.

نِصْفُهَا وَبَقِيَ نِصْفُهَا)، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدَّهُ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُورًا: (فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ أَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصَدِيقًا بِبُؤْتِكَ، وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ)، فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: (بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا؟) (يعنونني) (1).

ما الذي نستفيده؟

أقول: مما نستفيده منها باختصار:-

1- أدبه (صلى الله عليه وآله) مع ربه تبارك وتعالى ومعرفته التامة بالله تعالى وأنه لا يملك شيئاً أمام ربه وأنه (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) فيقول للمشركين لما سألوه (فإن فعل الله لكم ذلك) ولم ينسب الفعل إلى نفسه فما من شيء يتحقق له إلا بلطف الله تعالى وفضله وكرمه، بعكس منطق الغافلين والبعيدين عن الله تعالى فاتهم يرون لأنفسهم شيئاً ويتبجحون به ويتفاخرون ويطغون، كما حكى الله تعالى عن قارون قوله (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) (القصص/78)، ويأتي التعليق الإلهي (أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) (القصص/78).

والقرآن الكريم حرص كثيراً على ترسيخ هذه المعرفة قال تعالى (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (الأنفال/17) وقال تعالى في فرعون وقومه (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامِكْرِيمٍ) (الشعراء/57-58) مع أن فرعون وجيوشه هم الذين قرروا الخروج لكن بتدبير إلهي.

ص: 87

2- عدم اليأس من هداية الناس والدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإصلاح الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والإرشاد والتوجيه، حتى لو كان يعلم بعناد الآخر وإصراره على الخطأ فيقول (صلى الله عليه وآله) (وإني لأعلم أنكم لا تقيئون إلى خير) فلم يتوقف ويقول ما الفائدة من دعوة هؤلاء وهم لا- يُرجى منهم خير؟ لأن الأمور والنتائج والعواقب بيد مدبرها الحقيقي، وليس على الإنسان إلا السعي الحثيث بكل ما أتاه الله تعالى، وقد مدح الله تعالى قوماً وأنجاهم من العذاب لأنهم لم يتفاسدوا عن أداء وظائفهم الإلهية مع اليأس ظاهراً من هدايتهم، قال تعالى (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) (الأعراف/164).

3- اعتماد لغة الحوار والحجة والبيينة مع الآخر لتحصيل القناعة بالأمر وعدم إكراههم على شيء أو استخدام وسائل العنف والضغط لإجبارهم على اعتناق ما تعتقد به، ولو كنت تملك القوى الخارقة الغيبية، وهذا هو منطق القرآن الكريم (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة/256) (إِنِّي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (الأحقاف/4).

4- فساوة القوم الذين بُعث لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهمجيتهم بحيث يجري لهم كل هذه المعجزات وهم يصرون على عنادهم واستكبارهم قال تعالى فيهم (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) (البقرة/74) وقلوب أولئك كانت من القسوة بحيث لم تسمح بتفجير شيء من ينابيع المعرفة والإيمان فيها، فالجبل يتصدع من هذه الكلمات وهم موتى لا حراك فيهم (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) (الحشر/21) وإلى اليوم نرى مثل هؤلاء الأقوام الذين تقام عليهم الحجج والبيئات الدامغة، ولا

جواب لهم إلا- العناد والاستكبار والمضني على منهجهم المنحرف ومثل هؤلاء أتذكركم عندما أصل إلى قوله تعالى (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ 1- يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة/75) .

5- شفقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي لا- حدود لها وقلبه الكبير بحيث لا يتوانى عن تقديم أي عمل ما دام يرجى منه صلاح الآخرين وهدايتهم رحمةً بهم لانقاذهم مما هم فيه من الضلال حتى لو كانوا من أسوأ خلق الله تعالى وأفساهم فلم يكن (صلى الله عليه وآله) كأسلافه الصالحين من الأنبياء الذين دعوا على أقوامهم بالهلاك (لا تَذُرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) (نوح/26) وغاية ما كان يقول (صلى الله عليه وآله) عندما يصيبوه بالأذى والتكذيب (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) ولم يثنه (صلى الله عليه وآله) عن المضني معهم استهزاؤهم وسخريتهم الواضحة من مطلبهم التعجيزي وكأنهم يتحكمون برسول الله (صلى الله عليه وآله) ويسفّهون دعوته.

إن وجود مثل هذا القلب الشفيق الرحيم خير حافز على العمل الإنساني النبيل، وهو موجود لدى الكثيرين ولكنه يحتاج إلى تحريك وإثارة والدليل على ذلك انه عندما يوجد انسان مبتلى أو مصاب بنكبة أو عاهة أو معدم يحتاج إلى مساعدة فإن الكثيرين تهتز قلوبهم بالشفقة والرحمة ويهبون لنجدته ومساعدته، وهذا عمل عظيم ولكن أليس أهم منه أن نهّب لهداية الصّال وفاقد البصيرة والمنحرف والجاهل وهؤلاء أولى بالمساعدة والشفقة والرحمة، لأن حياتهم الباقية الدائمة في خطر، وهي أهم من حياتهم الدنيا.

6- والدرس الأخير نأخذه من أمير المؤمنين (عليه السلام) بروايته لهذه المنقبة النبوية الشريفة، ولعلها كانت تضيع علينا لو لم ينقلها لنا أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلنتعلم منه أن لا نبخل على الناس بما نتعلمه من مسألة شرعية أو موعظة أو

نصيحة أو منقبة وفضيلة لأهل البيت (عليهم السلام) أو شيء من سيرتهم الصالحة وأخلاقهم السامية، أو كلمات العلماء ومواقفهم ومآثرهم وبذلك تنتشر الهداية ويزكو العلم والعمل الصالح وينمو ففي الحديث (العلم يزكو بالإتفاق)[\(1\)](#).

ص: 90

1- البحار: ج 75 ص 76.

الألطف الإلهية في البعثة النبوية الشريفة(1)

معنى (اللطف) من أسماء الله تعالى:

من الأسماء الحسنى (اللطف) ومنشأه أكثر من وجه:

الأول: إن اللطف هو كل ما دقّ وصغر وشفّ بحيث تعجز العين عن إدراكه، والله تبارك وتعالى لطيف بهذا المعنى فهو لا تدركه الأبصار وبعُد حتى عن خطرات الظنون، وهو لطيف لعلمه بالأشياء اللطيفة فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وفي الحديث (الله لطيف لعلمه بالشيء اللطيف)(2).

الثاني: من اللطف وهو الرفق، والله لطيف بعباده ومخلوقاته أي رفيق بهم. ويمكن إرجاع أحد المعنيين إلى الآخر، فالألطف الإلهية بالعباد خفية لا يدركونها وهم يتنعمون فيها ولذا قيل (وكم لله من لطف خفي)(3).

واللطف في المصطلح هو كل ما يقرب من الطاعة ويبعد عن المعصية من دون أن يصل إلى درجة الإلجاء وسلب الاختيار ولذا ورد في الرواية (لا جبر ولا تفويض، قلت: فماذا؟ قال: لطف من ربك بين ذلك)(4).

ألطف الله تعالى:

وألطف الله تبارك وتعالى على العبد لا تعد ولا تحصى، فوجوده لطف إذ لو كان معدوماً لما استطاع أن يعمل ويتكامل، والهداية إلى الإيمان بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله

ص: 91

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع طلبة الجامعات الذين انتظموا في دورات سريعة خلال العطلة الصيفية لتحصيل العلوم الدينية في الحوزة العلمية في النجف يوم الأحد 28 رجب 1431 المصادف 2010/7/11.

2- مستدرك سفينة البحار: ج9 ص256.

3- وفي الدعاء: (اللهم إني أسألك يا من له لطف خفي). البحار: ج73 ص215. وفي البيت الشعري المشهور: فكم لله من لطف خفي ** يدق خفاه عن فهم الذكي اعيان الشية: ج7 ص306.

4- الكافي: ج1 ص159.

وسلم) لطف، فلو لم يهدنا الله تبارك وتعالى لما عرفنا الطريق الموصل إلى الكمال (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)، وأعضاء البدن لطف إذ لو لم يكن له بدن لما استطاع أن يقوم بالعبادات المقربة لله تبارك وتعالى، والمال لطف فبدونه لا يستطيع الإتيان بالكثير من القربات كالحج والزيارة والإنفاق في سبيل الله تعالى والتوسعة على العيال إلى ما لا يحصى من الألفاظ المقربة من الطاعة والمعينة عليها.

الذكر والمناجاة لطف:

والأدعية والمناجاة وسائر الأذكار لطف، إذ بدونها لا نعرف ماذا نقول بين يدي الله تبارك وتعالى وما هو مقتضى آداب العبودية، بل لا نعلم هل يحق لنا أن نقف بين يديه تبارك وتعالى ونخاطبه، ونحن نرى أن إنساناً وضيعاً يتبوأ موقعاً لا قيمة له كوزير أو ملك، يوضع (أتكيت) لزيارته ومحادثته والآداب الواجب إتباعها بحضرته، بينما نخاطب رب العالمين متى شئنا وبما شئنا وبأي لغة نشاء وهو جل جلاله يقبل علينا ويسمع منا ويبادلنا من الحب والرحمة أكثر مما نعطي، لذا ورد في مناجاة الذاكرين (ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا، وإذ لك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك)(1).

البعثة النبوية أعظم الألفاف:

ومن أعظم الألفاف الإلهية البعثة النبوية الشريفة التي نعيش عقب ذكراها، فقد شكلت أعظم نقلة في تاريخ البشرية لأمة كانت متهترئة متخلفة يقتل بعضها بعضاً وتتفاخر بالموبقات والجرائم كأود البنات والزنا وشرب الخمر وهي مشتتة متفرقة أحاطت بها دول قوية تنهشها، حوت جميع المنكرات والمفاسد، فأصبحت ببركة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمة متحضرة مدنية تقود العالم وتهدي البشرية وتقدم لبني الإنسان أعظم قانون يكفل السعادة والصلاح.

ص: 92

ولو لم يبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتُركت الجاهلية على حالها فإنه لا يعلم إلا الله تعالى ما صرنا إليه اليوم، إذا كان حال أولئك وهم أقرب عهداً للرسالات والديانات السماوية ولهم فرص أقل من الفساد هو ما ذكرناه فكيف إذا طال بهم الأمد إلى اليوم من تنوع أدوات الضلال والفساد والجريمة وتقنيته بالشكل الذي نعاصره.

فكل خير يصل إلينا وكل مكرمة يمكن أن توجد فينا بل كل وجودنا فنحن مدينون بفضل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبركات بعثته الشريفة، التي هي من الألفاظ الإلهية الخاصة لهذه الأجيال، فاعرفوا حق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأكثرُوا من الصلاة عليه والدعاء له.

نكتة قرآنية:

وهنا نشير إلى نكتة وهي أن اسم (اللطيف) يستعمل في موارد اللطف، وهذا من بلاغة القرآن الكريم حيث تنتهي الآية بما يناسب مضمونها، فإذا كان المضمون حكماً صارماً وموقفاً حازماً -كآية القطع في السرقة- فإنها تنتهي بالعزيم الحكيم، وإذا كان مورد رحمة ورفق انتهت بالرؤوف الرحيم، وعلى هذا جرت السنة الشريفة، فدققوا في الموارد التي ذكر فيها اسم (اللطيف) لتعرفوا موارد اللطف، وأوضحها في أذهانكم حديث الثقلين المشهور الذي أزم الأمة بالتمسك بالثقلين وفيه (وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)⁽¹⁾.

وأي لطف أعظم على الأمة بعد البعثة النبوية الشريفة من لطف جبلي القرآن والإمامة؟

لتخلق بأخلاق الله تعالى وتقرب الناس من الطاعة:

ونريد هنا أن نأخذ درسين من هذا الاسم المبارك (اللطيف):

ص: 93

1- أنظر: المراجعات: ص 73، الغدير: ج 1 ص 27، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج 2 ص 47.

1- إننا أمرنا بالتخلق بأخلاق الله تبارك وتعالى وأن نتصف بأسمائه الحسنی، ومنها هذا الاسم المبارك (اللطيف) فإن الله تعالى لطيف بعباده يقربهم من الطاعة ويبعدهم عن المعصية، قال تعالى «حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» (الحجرات:7) وخصوصاً أنتم أتباع أهل البيت (عليهم السلام) فإنكم تحظون بألطف خاصة دون غيركم لذا تجدون هذا الحماس والاندفاع والتضحية في سبيل الله تعالى مما لا يوجد عند غيركم وهذا يكشف عن هذه الألفاظ الخاصة.

وقد مرّت علينا في الأسبوع الماضي ذكرى وفاة الإمام الكاظم (عليه السلام) ورأيتم قد زحفت الملايين رغم الحر الشديد الذي تجاوزت فيه درجة الحرارة نصف درجة الغليان - كما وصفت بعض القنوات- في الظل أما في الشمس فتتجاوز 70 درجة مئوية ورغم عمليات القتل الذي نفذها المجرمون طيلة ثلاثة أيام المناسبة، ومع ذلك لم يتوقف هذا الزحف المبارك، فهذا كله ناشئ من هذا التزيين الذي لطف به الله تبارك وتعالى.

فليكن كل منا لطيفاً بهذا المعنى أي يكون مقرباً للناس من الطاعة ويزينها لهم ويحثهم عليها، ويبعدهم عن المعصية ببيان مساوئها وأضرارها وأخطارها في الدنيا والآخرة ويوجد البدائل الصالحة عنها، وليعرف من يعمل على عكس ذلك أنه بعيد عن الله تعالى وغير متصف بأسمائه، كما نرى من بعض المتدينين صدور بعض التصرفات المنفرة عن الدين بحيث أن البعض ممن يراد هدايتهم ودعوتهم إلى الالتزام بالدين يجيب: لا حاجة لي بالدين وانظر إلى المتدينين كيف يفعلون كذا وكذا.

وهو مخطئ طبعاً بهذا التصور، ولكن هذه النتيجة قد حصلت على أي حال.

وقد يحصل التنفير من الطاعة بأن نحمل الناس ما لا يطيقون ولا نراعي الدرجات المتفاوتة لإيمانهم، فنثقل مثلاً على الشباب المهتمدي حديثاً للإيمان

بقائمة طويلة من المستحبات والمكروهات ونحاسبه على بعض تصرفاته التي يمكن غض النظر عنها فينفر منها ومن الواجبات أيضاً. إن كلاً منكم يستطيع أن يحقق صفة (اللطيف) بحسب عنوانه وموقعه ومساحة تأثيره ولا أقل من نفسه أولاً ثم أسرته وأصدقائه وزملائه في العمل، ولعل الحوزة العلمية تتمتع بأوسع الفرص من هذه الناحية، وأتم كذلك يا طلبة الجامعات الذين قضيتم دورة سريعة في العلوم الدينية في رحاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف خلال العطلة الصيفية فتزودتم بما يعينكم على هداية الناس وتقريبهم للطاعة.

المرجعية لطف من الله تعالى:

2- إن اللطف واجب على الله تعالى كما يقولون في كتب العقائد. بمعنى أنه نفسه فكتب على نفسه اللطف بعباده وقد ظهر هذا - فيما ظهر في بعث الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب، ثم واصلها بنصب الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم).

ولا ينقطع اللطف بانقطاع الوجود الظاهري للأئمة (عليهم السلام) لأن أسماء الله الحسنى ثابتة له تبارك وتعالى، فاللطف يقتضي وجود امتداد لهذه السلسلة المباركة من الأنبياء والأئمة متمثلاً بالعلماء السائرين على نهجهم والمقتفين لآثارهم ولا تخلوا الأرض منهم، ومرور أربعة عشر قرناً حافلة بالأساطين منهم شاهد على ذلك وسيبقى حتى ظهور القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وحينئذٍ فمن يقول: أننا لا نحتاج إلى المرجعية، أو أنه لا توجد مرجعية تقلدها، أو أن لدينا فقه يكفينا لكذا من السنين فلا نحتاج للرجوع إلى احد، فمثل هذا بعيد عن الصواب ولو حللنا كلامه فإنه ينكر هذا الاسم من الأسماء الحسنى والعياذ بالله.

إنما بلغ علي (عليه السلام) منزلته بالصدق وأداء الأمانة(1) الحمد لله والحمد حقّه كما يستحقّه حمداً كثيراً، وأعوذ به من شر نفسي إن النفس لأثارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله تبارك وتعالى وأحبّهم إليه وأكرمهم عليه أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين. منزلة علي (عليه السلام):

لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) منزلة عند الله تبارك وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعرفها إلا الله تعالى ورسوله، كما ورد في الحديث الشريف عن سول الله (صلى الله عليه وآله) : (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، ولا عرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا)(2). ونختصرها بأنه نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنص القرآن الكريم في آية المباهلة: «وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» (آل عمران: 61)، فبم بلغ علي (عليه السلام) هذه المنزلة؟ وأي طالب للكمال لا يريد أن يعرف كيف أصبح علي (عليه السلام) بهذه المنزلة ليتأسى به ويقتفي آثاره.

لا- يحق لنا أن نجيب لأننا لا نعرف علياً (عليه السلام) حق معرفته، ولولا أن الجواب جاءنا عن أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) لما أجبنا، فقد روى الكليني (رضوان الله عليه) بسنده عن أبي كهمس (الهيثم بن عبد الله الشيباني) قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): عبد الله بن أبي يعفور يقرؤك السلام، قال: وعليك وعليه

ص: 96

1- الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر السعيد عام 1430 المصادف 2009/9/21، وأصلها كلمة تحدث بها سماحته إلى حشد من الزوار ليلة استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في 21 رمضان 1430.
2- مستدرك سفينة البحار: ج 7 ص 182.

السلام، إذا أتيت عبد الله فاقرأه السلام وقل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالزمه، فإن علياً (عليه السلام) إنما بلغ ما بلغ عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) بصدق الحديث وأداء الأمانة(1).

تعاليم السلوك الى الله تعالى:

وهذا جزء من برنامج عملي ومنهج للتكامل وضعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتربية أمير المؤمنين (عليه السلام) وصناعته «وَلْتُصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي» (طه: 39) ومن أهل البيت (عليهم السلام) تؤخذ وسائل التكامل وليس من أدعياء السلوك والمعرفة الذين يبتدعون مناهج وبرامج لا وجود لها في سنة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وهذه الوصفة الإلهية التي قدمها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) رويت بسند صحيح في أصول الشيعة كالكافي ومن لا يحضره الفقيه والتهديب وكتاب المحاسن للبرقي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها، ثم قال: اللهم أعنه، أما الأولى: فالصدق لا يخرج من فيك كذبة أبداً، والثانية الورع لا تجترين على خيانة أبداً، والثالثة الخوف من الله كأنك تراه، والرابعة كثرة البكاء من خشية الله عز وجل يبني لك بكل دمة بيت في الجنة، والخامسة بذل مالك ودمك دون دينك، والسادسة الأخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقتي، أما الصلاة فالخمسون ركعة، وأما الصوم فثلاثة أيام في كل شهر خميس في أوله، وأربعاء في وسطه، وخميس في آخره، وأما الصدقة فجهدك حتى يقال: أسرفت ولم تسرف، وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل بصلاة الليل، وعليك بصلاة الزوال، وعليك بقراءة القرآن على كل حال، وعليك برفع يديك في الصلاة، وتقليبهما، وعليك بالسواك عند كل وضوء وصلاة، وعليك بمحاسن الأخلاق فاركبها، وعليك بمساوئ الأخلاق فاجتنبها، فإن لم تفعل فلا

ص: 97

1- وسائل الشيعة: كتاب الوديعة، باب 1، ح 1.

معنى الأمانة ومصاديقها:

ونعود إلى الحديث الذي بدأنا به وأن علياً (عليه السلام) بلغ ما بلغ بالصدق وأداء الأمانة، وحينئذٍ قد يقال بأن هاتين الخصلتين مما يتيسر الاتصاف بهما مع أن منزلة علي مما لا يبلغها أحد من بعده كما قال (عليه السلام): (ألا وأنكم لا تقدرون على أن تصيروا مثلي) لذا فإن الأمر يحتاج إلى شيء من الإيضاح والتفصيل، وسنتحدث هنا عن أداء الأمانة، حيث ينصرف الذهن إلى قضية وضع أموال الناس وممتلكاتهم عند بعضهم واستردادهم عند مطالبة أصحابها، فأداء الأمانة يعني رد الحقوق وإيصالها إلى أهلها.

وبهذا المعنى يتساوى كثيرون مع علي بن أبي طالب، لكن الأمانة لها معنى أوسع من هذا بكثير وأداء الأمانة يقتضي مسؤوليات كبرى.

أمانة العهد والميثاق:

وأول أمانة وأعظمها هي تلك التي عرضها الله تبارك وتعالى على جميع المخلوقات فاعتذرت عن تحملها وحملها الإنسان قال تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (الأحزاب: 72) وهي أمانة العهد والميثاق الذي أخذه الله تبارك وتعالى على عباده ليمنحهم بمقتضاه خلافة الله تعالى في الأرض بأن يكون الإنسان مخلوقاً عاقلاً رشيداً ويُسَخَّرَ له الكون كله على أن يكون موحداً لله تبارك وتعالى ومن ثم تعريضه للجزاء والحساب ليثاب على إحسانه بجنة عرضها السماوات والأرض ويحاسب على سيئاته، قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» (الأعراف: 172).

ويعيد الإنسان التأكيد على هذا الميثاق عندما يصافح الحجر الأسود فيقول: (اللهم أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة)(1).

تخلقوا بأخلاق الله:

تلك الخلافة التي تعني أن يكون الإنسان مظهراً للصفات الإلهية والأسماء الحسنى فيجعل الله تعالى المثل الأعلى الذي يبذل وسعه للاتصاف بصفاته «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» (النحل: 60) وورد في الحديث الشريف (تخلقوا بأخلاق الله) وهي لا تقتصر على الأسماء الحسنى كالرحيم والكريم والغفار والعليم، بل تشمل كل الصفات الإلهية التي نطق بها القرآن الكريم والأدعية الشريفة والروايات المأثورة كقوله (عليه السلام) في دعاء الافتتاح: (فلم أرَ مولِيَ كريماً أصبرَ على عبدٍ لئيمٍ منك عليّ يا ربَّ إنك تدعوني فأولِّي عنك، وتتحبب إليّ فأتبغضُ إليك، وتتودد إليّ فلا- أقبل منك، كأن لي التطول عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إليّ، والتفضل عليّ بجودك وكرمك)(2). فهذه صفة لله تبارك وتعالى علينا أن نسعى للتخلق بها وهكذا غيرها.

وبإداء هذه الأمانة أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) من خطبة له: (ثم أداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها، إنها عرضت على السماوات المبنية والأرضين المدحوة، والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها. ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لا متنعن، ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن، وهو الإنسان «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»)(3).

وقد تمثلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) كل الصفات الحسنى المتاحة للمخلوقات فقد ورد في الحديث أن أهل البيت (عليهم

ص: 99

1- البحار: ج6 ص97.

2- مفاتيح الجنان: ص215.

3- نهج البلاغة من الخطبة (199).

السلام) حازوا اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأعظم ذي الثلاثة والسبعين حرفاً وبقي حرف واحد اختص تبارك وتعالى به لنفسه (1) وكانوا مظهراً لكل الصفات الإلهية المتاحة لهم كمخلوقين، فأدى أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الأمانة خير أداء.

ويعني أداء هذه الأمانة الإيمان والالتزام بكل العقائد الحقّة التي أشهد الله تبارك وتعالى عباده عليها «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ سَدَّ هَدْيُنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» (الأعراف: 172) والأحكام الشرعية التي حدها لعباده والشهادة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة والنبوة ولأمير المؤمنين (عليه السلام) بالولاية ولأهل بيته بالموودة والإتباع، ولذا ورد في الكافي تفسير الآية، فعن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت له: لم سمي أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه وهكذا أنزل في كتابه «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» وأن محمدا رسولي وأن عليا أمير المؤمنين (2).

نفسك التي بين جنبيك:

ومن مصاديق الأمانة نفسك التي بين جنبيك، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (عباد الله، الله الله في أعز الأنفس عليكم، وأحبها إليكم: فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق وأثار طرقه، فشقوة لازمة، أو سعادة دائمة! فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء، قد دُلّتم على الزاد وأمرتم بالظعن وحُشتم على المسير) (3)، فهي أعز أمانة استودعك الله إياها أو ائتمنك عليها لتهدبها وتحميها من إتباع الهوى ونزغات الشيطان وأن لا تسلس القياد لها

ص: 100

1- أنظر الكافي: ج 1 ص 330، باب ما أعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم.

2- الكافي: ج 1 ص 412.

3- نهج البلاغة، الخطبة (157).

فتوردك موارد الهلكة فإن إعطاءها ما تريد -وهي الأمانة بالسوء- يقود إلى الهلاك. في دعاء الصباح لأمر المؤمنين (عليه السلام): (فبئس المطية التي امتطت نفسي من هواها، فوها لها لما سولت لها ظنونها ومناها)(1).

وهي قد تبدو مفارقة أن تكون رعاية النفس والإحسان إليها بمنعها مما تشتهيه وكبح جماحها، وعدم إطلاق العنان لها في اللهو واللعب كالذين قضوا ساعات شهر رمضان المباركة -التي جعلها الله تبارك وتعالى ميداناً لأولياءه يتسابقون فيها إلى رضوانه- يقضونها بمتابعة المسلسلات الماجنة ولعبة المحبب وأمثالها، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في المناجاة الشعبانية: (إلهي قد جرت على نفسي في النظر لها، فلها الويل إن لم تغفر لها)(2) ويقول (عليه السلام): (وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق)(3)، وقال (عليه السلام): (وأيم الله - يميناً أستثني فيها بمشيئة الله- لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتنع بالملح مآدوماً)(4) وفي ذلك يوصي الإمام الصادق (عليه السلام) شيعته خصوصاً الذين يسوفون التوبة والندم والاستغفار والذين يتلفون أنفسهم فيما يسمونه (جهاداً) أو (ثورة) أو (مقاومة) ونحوها دون الرجوع إلى البصير بأمر الشريعة وما يصلح الأمة، قال (عليه السلام): (عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له وانظروا لأنفسكم، فوالله إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي، فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرج به ويحيى بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها، والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها، ثم كانت الأخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة، فأنتم أحق أن تختاروا

ص: 101

- 1- مفاتيح الجنان: ص 87.
- 2- مفاتيح الجنان: المناجاة الشعبانية: ص 192.
- 3- نهج البلاغة، قسم الرسائل، العدد: 45.
- 4- المصدر السابق، نفس الموضوع.

لأنفسكم، إن أتاكم آتٍ منّا فانظروا على أي شيء تخرجون) (فنحن نشهدكم أنا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد، وهو إذا كانت الرايات والألوية أجدر أن لا يسمعنا)(1).

الجسد من مصاديق الأمانة:

ومن مصاديق الأمانة: جسّدك الذي ائتمنك الله تبارك وتعالى وصنعه لك بأحسن تقويم لتتخذ به وسيلة للكمال والوصول إلى الغاية وأمرك بالاعتناء به وحفظه وتوظيفه لهذا الهدف السامي وهو طاعة الله تبارك وتعالى وعبادته فهو وسيلة وليس غاية، ومما ورد في مناجاة الخائفين للإمام السجاد (عليه السلام): (إلهي هل تسوّدُ وجوهاً خرّت ساجدة لعظمتك، أو تُخرسُ ألسنةً نطقت بالثناء على مجدك وجلالتك، أو تطيع على قلوبٍ انطوت على محبتك، أو تُصمُّ أسماعاً تلذذت بسماع ذكرك في إرادتك، أو تغلّ أكفاً رفعتها الآمال إليك رجاء رأفتك، أو تعاقب أبداناً عملت بطاعتك حتى نحلت في مجاهدتك، أو تعذب أرجلاً سعت في عبادتك)(2).

فمن الخيانة توظيف الجسد في الحرام كاللواتي يتاجرن به أو الذين يستخدمون بعض جوارحهم في الحرام ومن الخيانة إيلاء الجسد وإيذاؤه ولو بمثل التدخين الضار فضلاً عن المحرمات كشرب الخمر والزنا أو إيذاؤه تحت عناوين مبتدعة كبعض ما يأمر به أدياء السلوك إلى الله تعالى والمعرفة ولو كان في ما يفعلونه خيراً لما توقف الأئمة المعصومون (عليهم السلام) عن بيانه وهم كجدهم (صلى الله عليه وآله وسلم) «بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ» فلا يحبسون عنهم ما ينفعهم، ومن الإيذاء ما يفعله البعض باسم شعائر الحسين (عليه السلام) والتفجع لمصابه وهي براء منه «قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» (يونس: 59).

ص: 102

1- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد العدو، باب 13، ح 1.

2- مفاتيح الجنان: ص 153.

ومن الخيانة إغراق الجسد في الراحة والترف والاعتناء بمتع الجسد وكمالياته بعيداً عن الهدف، لأنه وسيلة وليس غاية، فلا يعقل إمضاء الوقت المقرر للسفر بالاعتناء بواسطة النقل وترتيبها وتجميلها حتى ينتهي الوقت المقرر لبلوغ الغاية. وهكذا عمر الإنسان المخصص للسفر إلى الملكوت فلا يقضيه في إمتاع الجسد وراحته، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أريحوا أجسادكم بالتعب ولا تتعبوها بالراحة)، وكان (عليه السلام) لا يعطي لجسده إلا ما يقويه على طاعة الله تبارك وتعالى لذلك كان جسده قوياً متيناً قادر على الانسجام مع ما يقضيه مقام أمير المؤمنين (عليه السلام) من الفناء في طاعة الله تبارك وتعالى والجهاد في سبيله حتى قال بعض المتخصصين عندما اطلع على نظام حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) وغذائه: ((لولا ضربة ابن ملجم لكان من الممكن أن يعيش علي (عليه السلام) إلى آخر الدهر)) ويجيب (عليه السلام) على من يستشكل عليه ويرى أن قوة الجسد في الترف والتنعم، قال (عليه السلام): (وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان، ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً والروائع الخضرة أرق جلوداً والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً)⁽¹⁾، ويقول (عليه السلام): (فما خلقت ليشغلي أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله شغلها تقمّمها تكثرش من أعلافها وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثاً، أو أجرّ حبل الضلالة أو أعتسف طريق المتاهة)⁽²⁾.

أداء الأمانة:

وإذا انتقلنا إلى أداء الأمانة للآخرين؛ فمن مصاديقها الزوجة فإنها أمانة عند زوجها كما ورد في الدعاء المأثور عند إدخال الزوجة على زوجها: (اللهم على كتابك تزوجتها،

ص: 103

1- نهج البلاغة قسم الرسائل، العدد: 45.

2- نهج البلاغة، قسم الرسائل، نفس الموضوع.

وفي أمانتك أخذتها، وبكلماتك استحلت فرجها) الخ(1)، ولم تأتِ إلى بيت الزوج إلا بعقد وصفه الله تبارك وتعالى بأنه ميثاق غليظ قال تعالى: «وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» (النساء: 21) وهو وصف ميثاقه تبارك وتعالى مع الأنبياء والرسل «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» (الأ-حزاب: 7) وواجهه تجاه هذه الأمانة إكرامها ومعاشرتها بالمعروف ففي الحديث: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)(2) (ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم)(3) فمن ظلم زوجته وقصر في إكرامها فقد خان الأمانة.

وعمالك أمانة عندك تنفق عليهم وتهذبهم وتحسن تربيتهم وتوجيههم إياها لأخلاق الفاضلة وفعل الخير.

والزوج أمانة عند زوجته تحفظه في ماله ونفسها وتطيعه إذا أمرها.

والعلم أمانة تعمل به وتبذله لمن يستحقه فإن بذل العلم لأهله صدقة وفي قصص بني إسرائيل أن جليساً لموسى (عليه السلام) وعى علماً كثيراً عذبه الله تبارك وتعالى بمسحه قرداً في عنقه سلسلة فسأل موسى (عليه السلام) ربه عنه فأوحى إليه: (إني كنت حملته علماً فضيعة وركن إلى غيره)(4).

أمانة الموقع السياسي والاجتماعي:

والموقع السياسي والإداري والاجتماعي والعشائري هو أمانة يُسأل الإنسان عن أدائها والقيام بحقوقها وليس غنيمة يستأكل بها، وإن الله تبارك وتعالى مسائله عن حسن سيرته مع من ولاه عليهم، وهذا المعنى ركز عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) لرسوخ معنى

ص: 104

1- الكافي: ج 5 ص 501.

2- الوسائل: ج 20 ص 117.

3- كنز العمال: ج 16 ص 371.

4- البحار: ج 2 ص 40.

الغنيمة و (تقاسم الكعكة) بمصطلح الحكام والسلطات- ففي كتابه إلى عامله على آذربيجان أشعث بن قيس يقول (عليه السلام): (وإن عملك ليس لك بطعممة ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك. ليس لك أن تفتت في رعية، ولا تخاطر إلا بوثيقة، وفي يدك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزانه حتى تسلمه إليّ، ولعلي ألا أكون شرّ ولا تك لك، والسلام)(1).

ويعلم (عليه السلام) مالك الأشر أوصاف الذين يختارهم للولاية والإدارة والحكم: (ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباةً وأثرة، فإنهم جماعٌ من شعب الجور والخيانة، وتوَحَّ منهم أهل التجربة والحياء)(2).

وكان يحاسب عماله أشدّ المحاسبة إذا علم منهم تقصيراً أو خيانة، ولم ينقل التاريخ خيانة بعض عمال أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا من خلال كشفه (عليه السلام) لهم، في حين أن الحكام الآخرين كانوا فاسدين لكنهم لم يحاسبهم من هو فوقهم، فقد كتب إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله على البصرة وتوابعها كالأهواز وفارس وكرمان عبد الله بن عباس: (وإني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدنّ عليك شدةً تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر، والسلام)(3).

وكتب (عليه السلام) إلى المنذر بن الجارود العبدي، وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله: (أما بعد، فإن صلاح أهلك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما زُفّي إليّ عنك - لا تدع لهواك انقياداً ولا تُبقي لآخرتك عتاداً، تعمّر دنياك بخراب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك، ولئن كان ما بلغني عنك حقاً، لَجَمَلُ أهلك وشسع نعلك خير منك، ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يُسَدَّ به ثغر أو يُنقَدَ به أمر، أو يُعلَى له قدر أو يُشركَ في أمانة، أو يؤمن على جباية، فأقبل إليّ حين يصل إليك

ص: 105

1- نهج البلاغة، قسم الرسائل، العدد: 5.

2- المصدر، العدد 53.

3- المصدر، العدد 20.

معيار المؤمن:

أيها الأحبة:

هذا بعض ما يمكن أن نفهمه من معنى الأمانة التي أمرنا بأدائها، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» (النساء:58) والتي ورد في فضلها وأهميتها الكثير كقول الصادق (عليه السلام): (لا تغتروا بكثرة صلاتهم ولا بصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة)(2).

الخيانة قبال الأمانة:

وبإزاء هذا المعنى الواسع للأمانة وأدائها يكون معنى الخيانة واسعاً فهي تشمل كل تفريط أو تقصير في أداء حق واجب على الإنسان، وهو ظاهر قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (الأنفال:27) فعن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الآية: (فخيانة الله والرسول معصيتهما، وأما خيانة الأمانة فكل إنساناً مؤمن على ما افترض الله عز وجل)(3).

وقد وردت في الروايات أمثلة لخيانة الأمانة تتجاوز المعنى المتعارف كقول الصادق (عليه السلام): (أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ

ص: 106

1- المصدر، العدد 71.

2- وسائل الشيعة: كتاب الوديعة، باب 1، ح 2.

3- تفسير نور الثقلين: 2/144.

بكل جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين(1)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الخائن من شغل نفسه بغير نفسه وكان يومه شراً من أمسه)(2).

وأعظم الخيانة خيانة الأمة في أي موقع ديني أو اجتماعي أو سياسي أو مالي أو إداري.

ومما كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بعض عماله بعد أن بين له ما يجب فعله قال (عليه السلام): (وإلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة، وبؤسٍ لمن خصمه عند الله: الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارمون وابن السبيل).

ومن استهان بالأمانة، ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها؛ فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذلّ وأخزى، وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأقطع الغش غش الأئمة، والسلام)(3).

ص: 107

1- بحار الأنوار: 72/177.

2- غرر الحكم للآمدي، الحديث 2013.

3- نهج البلاغة، قسم الرسائل، العدد 26.

من مواعظ الإمام الجواد (عليه السلام) (1)

التأثر بالموعظة علامة حياة القلب:

أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنّ هذه القلوب -التي هي محل معرفة الله تعالى ووعاء الوصول إليه- يعروها الصدأ والرّين بما يكتسب الإنسان من ذنوب وكثرة مشاغله ومشاكله في هذه الدنيا، فإذا ازداد الرّين طبع على القلب واسودّت صفحته فانغلق عن المعرفة وتلقّي الفيض الإلهي، إلى أن يتداركه الله بلطفه ورحمته، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن). (2)

لذلك أوصى أهل البيت (عليهم السلام) بتعاهد هذا القلب بالموعظة حتى تبقى فيه جذوة الحياة وتبقى فيه قابلية التكامل، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) (أحيي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة). (3)

فإذا كنتم تبحثون عن الموعظة وتتحررون مواطنها وتتأثرون بها وتتفاعلون معها فهذا يعني أنّ قلوبكم ما زالت حيّة ويرجى منها الخير وهذه نعمة عظيمة تستحق الشكر المتواصل لله تبارك وتعالى.

الطاعات القلبية:

ص: 108

- 1- من حديث سماحة الشيخ العنقوبي (دام ظله) مع جمع من طلبة كلية الطب في جامعة البصرة وجمع من أطباء ومتقفي وأكاديمي مدينة العمارة ووفد من شبوخ عشائر ناحية الفجر في محافظة ذي قار يوم السبت 26 ذق 1433 المصادف 2012/10/13.
- 2- منتخب ميزان الحكمة 533 رقم 5350.
- 3- نهج البلاغة، الكتاب: 31.

وما دمننا على أعتاب ذكرى استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام) معجزة الإمامة فلنأخذ الموعظة منه (عليه السلام) من خلال بعض أحاديثه (عليه السلام)، وأولها ما يرتبط بما نحن فيه من ضرورة تعاهد أمر القلوب ومواصلة إحياءها:

قال (عليه السلام) (القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال)(1). نحن نهتم كل الإهتمام بطاعة الجوارح فنبادر إلى الصلاة الفلانية لأن فيها كذا وكذا من الثواب وإلى الصوم الفلاني لأن فيه كذا وكذا، وهذا كله حسن جميل، ويعطي الله تعالى بكرمه هذا الثواب المذكور في الخبر وإن لم يقله المعصومون (عليهم السلام) كما أفادت الروايات الصحيحة، ولكن الإمام (عليه السلام) يتبهننا إلى أن الطاعات الأسرع إنتاجاً وإيصلاً إلى الكمال هي الطاعات القلبية.

المعرفة متاحة لكل من طلبها:

وأهم الطاعات القلبية المعرفة بالله تعالى، ولا تتصور أن المعرفة والعرفان علم خاص بنخبة نادرة من العرفاء الشامخين، وإنما هي متاحة لكل من طلبها وسألها من الله تعالى، لذلك دعا الله تعالى جميع خلقه إليها من خلال التدبر بالقرآن الكريم والأحاديث الشريف، ويعطينا الإمام الجواد (عليه السلام) واحدة من أشكال وأدوات هذه المعرفة لتتأكد أن هذه المعرفة ميسرة لكل أحد إذا صدق في طلبها.

لن تخلو من عين الله تعالى:

قال (عليه السلام) (إعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون).(2)

هل توجد حقيقة أوضح من أن الله تعالى أقرب إلينا من جبل الوريد ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه على كل شيء شهيد، إذا كان الأمر كذلك -وهو كذلك بلا شك

ص: 109

1- ميزان الحكمة: 460/9.

2- تحف العقول: 336.

ولا ريب- فلنراقب أنفسنا ولنتأدب بحضرة الله تبارك وتعالى ولنتعلم كيف يجب أن نكون ما دمننا في جميع أحوالنا بمنظر منه تبارك وتعالى في أقوالنا وأفعالنا وخطراتنا وظنوننا ومشاعرنا وعواطفنا، فالذي يتصور أنه قد غلب الآخر أو خدعه أو فعل شيئاً في السر والخلوة حيث لا يراه ولا يعلم به أحد إنما يخدع نفسه لأن الله شهيد عليه، ويكون قد أعان على نفسه من حيث يعلم أو لا يعلم

بذل الوسع في السيطرة على الغرائز:

وفي ذلك قال (عليه السلام): (من أطاع هواه أعطى عدوه مناه)⁽¹⁾، أي كأنه أهدى مقتله المعنوي مجاناً إلى أعدائه المتربصين به وبغوايته، وأولهم نفسها الأمانة بالسوء (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)⁽²⁾ وقال الإمام الصادق (عليه السلام) (لا تدع النفس وهواها، فإن هواها رداها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكفّ النفس عما تهوى دواها)⁽³⁾، وثانيهم الشيطان الذي أقسم على غواية البشر (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص/82-83) فلا بد أن يبذل الإنسان وسعه في السيطرة على غرائزه ومشاعره وشهواته وعواطفه ويجعلها وفقاً لما يريد الله تبارك وتعالى، فيفعل ما يحبه الله تعالى، ويجتنب ما يكرهه تعالى، وليس عليه أن يكتبها ويقضي عليها، فإن الله تعالى خلق هذه القوى لنفع الإنسان وإعمار الحياة وإدامة الوجود، وجعل ثواباً جزيلاً على من سبّرها وفق الشريعة المقدسة، كاستخدام الشهوة الجنسية في إقامة سنة الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) بالتزويج وتكثير النسل ونحوها.

وهكذا المال وغيرها من أمور الدنيا فإذا أخذ من حله وأنفق في حله فإنه يصبح من أمور الآخرة.

ص: 110

1- ميزان الحكمة: 460/9.

2- البحار: ج 71 ص 271.

3- الكافي: 2/336 ح 4.

وها هو النبي الحكيم سليمان (صلوات الله عليه) يقول (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) (ص/35) مع أنه نبي معصوم، فلا ضير في طلبه ما دام يريد به إقامة شرع الله تبارك وتعالى.

حاجة المؤمن الى ثلاث:

واعلم ان ذلك لا ينال متى تحب وتشتهي، ولا تتصور انك قادرٌ بمفردك على اختيار الطريق الصحيح بما شئت إلا بمقومات يذكرها الإمام الجواد (عليه السلام):

قال (عليه السلام) (المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظٍ من نفسه، وقبول ممن ينصحه).⁽¹⁾

توفيق الله تعالى لعبده:

فأول تلك العناصر والمقومات: توفيق الله تبارك وتعالى ولطفه بعبده، ولذلك كان هناك تركيز في أدعية المعصومين (عليهم السلام) بطلب التوفيق (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية)⁽²⁾.

ومدخلية التوفيق وأسباب اللطف الإلهي واضحة في حياتنا، مثلاً تجد الاندفاع والحماس للصوم في شهر رمضان بروحية عالية وإقبال شديد مع انه في صيف لاهب ونهار طويل جداً، بينما يتكاسل عن صوم يوم مستحب في غيره ولو في نهار بارد قصير قليل المؤونة، مع ان بعض الصوم المستحب -كصيام ثلاثة ايام في الشهر والأفضل أن تكون أول خميس والأربعاء في العشرة الوسطى وآخر خميس الذي يعدل صوم الشهر والالتزام بهذه السنّة

ص: 111

1- تحف العقول: 337.

2- مفاتيح الجنان: ص 205.

يعدل صوم الدهر -مما سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحثّ على الالتزام به حباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وإحياءاً لسنّته الشريفة.

فاسألوا الله تعالى أن يمدّكم بتوفيقه دائماً وليس في أوقات محددة كالنشاط الذي نلمسه في ليلة القدر فيجتمع المؤمنون في المساجد الصلاة مئة ركعة وأكثر بينما يتكاسل البعض عن أداء نذر يسير من النوافل المهمة في غيرها من أيام السنة كركعتي الشفيع وركعة الوتر من صلاة الليل وكصلاة الغفيلة من نافلة المغرب وكنافلة الصبح ونحوها.

ونحن مقبلون على أزمّة شريفة في شهر ذي الحجة منها العشر الأوائل، ومن أعمال الشهر وسائر الأشهر الحرم صوم ثلاثة أيام متتالية: الخميس والجمعة والسبت، فقد ورد في الحديث الشريف (أن من صامها في شهر من الأشهر الحرم كتب الله له عبادة تسعمائة عام)⁽¹⁾، ويمكن لمن عليه قضاء أن ينوي الصوم للأمرين فيعطى الأجر إن شاء الله تعالى وهذا الثواب فيه حافظ كبير على العمل، وإن كان الأفضل أن نقوم بالفعل الحسن لمجرد أن الله تعالى يحبّه ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبّه بغضّ النظر عن مقدار الثواب المرصود له.

واعظ من نفسه:

والعنصر الثاني هو أن يكون له واعظ من نفسه وقلب يستجيب لما فيه حياته وسلامته وإذن واعية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال/24)، وإلاّ فإن الهداية لا- تحلّ قلباً منكوساً مُعرضاً عن الحق ولهذا كان من اللازم إحياء القلوب دائماً بالموعظة وذكر الموت وتلاوة القرآن وتقليل العلائق بالدنيا.

الأخ الناصح:

ص: 112

1- مفاتيح الجنان: 172 في فضل شهر رجب وأعماله، الفقرة (16).

والعنصر الثالث: أن تبحث عن الأخ الناصح الذي يسدّدك بكلماته وأفعاله وتذكرك رؤيته بالآخرة ويهدي إليك عيوبك ويدلّك على ما فيه صلاحك كهذه الكلمات التي نتحدث بها.

نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر:

واعلم أن هذا كله بعض نعم الله تعالى عليك فخذها وكن من الشاكرين، وإلا فإن الإمام الجواد (عليه السلام) يقول: (نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر).⁽¹⁾

يا له من تشبيه خطير بحيث يكون عدم الشكر على النعمة سيئة لا تغفر -والعياذ بالله- وهذا الحديث فيه عموم لكل من ينعم عليك نعمة ويسدي اليك فضلاً حتى من المخلوقين، وإن كان الله تعالى هو المدبّر الحقيقي ومسبّب الأسباب، عن الإمام الرضا (عليه السلام) (من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل).⁽²⁾

بل في حديث آخر أن المشكورين ثلاثة، الله تعالى وهو المنعم الحقيقي، والشخص الذي أنعم وأسدى المعروف، والثالث الشخص الذي سعى وتوسّط لقضاء الحاجة عند من قضاها.

وهذا أدب قد افتقده أكثر الناس -مع الأسف- وهم بذلك يسيئون لأنفسهم، ويقطعون سبيل المعروف عن الإمام الصادق (عليه السلام) (لعن الله قاطعي سبيل المعروف، وهو الرجل يُصنع إليه المعروف فيكفره، فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره).⁽³⁾

بذل النعم لمستحقها:

ص: 113

1- ميزان الحكمة: 9/460.

2- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): 2/24، ح 2.

3- منتخب ميزان الحكمة: 349 ح 3343.

ومن تمام الشكر الذي يحفظ النعمة ويديمها، القيام بواجباتها وأداء ما افترض الله تعالى فيها، وإلا فإنها يخشى عليها الزوال، وفي ذلك يقول الإمام الجواد (عليه السلام): (إن لله تعالى عبادةً يخصهم بالنعمة، ويُقرّها فيهم ما بذلوا، فإذا منعوا نزعها عنهم وحولها إلى غيرهم)

وهذا تحذير شديد مطابق لقوله تعالى (وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد/38)

يدعونا إلى الانفاق مما أنعم الله تعالى به علينا من سائر النعم وليس المال فقط، فإن نعمة العلم أهم من المال، فمن حباه الله تعالى بشيء من العلم عليه أن يعلمه من لا يعلمه فإنه زكاة له وصدقة.

أهل المعروف:

فأنت حينما تقوم بفعل المعروف في أي مجال فإنه يعود بالنفع عليك أولاً قبل من اسديت إليه المعروف، وفي ذلك يقول الإمام الجواد (عليه السلام): (أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه! لأن لهم أجره وفخره وذكره)(1).

أي له خير الدنيا والآخرة مضافاً إلى أن ما حصل عليه صاحب الحاجة شيء يفنى، أما ما حصل عليه المعطي فهو شيء باقٍ مذخور له عند الله تبارك وتعالى.

أهمية الكلمة:

ولنستمع إلى مزيد من مواعظه (عليه السلام) مصداقاً للعنصر الثالث المتقدم.

قال (عليه السلام): (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس..)(2).

ص: 114

1- البحار: ج75 ص79.

2- تحف العقول: 336.

لأن العبادة تعني الطاعة والانقياد، فالإنصات إلى الناطق نوع من الانقياد فلينظر الإنسان إلى من يأخذ منه ونوع الكلام ومضمونه، وليعلم من يستمع إلى الغناء أو الغيبة أو الكلام البذيء أو تسقيط المؤمنين وتشويه صورتهم ونحوها أنه دخل في طاعة إبليس وعبادته.

وإذا كان للإنصات هذا التأثير فما هي أهمية الكلمة نفسها وما مسؤولية المتكلم عمّا يصدر عنه من كلمات قد تؤدي إلى ما تؤدي من نتائج.

التحذير من الظلم:

قال (عليه السلام) (العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء)(1).

هذا الظلم الذي وصف في الأحاديث أنه (ذنب لا يترك)(2) لا يختص بمسؤوليته من قام به بل يشترك معه من دفع إليه بكلمة أو فعل أو تحريض أو تشجيع أو تزيين أو خداع أو دعم مادي أو معنوي أو فتوى بلا حجة شرعية ونحوها، كما ورد في بعض الروايات أن شخصاً يؤتى به يوم القيامة وتقدم له قارورة من دم ليحاسب عليها فيقول يا إلهي أنا لم أقتل ولم أسفك دمًا في حياتي كلها، فيقال له هذا حصتك من دم فلان الذي قُتل ظلمًا لأنك شاركت في دمه بكلمة قلتها.

بل الأمر أخطر من ذلك فإن من بلغه ذلك ورضي به ولم ينكره بقلبه على الأقل فهو شريك له، وإذا أردنا أن نذكر أمثلة على هذه الشراكة في الظلم من واقعنا، فيقف على رأسه ما يقوم به السياسيون والمتصدون لإدارة البلاد، وإن شئت ثبّيت بما يجري بين العشائر من سنائن وقوانين ما أنزل الله بها من سلطان أهانت الإنسان وسلبته كرامته وحرّيته وماله وشرفه فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

لنكسب الناس إلى الدين:

ص: 115

1- كشف الغمة: ج 2 ص 350، عنه البحار: ج 75 ص 83، ح 83.

2- انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ج 3 ص 757.

وقال (عليه السلام) (من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة)(1).

وهذا الحديث يحفزنا كثيراً على التحرك في المجتمع لكسب الناس إلى الدين وإرجاعهم إلى الله تبارك وتعالى ما دام ثمن كسب أخ مؤمن واحد هو هذا العطاء العظيم.

إن امرأة فرعون تحمّلت تعدياً قاسياً من دق جسدها بالمسامير وصلبها وتعليقها وهي صابرة محتسبة حتى قضت شهيدة، وكان طلبها (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ يَتِيماً فِي الْجَنَّةِ) (التحریم/11) وبغض النظر عن كون البيت (عندك) فإننا قد أعطينا نفس الفرصة من دون ذلك الثمن الباهظ فنستطيع الحصول على بيت في الجنة بأن تكسب أخاً في الله تعالى وتهديه إلى الحق.

فليستثمر الشباب والطلبة الجامعيون هذه الفرصة وليتحركوا داخل أوساطهم وعلى أقرانهم ليرشدوهم ويخرجوهم من حالة الفسق والانحراف الذي نسمع عن تفشيّه داخل أوساط الجامعات، وليتحرك كل جنس على جنسه بالطريقة التي أوصى بها الله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (النحل/125) كدعوته إلى مائدة طعام أو تزويده بمحاضرات فاتته أو أن تشرح له محاضرة لم يفهمها ونحوها من الأساليب التي تكسب بها مودته وتدخل إلى قلبه فيأخذ منك النصيحة وتكون مصداقاً للعنصر الثالث المتقدم بفضل الله تبارك وتعالى.

ص: 116

1- كشف الغمة للإربلي: ج 3 ص 137.

لا حدود لعطاء الله تعالى:

تذكر الروايات الشريفة ثواباً جزيلاً يُعطى لمن قام بطاعة ما كصلاة معينة أو زيارة المعصومين (عليهم السلام) أو صوم أيام معينة كاعتبار صوم اليوم يعادل صوم الدهر أو كفارة ستين سنة ونحوها، وهذا يشكّل حافزاً للمؤمنين لكي يندفعوا للقيام بهذا العمل المستحب غير الواجب، وهذا تحرك مرضي لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله) ما دام قد رضيه الله ورسوله ودعا إليه المعصومون (عليهم السلام)، وإن كانت النية الأكمل أن يقوم العبد بالفعل لأن الله تعالى يحبّه ويريده ولأن المعصومين (عليهم السلام) دعوا إليه بغضّ النظر عمّا رصد له من ثواب. وعلى أي حال فإن سؤالاً هنا يجري تداوله قد يصل إلى مستوى الإشكال بأنه هل يُعقل إعطاء مثل هذا الثواب العظيم لعمل بسيط بالنسبة لذلك الثواب، ويدفع هذا الإشكال البعض إلى التشكيك في صحة هذه الروايات.

وهذا الاشكال مردود لأن العمل إذا حظي بالقبول والرضا من الله تبارك وتعالى فإنه لا حدود لعطائه ويزكيه وينميه حتى يكون مثل جبل أحد-كما في بعض الروايات- ويضرب الله تعالى لنا مثلاً لذلك قال تعالى «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» البقرة/261 (البقرة/261).

ص: 117

1- من حديث سماحة الشيخ العنبري (دام ظله) مع مئات من طلبة الجامعات والاعداديات أقلتهم ثمان حفلات كبيرة وقضوا ثلاثة أيام تضمنت زيارة أمير المؤمنين والمشاهد المقدسة في النجف والكوفة والزيارة المنصوصة للإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة والعيد وفق برنامج عبادي وثقافي، والتقوا بسماحة المرجع يوم عرفة 9/ذح/1432 المصادف 6/11/2011م.

يُحكى أن النبي الكريم يوسف الصديق (عليه السلام) لما استتب له ملك مصر كان له مجلس عام للناس يقضي حوائجهم ويرفع عنهم ظلاماتهم، وفي احد الأيام كان هناك شاب متواضع لا يُلتفت إليه وكان الروح الأمين جبرئيل إلى جانب النبي يوسف (عليه السلام) فسأله أتعرف هذا الشاب؟ قال (عليه السلام): ومن يكون؟ قال (عليه السلام) هذا الطفل الصغير الذي شهد ببرائتك عندما راودتك امرأة العزيز واستبقتما الباب وألقيتما العزيز لديها.

فاهتم به يوسف (عليه السلام) وأكرمه وخلع عليه الهدايا، وهنا تبسّم الروح الأمين وقال ليوسف: ان شهادة واحدة بالتنزيه والبراءة لك أوجبت هذا العطاء الكثير فكيف سيكرّم الله تعالى عباده الذين يشهدون له تبارك وتعالى يوماً عدة مرات بالتنزيه والبراءة من الشركاء ويسبّحونه.

أقول: لعلمكم تتفقون معي ان يوسف الصديق (عليه السلام) مهما اعطى إلى هذا الشاب فإنه قليل بإزاء قيمة الشهادة التي أدلى بها ذلك الشاب عندما كان طفلاً حين انقذ يوسف (عليه السلام) مادياً من القتل ومعنوياً بتبرئته من الفاحشة والظلم وتنزيه ساحته. هذا ويوسف (عليه السلام) مهما كان ملكه عظيماً فهو مخلوق لا يملك لنفسه شيئاً، فكيف هو عطاء الله تبارك وتعالى الخالق العظيم مالك السماوات والأرض الجواد الكريم لعباده الذين يسبحون بحمده وله يسجدون.

نعرف فضل النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام):

وفي ضوء هذا نعرف فضل النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) لأنهم علّمونا ما نعبد الله تعالى به وما نسبحه به ونحمده، يكفي أن صلاة واحدة وهي صلاة جعفر الطيار فيها ثلاثمائة تسبيحة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر بالكيفية المعروفة -وأفضل أوقاتها ضحى يوم الجمعة(1) ولا تأخذ وقتاً يزيد من ثلاثة أرباع الساعة بالمعدل فالمفروض

ص: 118

أن نشعر بالشكر والامتنان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كلما أدّينا هذه الصلاة لأنه (صلى الله عليه وآله) علمنا إياها وكذا بقية الأعمال.

عطاء الشهيد:

وتصوّروا حينئذٍ ان هذا العطاء لمن أدى الشهادة لله تبارك وتعالى بلسانه أو بقلبه وحركة بدنه، فماذا يكون عطاء الله تبارك وتعالى لمن أدى الشهادة بروحه ودمه وهو الشهيد في سبيل الله تبارك وتعالى وإثماً سُمّي شهيداً، لأنه يشهد على مبادئه ومعتقداته التي آمن بها بدمه وروحه ونفسه التي هي أعز ما عنده (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) حينما اكتفى غيره بالشهادة باللسان أو حركات البدن.

وسُمّي شهيداً لأنه يشهد على الأمة وقيم الحجة عليها بتضحيته بنفسه في سبيل الله تبارك وتعالى، فلا نستغرب ما أعدّ الله تبارك وتعالى من الكرامة والدرجة الرفيعة للشهداء، وأعظم هذا العطاء الذي لا حدود له استحققه سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) لأن عطاءه كان بلا حدود، وجسّد شهادته لله تبارك وتعالى بنفسه الشريفة وأولاده وإخوته وعشيرته وأصحابه وتعريض نسائه للسبي وهنّ ودائع النبوة.

لماذا نزر الحسين (عليه السلام) في أغلب المناسبات؟

ولعل هذا يفسّر لنا تشريع زيارات مخصوصة للإمام الحسين (عليه السلام) في كل أيام الله تبارك وتعالى كالأول والنصف من رجب والنصف من شعبان وليلة القدر ويوم عرفة والعيدين لان شهادته (عليه السلام) أعظم شهادة على المبادئ الحقّة.

واجباتنا في يوم عرفة:

ونحن اليوم في واحد من تلك الأيام المباركة وهو يوم عرفة وقد قضيتم زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف الاشرف وعدداً من الأعمال الصالحة وانتم متوجهون الى كربلاء المقدسة

لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) المخصوصة ليوم عرفة والعيد فاشكروا الله تعالى على هذه النعم العظيمة وأكثرُوا من الدعاء لآخوانكم المؤمنين فإن الله تعالى تكفل بالإجابة، ولتكن مطالبكم سامية تليق بكرم الله تعالى وشاملة لخصال الخير في الدنيا والآخرة كما ورد في بعض الأدعية (ربِّ أدخلني في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) وأخرجني من كل سوء أخرجت منه محمداً وآل محمد (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) وما ورد في أدعية رجب (أعطني بمسألتني إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عني بمسألتني إياك جميع شر الدنيا والآخرة فإنه غير منقوص ما أعطيت وزدني من فضلك يا كريم).

كونوا من الكنوز التي يكشف عنها الإمام المهدي (عليه السلام) (1)

الخبيا المدخرة لعصر الظهور:

هذه أيام مباركة شهدت بدء الإمامة الفعلية لإمامنا صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف) وقيامه بالأمر بعد استشهاد أبيه الإمام الحسن العسكري في الثامن من ربيع الأول، وبهذه المناسبة نذكر رواية من أخبار دولته المباركة.

فعن النبي ((صلى الله عليه وآله)): (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل ذهب) (2)، وفي بعض الروايات (يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب) (3).

ومفاد هذه الروايات انه في عصر الظهور يكشف الفرات عن كنوز، والفرات كناية عن العراق لأنه النهر الأشهر كما يعبر عن مصر ببلاد النيل ونحوه.

وقد فسرت الكنوز بالأنصار الصالحين المخلصين للإمام (عليه السلام) لأن سياق الحديث واضح أن المراد بالكنوز شيء معنوي وليس مادياً (4).

قصة الغلام مع نبي الله عيسى (عليه السلام):

ص: 121

- 1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من الأطباء وفدوا لزيارة سماحته والاستماع إلى توجيهاته من عدة محافظات يوم الجمعة 10/ع/1433/1 المصادف 2012/2/3.
- 2- مجموعة ورام: ج 1 ص 76.
- 3- البخاري، ج 9 ص 73، ومسلم ج 8 ص 175.
- 4- أنظر الغيبة الكبرى للسيد الشهيد محمد الصدر، في الأمر الثامن: أنه سوف يحسر الفرات عن كنز من ذهب: ص 411 وما بعدها.

ووجدت في الأخبار ما يؤيد ذلك ففي كتاب البحار (أن عيسى (عليه السلام) كان مع بعض الحواريين في بعض سياحته، فمروا على بلد، فلما قربوا منه وجدوا كنزاً على الطريق، فقال من معه: ائذن لنا يا روح الله أن نقيمها هنا ونحوز هذا الكنز لنلا يضيع، فقال (عليه السلام) لهم: أقيموا هنا وأنا أدخل البلد ولي فيه كنز أطلبه، فلما دخل البلد وجال فيه رأى داراً خربة فدخلها فوجد فيها عجوزة، فقال لها: أنا ضيفك في هذه الليلة، وهل في هذه الدار أحد غيرك؟ قالت: نعم لي ابن مات أبوه وبقي يتيماً في حجري، وهو يذهب إلى الصحارى ويجمع الشوك ويأتي البلد فيبيعها ويأتيني بتمنيتها نتعيش به، فهياً تلعيسى (عليه السلام) بيتاً، فلما جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه الليلة ضيفاً صالحاً، يسطع من جبينه أنوار الزهد والصالح، فاغتنم خدمته وصحبته، فدخل الابن على عيسى (عليه السلام) وخدمه وأكرمه فلما كان في بعض الليل سأل عيسى (عليه السلام) الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها، فتفرس (عليه السلام) (1) فيه آثار العقل والفظانة والاستعداد للترقي على مدارج الكمال، لكن وجد فيه أن قلبه مشغول بهم عظيم، فقال له: يا غلام أرى قلبك مشغولاً بهم لا يبرح فأخبرني به لعله يكون عندي دواء دائك، فلما بالغ عيسى (عليه السلام) قال: نعم في قلبي هم وداء لا يقدر على دوائه أحد إلا الله تعالى، فقال: أخبرني به لعل الله يلهمني ما يزيله عنك، فقال الغلام: إني كنت يوماً أحمل الشوك إلى البلد فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت إلى القصر فوقع نظري عليها فدخل حبها شغاف (2) قلبي وهو يزداد كل يوم ولا أرى لذلك دواء إلا الموت، فقال عيسى (عليه السلام): إن كنت تريد أن أحتال لك حتى تتزوجها، فجاء الغلام إلى أمه وأخبرها بقوله، فقالت أمه: يا ولدي إني لا أظن هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به، فاسمع له وأطعه في كل ما يقول، فلما أصبحوا قال عيسى (عليه السلام) للغلام: اذهب إلى باب الملك، فإذا أتى خواص الملك ووزرائه ليدخلوا عليه قل لهم: أبلغوا الملك عني أني جئت خاطباً كريمته، ثم ائتني وأخبرني بما جرى بينك وبين الملك، فأتى الغلام

ص: 122

1- الفراسة: الثبوت والنظر والتأمل للشيء والبصر به، وتفرس في الشيء: توسّمه. (لسان العرب 10: 221).

2- غلاف القلب. (لسان العرب 7: 146).

باب الملك، فلما قال ذلك لخاصة الملك ضحكوا وتعجبوا من قوله ودخلوا على الملك وأخبروه بما قال الغلام مستهزئين به، فاستحضره الملك، فلما دخل على الملك وخطب ابنته قال الملك مستهزئاً به: أنا لا أعطيك ابنتي إلا أن تأتيني من اللآلي واليواقيت والجواهر الكبار كذا وكذا، ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا، فقال الغلام: أنا أذهب وأتيك بجواب هذا الكلام، فرجع إلى عيسى (عليه السلام) فأخبره بما جرى، فذهب به عيسى (عليه السلام) إلى خربة كانت فيها أحجار ومدر كبار(1)، فدعا الله تعالى فصيرها كلها من جنس ما طلب الملك وأحسن منها، فقال: يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به إلى الملك، فلما أتى الملك بها تحير الملك وأهل مجلسه في أمره، وقالوا لا يكفيننا هذا، فرجع إلى عيسى (عليه السلام) فأخبره، فقال: اذهب إلى الخربة وخذ منها ما تريد واذهب بها إليهم، فلما رجع بأضعاف ما أتى به أولاً زادت حيرتهم، وقال الملك: إن لهذا شأناً غريباً، فخلا بالغلام واستخبره عن الحال، فأخبره بكل ما جرى بينه وبين عيسى (عليه السلام) وما كان من عشقه لابنته، فعلم الملك أن الضيف هو عيسى (عليه السلام)، فقال: قل لضيفك: يأتيني ويزوجك ابنتي، فحضر عيسى (عليه السلام) وزوجها منه، وبعث الملك ثياباً فاخرة إلى الغلام فألبسها إياه وجمع بينه وبين ابنته تلك الليلة، فلما أصبح طلب الغلام وكلمه فوجده عاقلاً فهما ذكيا ولم يكن للملك ولد غير هذه الابنة فجعل الغلام ولي عهده فلما كانت الليلة الثانية مات الملك فجأة وأجلسوا الغلام على سرير الملك وأطاعوه وسلموا إليه خزانته، فأتاه عيسى (عليه السلام) في اليوم الثالث ليودعه، فقال الغلام: أيها الحكيم إن لك علي حقوقاً لا أقوم بشكر واحد منها لو بقيت أبد الدهر، ولكن عرض في قلبي البارحة أمر لو لم تجبني عنه لا أنتفع بشيء مما حصلتها لي، فقال: وما هو؟ قال الغلام: إنك إذا قدرت على أن تنقلني من تلك الحالة الخسيسة إلى تلك الدرجة الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا بنفسك، وأراك في تلك الثياب وفي هذه الحالة فلما أحفى(2) في السؤال قال له عيسى

ص: 123

1- المدر: قطع الطين اليابس. (لسان العرب 13: 53).

2- أحفاه في المسألة: ألح عليه في المسألة: (لسان العرب 3: 250).

(عليه السلام): إن العالم بالله وبتدار كرامته وثوابه والبصير بفناء الدنيا وخستها ودنائها لا يرغب إلى هذا الملك الزائل وهذه الأمور الفانية، وإن لنا في قربته تعالى ومعرفته ومحبته لذات روحانية لا نعد تلك اللذات الفانية عندها شيئاً، فلما أخبره بعيوب الدنيا وآفاتنا ونعيم الآخرة ودرجاتها قال له الغلام: فلي عليك حجة أخرى لم اخترت لنفسك ما هو أولى وأحرى وأوقعتني في هذه البلية الكبرى؟ فقال له عيسى: إنما اخترت لك ذلك لامتنحك في عقلك وذكائك، وليكون لك الثواب في ترك هذه الأمور الميسرة لك أكثر وأوفى، وتكون حجة على غيرك، فترك الغلام الملك، ولبس أثوابه البالية، وتبع عيسى (عليه السلام) فلما رجع عيسى إلى الحواريين قال: هذا كنزي الذي كنت أظنه في هذا البلد فوجدته . والحمد لله). (1)

لنكن من هذه الكنوز:

أقول: حينما سرّدت هذه الرواية لا أريد منها تحبيب العزلة والترهب لأنها أمور مذمومة في الإسلام وإنما أريد أن نزيد هممتنا لنكون من هذه الكنوز التي ينتقيها الإمام ويصطفيها لنفسه ويجعلها من خاصّته، وهذا أمرٌ في متناول كل أحد، إذا صدق في إيمانه وبذل السعي المناسب للهدف وأدركته الألفاظ الإلهية قال تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً) (الإسراء/19) كمن يريد أن يصبح طبيباً فإنه لا بد أن يبذل السعي المناسب فيتفوق في دراسته الإعدادية ويحصل على معدلٍ عالٍ ثم يدرس في كلية الطب ويتابع بقية السعي حتى نهايته.

الطريق الموصل إلى الله تعالى:

ولا- نتصور أن السبيل الموصل إلى الله تعالى منحصر بالعبادات المتعارفة كالصلاة والصوم والحج والزيارة، بل يفهم من الأحاديث الشريفة أنه يوجد ما يمكن أن يكون أسرع

ص: 124

في طي مراحل التكامل، قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله)(1)

فالعبادة أن تشعر وتحسّ بوجودك أن الله تبارك وتعالى حاضر عندك مطلع عليك أقرب إليك من حبل الوريد يحنو ويشفق عليك ويحبك ويدريك ويدفع عنك، ولازم ذلك أن تفعل كل ما يحببك إليه ويقربك منه وأن تتعرف إليه تبارك وتعالى أكثر وأكثر وتفهم حقائق أسمائه الحسنی وتسعى لتحقيق تلك الصفات في حياتك كالرحمة والعفو والعلم والكرم وغيرها.

قال رجل للصادق (عليه السلام): (يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيروني، فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق (عليه السلام): فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجى، وعلي الإغاثة حيث لا مغيث)(2). أقول: هذا التعلق بالله تبارك وتعالى واللجوء إليه يجب أن تستشعره دائماً وليس فقط في وقت الاضطرار، وهذه العلاقة الطيبة العامرة مع الله تبارك وتعالى هي حقيقة الدين لا الشكليات والمظاهر.

مصطلح المتدين:

وهنا أودّ الإشارة إلى مصطلح مبتدع تحوّل إلى ظاهرة لا تنسجم مع هذا الفهم لحقيقة الدين حيث أسيء استخدامه وهو عنوان (المتدين) وجعلوه مرادفاً لعنوان (المؤمن)، وهو غير صحيح، لأن عنوان المؤمن مصطلح قرآني تكرر كثيراً يعبر عن سلوك صالح وعقيدة صحيحة وأخلاق سامية، أما عنوان المتدين فيركّز على شكليات ومظاهر كإطلاق اللحية

ص: 125

1- تحف العقول: 488.

2- البحار: ج3 ص41.

ومسك المسبحة ولبس الخاتم باليمين وأداء بعض الطقوس الدينية، وهذا كله من الشريعة بالتأكيد، لكن أن يكون هو المقياس بَعْض النظر عن الجوهر وسلامة الباطن والاستقامة في التعامل مع الآخرين فهذا تديّن مزيف رَوّج له من يريد خداع السدّج لتحقيق أجندات خاصة به والمتاجرة بالدين، حتى تحمّل الدين إساءات كثيرة بسبب تصرفات بعض المتديّنين.

أعظم القربات الى الله تعالى:

ومن أعظم القربات إلى الله تعالى الإحسان إلى خلقه لأنهم عياله وصنيعته والإحسان إليهم إحسان إليه تبارك وتعالى، قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (إن في الجنة لباباً يقال له المعروف، لا يدخله إلا أهل المعروف... فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)⁽¹⁾.

ص: 126

1- البحار: ج 71 ص 414.

الفصل الثالث: تفعيل دور القرآن الكريم في حياتنا

إشارة

ص: 127

دعوة المؤمنين إلى أن تكون قلوبهم وعقولهم أودية كبيرة لمعارف القرآن الكريم(1)

بالطهارة المعنوية ننال المعرفة:

قال تعالى «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا» (الرعد:17) ومعنى الآية الظاهري واضح ولا شك أن الأودية الكبيرة تستوعب وتتلقى كمية أكبر من مياه الأمطار النازلة على الأرض من الأودية الصغيرة. لكن القرآن الكريم يعبر عن هذه الأوصاف بأنها أمثال يضربها للتعقل والتفكير والتدبر في حقائقها التي يرجع إليها تأويلها «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» (آل عمران: 7) فإن القرآن يصف نفسه بأنه عبارة عن حقائق واقعية محفوظة في اللوح الإلهي «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ» (الواقعة: 77-78) أي كتاب محفوظ في علم الله تبارك وتعالى ويقول عنه «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» (الواقعة: 79) أي لا يصل إلى حقيقته ومعرفة أسرارها إلا المطهرون الذين طهروا قلوبهم من الرين ونفوسهم من الرذائل، والمصداق الأكمل لهم هم المعصومون «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (الأحزاب: 33)، ولهذا فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً لأنه قال عن نفسه أنه تبيان لكل شيء وأنه «مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (الأنعام: 38) فهل يعجز عن بيان معاني نفسه؟!

ص: 129

1- من كلمة مطولة تحدث بها سماحة الشيخ (دامت تأييداته) مع وفد ضم العشرات من ممثلية شهداء الفضيلة التابعة لتنظيم حزب الفضيلة في مدينة الصدر ببغداد يوم الثلاثاء 10 ربيع الأول 1426 ونشرت في الصفحة الأولى من العدد (23) من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ 10 ربيع الثاني 1426 المصادف 19 آيار 2005.

وفي ضوء هذا فإن الإنسان يتلقى هذه المعارف الحقيقية والمعاني الواقعية. بمقدار جهده في تطهير قلبه وتهذيب نفسه، وهذا أحد معاني الآية الشريفة التي افتتحنا بها الحديث، فإن الماء النازل من السماء مثل للمعارف والألطف التي يمن بها الله تبارك وتعالى على عباده، والأودية تشير إلى العقول والقلوب وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (القلوب أوعية فخيرها أوعاها)(1)،

فينبغي للمؤمنين أن يتسابقوا في تطهير قلوبهم ونفوسهم لتزداد معرفتهم بالله تبارك وتعالى من خلال القرآن الكريم.

قصة عن علماء السلف:

ينقل (2) عن ثلاثة من كبار علماء الشيعة وهم السيد إسماعيل الصدر والسيد حسن الصدر والمحدث النوري، أنهم زاروا أحد العلماء في الليلة الأولى من شهر رمضان المبارك، ففسر لهم آية بتفسير وجدوه واضحا لانتباط على الآية واستغربوا من عدم التفاتهم إليه، ثم زاروه في الليلة الثانية ففسر لهم نفس الآية بتفسير آخر بنفس الوضوح واستغربوا أيضا من عدم التفاتهم، وهكذا إلى نهاية الشهر، فهذه معارف وعلوم القرآن الكريم وهذا لطف الله تبارك وتعالى بعباده المخلصين في إراءتهم هذه المعاني في اللوح المحفوظ.

معنى ذكرنا لهذه الفكرة:

وإنني حين أذكر هذه الفكرة لأمرين:

ص: 130

1- نهج البلاغة: ج4 ص35.

2- رواها السيد محسن الحكيم (قدس سره) في كتابه (حقائق الأصول: 1/95) وذكر أن الآية هي «وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» (الحجرات:7).

الأول: حثكم على التواصل مع القرآن الكريم والتفاعل مع معانيه ومعارفه وحقائقه لأن فيه مفاتيح الخير كله.

الثاني: دعوتكم إلى مضاعفة الهمة والحماس والشعور بالمسؤولية في العمل الإسلامي المبارك، والتمهيد لدولة العدل الإلهي ولتكونوا من الأودية الكبيرة التي لا تحمل هم نفسها أو مدينتها بل تتوسع فيه.

ص: 131

التواصي بالحق والتواصي بالصبر(1)

أهمية سمرة العصر:

سورة (العصر) قصيرة جداً في كلماتها لا تتجاوز السطرين لكنّها عظيمة في فضلها، خطيرة في مضمونها، وإنها مظهر من مظاهر إعجاز القرآن حينما يُقدّم في سطر واحد منهجاً متكاملًا لنجاح البشرية من أوّل الخلق إلى نهايتها ويعرّف هويّة الأمة الراححة الفائزة ويعلمها وظائفها في هذا السطر.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من قرأ (والعصر) في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنّه، قريرة عينه حتّى يدخل الجنة)(2)، ولأهمية ما جاء فيها فقد ورد أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا إذا اجتمعوا لا يفترقون إلاّ بعد تلاوة سورة (والعصر) ويتذكروا في مضامينها(3).

معنى (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ):

يبتدئ الله تبارك وتعالى السورة بالقسم (والعصر) بمعانيه المختلفة كما وردت في التفاسير، فيقسم الله عزّ من قائل -وهو أصدق القائلين- لتأكيد الكلام ولإثارة انتباه المخاطب إلى الحقيقة التي سيقولها، لأنّها حقيقة خطيرة (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ) ليس الإنسان بحسب تكوينه وأصل خلقته، لأنّه خلُق للكمال وللمعرفة بالله تعالى ولا خلاص الطاعة له سبحانه

ص: 132

1- كلمة سماحة المرجع العقوبي (دام ظلّه) مع جمع من منتسبي هيئة الحج والعمرة في بغداد والمحافظات يوم الخميس 2/ج/1434/1 الموافق 2013/3/14.

2- ثواب الأعمال: 125.

3- الدر المنثور: 6/392.

والاستقامة على ما أراد منه، لذلك أسجد له ملائكته وقال تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة/30)، فليس الإنسان بالحمل الأولي -كما في المصطلح- هو في خسر، بل الإنسان الموجود على أرض الواقع أي بلحاظ سلوكه وسيرته أي أفراد الإنسان ومصاديقه بالحمل الشائع -كما في المصطلح- الذي يخالف فطرته حينما يخرج إلى هذه الدنيا وينسى عهده مع ربه الذي واثقه عليه {وَإِذَا خَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} {الأعراف/172}.

فهذا الإنسان الذي خلق للسمو والتكامل، تراه ينحدر ويتسافل ويعرض عن ذكر ربه، فيخسر رأس ماله وكلّ القوى التي زوّدها الله تعالى بها لتحقيق الغرض المنشود من حياة ووجود وعقل وفكر وبدن وثروة وجاه وعلاقات وأسرة وعشيرة وموقع وغيرها، حتّى الأشياء البسيطة الدقيقة التي يمكن أن تُكتسب بها الجنان (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) الزلزلة/7، كتسيحة أو ذكر مع كل شهيق وزفير وفي كل طرفة عين.

وإذا به على العكس يسخرها للشقاء والعذاب، فإذن هو فعلاً (في خسر)، بل خسر عظيم، قال تعالى {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} {الزمر/15} كمن يزود برأس مال عظيم وتوفّر له كلّ فرص النجاح والاستثمار وتقدّم له كلّ معونة والتسهيلات في السوق، لكنّه بحماقته وضيق نظره يخسر كلّ ذلك، عن الإمام الهادي (عليه السلام) (الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون)(1).

ثمن النفس هو الجنة:

ص: 133

1- بحار الأنوار: 72/366 ح 1، تحف العقول: 361.

هذه الصفة التي أنشأها الله تعالى مع عباده (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ) (التوبة/111) فلا ثمن لهذه النفس إلا الوفاء بهذه الصفة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها)(1).

والتعبير يمزج مع التحذير والتهديد والتوبيخ استغراباً وعتاباً، لأن الله تعالى خلقهم للرحمة والسعادة والفوز وأعطاهم كل ما يوصلهم إلى هذه النتيجة من أسباب معنوية ومادية قال تعالى (إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هود/119)، وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (يقول الله تعالى: يا ابن آدم، لم أخلقك لأربح عليك، إنما خلقتك لتربح عليّ، فاتخذني بدلاً من كل شيء، فإني ناصر لك من كل شيء)(2).

لماذا يحصل الخسران؟

فلماذا يخسرون كل ذلك بتوظيفه في عكس الهدف الذي خلقوا من أجله {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (يس/30)، لذلك يسجل القرآن الكريم استغرابه من دخول أهل النار إليها، قال تعالى {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ} {المدثر/42، ولم يسجل استغرابه من دخول أهل الجنة فيها لأن وجودهم على القاعدة ومع الهدف الذي خلقوا من أجله.

والمعرب في هذه الحقيقة إطلاقها وعمومها (إن الإنسان) مطلقاً فتكون كقوله تعالى (وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) (مريم/71-72).

ص: 134

1- نهج البلاغة: قصار الكلمات، رقم 74.

2- ميزان الحكمة: 1/334 الحديث 1604 عن شرح نهج البلاغة: 20/319، 665.

نعم استثنى من هذه النتيجة المهولة بعض توفرت فيه أربع خصائص مجتمعة:

1- (إلا الذين آمنوا) واعتقدوا صدقاً وإخلاصاً بكل العقائد الحقّة بتوحيد الله تعالى والرسالة للنبي (صلى الله عليه وآله) وولاية أمير المؤمنين والأئمة المعصومين (عليهم السلام) وسائر العقائد الحقّة.

2- (وعملوا الصالحات) لأنّ الإيمان لا- يكون حقيقياً وصادقاً إلا أن يظهر إلى الخارج بعمل صالح يكون موافقاً لما يريد الله تبارك وتعالى.

وهذا المقدار مفهوم وواضح وذكرته آيات عديدة، لكنّ الأهمية والخطورة التي أشرنا إليها في هذه السورة هي فيما أضافته الآية من شرطين للفوز والنجاة من الخسران، حيث لم تكفي بالركنين السابقين، وهما

3- (وتواصوا بالحق) فلا- يكتفون بكونهم صالحين في أنفسهم مؤمنين يعملون الصالحات بل يتحركون برسالتهم في المجتمع فيوصي بعضهم بعضاً بالتزام الحق والعمل به، والتعبير بالتواصي يتضمّن معنى الإستمرارية والتواصل، والحق الذي يتواصون به له مساحة واسعة، فكلّ خير وكل ما هو مثمر وكل ما يوصل إلى الله تبارك وتعالى ويعين على طاعته ويجنب معصيته هو حق فيتواصون به. وهذا له مدى واسع فيشمل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى والإسلام وولاية أهل البيت (عليهم السلام) ونشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومظلوميتهم من الأعداء، ونشر أحكام الدين وتقديم النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحقوق التفصيلية الكثيرة كالتي تضمنتها رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام).

ولابد لمن يقوم بهذه الوظيفة أن يكون ملتفتاً قبل ذلك إلى نفسه فيتعاهدا ويتواصي معها ويشارطها على الهدى والصلاح والثبات، لأنّها أعز وأثمن من يتواصي معه.

إن الحقّ إذا لم يتم التواصي به والتواصل معه جيلاً بعد جيل وبين عامة الجيل الواحد أي التحرك به أفقياً وعمودياً فإنّه يضيع كما ضاعت حقوق كثيرة وعلى رأسها حقّ الإمامة

وولاية أمر الأمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنّ حقوق الناس تثبت بشهادة شخصين، وقد أنكر حق جدّي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه سبعون ألف شاهد كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غدير خم(1)).

1- (وتواصوا بالصبر) فإنّ من يسير بهذا الطريق الذي تخلّى عنه أكثر الناس وأصبحوا ينظرون إليه بازدراء وسخرية سيلقى الكثير من المشقّة والعنت والأذى وسيطلب منه تضحية كثيرة بأعز ما لديه فيحتاج إلى صبر ومصابرة ومرابطة وثبات {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} آل عمران 200، فيوصي هؤلاء الثلة القليلة بعضهم بعضاً بالصبر والمضي على هذا النهج المقدّس المبارك.

إصلاح الآخرين:

إنّ الحقيقة الخطيرة التي أضافتها هذه السورة المباركة أن الإيمان والعمل الصالح على مستوى النفس غير كافٍ للفوز وللنجاة من الخسران الشامل لأفراد الإنسان، بل لابد أن ينضم له التحرك بهذه الوظيفة في المجتمع والاستمرار على ذلك والثبات عليه وتحمل أعبائه.

وبتعبير مختصر أنّ صلاح الفرد الشخصي لا يكفي من دون أن يضم له العمل على إصلاح الآخرين، وهي مسؤولية كبيرة لكن منزلتها عظيمة لا مكان فيها للمتقاعس والمتكاسل الذي لا يكثرث بما يعجّ به المجتمع من مفاسد وظلم وانحراف وضلالات وشبهات وخرافات وجهل وغير ذلك.

حينئذٍ يتحقق صلاح الفرد وصلاح المجتمع أيضاً، ونجاة الفرد ونجاة المجتمع وعزّتهما معاً بفضل الله تبارك وتعالى.

ص: 136

التواصي بالحق والتواصي بالصبر:

وإذا قابلنا هذه الآية مع الآيتين المتقدمتين من سورة (ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا) مريم نحصل على تعريف للتقوى فتكون حقيقتها الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر بمقتضى المطابقة وتحقيق ما تحصل به النجاة من النار والخسران.

وهذه الحقيقة طبيعية لأن الإيمان يدعو إلى العمل الصالح، والعمل الصالح لا يعرف الإنزواء والجمود والتفوق، وإنما يدعو للحركة المثمرة لهداية الآخرين وإرشادهم ونصحهم ومساعدتهم، فإن من أعظم الأعمال الصالحة ما كانت مندرجة في هذه الحركة الاجتماعية لذا ورد في بعض الروايات تفسير عمل الصالحات بمواساة الإخوان(1).

إن مسؤولية التواصي بالحق والتواصي بالصبر لا تختص بالمبلغين والمرشدين من الحوزة العلمية بل هي شاملة لكل الناس خصوصاً مع توفر سبل الهداية وقنوات الإصلاح والتأثير لكل العاملين على شبكات المعلومات وصفحات التواصل الاجتماعي والفضائيات.

ص: 137

1- كمال الدين وإتمام النعمة: 656 ح 1.

قاعدة في السلوك المعنوي من سورة الحديد(1)

أهمية المسبّحات:

سورة الحديد من السور المباركة التي كان يهتم بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وروى انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حينما يأوي إلى فراشه للنوم يتلو سور المسبّحات(2)، وهي السور التي تبدأ بكلمات التسييح، وأولها سورة الحديد ومعها سورة الحشر والصف والجمعة والتغابن وهي في الجزء الثامن والعشرين من المصحف الشريف.

وروى العلامة الطبرسي في مجمع البيان عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: من قرأ المسبّحات كلّها قبل ان ينام لم يمت حتى يدرك القائم (عليه السلام) وان مات كان في جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)(3).

سورة الحديد ومحاسبة النفس:

وسورة الحديد من السور النافعة في الموعظة وترقيق القلب، فإدامة تلاوتها قبل النوم يساعد على إجراء المراجعة مع النفس في نهاية كل يوم، وهي المحاسبة التي أمرنا المعصومون (عليهم السلام) بها.

موعظة من السورة:

ص: 138

1- من حديث سماحة المرجع العنقوبي (دام ظله) مع حشد من طلبة الجامعات والمعاهد في البصرة وذي قار ووفود من ناحية الفجر في ذي قار والمعامل في بغداد يوم السبت 26/ربيع/1434هـ المصادف 2013/3/9.

2- أنظر مستدرک الوسائل: ج4 ص289.

3- مجمع البيان 9/345

ونأخذ منها اليوم مقطعاً يعطينا قاعدة في السلوك المعنوي خصوصاً لكم أيها الشباب الجامعيون ونستقي منه أيضاً درساً في الموعظة يعرض مشهداً من مشاهد يوم القيامة، ذلك اليوم المهول الذي ورد وصفه في القرآن الكريم بأوصاف مذهلة {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ {الحديد : 12}} يستعرض المشهد مقارنة بين حالي المؤمنين و المنافقين وحواراً، اما المؤمنون والمؤمنات فانهم {يَسْعَى نُورُهُمْ} في ذلك اليوم الذي تنكسف به الشمس وتنكدر النجوم وتكون الجبال كالقطن المنفوش وتشتد الظلمات بعضها فوق بعض، يلطف الله تعالى بالمؤمنين والمؤمنات فيوفر لهم نوراً يسعي بهم الى الجنة والسعادة، والسعي هو السير الحثيث فهو يسرع بهم الى الجنة، ولما كان النور ينبعث منهم، فإنهم في الحقيقة هم الذين يسعون لأنهم مصدر النور، ونسب السعي إليه لأنه يتقدمهم.

{بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} هذا النور ينبعث من امامهم ومن ايمانهم، ولعل الذي من امامهم هو نور الايمان وعقائدهم الحقّة في التوحيد والنبوة والإمامة، لذا ورد في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن النور قال (عليه السلام) (أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعي بين يدي المؤمنين وبيامانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة)(1)،

ولعله نور ذواتهم الطيبة المحبوبة عند الله تعالى، أما النور من يمينهم فهو نور أعمالهم الصالحة حيث يؤتى المؤمن كتابه بيمينه (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا آفرؤوا كِتَابِيهِ {19} إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ {20} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ {21} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ {22} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ {23} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ {24} (الحاقة/19-24).

(بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وما دامت هذه عاقبتهم، فإنها بشرى حقيقية ويستحقون التهنئة على هذا الفوز العظيم وما أعظمه من فوز ومن خاتمة حسنة في تلك الحياة الخالدة.

ص: 139

1- الكافي: 1/151 ح5.

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) هذه هي الصورة المقابلة للبائسين الخاسرين من المنافقين والمنافقات فإنهم في ظلمات وخوف ورعب وعذاب وألم، فالتفتوا إلى المؤمنين والمؤمنات وهم في ذلك العيش الرغيد وطلبوا منهم أن يلتفتوا إليهم ويسعفوهم بقبس من النور يخفف عنهم بعض الأهوال. (قِيلَ اذْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) فجاءهم الجواب إنَّ الفرصة قد فاتت الآن لتحصيل النور لأنه حصيلة أعمالكم التي اكتسبتموها في الدنيا، فكان عليكم أن تلتفتوا إلى هذه الحقيقة في الدنيا فتؤمنوا وتعملوا الصالحات لتتحول إلى نور في هذا اليوم، فإن استطعتم أن ترجعوا إلى الدنيا لتحصيل النور، وذلك مستحيل (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) (ص:3).

(فَصَدَّ رَبِّيَنَّهُمْ بِسُورٍ) ففصل بينهم بجدار عازل كما كانوا في الدنيا منفصلين ومتباينين في سلوكهم واعتقاداتهم ونظرتهم إلى الحياة، وإن كانوا متعايشين في مجتمع واحد وبيئة واحدة فحُجِّدَتْ تلك المباشرة بسور عازل (له باب) لينظر بعضهم إلى بعض من خلاله وليجري بينهم هذا الحديث وليقارن كل من الفريقين حاله مع حال الآخر فيزداد المؤمنون والمؤمنات شكراً لله تعالى على ما انعم، والمنافقون والمنافقات ألماً وحسرة وندامة على ما فرطوا في أمر آخرتهم.

(بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) صفة هذا السور أن ما بداخله الرحمة والسعادة والعيش الهنيء وهو محل المؤمنين، أما خارجه فالعذاب والوحشة والخوف والألم وهو محل المنافقين والمنافقات، ومثاله المدن في ذلك الزمان عندما كانت تحاط بسور متين يحميها من هجمات الأعداء واللصوص والمحتلين والمجرمين، فتجد داخل المدينة البيوت المريحة والشوارع المنظمة والأسواق العامرة والمياه العذبة وسائر أسباب الرفاهية، أما خارجها فالصحراء والوحشة والمخاطر والجوع والظمأ والخوف، وهذا مثال حال الفريقين يوم القيامة.

(يَا آذُنَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) وحينئذ نادى المنافقون والمنافقات المؤمنين والمؤمنات، وعبر بالمناداة وليس (قالوا) ونحوها للبينونة البعيدة بينهما ولم تكن مواضعهم متقاربة، فخاطب المنافقون المؤمنين الذين يعرفونهم ألم نكن معكم في مدينة واحدة وجامعة واحدة ودائرة واحدة ومجتمع واحد بل ربما في بيت واحد كنا نعيش سوية فلماذا حصل هذا التفاوت العظيم بيننا.

ويظهر من بعض الروايات ان المراد بهم المنحرفون عن ولاية أهل البيت (عليهم السلام)، عن الإمام الباقر (عليه السلام) (فيناديكم أعداؤنا وأعداؤكم من الباب الذي في السور ظاهره العذاب: ألم نكن معكم في الدنيا، نبينا ونبينا ونبينا، وصلاتنا وصلاتكم واحدة، وصومنا وصومكم واحد، وحجنا وحجكم واحد). (1)

(قالوا بلى) فأجاب المؤمنون نعم كذا هكذا سوية بأبداننا لكن أرواحنا وعقائدنا وسلوكياتنا كانت متباعدة ومتباينة، ولنضرب مثلاً من واقعكم أنتم الشباب الجامعي فأنتم الموجودون هنا تأتون إلى زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) وتستمعون إلى المواعظ والتوجيهات بينما ذهب آخرون من زملائكم إلى حيث اللهو والعبث والمجون، فيوجد انفصال بينكم في السلوك والرؤى وهذا هو الذي جسّد هذا التفاوت بيننا يوم القيامة.

(ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرتكم بالله الغرور) ومن هنا يبدأ تعدد الأسباب التي جعلت مساراتنا في الحياة الدنيا متباينة، انكم فتنتم أنفسكم واتبعتم الشهوات وسرتم وراء أهوائكم من دون بصيرة وتعقل واتباع لشرائع الله تعالى.

ص: 141

(وتربصتم) إذ كنتم تترقبون زوال الدين والقضاء على أهله وإسكات صوت الحق الذي كان يقض مضاجعكم ويسبب لكم ألماً باطنياً ووخز الضمير.

(واربتم) حيث كنتم تشككون بالعقائد والأحكام الإلهية وتثيرون الشكوك والشبهات حولها لتجعلوا لأنفسكم مبررات لعدم الالتزام بها، وتفاقم ارتيابكم ليشمل حتى أقدس المقدسات كما نسمع اليوم من بعض أذعياء الحداثة تشكيكات في أصل نبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكون القرآن نازلاً من الله وهم مسلمون!!!

(وغرّتمكم الأمانى) خدعتكم وعود الشيطان وأوليائه وعبيده بدنيا مزيّفة وأموال ومواقع وشهوات ونحوها.

(حتى جاء أمر الله) حتى فاجأكم الموت وطويت صفحة أعمالكم وانقطعت عنكم فرصة التدارك والتعويض والإصلاح والمراجعة. (وغرّكم بالله الغرور) ونجح الشيطان بخداعكم والمكر والتغريب بكم وأنتم تتحملون المسؤولية باتّباعكم إياه رغم التحذير الشديد من قبل الله تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِإِنْسَانٍ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء/53) (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) (البقرة/168).

(فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبئس المصير) وكانت هذه النتيجة الحتمية لسوء أعمالهم أن يجتمعوا مع الكفار في النار والعذاب الأليم لأنها هي الأولى بهم والأليق لخبثهم حتى تطهرهم النار وتزيل أدرانهم.

وهنا يلتفت الله تعالى إلى المؤمنين والمؤمنات ويخاطبهم بعتاب رقيق وتساؤل ملؤه الحنان والشفقة بأن يستفيدوا من هذه المواعظ ويطهروا بها قلوبهم ويهدّبوها أنفسهم، وإلا فإنها تقسو وتسود بطول الأعراض عن الموعظة وذكر الله تعالى والانغماس في الملذات واللهات من أجل التوسع في الدنيا، حتى يطبع عليها فلا تنفع معها موعظة والعياذ بالله

تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد/16).

قدّمت لكم هذا النموذج مما أَدْعُو إليه من التفسير المبسّط للقرآن الكريم الذي يعيننا على التدبّر في آياته من دون الحاجة إلى الكتب المعمّقة في التفسير.

قاعدة مهمة في السير إلى الله تعالى:

وأريد أن أركّز من خلاله على الوصف الذي ورد في المقطع (بِاطْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) فهذه قاعدة مهمة في السلوك المعنوي إلى الله تعالى، وهي الالتفات إلى حقائق الأمور لاتخاذ المواقف الصحيحة، وعدم الانخداع بالظاهر وبناء القرارات عليه.

فإن كثيراً من الأفعال والمواقف تبدو في ظاهرها لذيدة ممتعة إلا أنّها تستبطن الشقاء والعذاب والألم، وعلى العكس من ذلك فإن بعضاً آخر منها يبدو ظاهره متعباً مكروهاً إلا أن حقيقته السعادة والنعيم، لذا ورد في الحديث (حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَالنَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) (1).

أمثلة للشباب:

ولنأخذ أمثلة من واقعكم الشبابي الجامعي، فإن البعض قد يتصور أن إقامة علاقات غير مشروعة مع الجنس الآخر فيها لذة وامتعة وسعادة ولكن الحقيقة خلاف ذلك لأن المجتمع سيفرضهما خصوصاً البنت وسيؤثر ذلك على مستقبلها وتسبب تلك العلاقة شقائها، وربما بعض ردود الأفعال المؤلمة، هذا في الدنيا أما ما بعد الموت وفي الآخرة فسيعيشون حالة الألم والندامة والعذاب.

ص: 143

والمثال الآخر بعض الشباب المهووسين بالسفر إلى بلاد الغرب ليعيش حياة مرفهة سعيدة لكنه يضيّع دينه وأسرته وتكون زوجته وأولاده متمردين عليه وخارجين عن إرادته بسبب القوانين المعمول بها هناك.

ومن أمثلتها من يلتحق بجهة سياسية أو دينية أو اجتماعية من دون أن يتحقق من إخلاصها واستقامة سيرتها ومصداقيتها في العمل بما يرضي الله تعالى، يغرونه بمواقع النفوذ وتحصيل المال والامتيازات فتزل قدمه ويتعد عن جادة الاستقامة وتكون عاقبته زلل قدمه عن الصراط.

فهذه كلها امور ظاهرها أنيق وفيها الراحة والدعة والترف والانسياق مع التيار العام إلا أن عاقبتها وخيمة.

وفي مقابل ذلك توجد نماذج أخرى كتعرض الفتاة الجامعية المحجّبة العفيفة إلى ضغط اجتماعي بأن مظهرها غير أنيق وانها متخلفة أو معقدة ونحوها من الأوصاف الاستفزازية.

وكذا الشاب الذي يلتزم بالمظهر المهذب أو يلتزم بالآداب والأحكام الشرعية فيضغط عليه بنفس الطريقة ليستسلم وينهار وينساق معهم، وربما يتبارى زملاؤه الفساق في استدراجه معهم وإنهاء مقاومته. أو الموظف الأمين الملتزم الذي لا يخون الأمانة التي تحت يده فإنه يعاني من استفزاز أقرانه وأنه سوف لا يستطيع أن يعيش كأقرانه ويبقى في الحضيض ولا يتقدم، وما ذلك إلا لحسد هم إياه على سمّوه وعجزهم وضعفهم عن الوصول إلى قمّته.

أو محاولة البعض لثني الملتزمين بالدين -كالصوم في الأيام الحارة أو القيام في الليل البارد للعبادة ونحوها - عن عمله وإيجاد المبررات لترك العمل.

فهذه كلها أمور قد تبدو مكلفة ومتعبة وتحتاج إلى صبر ومصابرة وتحمل للمكاره، إلا أن فيها الفوز والفلاح وحسن الخاتمة.

الاختبار مستمر في الدنيا:

وهذا الاختبار مستمر ما دمنافى الحياة الدنيا، والنجاح فيه يكشف عن الفوز في الآخرة، وستتجلى هذه الحقيقة بوضوح في عصر الظهور، ففي الرواية (يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ثم يحييهم، ومعه جبل من ثريد ونهر من ماء. وإني سأنتع لكم نعمة إنه يخرج ممسوح العين في جبهته مكتوب كافر يقرأه كل من يحسن الكتاب ومن لا يحسن، فجنته نار وناره جنة، وهو المسيح الكذاب، ويتبعه من نساء اليهود ثلاثة عشر ألف امرأة فرحم الله رجلا منع سفيحه أن يتبعه، والقوة عليه يومئذ القرآن فإن شأنه بلاء شديد، يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها فيقولون له استعن بنا على ما شئت) (1).

فالالتفات إلى القاعدة التي ذكرناها يعين على النجاح في تلك الاختبارات وبناء مستقبل معنوي متكامل بلطف الله تبارك وتعالى، وإنما سمينها قاعدة لأنها تعطي رؤية ترمج حياة الإنسان وتنظم أمره والله المستعان.

القواعد من الأحاديث الشريفة

القواعد من الأحاديث الشريفة (2):

ص: 145

1- الدر المنثور: ج 5 ص 354.

2- من حديث سماحة الشيخ (دام ظله) مع حشد من طلبة الجامعات في بغداد يوم الأربعاء 22/1/1433 المصادف 2012/2/15.

والقواعد المأخوذة من القرآن الكريم كثيرة، وكذا الموجودة في الأحاديث الشريفة وأذكر مثلاً لذلك ما ورد في وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (يا أبا ذر: اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فهذه الوصية تؤسس لحالة مهمة في الحياة وهي أن تتعامل مع الله تعالى وتعبده وتطيعه وكأنك تراه لا بالعين لأنه لا تدركه الأبصار، ولكن بالبصيرة والوجدان وبالقلب السليم فتجده حاضراً عندك «أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (فصلت: 53)، فإن لم تكن تراه لغشاوة أورين أو ذنوب أو غفلة، فلا شك أنك تعتقد انه يراك وانك تحت نظره في كل حركاتك وسكناتك فانظر كيف تكون وأنت في محضر الرب المتعال. كتب رجل إلى الحسين (عليه السلام): عظمي بحرفين، فكتب إليه: (من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجيئ ما يحذر)(1). وهي كلمة تختصر الطريق وتحدد وسائل الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية بدل التورط في الوسائل غير الشريفة ثم لا يجني منها غير الخسران، كما لو أحب فتاة وحاول الارتباط بها بعلاقة غير شريفة يورط نفسه ولا يحقق مبتغاه الذي يمكن تحقيقه من أبوابه المتعارفة.

وقد احتوت الأدعية الشريفة على كم كبير من هذه القواعد للسلوك والتربية والتهديب والوصول إلى الكمال فراجعوا دعاء الصباح لأمر المؤمنين ودعاء عرفة للإمام الحسين ودعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد (عليهم السلام).

ولا نحتاج الإطالة في الأمثلة بعد أن اتضحَت الفكرة فأتعبوا أنفسكم في وضع سجل بهذه القواعد لتراجعوه باستمرار وتجددوا معنوياتكم بمطالعة.

هذا شرح مختصر لأصل الفكرة واستعراض سريع لبعض الأمثلة وإلا فإنها تحتاج إلى كتاب مفصل يشرح لنا معنى أن نضع لأنفسنا قواعد، والحاجة إلى مثل هذه القواعد، ومن

ص: 146

أين تؤخذ، وشرح مفصل لجملة من تلك القواعد لتكون خارطة طريق لمريد الكمال والسمو بإذن الله تعالى.

ص: 147

القرآن الكريم يخفف آلام العاملين الرساليين(1)

المواجهة مع الملامن السنن الإلهية:

من السنن الجارية في الأمم عبر التاريخ تعرّض المصلحين والعاملين الرساليين وعلى رأسهم الأنبياء والرسل والأئمة المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) إلى الإيذاء المادي والمعنوي من قبل المتسلطين والطواغيت وأصحاب النفوذ (الذين يسميهم القرآن بالملأ) وأتباعهم من الجهلة والمنتفعين والغوغاء «مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ» فصلت 43 (وَلَسَّ مَعَنَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا) (آل عمران: 186)، ويبيدي الله تبارك وتعالى على لسان أوليائه الحسرة والألم والتفجع لهذا الموقف السلبي «يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» (يس: 30).

صعوبة الإيذاء المعنوي:

ويحكي القرآن الكريم فصلاً عديدة من هذه المواجهة تضمنت أفسى ألوان البطش والقسوة والانحطاط من قبل المعسكر الآخر وأسمى ألوان الصبر والمصابرة والجهد والرحمة والشفقة من أولياء الله وعباده الصالحين، ورغم أن الإيذاء المادي المشتمل على القتل والتشريد والتعذيب الجسدي والسجن والتجويع وغيرها كان قاسياً إلا أن ما يؤلم الصالحين أكثر هو الإيذاء المعنوي بالإعراض عن الاستماع إلى الحق وإتباعه وخلط الأوراق على الناس بالافتراء والكذب وقتل الشخصية بالتسقيط والشويه لان الثاني هو الذي يحول دون نجاح مشروعاتهم الرسالي ويضع الحواجز بينهم - أي المصلحين - وبين

ص: 148

1- من حديث سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) مع وفد مؤسسة الأنوار الثقافية في منطقة المعامل ببغداد يوم 15 ربيع الثاني 1428 المصادف 2007/5/3 جواباً على شكواهم مما يتعرضون له من عدوان وتسقيط وحرمان من أبسط الحقوق من قبل إخوانهم المتسلطين في كتلة الائتلاف العراقي الموحد.

الناس فيؤلمهم ابتعاد الناس وعدم اهتمدائهم إلى الحق وتنعمهم بالرحمة التي جاؤوهم بها من ربهم «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (الأنبياء:107)، أما الأول فإنه يؤدي إلى التعاطف معه والالتفاف إليه واعتناق مبادئه ولو بعد حين للشعور بمظلوميته.

ومما يزيد في شدة وطأة الإيذاء المعنوي أن أتباع نفس الرسل والمصلحين يساهمون فيه عن علم وعمد أو عن جهل وغرور وأنانية بسوء تصرفهم وبعصيانهم وعدم الالتزام بتعاليم قادتهم وبضعفهم وتشتتهم والخلافات بينهم ونحوها، بينما لا يتوقع صدور النوع الأول من الأتباع والموالين.

القرآن الكريم يطيب قلب النبي (صلى الله عليه وآله):

وكان الإيذاء المعنوي أشد على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي وصفه الله تبارك وتعالى «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» (التوبة:128)، لذا كان ربّه الكريم الرحيم يسلي قلبه ويخفف عن آلامه ويطيب خاطره «وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ» (النحل:127)، «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (الحجر: 97-99).

مع سورة القصص:

بل إن سوراً كاملة نزلت لهذا الغرض كسورتي القصص ويوسف (عليه السلام)، فالأولى تصف حالة الاستضعاف التي كان عليها قوم موسى (عليه السلام) حيث كان فرعون يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم وفي ذلك البلاء العظيم ولد موسى (عليه السلام) فكان من لطف الله به وتدييره له أن يأخذه فرعون الطاغية نفسه ويرعاه حتى أصبح رجلاً رافضاً لما عليه فرعون وقومه ثم غادر مصر خوفاً من القتل حتى ورد ماء مدين وتزوج هناك ثم عاد نبياً رسولاً كليماً لله تبارك وتعالى بمعجزة عظيمة يدعو فرعون إلى عبادة الله تبارك وتعالى

واستطاع أن يهدي بمعاجزه سحرة فرعون وآمن به من آمن حتى عبأ له فرعون من الجيوش ما لا قبل لموسى والمؤمنين بهم ففلق الله تبارك وتعالى لموسى البحر وأنجاه ومن معه وأغرق فرعون وجنوده لينتصر موسى (عليه السلام) ويقيم الحق والعدل وقد عبّر الله تبارك وتعالى عن هذا التدبير بتعبير رقيق «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» (طه:39)، أي لتُصنع هذه القيادة الفذة برعاية وتدبير مباشرين من الله تبارك وتعالى، وفي نهايتها تصل السورة إلى الهدف وهو تطيب قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتخفيف عن آلامه التي اشتدت في السنين الأخيرة من وجوده المبارك في مكة حيث حوَّصر ثلاث سنين في الشعب حتى فقد ناصرته خديجة وأبا طالب ثم أمر بالهجرة ومغادرة مكة التي تعلق بها قلبه فوعده الله تبارك وتعالى بأنه عائد إليها «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» (القصص:85)، وما مرت إلا ثمان سنوات - وهي ليست كثيرة في عمر الزمن - حتى تحقق الوعد الإلهي بفتح مكة.

مع سورة يوسف:

وتتحدث سورة يوسف عن ذلك الغلام الصغير الذي حسده أخوته فالتقوه في الجب ليهلك ولم يكن هناك أمل بنجاته لكن التدبير الإلهي أتاه بقافلة لتستقيفخرج مع الدلو وباعوه في مصر إلى عزيزها الذي رباه واعتنى به ثم قرّبه لما وجد عنده علماً وحكمة وتدبيراً وأمانة وصار بيد النبي الكريم مقاليد أمور الولاية بعد وفاة عزيزها وجاء نفس أخوته الذين كادوا له معترفين بجريمتهم طالبين العفو والصفح فتعامل معهم بسمو الأخلاق.

هكذا يلفظ الله تعالى بعباده وهكذا يصنع أوليائه ويدبّر شؤونهم، وهكذا يخيب كيد الباغين والحاسدين والمنافقين والكافرين «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» (فاطر:43).

الدعوة إلى أن نعيش في كنف القرآن الكريم:

إن ما يمرّ بنا اليوم من بلاء وما مرّ بنا أيام صدام وغيره من الطواغيت لا يستحق أن يذكر في جنب ما أصاب أولياء الله الصالحين في الأمم السالفة حيث ورد في الروايات أنهم نشروا بالمناشير وقرضوا بالمقاريض وحفرت لهم أخاديد النار والقوا فيها فقصوا حرقاً، والمتوقع من المتهاكين على السلطة وحب الدنيا أن يفعلوا ما هو أسوأ لولا لطف الله تبارك وتعالى، فخير ما يسليكم ويطمئن قلوبكم وينور بصائرکم ويثبت أقدامكم هو القرآن الكريم فاتخذوه قائداً وهادياً. وقد عشت مثل هذه التجربة مع القرآن ولا زلت أعيش لذة الأيام التي قضيتها في كنفه في ثمانينات القرن الماضي حينما كنت حبيساً في الدار لا ادري في أي لحظة يقبض عليّ الطغاة وبعدموني الحياة.

نحو بناء دولة الحق والعدل:

وإن مما يخفف الآلام والمصاعب ويدفعنا إلى بذل المزيد من الجهود هو أن نلتفت إلى النعمة التي منحنا الله تبارك وتعالى إياها في هذا الزمن حيث تتوفر أعظم فرصة لبناء المستقبل الزاهر لامتنا وبنفض غبار السبات الذي أصابها منذ أكثر من ألف عام، ونمهد لدولة الحق والعدل ببناء أنفسنا ومجتمعنا ومؤسساتنا على أسس الإخلاص والتقوى والعمل الصالح بعيداً عن المتصارعين على الدنيا الفانية الزائلة. لقد كان أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) يتسابقون إلى الموت فرحين مسرورين لان الإمام (عليه السلام) كشف لهم عن بصائرهم فرأوا منازلهم في الجنة أي رأوا نتائج تضحياتهم والمستقبل العظيم لما يقومون به فصغر في أعينهم ما يلاقون من ألم الجراح وهذا التفسير منسجم مع ما نعتقده من تجسّم الأعمال. وإذا كانت تلك التضحيات لإبقاء الحياة وجذوة الضمير في جسد الأمة فإن تضحيات اليوم ستؤدي إلى بعثها من جديد وحركتها نحو بناء دولة الحق والعدل.

القرآن الكريم يوقظ الإنسان من غفلته عن نفسه(1)

التدبر في القرآن الكريم:

لا- ينبغي لكم وأنتم مثقفون واعون وشباب رساليون أن تكتفوا من قراءة القرآن بتلاوة حروفه، بل لابد من التدبر في معانيه للوصول إلى حقائقه، وقد قدمت في أحاديث سابقة أنماطاً للتدبر، ومنها ما أذكره اليوم وذلك بأن تلتفت بلطف الله تعالى إلى قضية معينة لها مساس بالواقع المعاش، ثم تجمّع ما ورد فيها من آيات شريفة حتى تكتمل صورتها، وسيفتح الله عليك وستظهر أمامك حقائق عن تلك القضية، لم تكن ملتفتاً إليها عندما كنت تقرأ كل آية على حدة فتعرف كيفية تشخيصها، وأسباب حصولها، والآثار المترتبة عليها وهكذا.

وليس من الصعب تجميع الآيات المتعلقة بقضية معينة من خلال مراجعة معاجم وفهارس ألفاظ القرآن الكريم كفهرس الألفاظ الملحق بتفسير شير أو تفسير المعين.

ثم تنتقل بنفس الطريقة إلى معاجم كلمات المعصومين ككتاب (غرر الحكم) و (ميزان الحكمة) لتأخذ منها ما يزيد الأمر وضوحاً.

غفلة الإنسان عن نفسه:

ص: 152

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من طلبة كليتي الطب والقانون في جامعة البصرة، وطلبة جامعة الصدر الدينية في مدينة الصدر ببغداد ومعهد الإمام الصادق (عليه السلام) للعلوم الدينية في الناصرية يوم الخميس 13/ج/1433 الموافق 2012/4/5.

وأشير اليوم إلى واحدة من هذه القضايا المهمة وهي غفلة الإنسان عن نفسه، فالإنسان في هذه الدنيا في غفلة (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)(1) وقد تحدثنا في خطاب سابق عن غفلة الإنسان عن قيادته الحقة وهو أمر متصور بسبب الجهل والتشويش والشبهات، ولكن أن يغفل الإنسان عن نفسه أعز الأنفس عليه وأثمن شيء عنده لأنه يستطيع أن يكتسب بها الجنان، فهذا أمر مستغرب.

التعاطي مع النفس:

ومن خلال الآيات الكريمة ستجد التباين الواسع بين البشر في التعاطي مع أنفسهم، فمن مستثمر لها كأفضل ما يكون يقول عنه الله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) (البقرة/270) فتساعده نفسه على الطاعة والتثبيت على الاستقامة (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيثًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ) (البقرة/265) فيخاطبهم الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * اذْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأُدْخِلِي جَنَّاتِي) (الفجر/27-28-29-30).

إلى آخرين فشلوا في الاستفادة منها فكانوا كما وصفهم الله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنهُ وَيَنْتَوُونَ عَنهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (الأنعام/26) (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (النحل/118) (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ) (البقرة/9) (قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأعراف/53)، ويبين القرآن الكريم سبب انحدارهم إلى هذه النتيجة وذلك لانهم (نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر/19) (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (البقرة/9)، انظر كيف كذبوا على أنفسهم (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأنعام/24) فهذه أسباب خسران الإنسان نفسه من خلال مخادعة الإنسان نفسه ونسيان

ص: 153

الله تبارك وتعالى والركون إلى الدنيا، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إن الصفاة الزلال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع)⁽¹⁾.

وتنتهي النتيجة إلى أعظم الخسارة وهي خسارة الإنسان نفسه، فيجعل ثمنها نار جهنم وكان يستطيع أن يجعلها سبباً لنيل جنات المقربين (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (الزمر/ 15).

مواعظ عن النفس من كلمات أهل العصمة (عليهم السلام):

وإذا انتقلنا إلى أحاديث المعصومين (عليهم السلام) فسنجد مواعظ قيمة، فعن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) (إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها) وعنه (عليه السلام) (من باع نفسه بغير الجنة فقد عظمت عليه المحنة) وعنه (عليه السلام) (من باع نفسه بغير نعيم الجنة فقد ظلمها)⁽²⁾ وفي نهج البلاغة (عباد الله... الله الله في أعزّ الأنفس عليكم، وأحبّها إليكم، فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق، وأثار طرقه فشقوة لازمة، أو سعادة دائمة).⁽³⁾

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (أما ترحم من نفسك، ما ترحم من غيرك، فلربما ترى الضاحي من حر الشمس فتظلل، أو ترى المبتلى بألم يمض جسده فتبكي رحمة له، فما صبرك على ذاتك، وجلدك على مصابك، وعزائك عن البكاء على نفسك، وهي أعزّ الأنفس عليك).⁽⁴⁾

وعن الصادق (عليه السلام): (كتب رجل إلى أبي ذر (0): يا أبا ذر أطرفني بشيء من الحكمة، فكتب إليه أن العمل كثير، ولكن إن قدرت أن لا تسيء إلى من تحبّه فافعل.

ص: 154

1- ميزان الحكمة: 2/ 1740.

2- غرر الحكم

3- نهج البلاغة، خطبة 157.

4- نهج البلاغة: خطبة 233.

قال: فقال الرجل: وهل رأيت أحداً يسيء إلى من يحبّه؟ فقال له: نعم، نفسك، أحب الأنفس إليك، فإذا أنت عصيت الله فقد أسأت إليها). (1)

وفي غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عجبتُ لمن ينشد ضالته، وقد أضلَّ نفسه فلا يطلبها).

الواعظ الداخلي:

ولرحمة الله تعالى الواسعة بعباده فإنه لم يكتفِ بالواعظ الخارجي وهم الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وحملة علومهم، فجعل لهم واعظاً من داخل أنفسهم ينهّهم إلى الخطأ وهو ما يعرف ب(الضمير) يحذره من الخطأ قبل وقوعه، ويؤنبه بعد ارتكابه لردعه عن تكراره، بحيث انتشر مصطلح (وخز الضمير) أو (تأنيب الضمير) وهي عبارة عن حالة تألمورفض داخل النفس تؤدي إلى كربة في القلب، تدعو صاحبها لمراجعة نفسه والعودة إلى رشده.

ولكن الإنسان لسوء اختياره يصمّ أذنه عن سماع الواعظ الخارجي ويكبت واعظه الداخلي، اما بمخادعة نفسه وقلب الحقائق ليوهم نفسه إنه ليس على خطأ، وربما يحاول الهروب من صراعه الداخلي من خلال احتساء الخمر وتناول المخدرات، أو بالتكثير من ارتكاب الأخطاء ليعتاد عليها ويميت ضميره.

قصة في من يخدع نفسه:

كثير من الناس يتصور أنه يخدع الآخرين ولكنه في الحقيقة يخدع نفسه، مثلاً شابٌ ينشئ علاقة غير شريفة مع فتاة فيتبجح أمام زملائه بذلك وكأنه حقق انتصاراً واستدرج هذه الفتاة، ولا يعلم انها هي التي استدرجته وخدعه الشيطان بها لأنها سلبت منه دينه وخسر نفسه.

ص: 155

يروى أن أحد الوعّاظ في بلد مقدس يقصده الزوار من دول العالم جمع التجار والكسبة في السوق وقال لهم إنني أحذركم من هؤلاء الزوار أن يخدعوكم، قالوا: كيف ذلك وهم غرباء لا يعلمون شيئاً ونحن نخدعهم ونبيع إليهم الأشياء بأضعاف سعرها، قال لهم: هذا ما عنيته بكلامي فلا يخدعونكم ويورطونكم في المعصية.

وأنتم-أيها الشباب- أكثر المراحل العمرية عرضة للانخداع والغفلة عن النفس، فقد ورد في الحديث الشريف (السكر في أربعة) أحدها سكر الشباب، فمرحلة الشباب سبب للغفلة والطيش والغرور.

إن الشباب والفراغ والجده *** مفسدة للمرء أي مفسدة

ولا- نغفل تأثير الجو الاجتماعي العام الذي يساهم بشكل كبير في هذا التمويه والخداع وقلب الحقائق فيقول لك أنت شاب وعليك أن تتمتع وتلهو وتلعب، ليس هذا وقت الجد والعمل، وإذا أراد الموظف أن يكون نزيهاً قيل له: حشر مع الناس عيد، وهل تستطيع بنزاهتك أن تقضي على الفساد، وهكذا حتى يموت الضمير ويخمد بريقه.

ص: 156

أعطوا للقرآن الكريم دوراً متميزاً في حياتكم (1)

نظم القرآن ومعانيه:

بعض المتحدثين حينما ترد الآيات القرآنية في كلامه يميّزها بالإلقاء عن بقية كلامه فيرتلها، وكذلك دأبت دور النشر في السنين الأخيرة على تمييز الآيات القرآنية بالخط عن بقية الكتاب فتوضع بنفس الرسم القرآني، ولعل غرضهم في ذلك لتنبية القارئ إلى عدم مسّها إلا بطهور ونحوها من الأغراض.

وهذا الفعل المبارك وهو تمييز النصوص القرآنية عن غيرها في محلّه لكننا نفهم منه معنى أوسع من هذا الذي أرادوه، لأنّ نظم القرآن ومعانيه من صنع الخالق تبارك وتعالى فمن الطبيعي أن تتميز عن صنع المخلوقين مهما كانوا متقنين للفصاحة والبلاغة.

قصة سيد قطب:

يروى المرحوم سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) انه كان على ظهر باخرة مسافراً إلى الولايات المتحدة وفي يوم الجمعة أقام صلاة الجمعة وألقى خطبتيها، وكان المسافرون من أديان شتى ولغات مختلفة، فوقف غير المسلمين ينظرون إلى هذا المشهد الغريب عنهم، بينهم سيّدة يوغوسلافية كانت تنصت وتتابع حتى انتهى من الصلاة فسألها عن معنى انشادها وهي لا تفهم العربية، فقالت: لا أدري لكنني وجدت نفسي منجذبة إلى الجو الذي أوجده كلماتك وقالت أن الذي لم أستطع تفسيره هو أن كلمات تخللتها خطبتك كانت تشدني وتجذبني أكثر ولا أعرف لماذا؟ يقول سيد قطب لكنني أعرف أنها الآيات القرآنية التي كنت أضمنّها في خطابي.

ص: 157

1- من حديث سماحة الشيخ يعقوبي مع حشد من طلبة الجامعات والشباب من السماوة وهيئة الوعي للجميع من بغداد يوم السبت 5/2/1434 المصادف 2013/2/16.

هذا هو القرآن الكريم في تأثيره على النفوس وبشفائه للروح وانسجامه مع الفطرة وتطهيره القلب الذي لم يطبع عليه الرين حتى وإن لم يكن يفهم ألفاظه، وهذا هو القرآن الكريم في تميزه عن كلام المخلوقين، وهذا مظهر من مظاهر إعجازه، وربانية صنعه ومصدره.

خلافاً لما يرد في الإشكال الذي واجهه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويردده اليوم مدعو الحداثة والتجديد الفوضوي غير المنضبط، وهو أن القرآن من صنع البشر سواء كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه أو غيره ممن يزعمون أنه علمه، وأجاب القرآن بوضوح (وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) (النحل/103) وقال تعالى (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء/82).

لننتقل في حياتنا من القرآن الكريم:

هذا التمييز للقرآن الكريم يجب أن نحافظ عليه في حياتنا فنعطيه هذا الدور المتميز عن غيره من سائر أولوياتنا فنواظب على تلاوته ونتدبر في آياته ونتخذة دستوراً في حياتنا لا نحيد عنه، ونبراساً يضيء لنا الدرب، ومرجعاً لنا في كل قضاياها وحل مشاكلنا.

فلا نبخل على القرآن بدقائق يومياً في أوقات صلواتنا أو فراغنا لنتلو عدداً من الآيات الكريمة، وقلت مراراً أن الأولى أن تكون في مصحف مؤطر بتفسير بسيط لمفرداته وآياته كتفسير شبر لنحيط ولو إجمالاً بالمعاني العامة للقرآن الكريم، وهو كتاب جليل وضعه مؤلفه بعد مراجعة عدة تفاسير وأطلع على الأقوال المختلفة. وليكن لكل فرد من الأسرة نسخة واحدة على الأقل من المصحف تختص به، والأفضل أكثر من نسخة، هذا غير المصاحف الأخرى الموجودة في الدار.

وأؤكد عليكم أيها الشباب بالعمل بهذه النصيحة فإنكم في بداية حياتكم ونقطة الانطلاق لتأسيس مستقبلكم، فعندما يكون الأساس هو القرآن الكريم وعلومه ومعارفه فإن المستقبل يكون سعيداً قوياً ثمراً بلطف الله تبارك وتعالى، وفي كل الميادين سواء في

دراستك أو عملك وكسبك أو في علاقاتك مع أهلك والآخرين، فضلاً عن العلاقة السامية مع ربك والنبى وآله الطاهرين (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد جربت ذلك في حياتي عندما كنت في بداية العشرينيات من عمري ومنّ الله تعالى عليّ بالأنس بالقرآن وملازمة له ولازلت أحيى بركاته والحمد لله وحده.

ص: 159

معاني القرآن لا تنتهي (1)

لا تحصى عجائبه:

وصف النبي (ص) القرآن بأنه (لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه) (2) فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لأهل البيت (عليهم السلام) غنية بالمعاني وعميقة الفهم، وهي متجددة ومفتوحة لا تنتهي، وكل جيل من العلماء يأتي يبين شيئاً يسيراً منها وما يخفى عليه أكثر بكثير، ويأتي الجيل الآخر ويغترف منها شيئاً وهكذا من دون أن تنتهي تلك المعاني.

وقد يستغرب البعض كيف يكون لكلام مؤلف من هذه الحروف الثمانية والعشرين في اللغة العربية التي تتداولها يمكن أن تكون لها هذه السعة من المعاني، وهذا الاستغراب منشأه القصور والتقصير في معرفة معاني القرآن الكريم وعدم الالتفات إلى من أودعها في هذه القوالب اللفظية وقدرته وعظمته وعلمه.

مثال من الاستصحاب:

ص: 160

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع المؤسسة القرآنية في الغزالية ببغداد يوم الخميس 23/ج/1434/1 المصادف 2013/4/4.

2- الكافي: ج 2 ص 599.

واضرب لكم مثلاً قد يعرفه طلبة الحوزة العلمية أكثر من غيرهم وهي ما يعرف بقاعدة الاستصحاب التي هي من أهم الأبحاث المعمّقة في علم الأصول وكتبت فيها مجلدات ولا يزال البحث فيها مستمراً والتفريعات تتكثر، وأصلها حديث من ثلاث كلمات للمعصوم (عليه السلام) (لا تنقض اليقين بالشك)(1)، أي إذا كنت على يقين من حالة معينة ككونك على طهارة أو أن زيدا حيّ، فتبني على هذا اليقين وترتب آثاره حتى لو حصل لك شك فيها ولا تنقض حالة اليقين إلا بيقين مثله، هذه الكلمات أصبحت محوراً لإبحاث معمّقة تملأ مجلدات ولا يزال البحث فيها مفتوحاً، فإذا كانت ثلاث كلمات في علم ظاهري تفتح هذه الآفاق الواسعة للبحث، فماذا سيفتح من علوم ومعارف إلهية من كلمات القرآن الكريم واني للبشر استيعابها وبلوغ كنهها؟

ديمومة التفاسير والنهضة القرآنية:

لذلك تجد العلماء لا يتوقفون عن التدبر في آيات القرآن الكريم واكتشاف ما يهتدون إليه من معانيها وإدعائها في التفاسير، ومع ذلك لا زالت حقائقه كثيرة خافية على العلماء

ص: 161

1- الفوائد الطوسية للحر العاملي: ص 209.

فضلاً عن غيرهم، وحكي عن السيد الطباطبائي (قده) صاحب تفسير الميزان قوله اننا نحتاج في كل سنتين إلى تفسير، وقد أنهى (قده) تفسيره في عشرين عاماً فهذا يعني أن محاولات التفسير لا بد أن تكون متعدّدة ومتواصلة في الجيل الواحد فضلاً عن الأجيال المتتالية.

إننا نشهد في هذا العصر نهضة قرآنية لا بأس بها ونسأل الله تعالى ان يوسّعها ويزيدها، لكنها غالباً تقتصر على التجويد وتحسين الصوت ومخارج الحروف والنغمات ونحوها، وهذا شيء جيد في نفسه لأن حلية القرآن الصوت الحسن، لكن الاقتصار عليه والوقوف عنده من دون الانطلاق إلى فهم معاني القرآن الكريم واكتشاف أسراره ومعرفة حدوده

ص: 162

الفصل الرابع: الصلاة والتحصين من الأمراض المعنوية

إشارة

ص: 163

الصلاة والتحصين من الأمراض المعنوية(1)

شكوى الشباب:

كثيراً ما ألتقي بوفود الشباب وطلبة الجامعات وأستمع إلى أسئلتهم وهمومهم ومشاكلهم، والسؤال الأكثر تردداً هو: كيف نستطيع مقاومة المغريات والشهوات وأساليب الإفساد وهم يعيشون في بيئة مليئة بأسباب الفتنة والإغراء متزامنة مع فورة الشباب وعنفوان القوى وهيجان العواطف.

وفي الحقيقة فإن المشكلة لا تختص بالشباب، فإنه مادام الإنسان في هذه الدنيا فهو مبتلى بالإغراءات والشهوات والفتن ويخوض (جهاداً أكبر) لمواجهتها كما سَمَّاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث المشهور(2)، ويعزز قوة هذه الضغوط الميل العام للنفس الأُمارة بالسوء نحو الاستجابة لها، مع تزيين الشيطان لها (إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أُمارة وإلى الخطيئة مبادرة وبمعاصيك مولعة) (إلهي أشكو إليك عدواً يضلني وشيطاناً يغويني.. يعاضد لي الهوى ويزين لي حب الدنيا)(3).

الصلاة وسيلة للتحصين:

ص: 165

1- الكلمة التي تحدت سماحة المرجع العنقوبي (دام ظله) من خلال شاشة قناة النعيم إلى الآلاف من طلبة الجامعات والمعاهد العراقية المشاركين في فعاليات ومواكب الوعي الفاطمي مساء السبت 2/1434ج الموافق 2013/4/13.

2- معاني الأخبار : ص 160

3- من مناجاة الشاكين للإمام السجاد (عليه السلام).

والإنسان في هذه المواجهة يحتاج إلى معونة ومناعة وتحصين كالتطعيم الصحي ضد الأوبئة والأمراض الجسدية، وهذه المعونة يحتاجها الإنسان قبل التعرض للامتحان وأثناءه وبعده، فما هي الوسيلة لتحصيل هذه المعونة والتطعيم والتحصين؟ والجواب بكلمة واحدة إنَّها (الصلاة)، ومن دلائل عظمة الصلاة إنها هي هذه الوسيلة التي توفر الحصانة والمناعة في جميع تلك المراحل المترتبة في الفضل والسمو، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (عباد الله، إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله جل ذكره: الإيمان بالله ورساله وما جاءت به من عند الله... وإقامة الصلاة فإنها الملة)(1).

الحماية من المعاصي:

ولبيان ذلك نقول أما قبل الامتحان فيحتاج الإنسان إلى اللطف الإلهي والعناية الإلهية لتحميه من الابتلاء بالمعاصي أصلاً، أو حمايته منها عند عروضها عليه حيث يبصره الله تعالى بحقائق تلك المعاصي المنفرة الموجبة للاشمزاز والتقرّز وليس الاقبال والرغبة، وهذا ما توفره الصلاة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصلاة تستنزِل الرحمة)(2) وعنه (عليه السلام): (ما دمت في الصلاة فإنك تفرّج باب الملك الجبار ومن يُكثِر قرع باب الملك يُفْتَح له)(3) وعنه (عليه السلام) (إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل إبليس ينظر إليه حسداً، لما

ص: 166

1- نهج البلاغة: الخطبة: 110.

2- الأحاديث المذكورة هنا نقلها عن مصادرها في جامع أحاديث الشيعة: 4/29 وما بعدها، وفي ميزان الحكمة: 5/107-135.

3- السابق.

يرى من رحمة الله التي تغشاه(1)، وعنه (عليه السلام): (لو يعلم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما سره أن يرفع رأسه من سجوده). (2).

ومن تغشته رحمه الله وأحاط به جلاله فهو في أمن وأمان وحصن وثيق من الوقوع في شرك إبليس، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الصلاة قربان المؤمن) وكلما اقترب الإنسان من ربه ابتعد عن الشيطان وموجبات الوقوع في المعصية، وإذا وفق الإنسان إلى هذه المرحلة فهي الأكمل والأسمى والأعظم عند الله تعالى حينما لا يجد في نفسه أي ميل للمعصية ولا رغبة له فيها، وبالتالي فهو لا يجد أي مشكلة في اجتنابها.

الثمرة الأبرز لإقامة الصلاة:

وفي المرحلة الثانية أي عند الابتلاء بما يوجب المعصية وحينما يكون بين خيارين أحدهما كبح جماح النفس والفوز بطاعة الله، وثانيهما الانسياق وراء الشهوة والوقوع في المعصية، وهنا يأتي دور الصلاة في زيادة مناعته وتحصينه من الوقوع في المعصية بل أن الثمرة الأبرز لإقامة الصلاة هي هذه، قال تعالى (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت/45)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (اعلم أن الصلاة حُجزةُ الله في الأرض، فمن أحب أن يعلم ما أدرك من نفع صلاته، فليُنظر: فإن كانت حَجَزَتْهُ عن الفواحش والمنكر فإنما أدرك من نفعها بقدر ما احتجَزَ). وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (الصلاة حصن من سطوات الشيطان)، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله (لا يزال الشيطان ذِعراً من المؤمن هائباً له ما حافظ على

ص: 167

1- السابق.

2- السابق.

الصلوات الخمس، فإذا ضيَعهن اجترأ عليه)، وهذه المرحلة وإن كانت أقل درجة من سابقتها لأن الإنسان يجتنب المعصية بمعاناة ومشقة وجهاد، إلا أنها مرحلة عظيمة أيضاً.

الصلاة جبل النجاة:

أما في المرحلة الثالثة: وهي ما بعد الفعل ونفترض أن العبد لم يستفد من بركات صلاته مما أدى إلى سقوطه في الخطأ لسبب أو لآخر فإن الصلاة هي التي تمدَّ جبل النجاة لإتقاده على نحوين:

أولهما: إعادته إلى الحالة الصحيحة وتطعيمه من جديد ضد الانحراف والمعصية وزيادة مناعته بجرعة أكبر، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال - في رجل يُصَلِّي معه ويرتكبُ الفواحش -: (إنَّ صلاته تنهأ يوماً ما، فلم يلبث أن تابَ)، وعنه (صلى الله عليه وآله) قال - في رجل يُصَلِّي بالنهار ويسرقُ بالليل -: (إنَّ صلاته لتردعه).

ثانيهما: إنها تكفّر الإثم الذي ارتكبه وتبييض صفحته التي اسودّت بفعل المعصية وتمنحه فرصة التكامل من جديد، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه أخذ غصناً من شجرة كانوا في ظلّها فنفضه فتساقط ورقه ثم فسّر لأصحابه ما صنع فقال: (إن العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاتت عنه خطاياهم كما تحاتت ورق هذه الشجرة).

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول أرجى آية في كتاب الله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَاً مِّنَ اللَّيْلِ) هود 114، وقال يا علي والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم يفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته

أمه فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهج جار على باب أحدكم فما يظن أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهار خمس مرات أكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي).

موقع الصلاة في الدين:

لهذا كله احتلت الصلاة موقعاً مهماً من الدين.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط؛ إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنّب ولا وتد ولا غشاء).

ولهذا كانت الصلاة مقياس دين الإنسان والتزامه بما فرض الله تعالى عليه، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (لكل شيء وجه، ووجه دينكم الصلاة)، وعنه (صلى الله عليه وآله): (أول ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته، فإن قبلت نظر في غيرها، وإن لم تُقبل لم ينظر في عمله بشيء)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصلاة ميزان، فمن وقى استوفى).

ولذا كثرت الوصايا بها، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (ليكن أكثر همك الصلاة، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين)، ومما جاء في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لأولاده قبيل وفاته (الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء)، وعنه (عليه السلام) (إن طاعة الله خدمته في الأرض فليس شيء من خدمته يعدل الصلاة).

فليس غريباً التشديد في قضية ترك الصلاة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (ما بين المسلم وبين الكافر إلا أن يترك الصلاة الفريضة متعمداً، أو يتهاون بها فلا يصلّيها)، وعنه (صلى الله عليه وآله): (الصلاة عماد الدين، فمن ترك صلاته متعمداً فقد هدم دينه، ومن ترك أوقاتها يدخل الويل، والويلوادي في جهنم كما قال الله تعالى (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) وعنه: (من ترك الصلاة لا يرجو ثوابها ولا يخاف عقابها، فلا أبالي أن يموت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً).

كيفية الصلاة التي تؤدي دورها الكامل في حياة الإنسان؟

ولكي تأخذ الصلاة دورها الكامل في حياة الإنسان لا بد أن يؤتى بها بحدودها وشروطها.

(ومنها) الإتيان بها في أول وقتها، عن الإمام الصادق (ع): (لكل صلاة وقتان: أول وآخر، فأول الوقت أفضله، وليس لأحد أن يتخذ آخر الوقتين وقتاً إلا من علة، وإنما جعل آخر الوقت للمريض والمعتل ولمن له عذر، وأول الوقت رضوان الله، وآخر الوقت عفو الله). وعنه (عليه السلام): (فضل الوقت الأول على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا)، وعنه (عليه السلام): (لفضل الوقت الأول على الآخر خير للمؤمن من ماله وولده).

وروى الشيخ الصدوق في الفقيه بسنده عن حماد بن عيسى: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) يوماً: (تُحَسِّنُ أَنْ تُصَلِّيَ يَا حَمَّادُ؟... قُمْ فَصَلِّ، قَالَ: فَقَمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَتَوَجِّهًا إِلَى الْقِبْلَةِ فَاسْتَفْتَحْتُ الصَّلَاةَ وَرَكَعْتُ وَسَجَدْتُ، فَقَالَ: يَا حَمَّادُ، لَا تُحَسِّنُ أَنْ تُصَلِّيَ؟! مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ أَنْ تَأْتِيَ عَلَيْهِ سِتُونَ سَنَةً أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً فَمَا يَقِيمُ صَلَاةً وَاحِدَةً بِحُدُودِهَا تَامَّةً)؟!

(ومن) شروط تأثيرها الورع عن محارم الله تعالى، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لو صلّيتم حتّى تكونوا كالأوتار، وصّمتم حتّى تكونوا كالحنايا، لم يقبل الله منكم إلاّ بورع).

موانع تأثير الصلاة في حياة الإنسان:

(ومن) أبرز الموانع من قبولها وتأثيرها: 1- عقوق الوالدين، عن الإمام الصادق (عليه السلام) (من نظر إلى أبويه نظر ماقّت وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة).

2- الغيبة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلاّ أن يغفر له صاحبه).

نصيحة وتوصية:

فاهتموا بصلاتكم أيها الأحبة وحافظوا على أول وقتها وواظبوا على أدائها جماعة في المسجد مهما تيسر لكم لتزدادوا نوراً على نور واستريدوا منها فوق الفرائض اليومية، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال لأبي ذر لما سأله عن الصلاة (خير موضوع، فمن شاء أقلّ ومن شاء أكثر) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) لما سئل عن أفضل الأعمال بعد المعرفة قال (عليه السلام): (ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلاة)، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): (صلوات النوافل قُربات كل مؤمن).

خصوصاً صلاة الليل ولو بأقل عدد من الركعات، قال تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) (الإسراء79).

لقد لخصت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذه الأهمية للصلاة ودورها في تهذيب الإنسان وتكامله بقولها في خطبتها (فجعل الله... الصلاة تزيهاً لكم عن الكبر) فالصلاة تنزه الإنسان وتطهره من التكبر والعتو والتمرد والإستكبار والفرعنة التي هي أساس الوقوع في المعاصي وإتباع الشيطان والابتعاد عن الله تعالى ولشدة اهتمامها (سلام الله عليها) بالصلاة سألت أباه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (يا أبتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟ قال: يا فاطمة: من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمسة عشر خصلة، ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره) ثم عددها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فراجع المصدر(1).

ص: 172

1- مستدرک وسائل الشيعة: 3/23.

المحافظة على الصلوات: آخر وصية للإمام الصادق (عليه السلام) (1)

لا تنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة:

في ذكرى استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) نتوقف عند آخر وصية له (عليه السلام).

عن أبي بصير قال: دخلت على أم حميدة أعزّيتها بأبي عبد الله (عليه السلام)، فبكت وبكيت لبكائها، ثمّ قالت: يا أبا محمّد، لو رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثمّ قال: (اجمعوا كلّ من بيني وبينه قرابة، قالت: فما تركنا أحداً إلاّ جمعناه، فنظر إليهم ثمّ قال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة). (2)

ويظهر أن هذه وصية النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته جميعاً، روي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) (قال: لا تتهاون بصلواتك، فإنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال عند موته: ليس منّي من استخفّ بصلواته، ليس منّي من شرب مسكراً، لا يرد عليّ الحوض لا والله) (3)، بل هي وصية كلّ الأنبياء (عليهم السلام)، عن الإمام الصادق (عليه السلام) (أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء). (4)

فلا يغتر البعض بما يقال له أنّه إذا فعل كذا فقد وجبت له الجنة، أو دخل الجنة بغير حساب مما يكثّر منه الخطباء على المنابر من دون ذكر قيوده وشروطه.

ص: 173

- 1- كلمة سماحة الشيخ العنقوبي (دام ظلّه) في ذكرى استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) يوم 25 شوال/1434 الموافق: 2012/9/13.
- 2- الوسائل ج 4 ص 26-27.
- 3- الوسائل ج 4 ص 23-24.
- 4- من لا يحضره الفقيه: 1/210 ح 638.

إنَّ للصلاة أهمية كبرى في الدين ودوراً مهماً في حياة الإنسان ومصيره، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما بين المسلم وبين أن يكفر إلا ترك الصلاة الفريضة متعمداً أو يتهاون بها فلا يصلِّيها). (1)

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (الصلاة عمود الدين ، مثلها كمثّل عمود الفسطاط ، إذا ثبت العمود ثبت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنّب). (2) وعن علي (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنَّ عمود الدين الصلاة ، وهي أول ما يُنظر فيه من عمل ابن آدم ، فإن صحَّت نُظر في عمله ، وإن لم تصحَّ لم يُنظر في بقيّة عمله). (3)

لذا كان مقياس صلاح الإنسان عند أهل البيت (عليهم السلام) هو اهتمامه بصلاته، عن هارون بن خارجة قال : (ذكرت لأبي عبد الله (عليه السلام) رجلاء من أصحابنا فأحسنّت عليه الثناء ، فقال لي : كيف صلاته؟). (4)

فضل الصلاة وثوابها:

وقد ورد في فضل المصلي وثواب الصلاة شيء كثير، عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله عزّ وجلّ إليه ، أو قال : أقبل الله عليه حتى ينصرف ، وأظلّته الرحمة ، من فوق رأسه إلى أفق السماء ، والملائكة تحفّه من حوله إلى أفق السماء ، ووكل الله به ملكاً قائماً على رأسه

ص: 174

1- الوسائل ج 4 ص 43.

2- الوسائل ج 4 ص 27.

3- الوسائل ج 4 ص 34-35.

4- الوسائل ج 4 ص 32.

يقول له : أيها المصلّي ، لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ما التفتّ ولا زلت من موضعك أبداً). (1) وعن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال : للمصلّي ثلاث خصال : إذا هو قام في صلاته حثّت به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء ، ويتناثر البرّ عليه من أعنان السماء إلى مفرق رأسه ، وملك موكل به ينادي : لو يعلم المصلّي من يناجي ما انقتل). (2).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) (قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل في كلّ يوم منه خمس مرّات ، أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟ قلنا : لا ، قال : فإنّ مثل الصلاة كمثّل النهر الجاري ، كلّما صلّي صلاة كفّرت ما بينهما من الذنوب). (3)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل ابليس ينظر إليه حسداً، لما يرى من رحمة الله التي تغشاه). (4).

الصلاة التامة:

إن الصلاة التي تكون لها هذه القيمة لا بد أن تكون تامة في أجزائها وشرائطها التي يذكرها الفقهاء في رسائلهم العملية. عن الإمام الباقر (عليه السلام) (قال : بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلّي ، فلم يتمّ ركوعه ولا سجوده ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : نقر كنقر الغراب ، لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير دين). (5).

المحافظة على أوقات الصلوات:

ص: 175

- 1- الوسائل ج 4 ص 32.
- 2- الوسائل ج 4 ص 33.
- 3- الوسائل ج 4 ص 12.
- 4- الخصال: 632 ح 10.
- 5- الوسائل ج 4 ص 31-32.

ومن المهم جداً لكي تؤدي الصلاة غرضها المنشود وتحقق منها الآثار المباركة: المحافظة عليها في أوقاتها، عن الإمام الصادق (عليه السلام) (قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس لوقتتهنّ فإذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه فأدخله في العظام) (1). وعن الصادق (عليه السلام) - في حديث - : (إنّ ملك الموت يدفع الشيطان عن المحافظ على الصلاة ، ويلقنه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، في تلك الحالة العظيمة) (2). وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (ما من عبد اهتم بمواقيت الصلاة ومواضع الشمس إلا ضمّنت له الرّوح عند الموت، وانقطع الهموم والأحزان، والنجاة من النار) (3).

من خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة انه قال في كلام يوصي أصحابه : (تعاهدوا أمر الصلاة ، وحافظوا عليها ، واستكثروا منها ، وتقربوا بها ، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا: (ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلّين) وإنّها لتحتّ الذنوب حتّ الورق ، وتطلقها إطلاق الربق ، وشبّهها رسول الله بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرّات ، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن ، وقد عرف حقها رجال من المؤمنين ، الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ، ولا قرّة عين من ولد ولا مال ، يقول الله سبحانه: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنّة ، لقول الله سبحانه (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه) (4).

ص: 176

- 1- الوسائل ج 4 ص 28.
- 2- الوسائل ج 4 ص 29.
- 3- بحار الأنوار: 83، ح 5.
- 4- الوسائل ج 4 ص 30-31.

ولأجل أن تصبح الصلاة جزءاً أساسياً من حياة الإنسان لا يستطيع أن يحيا بدونها فقد أمر المعصومون بإلزام الصبيان بالصلاة من وقت مبكر كعمر (6-8) سنين بحسب استعداداته الذهنية وفهمه لما يقال له. روى محمد بن مسلم: أنه سأل أحد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) (في الصبي ، متى يصلي؟ فقال : إذا عقل الصلاة قلت : متى يعقل الصلاة وتجب عليه؟ قال : لست سنين). (1)

ويستغرب الإمام (عليه السلام) من الآباء والأمهات الذين لا يتابعون أداء أطفالهم للصلاة، روى أحدهم قال (سألت الرضا (عليه السلام) أو سئلت وأنا أسمع ، عن الرجل يجبر ولده وهو لا يصلي اليوم واليومين؟ فقال : وكم أتى على الغلام؟ فقلت : ثماني سنين ، فقال : سبحان الله ، يترك الصلاة؟! قال : قلت : يصيبه الوجد ، قال : يصلي على نحو ما يقدر). (2)

الفرق بين الزاني وتارك الصلاة:

إن المتابع لحال المسلمين -خصوصاً في البلدان المترفة والتي تكون فيها فرص المغريات والشهوات كثيرة- يجد عند كثير منهم إهمال أمر صلاتهم، وعدم الالتزام بها في أوقاتها وهذه قضية حيوية وشيء خطير لا بد من معالجته بالالتفات إلى ما ذكرناه من أهمية الصلاة والعقوبة الغليظة على من ضيّعها وأهملها، بحيث لا يُقاس به حتى مرتكب الكبائر كالزنا وشرب الخمر، ويعلّل الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك بقوله (لأن الزاني وما أشبهه إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلاّ استخفافاً بها). (3)

ص: 177

1- الوسائل ج4 ص18-19.

2- الوسائل ج4 ص20.

3- الوسائل: باب 11، 2.

حملة لتفعيل الصلاة في حياتنا:

إن من تكليفنا اليوم وفي كل يوم أن نطلق حملة شاملة لإعادة المسلمين إلى صلاتهم بالإقناع أو بالإلزام لمن كانت له سلطة وقيمة، كالوالدين على أبنائهم، أو إدارات المدارس على الطلبة، وأن تقوم بتيسير السبل لذلك من خلال إنشاء المصليات داخل الجامعات والمدارس والمؤسسات الحكومية، وتفعيل دور المساجد ونحوها من الآليات لتكون ممن تناله شفاعة النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

لذة الصلاة:

إن من استشعر العبودية لله تبارك وتعالى واعتزَّ بها يجد في الصلاة لذة كبيرة، ولا يجد للحياة طعمًا ولا معنى إذا خلت من الصلاة، ولا يكتفي بالصلوات المفروضة لأنه يجد الأوقات بينها كثيرة لا يتحملها بلا صلاة فيتنفل بما يسر الله تعالى له خصوصاً في الليل، فإن ما بين المغرب والفجر وقت طويل.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) -لما سُئل عن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله -قال: (ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم قال: (وأوصاني بالصلاة) (مريم/31)(1) وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (ليكن أكثر همك الصلاة، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين). (2)

ولما سأل أبو ذر الغفاري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الصلاة، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (خير موضوع، فمن شاء أقلَّ ومن شاء أكثر). (3)

ص: 178

1- الكافي: 264/3، ح 1.

2- بحار الأنوار: 77/127 ح 33.

3- معاني الأخبار: 333 ح 1.

ولاشك أن الكلام عن الصلاة لا يستوعبه مجلس واحد، ولكننا أحببنا إثارة أصل الموضوع لأهميته ليكون فاتحة لعمل واسع ياذن الله تعالى، فلنحرص جميعاً على أن نكون ممن أحسن صلاته وأكثرها وحافظ عليها في أوقاتها.

ص: 179

نوازع الخير والشر كامنة في داخل النفس وتستثيرها العوامل الخارجية(1)

إن وجود القيادة والزعامة الجامعة للشروط في الأمة لا يكفي وحده لإحداث التغيير والإصلاح وبلوغ الأهداف المنشودة ما لم تتحرك وتتحفز نوازع ودوافع الخير لدى الإنسان بداخله، وبالمقابل فإن عوامل الفساد والتخريب الخارجية لا يمكن أن تؤثر إذا لم تجد استجابة لها من قبل بعض النفوس المريضة المنحرفة.

وهي سُنَّة ثابتة في هذه الخليقة ويضرب القرآن الكريم أمثلة لها فامراتا النبيين العظيمين نوح ولوط (صلوات الله عليهما وعلى نبينا الكريم وعلى جميع الأنبياء) أتاحت لهما أعظم فرصة للهداية والاستقامة «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ» ولكنهما لم تستثمرا هذه الفرصة ولم تستفيدا منها «فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ» (التحریم: 10) وبالمقابل امرأة فرعون التي عاشت في بيت الطاغية فرعون الذي يريد أن ينازع الله تبارك وتعالى في الربوبية لكنها استشارت عوامل الإصلاح ونوازع الخير في داخلها فأصبحت مثلاً للنجاح «وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (التحریم: 11) وعناصر كلا الاتجاهين موجودة في داخل النفس «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» (البلد: 10) وهو الذي يغلب بعضها على بعض بإرادته ونوع استجابته للمؤثرات الخارجية قال تبارك وتعالى في الزوجين المتخاصمين «وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا» أي الزوجان «إِصْلَاحًا يُوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا»

ص: 183

1- من حديث سماحة الشيخ يعقوبي مع وفد مدينة الدغارة التابعة لمحافظة القادسية معزين سماحته باستشهاد الشيخ ناظم البديري مدير مكتب جماعة الفضلاء في الديوانية، جرى اللقاء يوم 25/شعبان/1428 المصادف 2007/9/8.

(النساء: 35) فالإنسان بإرادته يستطيع أن يمنح النصر في هذا الصراع الداخلي لأحد المعسكرين.

مشاكلنا هي بسبب عدم التهذيب والتربية الصالحة:

بالأمس القريب شهدت كربلاء المقدسة إلى جوار الحضرة الحسينية المطهرة وفي أشرف ليلة بعد ليلة القدر هي ليلة النصف من شعبان، وأعظم مناسبة هي ذكرى ولادة أمل البشرية الموعود المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أحداثاً (1) دامية ذهب ضحيتها (52) شهيداً ومئات الجرحى ستبقى وصمة عار في جبين كل الأطراف الذين خططوا و نفذوا وشاركوا في تلك الأعمال المشينة التي ستقف أمامها الأجيال الآتية مدهوشة عاجزة عن استيعاب ما حصل.

ومهما قيل من أسباب خارجية كالاحتلال وتدخل دول الجوار والصداميين فإنها لا تبرر ما حصل لأن الذين جرت على أيديهم الأحداث هم ممن ينتسبون للتشيع ويدينون بالولاء للإمام الحسين (عليه السلام) والإمام المهدي (عجل الله فرجه) وهذه العوامل

ص: 184

1- كانت مجاميع من الشباب الأحداث تدخل كربلاء قادمة من بغداد بأهاليهم تمجّد قائدها مما دفع قوة الحماية قرب الحرميين الموالية لجهة أخرى إلى استفزازهم وقال مراقبون أنها عملية مدبرة لاستدراجهم فحصل إطلاق نار من قوة الحماية قتل (6) على الأقل وجرح العشرات وأكثرهم من الزوار المحتشدين استعداداً لزيارة النصف من شعبان، وقع هذا الحادث بعد ظهر 13/شعبان/1428 المصادف 2007/8/27 وانقطعت الاصطدامات مساءً وظن الزوار انتهائها فعادوا إلى === نسكهم ولكنها اندلعت نهار اليوم التالي بشكل أعنف وأوسع حيث استعد الطرفان لها وانتشرت مجاميع المتمردين بين الحرميين وأحرقت عدة فنادق وسيارات شرطة وكان القتّاصون يستهدفونهم من أعلى أسطح البنايات والروضة الحسينية الشريفة التي أغلقت أبوابها واحترقت جدرانها مما يلي باب القبلة وكانت حصيلة المواجهات في كربلاء المقدسة (52) قتيلاً و(200) جريحاً، وامتدت العمليات الانتقامية بين الطرفين إلى عدة مدن من العراق.

الخارجية مهما بالغنا في وصف تأثيرها فإنها لا تكون فاعلة إذا لم تجد استجابةً من النفوس المتبعة للهوى وحب الدنيا والسائرة على غير هدى من الله تبارك وتعالى.

العلاج بعيد عن شغاف الحقيقة:

وحتى حينما تقدم مشاريع لمعالجة المشاكل التي تعصف بالبشرية وتفتك بها فإنها لا تمس شغاف الحقيقة لأنها لا تهتم ببناء النفوس الصالحة والنوايا الخيرة والضمائر الحيّة، ولا ينفع ألف حلٍ من الخارج إذا لم يستند إلى عملية تغيير من داخل النفس وهذا ما وجدناه في سيرة الأئمة الأطهار (سلام الله عليهم) فإنهم لم يسعوا إلى تسلّم الحكم بالانقلابات والثورات وغيرها، وحتى حينما وصلت إليهم في فترات نادرة لم يعبئوا بها لأن المهم عندهم (عليهم السلام) بناء الإنسان الصالح ومن ثم المجتمع الصالح، أما تسلّم الحكم من دون إنشاء هذه القاعدة الرصينة فسيحول الحالة إلى صراع على الدنيا والنفوذ والاستئثار بالثروات وهذا ما نشهده على الساحة السياسية اليوم ويفسر أحداث كربلاء الأليمة.

ولا أجد جهة اليوم تهتم بهذه الركيزة الأساسية لذا فالمعوّل عليكم أنتم أتباع المرجعية الرشيدة أن تلتفتوا إلى هذا النقص الخطير وتقودوا حركة بناء المجتمع الصالح تأسياً بما قام به الأنبياء والمرسلون والأئمة المعصومون (سلام الله عليهم) وقد حظي هذا الخط الشريف بنخبة المجتمع من المثقفين والأكاديميين والمتدينين الواعين المخلصين واعترف الخصم قبل الصديق بهذه الحقيقة والآمال معقودةً عليكم.

صحيحٌ أن هذا العلاج طويل الأمل ولا يؤتى ثمره في الزمن القريب لكنه هو الطريق الصحيح للوصول إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة (وإنما يعجلُ من يخاف الفوت) ولا يخاف الفوت من سار بهذا الطريق على هدى الصالحين ، وان تسبب في تحمل التضحيات والحرمان والإقصاء الذي يمارسه الحاسدون المستأثرون، فإن العقاب لعباد الله

المخلصين «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» (القصص:5).

ص: 186

مواجهة التحديات بمعرفة قيمة النفس (1)

الجهاد الأكبر طويل حتى نهاية العمر:

لعلماء الأخلاق جهود وآثار قيمة في تهذيب النفس من الرذائل وتحليلتها بالفضائل وبيان الوسائل والآليات التي تعين الإنسان على النجاح في (الجهاد الأكبر) (2) - وهو جهاد النفس كما سمّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - وهو الصراع الذي ميدانه الأول النفس الإنسانية الذي تتصارع فيها الأهواء والميول والنزعات والإرادات بين العقل والشهوة وبين الخير والشر وبين الحق والباطل وهو صراعٌ مرير طويل يستمر إلى أن تبلغ النفس التراقي وقد ورد في الحديث: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) (3) وقد يتخلص الإنسان من رذيلة في مرحلة معينة لكنه لا يلبث أن يجد نفسه مبتلى بغيرها، فمثلاً تراه بعد أن يجتاز مرحلة الشباب تقوى عنده السيطرة على ميوله الجنسية لكنه قد يبتلى بالطمع أو الأناية أو حب الجاه والسلطة، وهذه أمراض أخطر وأشد فتكاً بالأمة وما الدماء التي تسفك بغير حق والبلاد التي تُخرّب إلا بسبب هذه الرذيلة.

معالم التحلي بالخلق:

وقال العلماء والعارفون إن كل فضيلة تقع بين رذيلتين يمثلان جانبي الإفراط والتفريط فيها، فالشجاعة فضيلة بين رذيلتي التهور والجبن، والكرم فضيلة يقع بين الإسراف والبخل، وهكذا...

ص: 187

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع حشد من طلبة كلية الطب في جامعة البصرة ومواكب عشيرة البدور في الناصرية يوم 9 ذ.ق 1429 المصادف 2008/11/8.

2- معاني الأخبار: ص 160.

3- البحار: ج 67 ص 36.

ورسموا برامج لعلاج الرذائل وقسموها إلى علاج نظري وعملي، ويريدون بالأول مجموعة التصورات والعقائد والمفاهيم التي تسهم معرفتها والاعتناع بها في الحل، أما الثاني فيقصد به الخطوات العملية والتطبيقية التي تؤدي إلى القضاء على الرذيلة الخلقية كإجبار النفس على الإنفاق لكسر البخل، وكالإكثار من الصوم لكبح جماح الشهوة الجنسية. وهكذا.

من عرف قدر نفسه:

ونحن نريد أن نشير اليوم إلى مفردة في العلاج النظري تعينكم على تقوية إرادتكم وعزمكم في مواجهة التحديات وقمع الأهواء والشهوات وذلك بأن يعرف الإنسان قدره، كما ورد في الحديث: (من عرف قدر نفسه لم يوردها موارد الهلكة) فيمكن أن يفهمه كل شخص بحسب مستواه ومجاله، فالقائد العسكري عليه أن يعرف عدد قواته وعدتها قبل أن يخوض أي معركة وإلا فإنه سيهلك نفسه وجيشه وهكذا.

ونريد نحن الآن تطبيقه عليكم لنستفيد منه في التقوي على تجاوز الصعاب والنجاح في مواجهة التحديات الأخلاقية والاجتماعية والفكرية التي تتعرضون لها في الجامعات. فإن الواحد منكم إذا التفت إلى قدر نفسه وكرامته عند الله تبارك وتعالى بحيث ورد في الحديث أن الله تبارك وتعالى يباهي الملائكة بالشاب المؤمن الذي نشأ في طاعة الله تعالى، فهل يرضى شاب يفخر الله تعالى به ويباهي الملائكة وتقرب به عينا الإمام الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) قد ملأ قلبه حب الله تعالى والنيي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) وعُجبت طبيئته بولايتهم المباركة، وقد نجح في حياته حتى بلغ الدراسة الجامعية وأنتم في أرقاها، أقول: هل يمكن لهذا الشاب بعد التفاته لهذه المعاني أن يكون أسير شهواته أو يقع ضحية لغواية من شياطين الجن والإنس وهم لا سلطة لهم على الإنسان إلا بمقدار التزيين والدعوة إلى المعصية حيث يحكي القرآن الكريم: «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا

أَنْ دَعَوْتُمْكُمْ فَأَسَدْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ» (إبراهيم:22) ويلخص هذه الفكرة الحديث الشريف (من كُرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا)(1).

ولذا يوصي الإمام الكاظم (عليه السلام): (وإن أعظم الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها)(2) إذ لا يملك الإنسان نفسين وحياتين حتى يمكن أن يفعل ما يحلوه في الأولى ويجرب النتائج ثم يصحح في الثانية، وإنما هي حياة واحدة ونفس واحدة فلا بد أن يبرمجها على ما ثبت بالدليل الصحيح أنه طريق للفوز والفلاح.

الاستعاذة وطلب العون من الله تعالى:

إن الله تبارك وتعالى يقدر شدة الابتلاءات التي يتعرض لها الإنسان في جهاده الأكبر، وقد أشار الأئمة المعصومون (عليهم السلام) إلى جملة منها لإلغاف نظرنا إليها والحذر والاستعاذة بالله تبارك وتعالى منها وطلب العون منه عظمت آلاءه للصمود في وجهها لاحظ على سبيل المثال مناجاة الشاكين للإمام السجاد (عليه السلام) في كتاب (مفاتيح الجنان) ويقول (عليه السلام) فيها (إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمانة، وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةٌ، وَبِمَعَاصِيكَ مُوَلَعَةٌ، وَلَيْسَ خَطْبُكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسَلُّكَ بِي مَسَالِكِ الْمَهَالِكِ، وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكِ) ويقول (عليه السلام) فيها (إلهي أشكو إليك عَدُوًّا يُضِنُّ لِي، وَشَيْطَانًا يُغْوِينِي...) ويقول (عليه السلام) (إلهي: إليك أشكو قَلْبًا قَاسِيًا مَعَ الْوَسْوَاسِ مُتَقَلِّبًا، وَبِالرَّيْنِ وَالطَّنْبَعِ مُتَلَبِّسًا، وَعَيْنًا عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ خَوْفِكَ جَامِدَةً، وَإِلَى مَا يَسْرُّهَا طَامِحَةً)(3).

ص: 189

1- تحف العقول: ص 278.

2- الوافي: ج 1 ص 93.

3- مفاتيح الجنان: ص 152.

الدولة الكريمة والفرج الحقيقي يبدآن من داخل النفس(1)

معنى الفرج:

حينما نطلب في الدعاء (اللهم إنا نرغب إليك بدولة كريمة...) فهذا لا يعني أن أملنا يتحقق ودعاؤنا يستجاب بقيام حكومة يترأسها وتضم رجالاً يرفعون لافتات إسلامية أو يتظاهرون بالارتباط بالمرجعية الدينية، وإنما تتحقق الدولة الإسلامية بأن نعيش الإسلام في كل تفاصيل حياتنا ونحكّمه في كل أمورنا وقضايانا وتصرفاتنا «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء:65)، وهذا واضح من أوصاف هذه الدولة في الدعاء (تُعزُّ بها الإسلام وأهله، وتُدلُّ بها النفاق وأهله)، فلا تكون الدولة كريمة إلا حينما يكون رعاياها أحراراً يعيشون بعزة وكرامة وأعداؤهم أذلاء مقهورين.

من معاني الدولة الكريمة:

وقد يتحقق هذا المعنى للدولة الكريمة عند المؤمنين وهم بعيدون عن الحكم وليس لهم في السلطة نصيب، كما كان عند أهل البيت (سلام الله عليهم) ومن الشواهد على ذلك - وإن كانت القضية لا تحتاج إلى شاهد - ما روي عن الإمام الهادي (عليه السلام) لما جلبه المتوكل العباسي من المدينة إلى سامراء وأنزله خان الصعاليك فدخل عليه أحد أصحابه وهو صالح بن سعيد، فبكى رقةً لحال الإمام (عليه السلام) حيث لم يكتفِ

ص: 190

1- يعود تاريخ هذه الكلمة إلى صيف عام 2003 حينما أقيمت في جامع المنتظر في مدينة الحرية ببغداد دورات للأطفال في العطلة، وفي نهاية الدورة استقبل سماحة الشيخ المشرفين عليها ومعلمات الأطفال المشاركين، حيث قام البراعم ببعض الفعاليات في مكتبته ثم تحدّث سماحته، كان ذلك بتاريخ 2003/8/28.

الظلمة بجلبه وإبعاده عن مدينة جده (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أنزلوه هذا المكان البائس فهوّن عليه الإمام (عليه السلام) عن صالح بن سعيد قائلاً له: (ههنا أنت يا ابن سعيد؟ ثم أوماً بيده وقال: انظر فنظرت، فإذا أنا بروضات آنقات وروضات باسرات (1)، فيهن خيرات عطرات وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون وأطيّار وظباء وأنهار تقور، فحار بصري وحسرت عيني، فقال (عليه السلام): حيث كنا فهذا لنا عتيد، لسنا في خان الصعاليك) (2).

الفرج الحقيقي يبدأ من النفس:

وهكذا فحينما ندعو لإمامنا المهدي (عليه السلام) بالفرج وتعجيل الظهور فإن الفرّج الحقيقي يبدأ من داخل أنفسنا حينما نهذبها بطاعة الله تبارك وتعالى وتسير نحو الكمال، وإلا فما الذي نجنيه من ظهور الإمام (عليه السلام) إذا لم نحقق هذه الدرجات في داخلنا؟ ربما سنكون في الصف المعادي له أو مع المتخاذلين عن نصرته حرصاً على مصالح دنيوية أو وضع اجتماعي أو مكاسب سياسية ونحوها. فالدولة الكريمة والفرج يبدأ من داخل النفس ثم يشرقان على الآخرين فإذا عاش المجتمع أجواءً إسلامية وكان سلوكه إسلامياً، وتفكيره مبنياً على أساس الإسلام فهذه هي الدولة الكريمة وهذا هو الفرّج الحقيقي.

متى يتحقق الفرّج؟

وهذا لا يتحقق إلا بمواصلة العمل الدؤوب على صعيد تهذيب النفس وعلى صعيد إقامة المشاريع الإسلامية الإصلاحية في المجتمع وإدامتها وأن لا يكتفي بالعمل

ص: 191

1- لأنق: الفرّج والسرور: والبسر بضم الموحدة الغض من كل شئ والماء الطري القريب العهد بالمطر والبسرة من النبات أولها وفي بعض النسخ بالياء المثناة بمعنى الحسن والجمال.

2- الكافي: ج 1 ص 498.

الارتجالي الذي دافعه وهج العاطفة أو ردود الأفعال وعلينا أن نفهم الأعداء قبل الأصدقاء من الكبار والصغار.

إن اندفاعه هذا الشعب الكريم نحو الإسلام ونشر تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) ليس رد فعل على طول حرمانهم من ممارسة شعائرهم من قبل الطواغيت كما ربما يَصوّر البعض، ولا إنها فرار من الواقع المرير وتعلّق بالغيب للشعور العميق بالإحباط واليأس كما يَصوّر البعض الآخر، وإنما هو نزوع نحو الكمال مبني على القناعة والمعرفة، ولا يمكن إيصال هذه الرسالة إلا بإدامة هذه المشاريع المباركة وبذل الوسع في تأصيلها وترسيخها.

ص: 192

رواية عن القلق من المستقبل:

روى الشيخ الصدوق (0) في كتابه (من لا يحضره الفقيه) بسند صحيح عن أبي هاشم الجعفري (2) أنه قال: (أصابتنى ضيقة شديدة فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) فاستأذنت عليه فأذن لي فلما جلستُ قال: يا أبا هاشم أي نعم الله عليك تريدُ أن تؤدي شكرها؟ قال أبو هاشم: فوجمت فلم أدر ما أقولُ له، فابتدأني (عليه السلام) فقال: ان الله عز وجل رزقك الإيمان فحرم به بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل، يا أبا هاشم إنما ابتدأتك بهذا لأنني ظننت أنك تريدُ أن تشكولي من فعل بك هذا، قد أمرتُ لك بمائة دينار فخذها) (3).

بدأت حديثي بهذه الرواية لأنني قرأت في عيونكم قلقاً على مستقبلكم من حيث صعوبة الحصول على وظيفة حكومية اليوم حيث أصبحت ملكاً للأحزاب المتسلطة، وقلقاً على مستقبل البلد حيث تحدّث الأخ في كلمته التعريفية عن إناطة مواقع المسؤولية بأناس غير كفؤين ولا مخلصين لبلدهم وشعبهم بل إن كثيرين منهم مزورون لشهاداتهم وهمهم ملاً بطونهم وأرصدتهم من المال الحرام.

ص: 193

1- أقام حشد من طلبة كليات الطب والهندسة والعلوم من جامعة البصرة حفلاً لتخرجهم في النجف الأشرف يوم الجمعة 26/ربيع الثاني/ 1432 المصادف 2011/4/1 ضمن برنامج أعدّه لهم زملاؤهم في جامعة الكوفة على مدى يومين كاملين تضمن زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) والمشاهد المشرفة الأخرى، وبعد انتهائهم من الحفل وأدائهم صلاة الظهرين يوم الجمعة، زارهم سماحة الشيخ اليعقوبي في مقر إقامتهم في جامعة الصدر الدينية تمييزاً لهذه المبادرة الكريمة في مقابل حفلات التخرج الماجنة، وألقى سماحته فيهم كلمة، وهذا تقرير لبعض ما جاء فيها.

2- وهو داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار من أجلاء أصحاب الأئمة (عليهم السلام).

3- من لا يحضره الفقيه: ج4 ص401.

القلق المشروع:

وهذا القلق مشروع ومستحسن على كلا الصعيدين أي إيجاد فرصة العمل المناسبة للكسب المشروع وتمكين الرجل المناسب من الموقع المناسب، فهذا سلمان الفارسي الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله): (سلمان منا أهل البيت)(1)

لما استغربوا منه ادخار بعض المواد لمؤنته في البيت وهو الزاهد في الدنيا (فقيل له: يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا وأنت لا تدري لعلك تموت اليوم أو غداً، فكان جوابه أن قال: ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي الفناء، أما علمتم يا جهلة أن النفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت)(2).

ولأن كل غيور على بلده وشفيق على اخوانه يحب لهم أن يكونوا سعداء بأفضل حال ويتمتعون بالحرية والكرامة والرفاه التي هي من حقوق كل إنسان.

النعم العظيمة:

أيها الأحبة: رويت لكم هذا الحديث لأخفف عنكم هذا القلق ولألفت نظركم إلى وجود نعم هي أعظم من كل ما تفكرون به لكن الإنسان يغفل عنها لاعتياده عليها، فيكون تذكرها جزءاً من الحل لأنه يسلي النفس وينعش الروح ويزرع الأمل بغدٍ أفضل ويرقي الطموح، ولنسدّ على إبليس والنفس الأثارة بالسوء وشياطين الإنس منافذ إقناع الإنسان بسوء الظن بالله تعالى الرب الرحيم الكريم الحكيم العليم وهذا ما توحّاه الإمام الهادي (عليه السلام) عندما ابتداءً أبا هاشم الجعفري بهذه الكلمات لأنه (عليه السلام) نظر إليه بعين الله تعالى وقرأ فيه القلق والتبرّم من الحال، والشكوى من تقدير الله تعالى بسبب الغفلة عمّا أنعم به من نعم عظيمة لا تُعدّ ولا تُحصى.

ص: 194

1- الوافي: ج3 ص897.

2- الكافي: ج5 ص68.

أصول النعم الإلهية:

فيذكر (عليه السلام) أن ربك الذي تريد أن تشكوه أعطاك الإيمان بالله وما يتبعه من الإيمان برسوله وبولاية أهل البيت (عليهم السلام) المنجية من النار ومفتاح كل خير، وأعطاك الصحة والعافية التي بها قوام السعادة في الدنيا والآخرة، وأعطاك الكرامة والتفضيل على سائر مخلوقاته «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» الإسراء70، وهذه النعم هي أصول كل النعم الأخرى ولا- تهناً حياة الانسان الا بها مهما تكاثرت النعم الأخرى، أي أن هذه الثلاث يصلح أن نسميها بمصطلح اليوم (البنية التحتية للإنسان)، وهي ما يستحق أن يفرح الانسان بحصوله عليها ويحزن إذا فقدها.

الفضل الحقيقي:

نحن الآن في يوم الجمعة وبعد الظهر وهي ساعة مباركة، وفي سورة الجمعة يقول الله تبارك وتعالى بعد قوله (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) إلى أن قال تعالى (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الجمعة/ 2-4) وقال تعالى (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس : 58) فتزكية النفس وتطهير القلب والمعرفة بالله تعالى وتبدير شؤون الحياة بالحكمة هو الفضل الحقيقي من الله تعالى الذي يُفرح به.

وعلى هذه البنية التحتية ومن هذه الأصول تطلق الأمور الأخرى فتتوفر عندك هذه المحبة للناس والسعي لإسعادهم، وهذا الإخلاص والجد والهمة العالية والنزاهة في العمل، وهذه الغيرة على البلد وشعبه، وهذا الإبداع وإيجاد كل ما هو أفضل، وهذا الطموح المشروع الذي لا يقف عند حد لأن الكمال لا متناهي.

المسؤولية أمام هذه النعم:

ص: 195

وهذا الحديث الشريف يحمّلنا عدة مسؤوليات أمام هذه النعم التي سمينها البنية التحتية وهي:

1- المحافظة عليها وتعزيزها وتميئتها وتعميقها في النفس والروح والعقل والجسد، وعدم الغفلة عنها والانشغال بأمور أخرى مهما تبدو مهمة فإنها ليست بأهمية هذه. 2- إنكم على أبواب التخرج وتحملون شهادات تؤهلكم لفرص عمل جيدة، وستعرض عليكم مثل هذه الفرص إن عاجلاً أو آجلاً بإذن الله، فعليكم أن تختاروا من تلك الفرص ما لا يتنافى وهذه النعم مهما كانت العروض مغرية، فإنها صفقة خاسرة أن تشتري دنيا زائلة فانية بدين قويم يوجب السعادة الأبدية، فراقبوا ربكم وحاسبوا أنفسكم وكونوا أمناء على ما ائتمنكم عليه.

3- ان لا تركزوا كل اهتمامكم في تحصيل الوظيفة، فإن مؤسسات الدولة لا تستطيع أن تستوعب كل الشعب في الوظائف الحكومية فعليكم أن تعملوا عقولكم المبدعة لإيجاد منافذ للكسب المشروع في ما يسمى بالقطاع الخاص، وقد تناولنا أهمية هذا التوجه في أحد خطاباتنا السابقة.

الأمل بالشباب الرسالي:

إن وجود أمثالكم بين أبناء الشعب يجدد فينا الأمل بغدٍ أفضل، وان سوء الحال لا يمكن أن يستمر وان الإصلاح والتغيير نحو الأحسن واقع لا محالة، ومن دون هذا فإن الإحباط واليأس سيقضي على كل أمل نتيجة تسلط المفسدين والمستبدين والمستأثرين الذين اتخذوا مال الله دواً وعباده خولاً، وكأن قدر هذه الشعوب أن تكون مرتهنة بنزوات وأطماع وشره حفنة من السيئيين، وقد عشنا التجربة المرة مع صدام المقبور ورأينا كيف

سخر ثروات هذا البلد المادية والبشرية لنزواته وحماقاتة، وأدخل العراق والمنطقة في حروب وكوارث لا طائل تحتها.

وبين أيديكم الآن ما يفعله صعلوك ليبيا المثير للاشمئزاز والتقزز بتصرفاته الرعناء كيف جعل الشعب الليبي وثرواته دروعاً لحماية نفسه وبقائه في السلطة رغم استبداده بها منذ 42 عاماً.

إن تسلط مثل هؤلاء واستبدادهم بمقدرات الشعوب مظهر من مظاهر تفاهة هذه الدنيا وهوانها على الله تعالى وحماقة من طلبها وركن إليها وجعلها هدفاً له، كما ورد في الحديث الشريف (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء). فالمغرور من غرته، والشقي منفتته كما قال الإمام الحسين (عليه السلام) ولو كانت لها قيمة لمكن أنبياء وأولياءه منها، ولما زهدهم فيها.

لكن هذا في نفس الوقت يلقي على الجميع خصوصاً الشباب مسؤولية التغيير والإصلاح لأنه يبدأ منكم وقد مضت السنة الإلهية على (إنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد/11) وهذا ما استشعره شباب العرب والمسلمين اليوم فسرى فيهم دم النهضة واليقظة لانتزاع حقوقهم وكرامتهم وحریتهم، وتهاوت أمام هذه النهضة عروش الطواغيت.

أيها الأحبة: إن كل تقدم ونجاح تحققونه يدخل السرور على قلب إمامكم المهدي الموعود (عليه السلام) لأنكم ذخيرته وعدته وهو (عليه السلام) ينتظركم أكثر مما تنتظرونه، ويتابع أخباركم كما عبّر (عليه السلام) في رسالته إلى الشيخ المفيد (0) في كتاب الاحتجاج إنه (لا يعزب عنا شيء من أخباركم) (1).

ص: 197

التوجه الى الله تعالى:

إن مجرد تذكر الإنسان انه في شهر رجب أو شعبان أو رمضان أو يوم الجمعة ونحوها فإنه ينال بذلك بركة وألطافاً إلهية. ومن بركات هذه الأزمنة الشريفة ازدياد الهمة والتوجه نحو طاعة الله تعالى وتزداد كلما ازدادت الأيام شرفاً فتكون في شعبان أفضل منها في رجب وهكذا. فعلى المؤمنين أن يستثمروا هذه الفرص لتهديب النفس وتطهير القلب الذي يمثل النتيجة المطلوبة من كل الممارسات والعقائد التي أمر الله تعالى بها فجعل سلامة القلب معيار الفوز في الآخرة «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الشعراء:89).

تطهير القلب:

وجعل تبارك وتعالى من أعظم نعمه على أهل الجنة نزع ما في قلوبهم من أدران وتعلق بالدنيا وحب للأنا «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» (الحجر:47). لأنها تنغص حياته وتكدر صفو معيشته وتشغل فكره، فالأجدر بالمؤمن أن يسعى وهو في الدنيا بتطهير قلبه من هذه الأغلال لكي لا يحرم ولو لحظة من نعيم الجنة.

أن القيمة الحقيقية للأعمال والطاعات التي يؤديها الإنسان هي بمقدار ما تثمر من سلامة القلب وتركيز النفس، لذا حينما يسأل أحدهم الإمام الصادق (عليه السلام) عن كيفية التعرف على مقدار قبول صلاته فأجابه عليه السلام: انه بمقدار ما نهتك هذه الصلاة عن الفحشاء والمنكر.

تهذيب سلوك المجتمع:

لقد كان السلف الصالح مهتمين بتهديب سلوك المجتمع من خلال إلقاء المواعظ والدروس الأخلاقية، وكان لبعضهم منابر معروفة في الصحن الحيدري الشريف كالشيخ حسين قلي الهمداني والشيخ جعفر الشوشترى (قدس الله روحيهما) ويحضر عندهم العلماء المجتهدون والفضلاء وعامة الناس، ولا زال أبناء النجف يروون بعض تلك المواعظ والدروس، وأنا أروي بعضها عن أبي عن جدي عن أبيه الشيخ يعقوب الذي كان من خريجي هذه المدرسة الأخلاقية (رحمهم الله جميعاً).

موعظة من تراث الجد الشيخ يعقوب:

ومما يروى من مواعظه أنه قال يوماً لحضار المجلس: لقد أخبرني ثقة لا يكذب أن لصاً دخل بينكم يريد أن يسرق الأشياء الثمينة منكم فأخذ الحضور غاية الحيطه والحذر وتفقد كل منهم جيوبه، وبعد برهة قال لهم: ألا تصحون من غفلتكم؟! أتحدرون كل هذا الحذر من أجل دراهم بخسة ولا تحذرون من الشيطان الذي يريد أن يسرق منكم دينكم وآخرتكم ويريد أن يضللكم ويغويكم وقد أخبركم بذلك الله تبارك وتعالى أصدق القائلين وتواتر عليه مئة وأربعة وعشرون ألف نبي إضافة إلى الأئمة والعلماء والصالحين!!

المراجعة والتقويم:

لقد ابتلي أتباع أهل البيت اليوم بالسلطة والمواقع والجاه فبرزت عندهم الأمراض القلبية والنفسية بشكل مريع يدعو إلى التشكيك بأصل الإيمان، ورموا عرض الجدار كل تلك الجهود التي بذلها العلماء والشهداء من أجل تربية الأمة وخصوصاً المتصدين منهم للمسؤولية الاجتماعية، مما يدعوننا إلى التوقف للمراجعة والتأمل والتقويم حتى لا نتخبط ونسير على غير هدىً وذلك هو الخسران المبين.

طي مراحل السير الى الله تعالى:

ويمكن للإنسان بلطف الله تعالى بالنية المخلصة والإرادة الصادقة والعزم الراسخ أن يختصر طريق التكامل فيقطع في لحظة ما يقطعه غيره في سنة أو أكثر فإن (طي المسافة) المذكور في كرامات الأولياء لا يختص بالبعد الجغرافي، وإنما يمكن تحقيقها بلطف الله تعالى في البعد المعنوي كالحُر الرياحي فبالرغم من انه عاش عمره في خدمة الطواغيت إلا أن موقفاً عمراً لحظات اتصف بما تقدم جعله في أعلى عليين ودخل في زمرة الشهداء بين يدي أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

قصة عن الإخلاص:

وأعرف شاباً كان أستاذاً في الجامعة التكنولوجية في منتصف السبعينيات وكان مسيحياً وملدّاً الدنيا كلها متاحة بين يديه فهداه الله إلى الإيمان وولاية أهل البيت (عليهم السلام) وتعمق في مدرسة التشيع لهم عليهم السلام حتى أصبح يعقد الحلقات في مساجد الكراة الشرقية لتدريس علوم أهل البيت وأخلاقهم فغاظ ذلك جلاوزة النظام فأعدموه والتحق بالرفيق الأعلى شهيداً محتسباً راضياً مرضياً.

ص: 200

تذكير للمشغولين بالعمل الرسالي (1)

معنى الرسالي:

عرّفنا المؤمن الرسالي بأنه من لا يتوقف عند حدود إصلاح نفسه وإرادة الخير له وإن كان في هذا كفاية لمن يروم النجاة، ولكنه بما يحمل من حب ورحمة بالآخرين يتحرك بعمل دؤوب لإصلاح مجتمعه وتحقيق السعادة لهم ، وهذا هو دين الرسل والعلماء الصادقين مع الله تبارك وتعالى «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» (الأحزاب:39)، «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» (الجن:28).

وهذه النية الصادقة والعمل المخلص لهداية الآخرين وإصلاحهم هي من أعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى وقد وردت أحاديث كثيرة في تفضيل العالم العامل على العابد الزاهد المنزوي والمنكفي على ذاته. فالعمل الرسالي يمثل مرحلة متقدمة على مرحلة إصلاح النفس وتهذيبها .

إصلاح النفس وتهذيبها:

وهنا أريد أن اذكر العاملين الرساليين بأنهم أحيانا ينهمكون في العمل الاجتماعي بكل حماس وهمة ويغفلون في خصم ذلك عن أمور يفترض فيهم أنهم حققوها في المرحلة السابقة أي مرحلة إصلاح النفس وتهذيبها، وهذا نقص بالتأكيد.

الغفلة عن البر بالوالدين:

ص: 201

1- من حديث سماحة الشيخ العقوبي مع حشد كبير من طلبة الدراسة الإعدادية المنضوين في رابطة الطالب الرسالي في الناصرية يوم 4/شوال/1428 المصادف 16/10/2007.

ومادتم شباباً في مقتبل العمر فإنني أذكر لكم مثلاً لتلك الغفلة ، إذ لا يخفى عليكم اهتمام الشارع المقدس ببر الوالدين وحرمة إيدائهما حتى على مستوى قول (أُمِّ) لهما، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (لو يعلم الله شيئاً أدنى من أُمِّ لنهاه عنه ، وهو من أدنى العقوق ، ومنالعقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر إليهما)(1) وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أحزن والديه فقد عَقَّهما)(2) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (من أسخط والديه فقد أسخط الله، ومن أغضبهم فقد أغضب الله، وإن أمارك أن تخرج من أهلك ومالك فأخرج ولا تحزنهما)(4) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (عقوق الوالدين من الكبائر لأن الله عز وجل جعل العاق عصياً شقيماً)(5) وعنه (عليه السلام) (من نظر إلى والديه نظر ماقت وهما ظالمان له- لم تقبل له صلاة)(6).

وقد عايشت الكثيرين ممن عملوا بحماس في الحركة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثين عاماً فوجدت منهم تفریطاً في هذه الخصلة الكريمة ((بر الوالدين)) التي قرنها الله تبارك وتعالى بتوحيده وعبادته في قوله عز من قال: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» (الإسراء: 23) طبعاً نحن لا نتحدث عن مستوى فيما لو أمر الوالدان بمعصية الله تعالى كشرب الخمر أو نزع الحجاب ولا فيما إذا نهيا عن طاعة كالصلاة المفروضة

ص: 202

- 1- الوسائل: ج 21 ص 502.
- 2- النوادر للراوندي: ص 93.
- 3- أمالي الطوسي: ص 13.
- 4- مستدرك الوسائل: ج 15 ص 193.
- 5- الوسائل: ج 15 ص 328.
- 6- مستدرك الوسائل: ج 15 ص 195.

وصوم رمضان فإن حقوقهما تقف عند هذه الحدود كما ورد (لا طاعة لمخلوق بمعصية الخالق)(1).

ولكننا نتحدث عما هو دون ذلك إذ إن الإباء قد يقدمون نصائح وتوجيهات إلى أبنائهم انطلاقاً من طول تجربتهم بالحياة وخبرتهم بأحداثها والوضع الاجتماعي العام والولد لا يقتنع بذلك فيخالفهما ويعاندهما فيتورط في هذه الكبيرة وهي إيذاء الوالدين، وهذا مضرٌ بعلاقته مع ربّه وبعاقبته.

وإذا أردت أن أتحدث عن مثال في تلك الفترة فهو أن الظرف الذي عشناه كان قاسياً من جهة بطش جلاوزة صدام وأمثاله، وكما عبّر هو نفسه -يقتل عشرة آلاف دون أن يرفَ له جفن-، وكان الشباب مندفعين بأعماليراها الآباء لا تستحق الاضطدام مع ذلك النظام الجائر، وإنهم يمكن أن يحافظوا على دينهم وحياتهم من دون إعلان، لكن بعض الشباب كان يعارض أباه وينتقده على هذا الخنوع من وجهة نظره الحماسية، بينما ينطلق الأب من خبرته بقسوة وبتش هؤلاء الطواغيت منذ أن حكموا عام 1963 ثم عادوا إلى الحكم عام 1968 فلم يتورعوا عن التدويب بأحواض التيزاب والقتل بثرامة اللحم والدفن أحياء واغتصاب الحرائر وجلد الأطفال الرضع بالأرض حتى يتناثر دماغهم، وعلى أي حال فقد حصل الذي حصل ولله عاقبة الأمور.

مع السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره):

وأذكر أنني سألت السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) -وهذا مثبت في كتاب قناديل العارفين- عن سبب عدم ممارسته لدور ميداني في حركة السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) وانعزاله في الأيام الأخيرة فقال: لسببين، أحدهما إن أبي (وهو العلامة السيد محمد صادق الصدر الذي صلى على جثمان السيد الشهيد الأول) كان يمنعني من ذلك وكانت له هيبة وطاعة عليّ وعلى السيد الشهيد الأول نفسه، فانظر إلى

ص: 203

عاقبته حيث أطاع أباه كيف قيض الله تباك وتعالى له الدور الكبير في بعث روح الإسلام والعودة إلى الله تبارك وتعالى حينما حانت له الفرصة بعد انتفاضة العام 1991 .

قصة سعد بن معاذ:

كان سعد بن معاذ من سادة الأنصار الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في العقبة قبل الهجرة وعاهدوه على النصرة والفداء وطلبوا منه الهجرة إليه، وكان بيته مقراً للحركة الإسلامية ودعوة الناس إلى الإسلام في يثرب قبل الهجرة، وخاض مع رسول الله صلى الله عليه وآله معارك الإسلام الكبرى بدماءً وأحزاباً وأصيب بسهم في معركة الخندق

وبقي جريحاً إلى أن توفي وشيَّعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه، وعن الصادق (عليه السلام) انه قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقيل له: إن سعد بن معاذ قد مات. فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقام أصحابه معه فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب(1)، فلما أن حنط وكفن وحمل على سريره، تبعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بلا حذاء ولا رداء، ثم كان يأخذ يمينه السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى لحده وسوى اللبن عليه وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رطباً، يسد به ما بين اللبن، فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنني لأعلم أنه سيبلى ويصل البلى إليه، ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه. فلما أن سوى التربة عليه قالت أم سعد: يا سعد، هنيئاً لك الجنة. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أم سعد مه، لا تجزمي على ربك، فإن سعداً قد أصابته ضمة. قال: فرجع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورجع الناس، فقالوا له: يا رسول الله، لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء؟ فقال (صلى الله عليه وآله): إن

ص: 204

1- عضادات الباب: الخشبستان المثبتان على جانبي الباب.

الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء، فتأسيت بها، قالوا: وكنت تأخذ يمينة السرير مرة ويسرة السرير مرة؟ قال: كانت يدي في يد جبرئيل (عليه السلام) أخذ حيث يأخذ. قالوا: أمرت بغسله، وصليت على جنازته ولحدته في قبره، ثم قلت: إن سعدا قد أصابته ضمة؟ قال: فقال (صلى الله عليه وآله): نعم، إنه كان في خلقه مع أهله سوء(1).

انتبهوا لتهذيب أنفسكم:

وأقول لكم إن كل الذين لم ينتبهوا إلى إصلاح أنفسهم وتطهير قلوبهم وتهذيب أخلاقهم فإن عملهم منقوص وبأس مهما تصدروا الواجبات الإسلامية وحملوا من ألقاب دينية أو اجتماعية، وربما أدى بهم خبثهم الباطني إلى الهلاك بعد العمر الطويل، وكل الذين لم يلتفتوا إلى هذه التربية فأنهم ذاقوا بدرجة من الدرجات ألواناً من العذاب عاجلاً أم آجلاً وفضحوا.

وأنت ترى اليوم الكثيرين ممن كانوا في عمرهم قبل ثلاثين أو أربعين عاماً ويزعمون أنهم انخرطوا في العمل الإسلامي منذ ذلك الزمان تراهم اليوم قد تخللوا عما امنوا به وراحوا يتصارعون بقسوة الحيوانات المفترسة على الدنيا وينتهكون من اجل تحقيق مآربهم الأنانية ما حرمه الله تبارك وتعالى، ولو كانت أسس بنائهم سليمة لبقوا مستقيمين. فانتبهوا أيها الأحبة لإصلاح أنفسكم وتحليتها بالأخلاق الفاضلة ولا تغفلوا عن هذا (الجهاد الأكبر) مهما انهمكتم في العمل الرسالي وخدمة المجتمع فإنه يبقى (جهاداً اصغر) وان الله تعالى يعينكم ما دمتم في طاعته، واعلموا أن النفس بعيدة الأغوار معقدة التأثيرات والتجاذبات ولا يفلح في ترويضها وكبح جماحها وتوجيهها إلى الله تبارك وتعالى إلا من أدركه الله سبحانه بلطفه وتولاه برعايته لتجتازوا الامتحان الصعب، كما اجتازه الحر الرياحي حينما وقف يوم عاشوراء وكان قائداً كبيراً في جيش الخليفة الأموي يخير نفسه بين الجنة التي هي مع الحسين وأصحابه وان كان ثمنها الصبر على الموت ساعة، وبين

ص: 205

النار التي هي مع جيش يزيد وكانت مزخرفة بالشهوات والسلطة والنفوذ والدنيا الواسعة فاختار الجنة ومضى شهيداً ووقف الإمام الحسين على مصرعه وقال له (حرٌّ كما سمتك أمك حر، حرٌّ في الدنيا وسعيدٌ في الآخرة)⁽¹⁾ فكانت هذه الشهادة وساماً قلّده إياه سيده ومولاه ليأخذ الجائزة فوراً من رب العزة والجلال.

وهكذا بقي الحر الرياحي رمزاً لكل من انتصر على نفسه حينما يتعرض لمثل هذا الامتحان الصعب ، كما بقي في تاريخنا المعاصر الشهيد الشيخ عارف البصري رمزاً لكل العاملين الرساليين الذين ترقّعوا عن الدنيا وخلصوا لله تبارك وتعالى وتقاتلوا في إعلاء كلمته ونصرة المحرومين والمستضعفين فمضى شهيداً وهو في ريعان الشباب وخلف هذا الذكر الخالد.

ص: 206

1- تاريخ الأمم والملوك: ج 3 ص 325، واللهوف: ص 104، وبحار الأنوار: ج 45 ص 14.

مما يقوي عزيمه الفتیان والشباب في مواجهة المغريات(1)

عناصر الحصانة في المؤمن:

مما يقوي عزيمتكم على طاعة الله تعالى و مواجهات المغريات الكثيرة التي تتعرضون لها في هذا العمر المرهف بالإحساسات والذي يموج بالأمانى والأحلام:

أن تستحضروا صور الفتیان والشباب الرساليين الذين امتلأت قلوبهم بحب الله تعالى فتنازلوا عن كل ملذاتهم الدنيوية لعلمهم بأنها فانية ليفوزوا باللذة الدائمة كالمسلمين الأوائل الذين واجهوا عتوقريش وطغيانها وإغراءاتها والتحقوا برسول الله (صلى الله عليه وآله) وتعرضوا معه لألوان العذاب والأذى ومنهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) (10 سنوات) وصحابة آخرون في عمر (16 سنة) ومنهم الفتى المدلل المترف مصعب بن عمير الذي عاش في وسط أسرة ثرية لكنه تنازل عن كل ذلك وتحمل الجوع والفقر مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصاحبه حتى استشهد في معركة أحد ورق له رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو تستحضر صور فتیان الحسين (عليه السلام) كعلي الأكبر والقاسم وعبد الله ابني الحسن السبط والفضل بن العباس بن أمير المؤمنين وأبناء مسلم بن عقيل بين الحادية عشرة والتاسعة عشرة من العمر، وكان أحدهم يبرز وحده لمقاتلة سبعين ألفاً غير مكثرث بجمعهم حتى أن القاسم يقف ليصلح شسع نعله غير آبه بأمة الضلال التي احتشدت لتقطيع أوصاله، أو ذلك الفتى من الأصحاب الذي دفعته أمه ليستأذن من الإمام الحسين (عليه السلام) ويذهب للقتال، وكان أبوه قد قتل في المعركة، (فقال له: يا بني أخرج فقاتل بين يدي

ص: 207

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع حشد كبير قارب المائتين من طلبة المدارس الإعدادية في الناصرية الذين وفدوا لزيارته وتهنئته بالعيد يوم السبت 10 ذح 1430 الموافق 2009/11/28.

ابن رسول الله حتى تقتل، فقال: أفعَل! فقال الحسين (عليه السلام): هذا شابٌ قتل أبوه، ولعل أمه تكره خروجه، فقال الشاب: أمي أمرتني يا بن رسول الله 1- ... ثم قاتل حتى قتل، وحزَّ رأسه ورمي به الى عسكر الحسين (عليه السلام)، فأخذت أمه رأسه وقالت: أحسنت يا بني! يا قرة عيني وسرور قلبي!... (1). فحينما يشعر الشاب والفتى انه بطاعة الله تبارك وتعالى يكون جزءاً من هذا المعسكر الشريف الناصع فلا شك انه سترتفع همته للحاق بهم خصوصاً وانه لم يكلف بما كُلف به أولئك من التضحية بالنفس وخوض المواجهة الرهيبة.

2- أن تتذكر أن اللذة التي تحصل لكم بتجنبكم لبعض اللذات التي تقترن بالمعاصي هي أكبر وأحلى فإن لذة المعصية زائلة وتبقى تبعثها وتكون مشوبة بالكدر وخوف الفضيحة وغيرها من الآثار السيئة. بل هي في الحقيقة لا لذة فيها ولكن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء تزيّن المعصية، أما إذا انتصر الشاب على نفسه فسيجد في قلبه حلاوة ولذة سامية كما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله): (المنظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله أعطاه إيماناً يجد حلاوته في قلبه) (2).

3- ما قلناه في بعض أحاديثنا (3) وهو الالتفات إلى عظمة مقامكم وسمو منزلتكم بحيث ورد في الحديث (إن الله تعالى يباهي بالشاب العابد الملائكة) (4) فهل يليق بمن يباهي به ربه ملائكته أن يجده ربه على معصية؟ أو أن يهبط إلى مستوى الأشرار والسيئين.

4- التزود المستمر من الألفاظ الإلهية والدفعات الإيمانية التي تشملكم حينما

ص: 208

-
- 1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج 2 ص 21، والمناقب لابن شهر آشوب: ج 4 ص 104.
 - 2- مستدرک الوسائل: ج 14 ص 268.
 - 3- مر في الفصل السابق تحت عنوان: مواجهة التحديات بمعرفة قيمة النفس.
 - 4- كنز العمال: 43057.

تعرضون لها بزيارة مرقد المعصومين (عليهم السلام) والحضور في المساجد والاستماع إلى مجالس الوعظ والإرشاد والتوجيه والمشاركة في الشعائر الدينية وأمثالها.

ص: 209

تزودوا بالموعظة والوعي (1)

المراجعة والتقييم خلال العام:

نحن في نهاية عام هجري هو 1430 ونتطلع مع هلال محرم الحرام إلى عام جديد هو 1431 بناء على ما هو الجاري بين الناس، وإلا فإن في بعض الأدعية ما يشير إلى أن بداية العام تكون في أول رمضان، وقيل أن العام الهجري يبدأ من الأول من ربيع الأول باعتبار أن هجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت في ذلك التاريخ.

وعلى أي حال فإن نهاية العام تمثل محطة للمراجعة وتقييم الأعمال والاتعاظ بما مرّ خلال العام وتصحيح الأخطاء والاستزادة من الأعمال الصالحة، وهو أقل ما يمكن من المحاسبة المأمور بها شرعاً، ومن غفل عنها كثرت سيئاته وتراكم الرين على قلبه حتى يسود والعياذ بالله فلا تنفع الموعظة عندئذٍ، كما ترون كيف أن كثيراً من المتدينين بحسب الظاهر لما تصدّوا للحكم وأقبلت عليهم الدنيا واستطيبوا طعمها انهمكوا في اتباع الهوى ولم تنفع فيهم الموعظة حتى انتشر الفساد والظلم وحانات الخمر والملاهي بشكل لم يسبق له نظير حتى في العصور السابقة.

تزودوا من الموعظة:

فاجعلوا زادكم الموعظة واحيوا بها قلوبكم ولا تغفلوا عن ذكر الله تبارك وتعالى. واعقدوا العزم على أن تكون الصفحات البيضاء التي تنشر لكم مع بداية السنة الجديدة مليئة بالأعمال الصالحة وكل ما يقربكم إلى الله تعالى. والجأوا إلى الله تبارك وتعالى بطلب الصفح والمغفرة عما مضى فانه غفور رحيم ويغفر الذنوب جميعاً لمن عزم بصدق على التوبة.

ص: 210

1- («1») من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع حشد كبير من طلبة كلية الطب/ جامعة البصرة وجامعة الصدر الدينية في كربلاء المقدسة يوم الخميس 29 ذي الحجة 1430 المصادف 2009/12/17.

الفرح لمن بلغ الأهداف:

ومع بداية العام الجديد اعتاد الناس على إقامة الأفراح وتبادل التهاني، خصوصاً في بداية العام الميلادي حيث يعمّ الفسق والفجور ولا أدري بماذا يفرحون، وهل جزاء فضل الله تعالى عليهم بإبقائهم أحياء أصحاب معافين أن يعصوه بهذا الفظائع؟

إن من يحقّ له الفرح هو من بلغ الهدف وحقق النتائج المرجوة كالتالي الذي نجح في الامتحان ويتفوق فانه يفرح أما أن يفرح الفاشل فهذا ضرب من الجنون، فهؤلاء الفرحون بالعام الجديد هل نجحوا في امتحانهم في هذه الدنيا؟ وهل حققوا الأهداف التي خلقوا من أجلها؟ الجواب: لا طبعاً فبماذا يفرحون؟.

افتتاح السنة بذكرى الحسين (عليه السلام):

أما شيعة أهل البيت (عليهم السلام) فإنهم يفتتحون العام الجديد بذكرى استشهاد أبي عبد الله (عليه السلام) فيحيون شعائرها ويستلهمون الدروس من تلك الثورة المباركة.

وكيفية التعاطي مع قضية أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) تختلف أشكالها بحسب الأشخاص فقد يقبل من العامة ما لا يقبل من النخب المثقفة الواعية، وعلى الإنسان أن لا ينساق وراء بعض السلوكيات الاجتماعية مهما كانت صالحة في نفسها ويغفل عن دوره المطلوب منه، ونحن في عالم مليء بالتحديات المتنوعة فلا يعذر أحد عندما يترك موقعه من العمل اللائق به ويذهب ليؤدي دور غيره فتحصل ثغرة في كيان الإسلام والمسلمين وإضرار بالمصالح العامة وأقرب مثال اذكره لذلك هو هل يجوز لرجل الأمن المكلف بحماية الزوار من هجمات الإرهابيين المتوحشين أن يذهب للمشاركة في توزيع الطعام أو اللطم على الصدور ويترك ظهور المؤمنين معرضة لرصاص الغدر؟

انصروا الحسين (عليه السلام) بوعيكم:

فانتم من الطلائع الواعية للمجتمع ولا بد أن تكون نصرتكم لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) بالشكل الذي يناسبكم والذي يُعرف من خلال القراءة الواعية لتلك الثورة المباركة، مثلاً مواجهة الشبهات التي يلقيها أعداء أهل البيت (عليهم السلام) والفتن التي تعصف بالمجتمع، فلا يزال يوجد من يتهم الشيعة بتحريف القرآن ويظهر على شاشات الفضائيات وهو يعلم أنه مفتر آثم فما هي إذاعات القرآن الكريم والفضائيات في البلاد الشيعية هل تتلو غير هذا القرآن الموجود في أيدي جميع المسلمين والمطبوع في القاهرة ودمشق والرياض، ويحجّ مئات الآلاف من الشيعة إلى الديار المقدسة فهل وجدوا عندهم غير هذا القرآن؟ وما هي كتب الشيعة وأحاديثهم التي تستدل بآيات القرآن فهل وجدوا فيها حرفاً زائداً؟

وعلى صعيد آخر ترون كيف أن أدعاء المهودية والمولوية والسفارة والسلوكية لا يقطع منهم رأس حتى يبرز آخر مستغلين الجهلة والقلقين والمندفعين والمتعصبين وأمثالهم.

وترون الدول المستكبرة كيف تخلق الأزمات لشعوب العالم لابتزازها وإخضاعها فمن أنفلونزا الطيور إلى أنفلونزا الخنازير إلى أنفلونزا الماعز الذي أعلنوا عنه قبل أيام بعد أن كسبوا المليارات من إشاعة الرعب والقلق من سابقه.

وخلاصة ما تقدم أن تتسلحوا لصالح دنياكم والفلاح في أفعالكم بالموعظة والوعي، وتوجد مصادر كثيرة لتحصيلهما كالكتب والمحاضرات والمجالس الحسينية فاستفيدوا منها.

فرص التكامل للشباب أكثر(1)

إصلاح النفس من أول العمر:

مما قاله لي السيد الصدر الثاني (قدس سره) في مراسلاته الأخلاقية - وأنا كنت في العشرينيات من عمري - أن من نعم الله عليك أن تلتفت إلى تهذيب نفسك وتربيتها في وقت مبكر، لأن العمر كلما طال ازداد الرين على القلب، مما يؤدي إلى قسوته واستكباره عن سماع الموعظة وقبول الحق حتى يطبع عليه والعياذ بالله تعالى، لذا ورد في أدعية الإمام السجاد عليه السلام (وَيْلِي كَلَّمَا طَالَ عُمْرِي كَثُرَتْ مَعْاصِيِّي!) (2)، فهذه أول الفرص للشباب أنهم قريبون إلى الفطرة والنقاء لم يطبع على قلوبهم فتكون استجاباتهم للحق سريعة كما تشهد بذلك الحركات الرسالية عبر التاريخ.

فرص الشباب:

والفرصة الأخرى: الامتيازات التي تعطى إليهم، فقد ورد في الحديث (إن الله تبارك وتعالى يباهي الملائكة بالشاب الذي ينشأ في طاعة الله) فعندكم فرصة أن تكونوا ممن يباهي به الله ملائكته ويحتج بكم عليهم، وهذا يزيد من دافعكم نحو الالتزام بالدين وحسن السيرة.

والفرصة الثالثة: وجود موارد للطاعة عندكم لا تتوفر لغيركم كبر الوالدين وأكثر الشباب لهم والدان وهذه تمثل فرصة عظيمة للطاعة من خلال البر بهما والإحسان إليهما

ص: 213

1- من حديث سماحة الشيخ العنبري مع حشد من طلبة إعدادية الحنافة في النجف الأشرف ومدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) في مدينة الصدر ببغداد يوم السبت 4 ع 1431 المصادف 2010/3/20.

2- مفاتيح الجنان: ص 605.

بينما من هو مثلي لا والدين له يكون قد حُرم من هذه الفرصة إلا من خلال الإحسان إليهما بعد وفاتهما بالأعمال الصالحة.

والفرصة الرابعة: قلة المشاغل والمشاكل التي تورث الهم وتشوش البال وهذه كلها معوقات للتكامل فالشباب في سلامة منها لأنه عادة مكفول المعيشة وكل لوازم الحياة بوالديه حيث يأتيه رزقه من طعام وشراب وملبس ومصروف يومي جاهزاً بلا مؤونة في الغالب.

والفرصة الخامسة: أنه غالباً في صحة وقوة بدنية ونشاط وهمة عالية وهذه كلها من مقومات الأعمال الصالحة أما من تقدّم به السن فإن الأمراض تظهر عليه وقوته تضعف فيعجز عن أداء الكثير من الطاعات.

وهكذا تتكاثر فرص الخير أمام الشباب، لذا ورد في وصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه): (يا أبا ذر اغتتم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) (1).

فإن إضاعة أي من هذه الفرص للطاعة غصة توجب الحسرة والندامة.

الانتصار أمام المغريات:

نعم إن المغريات أمام الشاب كثيرة، لكن هذه كلها ليست معوقات للتكامل بلطف الله تعالى، بل ربما هي مفيدة للتكامل لأنها تزيد من الهمة والإرادة لمواجهتها حتى يشعر بزهو الانتصار عليها.

ص: 214

1- البحار: ج 74 ص 75.

فالشباب يحبون اقتحام الصعوبات حتى يحققوا الانتصارات ويفرحوا بها ولا يحتاج الأمر من الشباب إلا إلى الاعتصام بالله تبارك وتعالى وتقوية إرادته. فإذا جعل أمام عينيه مثلاً الحديث الشريف: (النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه)(1) فإنه سيكون أكثر إصراراً على مواجهة هذه الإغراءات.

دونوا ما ينفعكم:

ومن الوسائل التي تعينكم في حياتكم التكاملية هذه أن تتخذوا لأنفسكم مفكرة أو دفتر ملاحظات يدون فيها أحدكم ما يؤثر فيه ويتفاعل معه من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والكلمات الحكيمة القصيرة كالذي يعرض في الشريط أسفل الشاشة على بعض الفضائيات، فإن مثل هذا التفاعل يعني أن هذه الكلمة رزق ساقه الله إليك.

من الخواطر التي كتبتها:

وأقول لكم هذه الخاطرة لأنني استفدت منها في صباي قبل أن أبلغ الحلم، ولا زلت احتفظ ببعضها وكنت اكتب التاريخ تحت كل كلمة مختارة والموجود عندي مؤرخ شهر 11/1974، وكنت أقلبها بين حين وآخر فتتجدد المعنويات وتتحفز الهمم بلطف الله تبارك وتعالى. وقد ضمّ حديثنا اليوم عدداً من هذه الأحاديث التي توجّه بوصلة حياتكم إلى ما يرضي الله تبارك وتعالى.

يقول بعض الأخلاقيين إن أول صدمة يواجهها الإنسان حين موته قبل صعوبات القبر والبرزخ وغيرها، هو حينما يعلم أن ما نزل به هو الموت وإن عمره قد انتهى وهذا يعني أن باب العمل قد أغلق عليه، فلا يستطيع أن يستزيد ولو ذرة من عمل الخير إلا ما يهدى إليه من أهله أو أحبائه، فيصاب بالذهول والألم والندامة والحسرة على كل لحظة أضاعها بغير

ص: 215

عمل صالح، فبينما أفنى عمره في اللهو والغفلة والانشغال بالدنيا الزائلة وزينتها وقضى عمره يخطط لأفكار ومشاريع لا تنتهي حتى خطف منه الموت كل تلك الأحلام، فيضغط عليه هذا الألم بقوة وتعصره الندامة، فيكون ممن قال فيهم رب العزة والجلال «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (الزمر: 56-58).

من حاول شيئاً في معصية الله:

ومما انصح أن تثبتوه في دفتر ملاحظاتكم قول الإمام الحسين (عليه السلام): (من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجيبى ما يحذر)⁽¹⁾، لأنكم قد تعرض عليكم رغبات وأمور تريدون تحقيقها وربما يحاول البعض ذلك ولو بأساليب محرمة ككسب المال، أو العلاقة مع الجنس الآخر فينشئان علاقة حب غير شرعية ويتواعدان ويخلوان خلوة محرمة وهكذا تزل بهم الأقدام، بينما يمكنهم أن يصبروا ويصرفوا البيوت من أبوابها التي أحلها الله تبارك وتعالى، فهذه الكلمة القصيرة من الإمام الحسين (عليه السلام) توفر عليكم الوقت والجهد وتعطيكم النتيجة قبل العمل، بأن من حاول أن يحقق ما يريد بأساليب محرمة فإن ما أراد تحقيقه سيفوته، ويتحقق له عكسه وهي النتائج التي يحذر منها، فمثل هذين الشاينين الذين خدعهما الشيطان سيفتضح أمرهما ويتعرضان للإهانة الاجتماعية وربما للعقوبات ويدمر مستقبلهما ولا يحققان ما أرادا، وإن صوّر لهما الشيطان غير ذلك، فهذه الكلمات المباركة هي خلاصة معرفة إلهية وخبرة حياة وحكمة عميقة.

ص: 216

الدنيا بحر عميق فما هي سفينة النجاة؟

الدنيا بحر عميق فما هي سفينة النجاة؟(1)

من مواعظ لقمان الحكيم:

إشارة

كان لقمان الحكيم كثير المواعظ لولده وحكى لنا القرآن الكريم جملة منها في سورة لقمان، ونقل الأئمة المعصومون سلام الله عليهم لنا عنه مواعظ كثيرة، ومن تلك المواعظ ما أحفظه منذ أربعين عاماً عندما كنت أرافق والدي (رحمه الله تعالى) في مجالسه، وهي مروية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن لقمان وعظ ولده فقال (يا بني أن الدنيا بحر عميق، قد هلك فيه عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله، واجعل شراعها التوكل على الله، واجعل زادك فيها تقوى الله، فإن نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك)(2).

معنى تشبيه الدنيا بالبحر:

نعم الدنيا بحر متلاطم الأمواج، بحر في مغرباته وشهواته وأهوائه وميوله وأحلامه فمن حب المال إلى حب النساء إلى حب الجاه والسلطة إلى اللهو واللعب وغيرهما مما يزيّنه الشيطان.

وبحر في مسؤولياته، فالإنسان مكلف بواجبات ومسؤوليات أمام خالقه العظيم وأمام إمام زمانه (عليه السلام) وأمام نفسه وعائلته ومجتمعه وأمام الملائكة والتاريخ وغيرها.

وبحر في تحدياته التي تتجاذب الإنسان في كل اتجاه وتجعله يعيش صراعات متنوعة.

فالدنيا بحر عميق حقاً لا يقوى الإنسان وحده على امتطائه بسلام ليصل إلى الغاية

ص: 217

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع حشد من الوفود والزوار، بينهم هيئة الشباب الرسالي في الشعلة والغزالية، وأساتذة وطلبة جامعة الصدر الدينية - فرع مدينة الصدر ببغداد، وموكب شباب أنصار المصطفى في ذي قار يوم الخميس 15 ع 1431 المصادف 2010/4/1.

2- بحار الأنوار: 13/411.

لذا (هلك فيه عالم كثير) ولم يكتب النجاة إلا لقلّة القليلة، كما أخبر تعالى («ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ») «وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّكُورِ» «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ».

وتستطيع أن تدقق بلغة الأرقام فدّون عدد البشر اليوم ثم أبدأ بإنقاص أهل الملل والنحل والديانات لتصل إلى النتيجة المرعبة.

كيف ننجو من الدنيا؟

وإذا عرفنا أن الدنيا بحر عميق ونحن في عمق هذا البحر، فإن السؤال الطبيعي هو كيف ننجو؟ أو ما هي سفينة النجاة؟ وهنا يكمل لقمان الحكيم فيذكر السفينة وهي الإيمان بالله تعالى وتوحيده حقاً وفعلاً، وهذا ما ورد في أول كلمة أطلقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) وردّها أبناؤه المعصومون (عليهم السلام) (لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي) (1) وشرعها التوكل على الله «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» وزادك فيها التقوى «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ».

سفن النجاة:

وهذه الكلمات العميقة من لقمان الحكيم تحتاج إلى من يفسّر رها ويفصّل معانيها ويبيّن تطبيقاتها وحدودها وأحكامها، وهذا ما تميزت به شريعة الإسلام حتى جعلها الله تعالى خاتمة الرسالات وأكملها، فهي تتواصل مع الشرائع السماوية السابقة بالمبادئ السامية والقيم النبيلة إلا أنها تزيد عليها تفصيلاً وبياناً وسعة وشمولاً، وهذا العنوان في مواعظ

ص: 218

لقمان وهي (السفينة) وردت على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)(1).

وسمى العلماء الصالحون الهداة في الأحاديث (سفن النجاة)(2) لأنهم خلفاء الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) والأمناء على شريعتهم والمبلغون لرسالتهم.

وهكذا تجد التواصل والوراثة مستمرة بين حلقات هذه السلسلة الكريمة من الرسل والأنبياء والأئمة والعلماء الصالحين.

كونوا من سفن النجاة:

ويستطيع كل واحد منكم أن يكون سفينة نجاة بدرجة من الدرجات حينما يعلم غيره مسألة شرعية يجهلها أو يوصل له موعظة ينتفع بها، أو يصدّه عن معصية أو انحراف أو ظلم، أو يهديه إلى ما فيه رضا الله تبارك وتعالى وصلاح العباد.

ولا ينال ذلك أيها الأحبة إلا بلطف الله تبارك وتعالى وتوفيقه لأنه من الأرزاق المعنوية التي لا تنال بالأسباب الطبيعية، أي أنها تختلف عن الأرزاق المادية، قال تعالى «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» (الأنبياء: 73) «فَجَعَلَ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» «وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً».

فمن شمله هذا اللطف أضاء في قلبه وعقله وجوارحه نور من الله تبارك وتعالى، «وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ» وستزل قدمه، ويضل الطريق في دنياه وآخرته. «قِيلَ ازْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا».

وكونوا - أيها الأحبة - على ثقة بأن الله تعالى كريم يعطي من غير احتساب،

ص: 219

1- المستدرک علی الصحیحین: ج 3 ص 163، کنز العمال: ج 12 ص 94 ح 34144، البحار: ج 33 ص 105.

2- انظر البحار: ج 29 ص 140.

وهو رحيم بعباده، وكلما ظن العبد أن الأبواب مغلقة في وجهه، ولا سبيل إلى النجاة، وإذا باب رحمة الله تعالى تفتح له «حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» (يوسف 110).

ويشبه بعض الأخلاقيين الحالة بما موجود اليوم في الأبنية الراقية حيث تكون الأبواب الخارجية مغلقة فإذا وصل القادم إليها انفتحت تلقائياً، فالعارف بالحال يتوجه نحو الباب وإن رآها مغلقة لأنه يعلم أنها ستفتح له عندما يتوجه إليها، أما الجاهل فيرى عدم الجدوى في التوجه نحو الباب لأنها موصدة في وجهه.

ص: 220

من البلاء ما تستطيع دفعه بنفسك (1)

بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ:

كلنا أصحاب حوائج ندعو الله تبارك وتعالى قضاءها، فالبعض يعاني من مرض ويسأل الله الشفاء والعافية، وآخر حرم من الذرية ويسأل الله تعالى أن يرزقه ذرية صالحة، وآخر يمر بضيق وشدة ويدعو الله تعالى بالفرج، وآخر يعاني من فقر وصعوبات مالية ويدعو الله تعالى بالغنى وسدّ الحاجة، ونحوها كثير مما لا يخفى عليكم.

ولكن الذي يخفى على الكثيرين أن جملة من هذه الصعوبات التي يمرّ بها الإنسان هي من صنعه وكسب يديه، فلو أراد التخلص منها فليتجنب الأسباب التي أدت إليها.

قال تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم: 41) والبلاء هنا سببية أي بسبب ما كسبوا، وإن ما حصل لهم هو نتيجة لبعض ما جنت أيديهم، وإلا فإن استحقاقهم أكثر لكن الله تعالى يعفو بكرمه وحلمه عن كثير، قال تعالى «أَوْ يُوقِعُهنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَأَوْ يُعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (الشورى: 34) أي يهلكهن -وهي السفن في البحر- بأهلهن بإرسال الرياح العاتية عليها بما كسبوا من الذنوب، ولكن الله تعالى يعفو عن الكثير وقال تعالى «وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (الشورى: 30).

دفع البلاء قبل حصوله:

ص: 221

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع طلبة جامعة الصدر الدينية فرع السماوة، وموكب عشاق الحسين (عليه السلام) من الناصرية الذين زاروا سماحته يوم السبت 6 رجب 1431 المصادف 2010/19/6.

والخلاصة أن كثيرًا من البلاء يستطيع الإنسان دفعه قبل حصوله، وليس فقط دفعه بعد حصوله من خلال اجتناب مسبباته، ولكن الإنسان لا يلتفت إلى هذه الحقيقة، أو لا يلتفت إلى ما تكسبه يده من أعمال، وإذا التفت فإن الكثيرين يستصغرون ما يصدر منهم ولا يقدرّون عواقبها، بينما حذر المعصومون من الاستهانة بالذنوب (لا تنظر إلى ما عصيت ولكن انظر من عصيت)⁽¹⁾، فيتساهلون فيما يصدر منهم من كلام مع أن كلمة غير مسؤولة قد تقال هنا وهناك تسبب سفك الدماء وهتك الأعراض وإهلاك الحرث والنسل وكما يتساهلون في التجاوز على المال العام، الذي هو ملك عموم الناس الذين هم أيتام آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المقطوعون عن إمامهم فمن أكل أموالهم كان مشمولاً بالآية الشريفة «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا» (النساء:10)، ولكي نقرب فكرة أن خطأ بسيطاً قد يؤدي إلى عواقب وخيمة، بما يحصل أحياناً من أن غفلة صغيرة من سائق السيارة أو التفاته تؤدي إلى حادث مفرج.

ولذلك تجد في الكثير من الأدعية أن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يعلموننا الاستغفار مما نعلم ومما لا نعلم من الذنوب، وما ظهر منها وما بطن.

قواعد في فهم سنة البلاء:

وهنا نبين عدة ملاحظات لإيضاح الفكرة المتقدمة:

1- إن بعض البلاء يجريه الله تعالى على عباده الذين اصطفاهم ليرفع درجاتهم ولينالوا المقام المحمود عند الله تعالى قال تعالى «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» وفي أخبار مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) إن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال

ص: 222

1- مستدرک الوسائل: الباب 43 من أبواب جهاد النفس، الحديث: 8 من كتاب الجهاد.

له: (إن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة)⁽¹⁾ فهذا نوع آخر من البلاء لا تجري فيه الفكرة السابقة.

2- إن الله تبارك وتعالى حينما يؤاخذ العباد ببعض ذنوبهم فليس ذلك انتقاماً منهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً وإنما يريد لهم الخير وما يصلح حالهم فقد يكون الفقر أصلح لحال شخص من الغنى لأن الغنى يبطره ويبعده عن الله تعالى ويوقعه في المعاصي، ويحرم آخر من الذرية لأنه لو رزق منها لكانت شريرة وبالأعلى عليه بسبب الظروف المحيطة بهم وهكذا.

نعم إن الله تعالى ينتقم من الظالمين لتعد بهم على الآخرين، ولو كانت ذنوبهم بينهم وبين الله تعالى لكان لها حساب آخر.

3- بعض الذنوب اجتماعية عامة لا تقتصر في آثارها على مرتكبيها فقط بل تشمل كل الناس حتى الصالحين قال تعالى «وَأَنْتَقُوا فِتْنَةً لَأَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» ومثل هذه الابتلاءات يدفع ضربيتها ناسٌ لم يكونوا السبب فيها. فهذه العواصف الترايبية التي تحصل ويقال أنها ستستمر لسنين طويلة بسبب التصحر، وهذا الجفاف في الأنهار، وهذا الارتفاع في درجات الحرارة كلها بسبب حماقات وسياسات ظالمة لبعض المتصدين لكن شرها عم 1- الجميع وإن كان أكثر الناس يستحقون ذلك لأنهم هم من انتخب أولئك الحمقى الأنانيين وأجلسوهم في مواقع المسؤولية.

ص: 223

1- البحار: ج 58 ص 182.

في الصراع على الدنيا ثلاث آفات (1)

مشاكل البشرية اليوم:

من يراقب حال البشر اليوم وقبل اليوم من لدن خلق البشرية: يجدهم في صراع مستمر وتنازع وتنافس على كل الأصعدة والمستويات، وتثار الأزمات لأتفه الأسباب، ولنيل مغنم دنيوية لا قيمة لها حقيقة، كالصراع على زعامة العشيرة أو ليكون مختار المحلّة أو للاستيلاء على مكسب ما، أو الصراع على السلطة والحكم والنفوذ والجاه، وتنتهك في هذا الصراع كل المحرمات والمقدسات وأولها سمعة المسلم من خلال التسقيط والافتراء والبهتان والكذب وإنتهاءً بالصراعات المسلحة التي تهلك الحرث والنسل.

ومهما خدع الإنسان الآخرين فإنه لا يستطيع أن يخدع الله تعالى ولا نفسه بان هذا الصراع هو نتيجة نزوات وشهوات وأهواء النفس الأمارّة بالسوء وطاعة لأوامرها التي يحركها الشيطان كيف يشاء، فالدخول في هذه الصراعات والتنافسات انحدار وسقوط وإبتعاد عما أراه الله تبارك وتعالى، ومنشأه جهل وغفلة عن غرض وجوده في هذه الدنيا وما يراد منه ومسؤولياته أمام الله تبارك وتعالى وحجته على خلقه.

فليراجع الكيّس العاقل نفسه وليحاسبها أشد مما يحاسب الشريك شريكه كما ورد في الأحاديث الشريفة .

حديث في الموعظة:

واذكر لكم هنا حديثاً في الموعظة روي عن النبي الكريم عيسى بن مريم سلام الله عليه قال: (في المال ثلاث آفات: أن يأخذه من غير حلّه , فقيل إن أخذه من حلّه؟ قال (عليه السلام): يضعه في غير حقه، فقيل: إن وضعه في حقه، فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى) (2).

ص: 224

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشد ضمّ فضلاء مدن محافظة واسط وأبناء الفضيلة فيها يوم السبت 17/ج/2/1432 هـ المصادف 2011/5/21.

2- كتاب (عقبات الدنيا) من (المحجة البيضاء) للفيض الكاشاني/261.

أقول : ذكر المال باعتباره أوضح أشكال الدنيا، وإلا فإنه ليس الوحيد الذي يقع عليه الصراع، فالسلطة والجاه والنفوذ أقوى تأثيراً من المال، والصراع عليها أشد وأشرس، وأشار الحديث الشريف الى ثلاث أفات تكفي الواحدة منها لإهلاك الإنسان والتسبب الى شقاوة دائمة والعياذ بالله.

في الحلال عتاب:

أولها مصدر هذه الدنيا المطلوبة أي المال هنا بحسب المثال هل إن كسبه مشروع ليس فيه فساد ولا غش ولا أي سبب محرم آخر , وهذه عقبة كؤود ورد فيها أن طلب الدرهم الحلال أهون من ألف ضربة بالسيف وقد لا يحس الشخص بهذه الصعوبة ويجد في الوصف شيئاً من المبالغة لجهله وقصوره وتقصيره، ولكن الحقيقية هي هذه.

وإذا افترضنا أن المصدر كان حلالاً وطريقة الكسب شرعية مئة بالمئة، تأتي المشكلة الثانية وهي كيفية إنفاقه وموارد صرفه، لان الإنسان مستخلف على هذا المال من قبل الله تعالى قال عز من قائل (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسَدِّدِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) الحديد7 والخليفة المؤتمن على المال يجب أن لا يتجاوز ما حدده له المالك الحقيقي للمال، وإلا فسيتعرض للمساءلة والعقوبة على المخالفة، كما لو بخل عن الصرف في مورد الأمر، أو صرف في مورد النهي، وحتى لو صرف في مورد محلل لكنه تجاوز الحد المسموح في الصرف بحيث أصبح مسرفاً فقد جاء فيه قوله تعالى (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) الأنعام141، أو صرفه في غير مسوغ عقلائي أو شرعي فأصبح مبذراً قال تعالى فيه (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) الإسراء26/27، وهذه مرتبة شنيعة أن يكون أخاً وقرينا للشيطان.

الانشغال بالدنيا:

ص: 225

ولو فرضنا انه كان دقيقاً في صرفه وتجنب تلك العقبات المهولة، فانه توجد مشكلة أخرى لا يمكنه التخلص بها وهي الانشغال بمداراة هذا المال وتنميته واستثماره ومداولته ومتابعة السوق والتعامل مع الناس بكل ما يعنيه ذلك من خلافات ونزاعات وحيل ومشاكسات فيشغله ذلك عن ذكر الله تعالى وعن العروج في ملكوته، وكل ما يشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران وانحطاط والعياذ بالله تعالى.

هذه هي الدنيا، وهذه ضريبة اللهاث وراءها، والصراع والتنافس على كل شأن من شؤونها، وأقل ضريبة يدفعها هي انشغال الفكر بالأخذ والرد وتهيئة طرق التغلب على الآخر والتخطيط ووضع المقدمات وحساب النتائج.

الصلاة أول الضحايا:

وأول ضحية هي الصلاة بين يدي الله تعالى وذكره والتفكير في شكره على نعمه، ويضاف إليها القلق والهم، وما يستتبع هذه الخصومة من الكيد والحسد والإيقاع بالآخر، وتستمر قائمة الموجبات للتعاسة، في أمالي الشيخ الطوسي (v) بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله) من كثر همه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عدب نفسه، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته، ثم قال (صلى الله عليه وآله) لم يزل جبرئيل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني عن شرب الخمر وعبادة الأوثان(1)

ص: 226

1- أمالي الطوسي : 512 المجلس 18 الحديث 1119/بحار الأنوار : 72/326 .

التوازن بين سبل الإيمان ووسائل الانحراف

إشارة

التوازن بين سبل الإيمان ووسائل الانحراف (1)

الفساد ونتيجته:

يتحدث الشباب كثيراً عن انتشار وسائل الفساد والانحراف بتنوعها وتطورها وتأثيرها القوي وضغطها على النفوس، لكن التركيز على هذا الحديث والالتفات إليه فيه معنى إيجابي وآخر سلبي.

أما الإيجابي فهو أن نلتفت إلى هذا الخطر ونشخص أسبابه ونضع العلاجات النظرية والعملية له، وهي جزء من وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما السلبي فهو ما نخشاه من كون الدافع إلى هذا الكلام هو إعطاء المبررات لضعف النفس وانسياقها وراء الشهوات والمعاصي بحجة الضغط القوي وعدم استطاعة المقاومة.

ونحن لا ننكر انتشار وسائل الفساد وقوة تأثيرها بعد الانفتاح الإعلامي وتطور وسائل الاتصالات وتقنياتها العالية، لكن مقتضى العدل الإلهي أنه كلما قويت شوكة الفساد والانحراف والضلال فإن سبل الإيمان وطاعة الله تبارك وتعالى تقوى بموازاتها بحيث تحصل حالة من التوازن وتكون حالة الاختيار والإرادة متعادلة بكلا الاتجاهين تطبيقاً لقوله تعالى (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتَةِ وَيْحِي مَنْ حَيَّ عَن بَيْتَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال/42) (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد/10) (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (الإنسان/3).

اللفظ الإلهي يقتضي زيادة سبل الإيمان:

ص: 227

1- من حديث سماحة الشيخ العقوبي (دام ظله) مع حشد من طلبة الاعداديات في قضاء الرفاعي مع بعض أساتذتهم يوم الخميس 21/ذق/1432 الموافق 2011/10/20م.

بل أن مقتضى اللطف والكرم الإلهيين ورحمة الله الواسعة زيادة وسائل الإيمان وأدواته وتحبيبه إلى القلوب وتزيينه إلى النفوس (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَبِّيَنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) (الحجرات/7).

ومن الشواهد عليه ما نطقت به الآيات والروايات الشريفة من أن الحسنه بعشر أمثالها (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) البقرة/261، ومن هم بالحسنه ولم يفعلها كتبت له حسنه ومن عمل سيئه لم تكتب عليه واعطي مهلة للتوبة والاستغفار، فإن لم يتب ولم يندم كتبت عليه بواحدة ويمحوها الاستغفار والتوبة والقيام بالأعمال الصالحة، فالجزاء على الحسنه أضعاف العقاب على السيئه. إذن التركيز على قوة انتشار وسائل الفساد والانحراف مما لا ينبغي الانشغال به، وامام كل هذه الوسائل بدائل مشابهة للإيمان والصلاح، فإذا قلت انه توجد قنوات فضائية كثيرة للفسق والفجور فإن فضائيات كثيرة أيضاً للهداية والصلاح والوعظ وفيها تنوع في البرامج بين المحاضرات والحوارات النافعة والندوات وغيرها.

وإذا قلت أن مجلات وصحف الفساد منتشرة قلنا أن كتب ومجلات وصحف الهداية والرشاد أكثر منها وبتنوع كبير وتخاطب جميع الفئات والشرائح وفيها مرغبات وإخراج فني جاذب. وهكذا، والإنسان باختياره يختار هذه القناة أو تلك، وهذه المجلة أو تلك.

موعظة للشباب: لنغتني الفرص

أيها الأحبة: إن أول صدمة يواجهها الإنسان قبل ضغطة القبر ووحشته وحساب منكر ونكير وكل هذه الشدائد العظيمة هو عندما يُفاجأ أنه قد مات، لأنه لا يدري أنه ميت ويظن أن حالة من الإغماء أو النوم أو فقدان الوعي ونحوها مما تعودّه في الدنيا قد طرأت عليه، حتى ينتبهه الملقن أنه ميت وأن أيامه في الدنيا قد انتهت وهو في أول أيام الآخرة، وحينئذ سيصاب بالصدمة لأن فرصة العمل قد أغلقت أمامه وترك خلفه الكثير مما كان

يستطيع أن يقدمه في سبيل الله تبارك وتعالى لكنه بخل به واليوم تركه وذهب إلى الآخرة (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ... (الأنعام/94).

وانتم أيها الشباب في قمة العطاء والعمل وعندكم فرصة أن تكونوا ممن يفاخر بكم الله الملائكة إذا استقمتم على طاعة الله تبارك وتعالى والتزمتم بأحكام الشريعة كما ورد في الحديث الشريف، لأن الملائكة مجبولة على الطاعة ومخلوقة لها، أما الشباب فتتنازع فيه قوى الخير والشر وهو بإرادته ولطف الله تبارك وتعالى ينحاز إلى قوى الخير فيكون أفضل عند الله تعالى من الملائكة.

أما إذا كبرتم وتجاوزتم مرحلة الشباب فإن هذا التنافس سيزول موضوعه وتفقدون الفرصة لنيل مثل هذه الخطوة عند الله تبارك وتعالى، ولا تعاد الفرصة ولا تتكرر ولا ينفع الندم والتأسف فاغتموها، خصوصاً وإنكم تتمتعون بحرية لا حدود لها من عمل الخير، عكس الفترة التي عاشها الشباب في ثمانينات القرن الماضي حيث كانت أكثر الفرص معدومة لقسوة النظام وبطشه بكل ما يمت إلى الدين بصلة، وكثرت توقع كل شيء من جلاوزة صدام حينما كنا نقتني الكتاب الديني أو نؤدي الشعائر الدينية، فاشكروا الله تعالى حق شكره واعملوا ما يرضيه سبحانه.

قواعد بناء المستقبل المعنوي للشباب(1)

أسسوا لمستقبلكم المعنوي:

إن الناس خصوصاً الشباب يهتمون عادة ببناء مستقبلهم في هذه الدنيا لضمان حياة كريمة سعيدة لائقة فيسعون لإكمال دراستهم وتحصيل مهنة مناسبة وزوجة صالحة ودار فارحة وسيارة مريحة ونحوها، وهو حق مشروع كفله الله تعالى لكل إنسان لأنه أكرم مخلوق «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...» (الإسراء:70) وضمن له كل ما يحقق له الحياة الكريمة، وهي صفة الدولة الموعودة على يد الإمام المهدي (عج الله تعالى فرجه الشريف) (اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة)(2). هذا كله واضح والذي نريد أن نؤسس له في حديثنا هذا هو أنه على الإنسان أن يلتفت إلى وجوب ضم التفكير في إعمار مستقبله المعنوي لتضمين الحياة الكريمة في الآخرة.

أدوات البناء المعنوي:

وهذا البناء له أدوات نظرية وعملية، أي معرفية وتطبيقية، وحديثنا اليوم في الأولى من خلال وضع أطر و محددات وقواعد تضبط بوصلة حياته وسلوكه العملي، وهذه الأطر والقواعد العامة تُؤخذ من القرآن الكريم والسنة الشريفة والأدعية المباركة وكلمات الحكمة الصادرة من العلماء والعارفين.

ص: 230

1- من حديث سماحة الشيخ (دام ظله) مع حشد من طلبة الجامعات في بغداد يوم الأربعاء 22/ع/1433 المصادف 2012/2/15.

2- مصباح المتهجد: ص581.

القاعدة الأولى:

إن أول آية في القرآن الكريم وهي «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» هي أول هذه القواعد تتعلم منها أن تفتتح كل أعمالك ومشاريعك وخطواتك باسم الله تعالى ليكون عملك مباركاً، وفي سبيل الله تعالى حتى يكون صالحاً مقبولاً منتجاً، لذا ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ فَهُوَ أَتْرٌ) (1)

منقوص لا يحقق أهدافه المرجوة. فإذا أردت أن تبدأ الطعام فافتتح بالبسملة، وإذا أردت الانطلاق من دارك إلى عملك أو أي شيء آخر فابدأ بالبسملة، وإذا تحركت بالسيارة فابتدأ بالبسملة وهكذا لتكون في رعاية الله تعالى ولطفه وتأييده، وقد ورد في كل ذلك روايات شريفة فراجعها.

القاعدة الثانية:

والآية الثانية بعد البسملة «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» قاعدة أخرى، أن الحمد والثناء فعلاً وحقيقة هو لله تبارك وتعالى لأنه مسبب الأسباب ومدبر الأمور وهو الذي يجري الأمور على يد من يشاء من خلقه، فالحمد والشكر له تبارك وتعالى، فمن الخطأ الشائع أن يقول البعض (لولا فلان لما قضى لي الأمر الفلاني ولما حصل الشيء الكذائي) لأن الله تعالى هو السبب، وهؤلاء المخلوقون وسائط لإنفاذ التقدير الإلهي، وينبغي شكرهم لما ورد في الحديث عن الإمام الرضا (عليه السلام): (من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل) (2) ولتشجيع سبيل المعروف، لكن في ضمن شكر الله تعالى، وليس على نحو الاستقلالية فقد عدَّ هذا في بعض الأحاديث من أقسام الشرك الخفي.

ص: 231

1- بحار الأنوار، ج 16، باب 58. نقلا عن تفسير البيان، ج 1، ص 461.

2- عيون أخبار الرضا: ج 2 ص 24.

فالله تعالى هو الذي أجرى الأمور وفق هذه السنن الطبيعية فالالتفات إليها من دون الله تعالى هو نصف الحقيقة، وتمام الحقيقة أن الله تعالى هو المحرك الأول وهو المخطط الأول وهو المدبر الأول.

القاعدة الثالثة:

وقوله تعالى «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» قاعدة أخرى، فلا عبادة ولا طاعة إلا لله تبارك وتعالى، ولا نطيع أحداً سواه إلا إذا كانت طاعته من طاعة الله ي معرفية وتطبيعية تبارك وتعالى، قال تعالى في الوالدين «وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» (العنكبوت:8)، فلا انسياق وراء الشيطان ولا وراء الشهوات ولا وراء التقاليد والأعراف البالية ولا وراء الأيدلوجيات والأجندات البعيدة عن الله تعالى، ولا طاعة لمن يحكم بغير ما أنزل الله تعالى ومن دون الرجوع إلى شريعة الله تبارك وتعالى سواء كانوا قادة سياسيين أو زعماء عشائر أو وجهاء مجتمع أو حتى قادة متلبسين بالدين فإنهم جميعاً أئمة ضلال «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ» (هود: 98).

فأنت أيها الموظف إذا دعاك مدير دائرتك إلى إنجاز عمل فيه فساد وهدر لأموال الشعب فلا تطعه، وأنت أيها الطالب الجامعي وغيره إذا دعتك فتاة إلى علاقة غير شرعية فأرفضها، وأنت أيها المرأة إذا أمرك زوجك بخلع الحجاب أمام الأجنبي فاعصيه، وهكذا.

ولا استعانة إلا بالله تعالى لأن بيده أزمّة الأمور وهو المدبر الحقيقي فالاستعانة بغيره لجوء إلى العاجز الذي لا يملك لنفسه شيئاً إلا ضمن الوسائل الطبيعية التي جعلها الله تعالى، فحينما يمرض الإنسان يذهب إلى الطبيب للمعالجة ولكن مع الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو مسبب الأسباب وهو الطبيب الحقيقي، فإنه هو خلق المواد التي يُصنع منها الدواء وأعطاه القدرة على المعالجة، وهو الذي جعل الجسم يبدي أعراضاً تساعد الطبيب

على تشخيص المرض بدقة، وجعل الجسم يتفاعل مع الطبيب، وأودع في الإنسان القدرات الذهنية التي تمكنه من أن يصبح طبيباً وهكذا فمفاتيح الأمور بيده تبارك وتعالى.

القاعدة الرابعة:

وقوله تعالى «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» (البقرة:197) تؤسس قاعدة أخرى، فأمامنا رحلة طويلة إلى العالم الآخر الذي نجهل كل شيء عنه، والمسافر يحتاج أن يهيئ مقدمات السفر ولوازمه في هذه الدنيا مع انه سفر قصير معلوم يمكن تلافي أي نقص فيه ولو بمساعدة الآخرين، أما سفر الآخرة فهو حياة دائمة ينشغل فيها كل إنسان عن أمه وأبيه وبنيه وكل متعلقاته، فمن الذي يُعلمنا بما يجب أن نتزود به لهذا السفر؟ إنه الله تبارك وتعالى العالم بحقائق الأمور، فيخبرنا بصدق رحمة بنا أن «خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (البقرة:197).

القاعدة الخامسة:

وقوله تعالى «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» (البقرة:156) قاعدة أخرى تعلمك أن لا تأسى على شيء يفوتك ولا تبخل بشيء يريدك الله تعالى منك حتى نفسك في الجهاد ومالك في دفع الحقوق الشرعية لأنك بالنتيجة أنت وكل ما هو لك يرجع إلى الله تعالى ولا تملك شيئاً من ذلك ولا يبقى لك شيء منه

ص: 233

ما أقبح المؤمن أن تكون له رغبة تُذله (1)

عرضت في حديث سابق فكرة مهمة وهي توجيه الشباب إلى بناء مستقبلهم المعنوي وأحب الآن أن أستمر في بيانها، وقلنا أن من وسائل ذلك التعرف على الأطر العامة والقواعد التي تحدّد كيفية إعمار هذا المستقبل المعنوي، وهي تؤخذ من القرآن الكريم وأحاديث المعصومين (عليهم السلام) وما رشح من كلمات حكيمة عن العلماء العارفين.

المؤمن عزيز بعزة الله تعالى:

هذا كله ذكرته سابقاً، واليوم أود التعرض لقاعدة أخرى من تلك الأطر والمحددات، وهي كلمة للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قال (ما أقبح المؤمن أن يكون له رغبة تُذله) (2)، فالكلام مع المؤمن لأنه عزيز بعزة الله تعالى (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (المنافقون/8)، ولا يحق للمؤمن أن يفرط بعزته وكرامته ويمتحنها، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) (إنّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه) (3)، أما غير المؤمن فيكفيه ذلة: أنغمسه في المعاصي وانسياقه وراء شهوات النفس وطاعة الشيطان.

ليست المشكلة في أن تكون لنا رغبات:

والحديث الشريف لم ينكر على الإنسان أن تكون له رغبة، لأن الرغبات من النوازع النفسية التي أودعها الله تبارك وتعالى لدى الإنسان - كالخوف - لتدفعه إلى ما ينفعه ويصلح شأنه ويحميه من الخطر والضرر ولتحفّزه على طلب الكمال، مضافاً إلى ما يأمر به

ص: 234

1- من حديث سماحة الشيخ العقبوبي (دام ظله) مع تجمع المهندسين الإسلامي فرع البصرة يوم الجمعة 1/ع1433/2 الموافق 2012/2/24.

2- تحقق العقول: 363.

3- ميزان الحكمة للريشهري: 441 /3.

العقل، وكأن القناعة التي تحصل من النظر العقلي غير كافية لدفع الإنسان ما لم تتحرك النفس بذلك الاتجاه فانضمت إليه الرغبة، وهذا ما يوحى به معناها الأصلي فإن (أصل الرغبة: السعة في الشيء، يقال: رَغِبَ الشيء: اتسع، والرغبة والرغب: السعة في الإرادة)(1) قال تعالى (وَيَدْعُونَآ رَغْبًا وَرَهْبًا) (الأنبياء/90). فالمشكلة ليست إذن في أن تكون لك رغبات، وإنما المشكلة في أن تكون للمؤمن رغبة تُذله وتحط من كرامته وتعيق سعيه نحو الكمال، وليس المقصود الرغبة في المعاصي والمحرمات فهذه خارجة عن نطاق الحديث الشريف لأنها غير متصورة في المؤمن، وإنما الكلام في الرغبات المباحة التي تأسر صاحبها وتضغط عليه وتشوش عليه فكره حتى ينهار تحت إلحاحها وضغطها فيرتكب ما لا يليق به.

كالشخص الذي يحب أن تكون له حياة مرفهة كالأخرين من دار مزخرفة وسيارة بأحدث موديل ومصالح مالية ونحوها، فيكسّر تفكيره في الحصول عليها بغضّ النظر عن مشروعية الوسيلة المتخذة لتحقيقها، فيقع في المحرّمات الشرعية والمخالفات القانونية ويتعرض لخسارة الدنيا والآخرة والعار الاجتماعي، كهذا الفساد الذي فاحت رائحته التي تزكم الأنوف من بعض المتصدّين لإدارة أمور العباد والبلاد.

مفهوم الرغبة في القرآن والحديث:

ولذا نزلت الآية الكريمة في وقت مبكر لتحذّر من هذه الرغبات، قال تعالى (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) (طه/ 131) فالآية الشريفة تشير إلى أن التوسع في طلب الدنيا يكون على حساب الفوز في الآخرة ويكون ثمنه النصب والتعب في الدنيا من أجل أمور زائلة.

من غرر كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) (الرغبة مفتاح النصب) وقال (عليه السلام) (الرغبة في الدنيا توجب المقت) وقال (عليه السلام) (الراغب: دعته إلى الدنيا نفسه فأجابها، وأمرته بإبثارها فأطاعها، فدّسّ بها عرضه، ووضع لها شرفه وضيّع لها آخرته) وقال (عليه السلام) (إن النفس

ص: 235

1- المفردات للراغب: ص 358 مادة (رغب).

التي تطلب الرغائب الفانية لتهلك في طلبها وتشقى في منقلبها) وقال (عليه السلام) (أكرم نفسك عن كل دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعترض عما تبذل من نفسك عوضاً) وقال (عليه السلام) (إن الدنيا كالشبكة تلتف على من رغب فيها)(1).

الحذر من الانسياق وراء الرغبات:

إن الكثير من الوقائع والحوادث تشهد على نتيجة مفادها أنّ من ينساق وراء رغباته بدون تعقل وحكمة وحساب للعواقب يخسر ويسقط في النهاية كعضالطامحين بالشهرة الذين يقومون بمغامرات الصعود إلى هماليا أو مصارعة الحيوانات الهائجة أو قيادة السيارات بجنون، أو القفز من ارتفاع شاهق ونحوها فيقتلون دونها، وكالكثير من المصابين بجنون العظمة الذي يريدون أن يتسيدوا على الناس ويتسلطوا فيهلكون الحرث والنسل ويهلكون أنفسهم من أجل هذه النزوات الحمقاء.

ما الذي دفع بأولئك المتمردين على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى منعه من كتابة وصيته في رزية يوم الخميس ثم انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفتحوا باب الفتنة والشقاق والخلاف والتقاتل إلى قيام يوم الساعة فحملوا على ظهورهم كل هذه الأوزار: انه الانسياق وراء الرغبات المذلة المهينة رغم مخالفتها لشريعة الله تبارك وتعالى.

قصة عن الرغبة المذلة:

وإذا أردت أن أذكر مثلاً على هذا الحديث الشريف فهم بعض المبتلين بالعادة المشهورة التي تحولت إلى ظاهرة تسعى كل الدول إلى تحجيمها والتحذير منها وهي التدخين، يروي بعض أفاضل الخطباء والكتّاب انه في موسم من مواسم الحج المباركة حدثه أحد المؤمنين الذين كانوا قد عانوا آلام السجن ومحنة التعذيب، أن مؤمناً كان ثابتاً على موقفه، وواجه جلّاديه بشجاعة نادرة أذهلت الجميع، ولما تعب أحد الجلّادين من تعذيب هذا المؤمن،

ص: 236

1- هذا الحديث والأحاديث التي سبقته في غرر الحكم: 25، 48، 86، 132، 179، 191.

راح يترجم حنقه على هذا المعذب بشرب سيكارة، وإذا بالمعذب ينهار لرؤية الدخان، فناداه متوسلاً، سيدي ناولني سيكارة!! فدهش الجالاد وقال: على أن تتكلم بما تعرف! فقال: أجل وما هي إلا لحظات حتى اعترف ذلك الرجل على خمسين مؤمناً جاء بهم إلى ساحات التعذيب وأثكل عوائلهم وسبب الألم واليتم لأطفالهم.

اعرضوا رغباتكم على رضا الله تعالى:

فعلينا-أيها الأحبة- أن نعرض رغباتنا على ما يريده الله تبارك وتعالى فننفذ منها ما يرضيه عز وجل ونعرض عما يسخطه أو يبعدنا عنه ويعرقل سيرنا نحو تبارك وتعالى، فالرغبة في الشيء بقدر الأعراض عن نقيضه، قال أمير المؤمنين (أصل الزهد حسن الرغبة فيما عند الله) وقال (عليه السلام) (إن الزهد في الجهل بقدر الرغبة في العقل).⁽¹⁾

وهذه الرغائب الحقيقية يمكن نيلها بالتقوى والصبر والعمل الدؤوب والمعرفة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (إن تقوى الله.. بها تنال الرغائب) وقال (عليه السلام) (بالصبر تدرك الرغائب) وقال (عليه السلام) (توكلوا على الله عند ركعتي الفجر بعد فراغكم منها ففيها تعطى الرغائب).⁽²⁾

نحتاج الى الإرادة لنسيطر على الرغبات:

وتحتاج أيضاً إلى إرادة للسيطرة على جموح الرغبات، يروى أن أحد العلماء أصيب بمرض صدري فأمره الطبيب بالإقلاع عن التدخين، فقال العالم: لا أستطيع ذلك، فاستغرب الطبيب منه، وقال أنتم تطالبون شارب الخمر بتركها وقد أدمن عليها وأصبحت جزءاً من بدنه، وتطالبون معاقري اللهو والمجون والليالي الحمراء بتركها وهو يجد لذته وأنسه فيها

ص: 237

1- غرر الحكم: 160، 174.

2- غرر الحكم: 186، 322، 345.

وأنت تقول: لا أستطيع، فاستحيا العالم وأصر على ترك التدخين، ومن الله تعالى نستمد العون والتسديد والتوفيق.

ص: 238

على الخريجين أن يخططوا لمستقبلهم بالمشاريع المادية و المعنوية(1)

رسم معالم المستقبل:

لاشك إنكم ترسمون لأنفسكم الآن مستقبلاً يتضمن تلبية احتياجاتكم الأساسية في الحياة الدنيا كالوظيفة الشريفة والزواج السعيد والسكن اللائق وهو حق وضروري، ولا تتكامل سعادة الإنسان التي هي هدف الشرائع السماوية إلا بها.

ولكن لا- تغفلوا عن مشاريعكم المعنوية أيضاً بزيادة العلم والمعرفة والبصيرة بالأمر والسعي في أعمال الخير للأمة ودعم المشاريع الصالحة والمشاركة فيها.

وليس صحيحاً أن أقول إن المشاريع الأولى للدنيا وهذه للآخرة بل إنها جميعاً يمكن توظيفها للآخرة والقرب من الله تعالى مع توفر النية المخلصة والسلوك النظيف لذا سميتها المادية والمعنوية.

الاهتمام بالزواج:

واهتموا كثيراً بالزواج وسهّلوا متطلباته بالتعاون مع النساء وأولياء الأمور، كما نقل لي إن عدد من المؤمنات الموظفات في سلك التعليم نظمن سلفة بينهن بمليون دينار يعطينها للرجل الذي يتقدم لخطبة أي واحدة منهن، وقد أكبرت هذه الخطوة الشجاعة الحكيمة التي تساهم في حل المشكلة الجنسية كما يسمونها.

ص: 239

1- نشر في الصفحة الأولى من العدد (25) الصادر بتاريخ 9 جمادى الأولى 1426 الموافق 16 حزيران 2005. حيث التقى سماحة الشيخ (دامت تأييداته) فيها بعدد من طلبة المعهد التقني في الكوفة والذين اشرفوا على التخرج.

إن الأهداف الدنيوية محدودة وتنتهي، ويصل الإنسان إلى اللحظة التي يشعر انه كان يجري وراء سراب ووهم، إما الأهداف المعنوية فهي مفتوحة نحو الكمال ولا حدود لها لأنها تتوجه نحو اللامحدود.

من الأمثلة لذلك:

مثلاً أغنى رجل في العالم الملياردير (بيل غيتس) مالك شركة مايكروسوفت فهو يملك مليارات الدولارات لكنه قال لأطبائه النفسيين ومستشاريه أنني متألم لأنني لا أجد فرقاً بيني وبين من يملك مئات الملايين من الدولارات فكلانا يركب أحدث سيارة ويسكن أجمل قصر ويتمتع بألذ المأكولات وأنا أريد أن أتميز عنهم فقال له أحد استشاريه يمكنك الامتياز عنهم بالتوجه نحو مشاريع الخير والإحسان والأعمال الإنسانية فأنها واسعة، وهي نصيحة حكيمة.

ويروى أن عبد الملك بن مروان الطاغية المتكبر الذي يمثل الحجاج الثقفي المجرم السفك إحدى سيئاته اطلع من شرفة قصره قبيل موته فرأى قصاراً يغسل الثياب على النهر، فتمنى لو كان مثله ولا يتورط بهذا الملك الظالم المهلك، ولما وصلت الكلمة إلى القصار قال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون ما نحن فيه عندما ينزل بهم الموت ولا نتمنى ما هم فيه إذا نزل بنا الموت.

الفصل السادس: مواعظ وتوجيهات في رأس السنة

إشارة

ص: 241

موعظة في ورأس السنة الميلادية(1)

يحتفل الأخوة المسيحيون وغيرهم في مثل هذه الأيام بعيد ميلاد السيد المسيح ورأس السنة الميلادية، ويعتبرون عن فرحهم باحتفالات صاخبة تتضمن الكثير من المعاصي والموبقات الكبيرة والأفعال الجنونية التي لا يجد لها العقلاء مبرراً، ولم يقف أحد وقفه تأمل ليرى هل أن هذه المظاهر تعبير صحيح عن الفرح في هذه المناسبة؟ وما هي المشاعر الحقيقية التي يجب أن تغمرنا ونحن نعيش هذه الذكريات المرتبطة بواحدٍ من أعظم البشر على الإطلاق، النبي الكريم والرسول العظيم، وأحد أولي العزم الذين أمر الله تعالى نبيه الكريم محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتأسى بهم قال تعاليفي حقه (عليه السلام): «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» (الأحقاف:35).

الأمر التي يجب الالتفات لها:

لذا وجب الالتفات إلى عدة نقاط:

أحذروا المعاصي:

النقطة الأولى: إن إتيان المعاصي والمنكرات أمر مرفوض دائماً تعاقب عليه الشرائع ويستهجنه العقلاء، فليس جزاء من أحسن إليك وأغدق عليك النعم حتى فاقت حدّ الإحصاء، كما في قوله تعالى: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» (النحل:18) ويكفي أن تتخيل صعوبة فقدان نعمة واحدة(2) من التي حباك الله بها لتحس بعظمتها.

ص: 243

1- من محاضرتين ألقيتا بتاريخ 1-2/ ذي القعدة/1423 هـ المصادف 5-6 / 1 / 2003م في مسجد الرأس الشريف على حشد كبير من طلبة العلوم الدينية.

2- كنعمة الصحة والأمان.

أقول: فليس جزاءه أن تعصيه وبنفس النعم التي منّ بها عليك، قال تعالى مؤنباً ومعاتباً: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» (الرحمن: 60-61)، فالمرجو من الإنسان العاقل أن يشكر الله على نعمته بطاعته ومحبته، والعمل بما يرضيه وتجنب ما يسخطه، وأولها ديمومة النعم وزيادتها (بالشكر تدوم النعم)، وقال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (إبراهيم: 7)، ويوم رأس السنة من مواطن الشكر حيث أطال الله عمر هذا (المحتفل) وأبقاه إلى سنة جديدة ليعطيه فرصة إضافية للتوبة والعودة للطاعة، وزيادة القرب من الله تعالى، ولم يكن ممن اختطفهم الأجل خلال العام المنقضي وانسدّ عليهم هذا الباب، ففي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قال: (من مات فقد قامت قيامته) (1)؛ لأنّ فرصته للعمل وكسب الحسنات قد انتهت وختم على كتابه قال تعالى: «إِنَّا كُنَّا نَسُخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (الجاثية: 29)، فهل يكون الجزاء العصيان والتمرد؟ وإلى أمثال هؤلاء يشير القرآن الكريم: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيُخْسِرُونَ الْقَرَارَ» (إبراهيم: 28-29).

والمعاصي التي تُرتكب في ليلة رأس السنة تفوق كلّ الليالي والأيام ويُعدّ لها منذ مدة إعداداً شيطانياً محكماً لا يُبقي للعقل أي وجود، ويبقى الإنسان المخذوع أسير شهوته وأهوائه لا يستطيع النجاة من فخوخ شياطين الإنس والجن.

كيف يجب أن تكون مشاعرنا:

إنّ مشاعرنا ونحن نستقبل سنة جديدة يجب أن تكون مزيجاً من اتجاهين:

الأول: توجّس وقلق من حساب الله تعالى على ما صدر منّا من أعمال خلال العام الماضي، وقد ذهب لذنّه، وبقيت تبعته وعقابه، وقد نسيه العبد لغفلته، ولكن الله أحصاه وأحاط به، ولن يغفل عنه ويأتي اليوم الذي يحاسبه فيه على كلّ ما قدم.

ص: 244

1- البحار: ج 58 ص 7.

الثاني: التفاؤل والأمل وحسن الظن بالله تعالى أن يُلطف بنا ويوفقنا ويأخذ بأيدينا في العام الجديد ليَجعله خيراً من العام الماضي، فيجتنبنا فيه المعاصي ويزيدنا من الطاعات قدر الإمكان انطلاقاً من الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من اعتدل يومه فهو مغبون ومن كان غده شراً من يومه فهو ملعون)(1).

فإن كل سنة تمثل سجلاً وكتاباً يضم صحائف أعماله، وفي مثل ليلة رأس السنة يطوى سجل ويفتح سجل، يطوى سجل العام الماضي ويختم عليه بما فيه - وما أدراك ما فيه - ليعرض يوم النشور ويُحاسب على كل صغيرة وكبيرة، قال تعالى: «وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَدَّغَيْرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» (الكهف:49)، ويفتح سجل للعام اللاحق بصحائف بيضاء؛ فبماذا سيملوها هذا الإنسان المسكين؟ هل سيعود إلى نفس حياته السابقة أم أنه يثوب إلى رشده ويأخذ العبرة من الماضي؟

العمر رأس مال الإنسان:

بالالتفات إلى أن زيادة كل ثانية ودقيقة إلى عمره يعني إعطاء فرصة إضافية للطاعة، فإن العمر رأس مال الإنسان يستطيع أن يستثمره في الطاعة، فيكسب رضا الله تبارك وتعالى والمنازل الرفيعة في الجنان، وصحبة خير خلق الله أو يقضيها بالمعاصي فيجرّ إلى نفسه عذاب الجحيم، وهذه الفرصة الإضافية التي تعطي للإنسان كالتائب الذي يُعطى حظاً ثانياً في امتحانات الدور الثاني لعله ينجح(2)، فهل يُعقل منه أن يعود إلى نفس التقصير والإهمال وهو يعلم الكارثة التي تترتب على السقوط والفشل؟!

ص: 245

1- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ص 349.

2- أليس هذا فضلاً من إدارة المدرسة ولطفاً منها لتستطيع أن تعوض ما ضيعته في الدور الأول، وهكذا نحن إذا لم نستطيع أن نحصل على درجات رفيعة سنة 2002م، فلنسعى للحصول عليها سنة 2003م.

وأرى من المناسب أن أعظ نفسي وأعظكم بنقل هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة كما يعرضه القرآن الكريم، وهو عبارة عن محكمة إلهية يقف فيها المذنب - وهم هؤلاء الذين قضوا حياتهم بالمعاصي والموبقات - وأمامه الشهود وهم نفس أعضائه التي مارس بها تلك المعاصي لكي لا يستكبر وينكر، ثم يُصدر عليه الحكم العادل الذي جناه هو على نفسه، قال تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لَمَّ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنْتُمْ تَسْمِعُونَ أَنْ يُشْهِدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصَّ بِحُتْمِ مِنَ الْخَاسِرِينَ، فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ، وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرُونًا فَرَيتُّوهُم لَّهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» (فصلت: 20-25).

هذه هي المشاعر التي يجب أن نحياها في ليلة رأس السنة، لا ما يفعله هؤلاء الغافلون السادرون في أودية الغي تسوقهم شياطين الإنس والجن أنى يشاءون، فيهدوهم إلى عذاب السعير.

المطلوب محاسبة النفس كل ليلة:

وفي الحقيقة فإن المطلوب أن نحاسب أنفسنا في كل ليلة (1)؛ حيث نختلي بأنفسنا مع خالقنا ونستعيد ما صدر منا خلال اليوم، فما كان من حسنة استزدنا الله منها وسألناه القبول ومضاعفة الأجر، وما كان من سيئة استغفرناه منها وعاهدناه تبارك وتعالى على عدم

ص: 246

1- وذلك لأن الإنسان معرض للنسيان فإذا ما أهمل محاسبة نفسه فستفوته فرصة قد تنجيه من عذاب أليم ولهذا حرص أهل البيت (عليهم السلام) على أن يربوا أصحابهم على محاسبة النفس كل يوم.

العود، وإذا تعلق بمظالم العباد استعناؤه على رد الظلمات إلى أهلها، وما كان من تقصير في عمل صالح سألناه المعونة والتوفيق والتسديد، فلقد جاء عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه)(1)، وأيضاً من وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر (رضي الله عنه) إنه قال: (يا أبا ذر، حاسب نفسك قبل أن تحاسب؛ فإنه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية - إلى أن قال - يا أبا ذر، لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه؛ فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه؟ أمن حلالٍ أو من حرام؟ يا أبا ذر، من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار)(2)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: (ما من يوم يأتي على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فافعل فيّ خيراً واعمل فيّ خيراً أشهد لك يوم القيامة فإنك لن تراني بعدها أبداً)(3)، وهذه المحاسبة تكون في نهاية السنة أشمل وأوسع كما يفعل الإعلاميون حين يصدرون ملفاً بأهم الأحداث السياسية أو الرياضية أو الاجتماعية التي شهدتها العام المنقضي، وعلى كلّ واحد منّا أن يُراجع ملف أعماله في نهاية العام.

الموعظة ليست للمسلمين فقط:

وهذه الموعظة لا- أوجهها للمسلمين فقط، بل للاخوة المسيحيين، بل وحتى غيرهم، فقد أدبنا الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) أن نضمّر الخير والرحمة ونسعى لتحقيقه لجميع البشر، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

ص: 247

1- بحار الأنوار: 68 / 259، ح 3.

2- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 96، ح 7.

3- بحار الأنوار: 7 / 325، 20.

لِلْعَالَمِينَ» (الأنبياء: 107)، فبركته (صلى الله عليه وآله وسلم) لجميع الإنسانية، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يوصي مالك الأشتر بجميع رعيته حينما ولّاه مصر: (فالناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) (1) لأنّ البشر جميعاً سيقومون للحساب يوم القيامة، ويُسألون عن أعمالهم، فلقد جاء في الذكر الحكيم: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا» (مريم: 71-72)، فنحن نريد لهم النجاة، وقال تعالى: «وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» (النساء: 60) فقد غرر بهم الكثير من أبحارهم ورهبانهم، وزينوا لهم المعاصي، وأحلوا لهم الحرام وحرّموا الحلال، وبدّلوا شريعة الله، ثمّ أوهموهم بعقائد فاسدة كفداء السيد المسيح، وصبوك الغفران التي جرّأتهم على العصيان، وقد حدّثهم الله تعالى من هذه الطاعة للذين اتخذوا الدين وسيلة لنيل الدنيا التافهة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» (التوبة: 34)، وطاعة مثل هؤلاء شرك بالله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» (التوبة: 31)

وقد فسّرها الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم) (2) من حيث لا يشعرون) (3).

وأعتقد أنّ كلّ مسيحي نقي القلب والسريّة يعرف بوضوح أنّ الكثير مما غصّ عنه رجال دينهم أنظارهم هي معاصي لله تبارك وتعالى، ويتساءل سيدنا الأستاذ (قدس سره) في بعض خطبه: هل كان السيد المسيح يشرب الخمر، أو يزني، أو يستبيح دماء البشر من أجل المصالح الشخصية وحب الأنا؟ أم هل كانت مريم العذراء ترتمي في أحضان الرجال

ص: 248

- 1- نهج البلاغة: ج 3 ص 84، من عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر.
- 2- والعبادة هي الطاعة والإتباع وقد تبعوا الرهبان ولم يتبعوا الله تعالى.
- 3- الميزان في تفسير القرآن: 254 / 9، عن الكافي.

وتمشي وسطهم خليعة متبرجة؟ فالمسيحي الصادق يقتدي بهؤلاء الأتقياء العظماء، ولا يجد دستوراً كاملاً للصفات الكريمة التي تلحق بهم إلا في الإسلام إذا أراد لنفسه النجاة.

ص: 249

الاحتفال في رأس السنة لمن استثمر وقته خلالها(1)

لنستحضر الموعظة في كل الأوقات:

من كلمات الإمام الحسن السبط المجتبي (عليه السلام) وقد مرّ في يوم فطر يقوم يلعبون ويضحكون، فوقف على رؤوسهم فقال: (إنّ الله جعل شهر رمضان مضمراً لخلقه فيستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا وقصّر آخرون فخابوا، فالعجب كل العجب من ضاحك لآعب في اليوم الذيئتاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون، وأيم الله لو كشف الغطاء لعلموا أنّ المحسن مشغولٌ بإحسانه والمسيء مشغولٌ بإساءته)(2) ثمّ مضى (عليه السلام).

علينا أن نستحضر هذه الموعظة في كل لحظات حياتنا، لأنّها كلّها مضمار للتنافس واستباق الخيرات لنيل أفضل الدرجات عند الله تعالى وها نحن اليوم في نهاية سنة ميلادية 2011 -وفق حساباتهم- وعلى أبواب سنة جديدة 2012 بإذن الله تعالى وقد كانت السنة المنقضية مضمراً تسابق فيه الخلق فالعجب كل العجب مما يشهده العالم من شرقه إلى غربه من احتفالات صاخبة بمناسبة يسمونها رأس السنة الميلادية، وتهدر فيها المليارات من الدولارات، وتُعطل فيها الأعمال عدة أيام في بعض الدول، وهذه خسائر إضافية، وتعرض الفعاليات المنوّعة كالألعاب النارية والرقص والغناء والحفلات الماجنة، ويشارك

ص: 250

-
- 1- من حديث سماحة الشيخ (دام ظلّه) مع طلبة جامعة الصدر الدينية فرع الكرخ الثانية في بغداد/ حي المعارف يوم الثلاثاء 1433/صفر/27 الموافق 2011/12/27 ومع فرع كربلاء وحشد من ابنائها يوم الأحد 7/صفر/1433 الموافق 2012/1/1.
 - 2- البحار: ج75 ص110.

فيها المسلمون أيضاً من دون مراعاة لأخلاقهم وتعاليم دينهم ووصايا أئمتهم، وفي مثل هذه السنة 2012 سيكون أولها يوم استشهاد الإمام الحسن السبط المجتبي (عليه السلام).

وقد توسّع الاحتفال ليشمل كل شخص بعيد ميلاده السنوي.

الفرح المذموم:

وبغضّ النظر عن الأخطاء المتعددة في التاريخ الميلادي الذي بيّناه في بعض محاضراتنا السابقة من حيث السنة والشهر واليوم، فإننا نريد أن نتساءل عن معنى هذا الاحتفالات والفرح والسرور، وهل لها واقعية أم لا؟

إذ إنّنا نجد أن الأحرى بهم أن يحزنوا ويندموا ويتأسفوا لأن سنة مرّت عليهم ونقصت من أعمارهم، مما يعني أنهم اقتربوا من آجالهم من دون أن يستعدوا لها، بل عملوا على عكس ما يراد منهم وضيّعوا هذا الرصيد الذي تُشترى به الجنة ورضا الله تبارك وتعالى، واشتروا به سخط الله تعالى والنيران إلا- من شملهُ الله تعالى بلطفه ورعايته الخاصة، فكانت الحياة لمثله زيادة له في كل خير كما في أدعية الإمام السجاد (عليه السلام)، ومع ذلك فإنه (عليه السلام) يقف بين يدي ربّه ذليلاً متواضعاً ويقول (ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما أن لي أن استحيي من ربي)(1).

إنما أنت عدد أيام:

إن الإنسان عبارة عن رصيد من السنين والأيام يقدرها الله تبارك وتعالى فكلما انقضى يوم أو مرّت سنة فإنه يعني أنه فقد جزءاً منه حتى ينتهي بالموت ويصبح بلا قيمة إلا بمقدار ما قدّم لآخرته، مثل رصيد الهواتف المحمولة الذي يساوي عدداً من الدقائق فكل دقيقة من الاتصال تعني ذهاب جزء منه، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (إنما أنت عدد أيام فكل

ص: 251

يوم يمضي عليك يمضي ببعضك فحفض في الطلب وأجمل في المكسب) وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين (عليه السلام) (العمر أنفاس معددة)(1) وعنه (عليه السلام) (نفس المرء خطاه إلى قبره)(2).

اهتمام الشارع المقدس بالوقت:

وقد تحدثنا في كلمة سابقة عن أهمية الوقت وضرورة اشغاله بما يحقق رضا الله تبارك وتعالى ويقربنا منه لأنه هو الثمن الوحيد الذي يستحق صرف العمر فيه.

وقد اهتم الشارع المقدس بالوقت وربط به أغلب فعالياته ليكون الانسان ملتفتاً إليه ومراقباً له حتى لا يضيع منه، فالصلاة التي هي عمود الدين لها أوقات خمسة محددة يومياً تجب مراعاتها وفي ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام) (امتنحوا شيعتنا... عند مواقيت الصلاة)(3) أي ليس المطلوب منه المحافظة على أصل الصلاة فقط بل على أوقاتها الخمسة، وهكذا بقية الطاعات فالصوم مرتبط بشهر رمضان في عدد أيامه وبالفجر والغروب يومياً، والحج مرتبط بأشهر الحج وأيامه، والخمس والزكاة مرتبطان بالحوال، وهناك الشعائر الدينية والمناسبات والأدعية والزيارات المرتبطة بالأوقات، حتى جعل لكل يوم من أيام الأسبوع دعاء وكل يوم من أيام الشهر دعاء بل لكل ساعة من ساعات الليل والنهار دعاء، وكانت بعض الأوقات تعرف ببعض الأوراد المقررة لها، كالذي نقل عن بني الحسن (عليه السلام) في سجن المنصور العباسي أنهم كانوا يعرفون أوقات الصلاة بأوراد مرتبة لعلي بن الحسن المثلث حفيد الإمام السبط (عليه السلام).

الوصية بالاهتمام بالوقت:

ص: 252

1- ميزان الحكمة: ج3 ص2112.

2- نهج البلاغة: الحكمة: 74.

3- الخصال: ص103.

وللقيمة الكبرى للوقت فقد وردت الوصايا باغتنامه واستثماره، كما في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (0) (يا أبا ذر: اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك)(1) وفيها (يا أبا ذر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)(2).

إنما أنت ابن ساعتك:

قد يتصور الإنسان صعوبة الاستمرار على الطاعة وان ادامتها شاقة لا تطاق وهذا نابع من غفلته، ويهول الشيطان له هذا الأمر، اما الواقع فهو خلاف ذلك لأنه لا يعيش عمره كله في هذه اللحظة حتى يستحضر كل الصعوبات فيها، بل هو يعيش لحظته وهي مما لا يعسر تحمّل العمل فيها، أما الزمان السابق فقد مرّ وانتهى، والزمان اللاحق لم يأت بعد فلماذا يحمل همّه، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (إن عمرك وقتك الذي أنت فيه)(3) وقال (عليه السلام) (المرء ابن ساعته)(4). وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (انما الدنيا ثلاثة أيام يوم مضى بما فيه فليس بعائد ويوم أنت فيه يحق عليك اغتنامه ويوم لا تدري من اهله ولعلك راحل فيه، واما أمس فحكيم مؤدب واما اليوم فصديق مودع واما غداً فإنما في يديك منه الامل ... وإياك والاعتزاز بالامل ولا يدخل عليك اليوم هم غد ... أو لا ترى ان الدنيا ساعة بين ساعتين ساعة مضت وساعة بقيت وساعة أنت فيها)(5). وفي الحديث الشريف: (الطاعة صبر ساعة).

مضيعات العمر:

ص: 253

- 1- جامع أحاديث الشيعة: ج 1 ص 423.
- 2- السابق: ج 14 ص 316.
- 3- ميزان الحكمة: ج 3 ص 2112.
- 4- عيون الحكم والمواعظ: ص 50.
- 5- جامع أحاديث الشيعة: ج 13 ص 261.

ولأن الله تعالى يعلم إن الإنسان تعثره الغفلة والنسيان والكسل مما يضيع عليه كثيراً من رأسماله الثمين وهو عمره ووقته، مضافاً إلى النوم الذي هو ضروري للبدن لكن كثرته مذمومة وهو من أوسع أسباب تضييع العمر فإنه يستغرق ثلث العمر أو أكثر أي عشرين سنة ممن عمره ستون سنة، لذا ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) (إن الله عز وجل يبغض العبد النّوَام الفارغ) (1) وفي غرر الحكم لأ-مير المؤمنين (عليه السلام) (أربع القليل منها كثير: النار والنوم والمرض والعداوة) (2) وفيها (بئس الغريم النوم يفني قصير العمر ويفسوت كثير الأجر) (3).

مزيدات العمر:

أقول لأن الله تعالى يعلم ذلك من الإنسان فقد دلّه بكرمه على ما يحوّل هذا النوم إلى وقت مثمر بأن ينام على ظهور حتى ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (من تطهر ثم آوى الى فراشه بات وفراشه كمسجد) (4)، وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (من نام على الوضوء ان أدركه الموت في ليله مات شهيداً) (5)، خصوصاً إذا سبقه بتلاوة بعض الآيات والأدعية المباركة وان لا يتجاوز المقدار اللازم لتجديد نشاط البدن، وورد في نوم الصائم في شهر رمضان (ونومكم فيه عبادة) (6).

كما ورد التطمين بلطف الله تعالى وكرمه أن من ضيّع جزءاً من عمره بما لا ينفع وقد يضمرّ فإن الله تعالى سيكتبه عمراً صالحاً إذا رجع إلى ربّه والتفت وأصلح حاله فيما استقبل من عمره، عن النبي (صلى الله عليه وآله) (من أحسن فيما بقي من عمره لم يؤاخذ بما مضى من ذنبه، ومن أساء فيما بقي من عمره أخذ بالأول والآخر) (7)، قال تعالى: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

ص: 254

- 1- الكافي: ج 5 ص 84.
- 2- أنظر: عيون الحكم والمواعظ للواسطي: ص 73، البحار: ج 75 ص 205.
- 3- مستدرک الوسائل: ج 13 ص 44.
- 4- الوافي: ج 9 ص 1399.
- 5- مستدرک الوسائل: ج 1 ص 296.
- 6- مفاتيح الجنان: خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ص 208.
- 7- بحار الأنوار: ج 77 ص 113.

«(الفرقان:70)، هذا كله مضافاً إلى ما ذكرناه في المحاضرة السابقة من إعطاء عمر جديد فوق العمر الطبيعي يستزيد فيه من الخيرات بعد الموت ولا ينقطع عمله به.

العمر الطويل:

ولأهمية حياة الإنسان وعمره في اكتساب الطاعات وإنه كلما زاد عمره كثرت فرص الطاعة عنده وتحقيق السعادة قال النبي (صلى الله عليه و آله): (خير الناس من طال عمره وحسن خلقه)(1) وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين (عليه السلام) (من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في أعدائه ما يسره)(2).

مطلوبات العمر المادية:

لقد قدّم لنا الأئمة المعصومون الأسباب المادية والمعنوية لإطالة العمر، وأعني بالمادية: ما يحفظ صحة البدن ويجنبه ما يضره ويديم قدرته على القيام بالطاعات كالتوازن في الطعام والشراب كما وكيفاً قال تعالى «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» الأعراف 31.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه) والوصية بالصوم، كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (صوموا تصحوا)(3) واستحباب صيام ثلاثة أيام في الشهر وهو عين ما توصل إليه العلم الحديث توأ حيث نصحوا بالامسك عن الطعام يوماً كل عشرة أيام للحفاظ على الصحة، مضافاً إلى الوصايا الكثيرة في تناول

ص: 255

1- سنن الترمذي: 2330.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 20 ص 302.

3- البحار: ج 59 ص 267.

أطعمة وأشربة معينة وتجنب غيرها وكذلك الأمر ببعض الحالات والفعاليات الحياتية وتجنب غيرها مما لسنا بصدده(1).

مطولات العمر المعنوية:

وأما الوصايا المعنوية فمنها الدعاء باطالة العمر في خير وعافية وسعة رزق وسلامة في الحواس وأن يكون كل ذلك مكرساً لطاعة الله تعالى وطلب رضاه (اجعل قوتي في طاعتك ونشاطي في عبادتك) (سلامة أقوى بها على طاعتك)(2) ومن المعنوية لإطالة العمر ما ذكرته الأحاديث الشريفة كقول النبي (صلى الله عليه وآله) (أكثر من الوضوء يزيد الله في عمرك)(3) وقوله (صلى الله عليه وآله) (من سرّه أن يُبسّط في رزقه ويُنسأ له في أجله فليصل رحمه)(4) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ - وَلَا بَقَاءَ - فَلْيُبَاكِرِ الْغِذَاءَ، وَلْيُؤَخِّرِ الْعِشَاءَ، وَلْيُقِلَّ غِشْيَانَ النِّسَاءِ، وَلْيُخَفِّفِ الرِّدَاءَ)(5) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (من حسنت نيته زيد في عمره)(6) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (من حسن بره بأهل بيته زيد في عمره)(7).

الطريق الأمثل لاستثمار الوقت:

ص: 256

1- راجع كتاب (مكارم الأخلاق) للطبرسي وكتاب الأطعمة والأشربة من وسائل الشيعة.

2- من دعائي الأربعاء والخميس في الصحيفة السجادية.

3- بحار الأنوار: 396/69.

4- بحار الأنوار: 74/89.

5- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 38.

6- بحار الأنوار: 408/69.

7- بحار الأنوار: 70 م 205.

إن الطريق لتحقيق الاستثمار الأمثل للوقت هو في المبادرة إلى العمل وعدم التسويف والتأجيل لأن الفرص تمرّ مرّ السحاب ومن وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (إياك والتسويف بعملك، فإنك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غدك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غدك لك لم تندم على ما فرطت في اليوم)⁽¹⁾.

وكذلك في تنظيم الوقت وتوزيعه بدقة على الأولويات بعد تحديدها طبعاً فترمج أولاً أوقات الفرائض اليومية وما يتيسر معها من مقدماتها وتعقيباتها وتلاوة القرآن، ووقت العمل والكسب، ووقت العائلة ومسؤولياتها، ووقت المطالعة وتجديد المعنويات والتأمل والتفكير، ووقت الالتزامات الاجتماعية الأخرى وهكذا. هذا على صعيد وظائفه الفردية، وهناك وظائف اجتماعية لعلها الأكثر إيصالاً إلى رضوان الله تبارك وتعالى كالعمل الإنساني والخدمي وقضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم وكفالة الأيتام ورعاية المحتاجين والمسنين وإصلاح ذات البين بين الأفراد أو العشائر وغيرها كثير وقد شجّعنا مراراً على تأسيس منظمات المجتمع المدني لبلورة جهد جماعي يغطّي هذه الفعاليات والنشاطات.

وفي وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً-أي قاصداً ومتحركاً- الا في ثلاث: تزوّد لمعاد، أو مرّمة لمعاش، أو لذة في غير محرّم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه)⁽²⁾ هذا هو الإطار العام لما يجب أن يكون عليه الإنسان في جميع حالاته ليكون في الاتجاه الصحيح بفضل الله تبارك وتعالى.

الاستفادة من التجارب:

ص: 257

1- مكارم الأخلاق: ص 459.

2- أمالي الطوسي: ص 540.

ويُحسن الاستفادة من تجارب وخطط العلماء الأكاديميين المتخصصين في إدارة الوقت (TIME MANAGEMENT) وهم وإن كانوا يقصدون بها وقت العمل والكسب والإنتاج إلا انها في خطوطها العامة يمكن أن تنفع في المجالات الأخرى من حيث كيفية تقسيم الوقت على الأعمال ووضع سقف زمني لإنجاز كل منها وهكذا، وإن كنا مستغنين عنها لو التزمنا بوصايا أهل البيت (عليهم السلام) وتعليماتهم.

ومن دون تنظيم الوقت ومراقبته يضيع الكثير في الفوضى وعدم التخطيط والارتباك بحيث تفقد القدرة على استثمار الوقت إذا لم تضع برنامجاً، ويتحقق الغبن في العمر الذي تحدّث عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

في بعض الروايات ان أجزاء عمر الإنسان وأوقاته تعرض عليه يوم القيامة على شكل صناديق فما قضاه في خير سرّه منظره، وما قضاه في سوء أفزعه مرآه، والأكثر يراها فارغة ضاعت عليه ولم يستثمرها فتشتد حسرته لكثرة ما ضاع منه وكان يكفيه اليسير منها لو شغلها بالطاعة كتسيحه في ثوانٍ أو الصلاة على النبي وآله أو قراءة سورة قصيرة من القرآن الكريم أو استماع لموعظة أو التحدث بأمرٍ مفيد والعاقل هو من اتعظ بهذا وهو في الدنيا ليتمكن من التعويض. في غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (لو اعتبرت بما أضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقي) (1).

إن لقاءنا هذا وحديثنا هو نمط مثمر لما يمكن أن تكون عليه الاحتفالات أي اننا احتفلنا أيضاً لكن بطريقة الخاصة كما يقال.

ص: 258

1- غرر الحكم: 3083.

المشاركة والمحاسبة في أول السنة وآخرها وإحياء الشعائر الحسينية(1)

آليات للوصول الى الاستقامة:

ذكر علماء الأخلاق ثلاث آليات للوصول إلى الاستقامة والثبات عليها التي ندعو الله تبارك وتعالى بالهداية إليها يومياً في صلواتنا، وهي المشاركة والمراقبة والمحاسبة، فالأولى قبل العمل والثانية أثناء العمل والثالثة بعده.

ولنوصّح الفكرة بتطبيقها على مفردة في حياتنا وهو اليوم واللييلة، فعندما يقوم الفرد من نومه صباحاً يشارط نفسه على أن لا يفعل إلا خيراً وطاعة ويجتنب كل ما يسخط الله تبارك وتعالى ويتعهد أمام الله تعالى بأن يبذل ما بوسعه لتحقيق ذلك فهذه هي المشاركة.

ثم يأتي دور المراقبة أثناء الفعاليات اليومية بالالتفات إلى كونها مطابقة للشريعة ولا يغفل عن شيء منها، وهكذا في كل مفردات حياته وبرنامجه اليومي وتكون المراقبة أكمل لو لاحظ حتى المستحبات والمكروهات، فيؤدي الأولى ويجتنب الثانية، والمراقبة المستمرة تضمن هذه المطابقة والموافقة.

وبعد انتهاء اليوم يأتي دور المحاسبة ليراجع نفسه وما قدّمت خلال اليوم، فإن وجد عملاً صالحاً شكر الله تعالى وسأله القبول والزيادة، وإن وجد سيئة استغفر الله تعالى وعقد العزم على عدم العودة بالاعتصام بالله تبارك وتعالى.

فوائد مراقبة النفس:

ص: 259

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلّه) مع حشد من طلبة جامعتي ميسان وواسط يوم 29/ذ.ح/1432 الموافق 2011/11/26.

وإذا التزم الإنسان بهذه الآليات الثلاث فإنه سيقبّل الفجوات التي ينفذ منها الشيطان فيوقعه في الخطأ، والمطلوب الالتفات إليها يومياً، ولكن هذه المحطات اليومية تتعرض للغفلة والقصور والتقصير لذا أضيفت إليها محطات أخرى.

محطات للتزود المعنوي:

إذ يظهر من آداب الشريعة إن الأسبوع والشهر والسنة لها أيضاً كيانات وشخصيات غير كيان اليوم، ولكل واحد منها التزاماته وتطبيق الآليات الثلاث عليه لتكثيفها وغلغلة المزيد من فرص الغفلة وغلبة الهوى والشيطان، فتوجد مثلاً للأسبوع محطة تجديد ومراجعة وانطلاق للأسبوع المقبل يوم الجمعة منها صلاة ركعتين بالحمد مرة والتوحيد سبغاً لكل منها ثم دعاء من سطر(1) واحد ليوم الجمعة بين الظهر والعصر وصلاة جعفر الطيار ضحى يوم الجمعة(2) وللشهر مثل ذلك من خلال صلاة أول الشهر بالحمد مرة والتوحيد ثلاثين في الأولى، والحمد مرة والقدر ثلاثين في الثانية. فإذا أتمها تصدق بما تيسر فإنه يشتري بذلك سلامة الشهر.

وفي ضوء هذا المنهج توجد صلاة(3) في اليوم الأخير من ذي الحجة باعتباره اليوم الأخير من ذي الحجة باعتباره اليوم الأخير من السنة علياً المشهور يكون بمثابة مراجعة

ص: 260

1- في مفاتيح الجنان (ص 73 أعمال يوم الجمعة): (قال الشيخ في المصباح: روي عن الأئمة (عليهم السلام) أن من صَلَّى الظهر يوم الجمعة وصلى بعدها ركعتين، يقرأ في الأولى الحمد والتوحيد سبغاً وفي الثانية مثل ذلك وبعد فراغه يقول: (اللهم اجعلني من أهل الجنة التي حشوها البركة وعمّارها الملائكة مع نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله) وأبينا إبراهيم (عليه السلام) لم تضرّه بلية ولم تصبه فتنة إلى الجمعة الأخرى وجمع الله بينه وبين محمد (صلى الله عليه وآله) وبين إبراهيم (عليه السلام)).

2- راجع تفاصيل هذه الأعمال في مفاتيح الجنان: أعمال يوم الجمعة.

3- في مفاتيح الجنان (أعمال اليوم الأخير من ذي الحجة/ص 325) (ذكر السيد في الإقبال طبقاً لبعض الروايات، أنه يُصَلَّى فيه ركعتان بفاتحة الكتاب والتوحيد عشرًا وآية الكرسي عشرًا ثم يُدعى بعد الصلاة بهذا الدعاء. (اللهم ما عملت في هذه السنة من عمل نهيتني عنه ولم ترضه، ونسيته ولم تنسه، ودعوتني إلى التوبة بعد اجترائي عليك اللهم فإني أستغفرك منه فاغفر لي وما عملت من عمل يُقربني إليك فاقبله مني ولا تقطع رجائي منك يا كريم). فإذا قلت هذا قال الشيطان: يا ويلي ما تعبت في هذه السنة هدمه أجمع بهذه الكلمات، وشهدت له السنة الماضية انه قد ختمها بخير).

ومحاسبة ووقفة تأمل فيما صدر من العبد خلال العام، ونقطة انطلاق جديدة لعام جديد، فيسأل الله تعالى أن يغفر له ما سلف في عامه المنصرم وأن يعينه على ملأ الصحائف البيضاء للعام الجديد بما يرضي الله تبارك وتعالى، فإن العبد هو الذي يملي على الملكين ما يكتبان في صحيفة أعماله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» الحشر 18. ومن ثمرات هذه الصلاة والدعاء بعدها أن السنة تشهد عند الله تعالى أن هذا الرجل قد ختمها بخير.

مشاعر المؤمن في رأس السنة:

فالمؤمن في مثل هذا اليوم الأخير من سنة منقضية سيُغلق ملفها ويحفظ إلى أن يعرض يوم النشور ويشهد بما فيه على صاحبه. وعلى مشارف سنة جديدة لم يسود صحائفها شيء، تكون له عينان، عين إلى تلك السنة المنصرمة هي عين المراجعة والمحاسبة فيها ندم على ما صدر منه من ذنوب وتقصيرات وشكر على ما وفق له من طاعات لكنه لا يصل إلى درجة الفرح للقلق من كونه مقبولاً أو لا.

وعين راجيه راغبة إلى السنة المقبلة هي عين المشاركة تسأل الله تعالى أن تكون أفضل من سابقتها وثقيلة الميزان بما يرضي الله تبارك وتعالى. والأمر راجع إلى العبد نفسه فهو الذي بيده قلم العمل يملي به صحائف الليالي والأيام بكامل إرادته.

لطف الله تعالى بنا بأيام الحسين (عليه السلام):

ومن لطف الله تعالى أن سنتنا تفتتح بذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) وفي أجواء التضحية والفداء والعشق الإلهي حيث نحر الإمام الحسين (عليه السلام) وأهليته وأصحابه في محراب الحب والفناء في الله تبارك وتعالى، وهذه الأجواء لها أثرها الذي لا ينكر في تقريب النفوس إلى الطاعة، حتى الفسقة والعصاة يتركون آثامهم في هذه الأيام ببركة الإمام الحسين (عليه السلام)، فتكون هذه الأيام في مفتح السنة حافزاً لنجاح المشاركة والتعهد أمام الله تبارك وتعالى بأن لا نفعل في سنتنا إلا خيراً مستمدين العزم وقوة الإرادة والتضحية بشهوات النفس وأهوائها وإدامة ذكر الله تعالى من الإمام الحسين (عليه السلام).

ويندرج في ذلك أن يكون إحياءنا لشعائر الإمام الحسين (عليه السلام) واعياً ملتفتاً إلى الأهداف الإصلاحية التي تحرك الإمام (عليه السلام) لتحقيقها لأن قيمة الأعمال بمضامينها وتحقيق أغراضها وليس بأشكالها، فهذه الصلاة التي هي عمود الدين واستشهد الإمام الحسين (عليه السلام) لإقامتها حق إقامتها (أشهد أنك قد أقيمت الصلاة) لا تكون لها قيمة إذا خلت من مضمونها الذي ذكرته الآية الشريفة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت 45 وقد ورد في رواية صحيحة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (والله إنه ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة، فأى شيء أشد من هذا، والله إنكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلي لبعضكم ما قبلها منه لاستخفافه بها، إن الله لا يقبل إلا الحسن، فكيف يقبل ما يستخف به)(1).

شروط القبول في العمل:

ص: 262

1- وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب اعداد الفرائض ونوافلها، باب 26 ح 2.

فلا بد أن نفهم إن المشاركة في الشعائر الحسينية والبكاء على الحسين (عليه السلام) لا يكفي وحده ما لم تجتمع فيه شروط القبول كما قال تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) المائدة 27 ولن تنال شفاعة الحسين (عليه السلام) وجده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة المعصومين من بنيه (صلوات الله عليهم أجمعين) إلا بالتقوى ومن علاماتها الإهتمام بالصلاة في أوقاتها وأن يحسن أداءها، ففي رواية صحيحة عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال (لا تتهاون بصلواتك فإن النبي (صلى الله عليه وآله) قال عند موته: ليس مني من استخف بصلواته لا يرد علي الحوض لا والله) (1). وعنه (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لكل شيء وجه ووجه دينكم الصلاة فلا يشين أحدكم وجه دينه). (2).

فما يصوره بعض الخطباء من أن اللطم على الإمام الحسين (عليه السلام) والبكاء عليه ولو جناح بعوضة يدخل الجنة بغير حساب وإن ملأ الشخص صحيفة أعماله بالآثام كلام مخالف للقرآن الكريم والروايات الثابتة عن المعصومين (عليه السلام) وانحراف في الفهم وخذاع للعامّة، وهذا الطرح خطير على الدين لأنه يشوهه ويمحقه، وخطير على المجتمع لأنه يؤدي إلى التمادي في الانحراف ويعطي مشروعية للعكوف على المعاصي ما داموا قد حصلوا على صك الغفران.

فاحذروا أيها الأخوة من هذا الطرح المضلل.

استنكار المنكر:

ص: 263

1- من لا يحضره الفقيه: ج 17 ص 60، وعلل الشرائع: ج 2 ص 356.

2- المصدر السابق، نفس الباب..

وهنا أسجل استغرابي واستنكاري من حصول بعض حالات الفساد في المجتمع كالذي ينقل عما يجري في المقاهي من أعمال منكرة وتعاطي مخدرات، أو ما يجري في محلات المساج والعلاج الطبيعي من اختلاط منكر ودعوة إلى الرذيلة، أو انتشار الفساد المالي وهدر الأموال العامة التي هي ملك الشعب، أو وجود مافيات وميليشيات القتل والاختطاف والابتزاز والسرقة، كل ذلك يحصل في مدن وسط وجنوب العراق التي فيها أغلبية ساحقة من الموالين لأهل البيت (عليهم السلام)، فإذا كان المشاركون في شعائر الحسين (عليه السلام) ثمانية ملايين أو أكثر بحيث نستطيع ان نقول ان كل شيعي موالي لأهل البيت b في هذه المدن يشارك بشكل أو بآخر في الشعائر كالمشي إلى مرقده الشريف أو خدمة الزوار أو المشاركة في مواكب العزاء أو المجالس الحسينية، إذن فمن الذي يقوم بتلك الأفعال المنكرة في المجتمع التي ذكرنا نماذج منها، وماذا استفاد هؤلاء من مبادئ الحسين (عليه السلام) وماذا فهموا من حركته المباركة؟ وهل يتوقعون قبول أعمالهم من الله تبارك وتعالى في ضوء الآيات الكريمة والروايات الشريفة. إن هذا الذي نقوله لا يقلل من أهمية إقامة هذه الشعائر المباركة وفضلها عند الله تبارك وتعالى وعند النبي وآله الكرام (صلى الله عليهم أجمعين) ولا من تأثيرها في هداية الناس إلى ولاية أهل البيت (عليهم السلام)، بل بلغني أن غير المسلمين تأثروا بها من خلال متابعتها على الفضائيات واعتنقوا عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) ببركة هذه المسيرة الصامتة التي تتوجه إلى زيارة الأربعين التي لا يمكن تأويلها وتفسيرها بغير المبادئ الانسانية النبيلة التي انطلقت من أجلها تلك الثورة المباركة ولا يمكن التشكيك فيها أو تزييفها.

هل من ناصر؟

إن الحسين (عليه السلام) عندما كان يردد يوم عاشوراء (هل من ناصر) لم يكن يتوقع من أولئك الطغاة الذين طبع الله على قلوبهم هداية ولا صلاحاً وإنما كان يريد لها أن تبقى صرخة مدوية لجميع الأجيال على مدى الأزمنة والدهور لينصروه في تحقيق أهدافه، ويبقى

النداء ما دام الواقع الفاسد والظلم الذي قام الإمام الحسين (عليه السلام) لتغييره وانشاء البديل الصالح عنه فليُنصره كلُّ بحسبه ومن موقعه وبما يناسبه من عمل.

فقد يُقبل من البعض شكل من أشكال إحياء الشعائر الحسينية ولا يقبل من آخر لأن المطلوب منه غير ذلك فالتفتوا جيداً.

وبما أنكم من طلبة الجامعات فأذكر لكم شكلاً من أشكال النصر لله ولرسوله ولالإمام (عليه السلام) بأن تنظموا في الأقسام الداخلية أي محل إقامتكم وسكنكم ثلاث محاضرات اسبوعياً على مدى ثلاثة أيام وسط الأسبوع، كل يوم محاضرة بعد صلاة المغرب والعشاء جماعة أحداها في الفقه والأخرى في العقائد والثالثة في السيرة والأخلاق والمعارف القرآنية، ومن يحب يواصل تحصيل العلوم الدينية، وقد أبدى فضلاء الحوزة العلمية استعدادهم للقيام بهذه الخدمة إن شاء الله واعلموا أنكم بذلك تقتربون من معرفة الإمام الحسين (عليه السلام) لينطبق عليكم ما ورد في زيارته (عليه السلام) (عارفاً بحقه) وفقنا الله تعالى وإياكم لأن نكون من أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) وممن يدخل السرور على قلبه الشريف بالسعي لتحقيق أهدافه بفضل الله تبارك وتعالى.

ص: 265

وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ (1)

لنراجع أنفسنا:

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (الحشر: 18-19). ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ هذا الغد ليس يوماً واحداً وإنما هو زمان واسع فسيح يبدأ من موت الإنسان ولا ينتهي عند عرصات القيامة والحساب بل هم فيها خالدون: فريق في الجنة وفريق في السعير نعوذ بالله.

فالله تبارك وتعالى يدعونا في هذه الآية إلى أن نراجع أنفسنا وننظر ماذا قدمنا لهذا الغد المجهول العصيب الذي فيه أهوال وصعوبات لا يعلمها إلا هو تبارك وتعالى، لا نعرف نحن عنه شيئاً ولا نعرف ما معنى أن ننظر لهذا الغد حتى نستعد له ونهيئ له ما يناسبه، لكن الله تبارك وتعالى هو ولي هذا الغد وملك هذا الغد وخالق هذا الغد بين لنا ما ينفعنا في تلك الحياة وحاشا لله تبارك وتعالى الرحيم الرؤوف بعباده المحسن إليهم أن يتركهم سدى، قال تعالى «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (البقرة: 197).

ص: 269

1- في يوم الجمعة 27/ذو القعدة/1431 هـ الموافق 2010/11/5 م أقدم سماحة الشيخ (دام ظله الشريف) على خطوة تاريخية مباركة وغير مسبوقة على الأقل في العقود القريية المنصرمة- فقد أقام سماحته أول صلاة جمعة في مكة المكرمة في مقر إقامته، وقد ألقى سماحته خطبتي صلاة الجمعة مرتدياً ثوب إحرامه حيث أعاد إلى الأذهان تلك الأجواء التي عاشها المؤمنون في العراق أيام إقامة صلاة الجمعة في مسجد الكوفة المعظم من قبل السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وبكى فيها (دام ظله) وأبكى العيون لأكثر من مرة لما تضمنته الخطبة من مواعظ. وما في المتن الخطبة الأولى منها.

خذوا مثلاً: سفركم هذا إلى الحج وهو سفر قصير لا تتجاوز مدته الشهر ومعكم إediaan يرشدونكم ومتعهدون يتولون إدارة شؤونكم ورفقة وإخوان وجهات توفر لكم الخدمة والمنزل والطعام ومع ذلك فإن أحدكم يستعد له منذ مدة طويلة ويتحسب لكل احتمال ويُعد كل ما يحتاجه من دقائق الأمور ويعيد النظر في جهازه خشية أن يكون قد نسي شيئاً.

فكيف بسفر الآخرة الذي لا أمد له ولا مُعين ولا رفيق ولا زاد إلا عملك فإنه قرينك صالحاً كان أو سيئاً والعياذ بالله تعالى وزادك التقوى التي يطلبها الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء يوم عرفة (اللهم اجعلني أخشاك كأنني أراك وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك)(1).

وهذا المستوى الذي يطلبه الإمام الحسين (عليه السلام) ويحث على الوصول إليه هو مستوى «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» وهو لا يتيسر إلا لعباد الله المخلصين ولكن لا مانع من طلبه والسعي لتحصيله من خلال تطبيق الآية الأخرى «اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» فإن الله تعالى تكفل لمن يعمل بما يتيسر له أن يوفقه ما لم يكن يستطيعه بلطفه وكرمه.

التقوى حركات وسكنات:

وهذه الفريضة الإلهية التي وفقكم الله تعالى إليها فدعاكم لضيافته والوفود إلى بيته الآمن المحرم هي من أعظم مصاديق التقوى وأوثق الأسباب لتحصيلها بل أن آية «وتزودوا» وردت في سياقها قال تعالى «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (البقرة: 197).

ص: 270

والتقوى عنوان يتحلل إلى الكثير من الحركات والسكنات: الحركات باتجاه الأعمال الصالحة سواء كانت على نحو الواجبات أو المستحبات وهي أضعاف الأولى، والسكنات أي التوقف إزاء الأعمال غير الصالحة سواء كانت على نحو المحرمات أو المكروهات، وقد حفلت الكتب بتسجيلها جميعاً حتى دقائقها ولا يستطيع أحد استقصائها.

من حكمة الله تعالى تنوع القابليات:

ومن حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أنه نَوَّع القابليات والقدرات والمؤهلات عند خلقه لتُغَطِّي كل مساحات عمل الخير ولكي لا يحرم أحد منها، فأعطى للبعض ثروة مالية فهو يتصدق منها ويساعد الفقراء والمحتاجين ويزوِّج الشباب المعسرِين ويحج ويحج ويحج ويسجد ويسجد ويشيّد المشاريع الخيرية وآخر لم يعطه مالاّ لكنه أعطاه علماً نافعاً فهو يرشد الناس ويهديهم ويصلح ما فسد من أمور دينهم ودنياهم ويوجههم ويعلمهم أمور دينهم. وآخر لم تعط مالا ولا علماً لكنه أعطى أخلاقاً حسنة فهو يعاشر الناس بالمعروف ويفشي السلام ويتصدق بالكلمات الطيبة، كما ورد في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمة العباس: (يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)(1).

ففرص الطاعة والتقرب إلى الله تعالى متكافئة للجميع لكنها منوّعة بحسبهم، روي أن مجموعة من النسوة شكّت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) تفضيل الرجال عليهن بإعطائهم فرصة الجهاد الذي هو (باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه)(2)

-كما وصفه أمير المؤمنين - وسقط عنهنّ، فأجاب النبي (صلى الله عليه وآله) بأن (جهاد

ص: 271

1- بحار الأنوار: 71/169.

2- نهج البلاغة: خطبة 27.

المرأة حسن التبعل(1)فالتساوي في فرص التكامل مكفولة للجميع. وكذلك فرصة الحج التي منحت للمستطيعين لم يُحرم منها الفقراء فورد فيهم (صلاة الجمعة حج المساكين)(2).

وهذه من عدالة الله تبارك وتعالى ومن حكمته لثُملاً كل مساحات عمل الخير بحسب اختلاف إمكانيات الناس وتوجهاتهم، وإذا قال أحد أنه لم يعطني الله شيئاً فليراجع نفسه وسيجد ما يتقرب به وتلقي ما ورد في الحديث الشريف (ما عبُد الله بشيء كالفرائض)(3). ونعود إلى ما بدأنا به من قوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد).

ص: 272

1- بحار الأنوار: 18/107.

2- بحار الأنوار: 86/199.

3- تحف العقول: 286 وفيه (ولا طاعة كأداء الفرائض).

الأمور بخواتيمها:

مما يوجب حذر المؤمن في هذه الحياة الدنيا ويجعله في توجس ويدفعه إلى مزيد من الاعتصام بالله تعالى، هو أن لا يختتم له بخير، وإن كان عمله بحسب الظاهر صالحاً الآن إلا أنه لا تعرف خاتمته والأمور بخواتيمها، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله ((لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له)).⁽¹⁾

وقد ينجح الإنسان في امتحانات عديدة لكنه يسقط في أحدها سقوطاً نهائياً والعياذ بالله، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (أن العبد ليعمل عمل أهل الجنة فيما يرى الناس وإنه لمن أهل النار، وإنه ليعمل عمل أهل النار فيما يرى الناس وإنه لمن أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم)⁽²⁾ وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (الأمور بتمامها والأعمال بخواتيمها).

قصة أحمد بن هلال العبرثاني:

وهذه الحقيقة لها شواهد قرآنية تاريخية كثيرة، ولنذكر مثلاً (حوزوياً) وهو أحمد بن هلال العبرثاني من كبار العلماء والرواة فقد قال عنه الشيخ الطوسي ((روى أكثر أصول أصحابنا)) ناهز التسعين من العمر (180-267)، حجّ (54) حجة، عشرون منها ماشياً على قدميه، قال عنه الكشي ((وقد كان رواية أصحابنا بالعراق لقوه، وكتبوا منه)) وقال العلامة (قد) أنه سمع منه ((جل أصحاب الحديث واعتمدوه فيها)).

ص: 273

1- بحار الأنوار: 71/366 ح 13.

2- كنز العمال ح 950.

وكان من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) إلا أنه مرّ بامتحان بعد استشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) ففشل فيه وغلبه هواه وحسده وحبّه للرئاسة والزعامة فورد التحذير أولاً من الإمام المهدي (عليه السلام) من الانخداع بظاهره فقد كتب الإمام (عليه السلام) إلى نوابه (قوامه) بالعراق في ابتداء أمره (احذروا الصوفي المتصنّع) ثم جاء لعنه من الإمام المهدي (عليه السلام)، فقد ورد في كتاب الغيبة في ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية ((قال أبو علي بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد (عليه السلام)، فأجمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان (رضي الله عنه) بنص الحسن (عليه السلام) في حياته، ولما مضى الحسن (عليه السلام)، قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان، وترجع إليه، وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم لم أسمعُه ينصّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه، يعني عثمان بن سعيد، فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعُ غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرئوا منه، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم حسين بن روح، بلعنه، وبالبراءة منه في جملة من لعن)).

ولم يتحمل كثير من الأصحاب هذا الخبر في حق ابن هلال لما ذكرنا من منزلته عندهم وأنكروا ما ورد في مذمّته ((فحملوا القاسم بن العلاء على أن يُراجع في أمره فخرج إليه توقيع طويل جاء فيه (ونحن نبأ إلى الله تعالى من ابن هلال لا رحمه الله وممن لا يبرأ منه، فأعلم الإسحاقى وأهل بلده مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألَكَ ويسألك عنه)(1)).

أهمية حسن الخاتمة:

ص: 274

1- هذه النصوص نقلها من مصادرها: السيد الخوئي (قدس سره) في معجم رجال الحديث: 2/367-370.

فهذا وأمثاله كثير ممن كان له ظاهر تمتد إليه الأعناق، لكن قدمه زلت ولم يتب ولم يصلح خطاه وأصرّ عليه فكان من الملعونين لذا ورد في الحديث النبوي الشريف (لا- عليكم أن تُعجبوا بأحدٍ حتى تنظروا بما يُختمُ له، فإنَّ العاملَ يعملُ زماناً من عمره أو بُرْهة من دهره بعملٍ صالح لو مات عليه دخل الجنة، ثمَّ يتحوّل فيعمل عملاً سيئاً)⁽¹⁾ وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ الرجلَ ليعملُ الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثمَّ يختم له بعمل أهل النار)⁽²⁾.

ولأهميّة حسن الخاتمة فقد أُشير إليها كثيراً في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وتكرّر طلبها في الأدعية المباركة، وأجاب القرآن الكريم باختصار عن كيفية ضمان الفوز بحسن الخاتمة في قوله تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص/83) وبتفصيل أكثر قال تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) (الإسراء/19).

متطلبات الفوز بالآخرة:

فالفوز بالآخرة يتطلب بحسب الآية الشريفة:

1- إرادة جديّة وقصد حقيقي لنيل رضوان الله تبارك وتعالى وليس مجرد لقلقة لسان كما وصفهم الإمام الحسين (عليه السلام) (الناس عبيد الدنيا، والدين لعقّ على ألسنتهم يحيطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحْصُوا بالبلاء قلّ الديانون)، وأن تكون إرادته مبنية على قصد الوصول إلى الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى وليس طاعة لغيره أو لأي هدفٍ آخر سواه.

ص: 275

1- منتخب ميزان الحكمة: 206 عن كنز العمال: 545، 589.

2- السابق.

2- السعي الجاد الدؤوب بما يصلح الآخرة ويضمن الفوز فيها، فقله تعالى (وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) يتضمن عدة خصائص لهذا السعي منها كونه حثيثاً ودؤوباً فقد قيل في معنى السعي أنه ((المشي السريع ويستعمل للجهد في الأمر))، ((وأكثر ما يُستعمل السعي في الأفعال المحمودة)) ولتأكيد ذلك فقد أضافت الآية السعي إلى الآخرة أي أن يكون السعي مناسباً للآخرة بكل ما يعني ذلك، لتختصر كل ما تطلبه الآخرة من نوع السعي ومقداره وخصوصياته، قال السيّد صاحب الميزان ((والمعنى وسعى وجدّ للآخرة السعي الذي يختص بها ويُستفاد منه أن سعيه لها يجب أن يكون سعيّاً يليق بها ويحقّ لها كأن يكون يبذل كمال الجهد في حسن العمل وأخذه من عقلٍ قطعي أو حجة شرعية)) (1).

3- أن يقترن ذلك بالإيمان بالله تعالى ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه شرط القبول ونيل الجزاء لأنّ باب الله الذي لا يُؤتى إلاّ منه (وَأَتُوا النَّبُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) (البقرة/189) وأن يتعزز الإيمان بالمعرفة بالله تعالى وإخلاص النية له سبحانه، وهذا الإيمان والمعرفة لا بد أن تكون لها حقيقة، فيعتقد أن هذا كله لطفٌ من الله تعالى وأنه لا يستقل بشيء عن ربه، وأن يكون خائفاً مشفقاً إذا نظر إلى العمل من زاويته الشخصية، فإذا قبل عمله بفضله ورحمته وهذا ما أكدته الآية اللاحقة (كُلًّا تُمِدُّ هُوَ لَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) (الإسراء/20) ونحو ذلك من المعاني.

ما يؤمنك من سوء العاقبة:

ص: 276

1- الميزان في تفسير القرآن: 13/65.

وقد بيّنت الروايات الشريفة بعض مظاهر هذه المعرفة وهذه الأعمال الصالحة: عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إذا أردت أن يؤمنك الله سوء العاقبة فاعلم أن ما تأتيه من خير ففضل الله وتوفيقه، وما تأتيه من سوء فيأمهال الله وإنظاره إياك وحلمه وعفوه عنك). (1) ومن كلام الإمام الصادق (عليه السلام) لبعض الناس (إن أردت أن يُختم بخير عملك حتى تُقبض وأنت في أفضل الأعمال فعظم لله حقه أن تبذل نعمائه في معاصيه، وأن تغتر بحلمه عنك، وأكرم كل من وجدته يذكر منّا أو ينتحل مودتنا). (2) عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (إنّ خواتيم أعمالكم قضاء حوائج اخوانكم والإحسان إليهم ما قدرتم وإلاّ لم يقبل منكم عمل، حتّوا على اخوانكم وارحموهم تلحقوا بنا). (3).

فمثل هؤلاء يكون سعيهم مشكوراً، وقد أطلق لفظ الشكر ليكون لا حدود له لأنّ صفات الله تبارك وتعالى لا حدود لها، ومن أسمائه الشكور.

لا بد أن يقترن الدعاء بالسعي:

وشدّدت الآية على أن الجزاء لا يتخلف عن السعي بل يكون نتيجة حتمية له، بعكس من يطلبون الدنيا الذين ذكرتهم الآية السابقة على هذه، قال تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَّ إِلَاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً) (الإسراء/18) فلا يتحقق له ما يريد بل ما يريد الله تبارك وتعالى، وليس لكل أحد بل لمن يشاء الله تعالى أن يعطيه.

وبهذا المعنى الذي شرحناه لسعي الآخرة لا بد أن نفهم معنى انتظار الإمام صاحب الأمر (عليه السلام) والدعاء بقيام دولته المباركة، فلا بد أن يقترن بالسعي الخاص به والمناسب له، فتقيّد أحاديث ثواب الانتظار والمنتظرين بأن يسعى له سعيه.

ص: 277

1- بحار الأنوار: 70/392 ح 60.

2- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): 2/4 ح 8.

3- بحار الأنوار، 75/379.

وهكذا كل قضية في حياتنا يُراد تحقيقها فلا بد أن يسعى لها سعيها المناسب لها كمن يريد أن يصبح طبيباً أو مهندساً فلا بد أن يبذل الجهد المطلوب كما ونوعاً ويسير وفق الآليات التي توصله إلى هدفه، ولا ينال كل ذلك إلا بلطف الله تعالى وتوفيقه ومدده.

ص: 278

كيف نكون من المقربين (1)

التفاوت في الدرجات يوم القيامة:

أهل الجنة ليسوا على نمط واحد من النعيم يوم القيامة وإن كانت الآيات الكريمة تقسمهم إلى (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (الشورى/7)، وفي سورة الواقعة إلى (المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال) وإنما تتفاوت منازلهم يومئذ على أنماط ومراتب لا حصر لها ، وهذا كله فرعتفاوتهم في كيفية استثمار فرصة وجودهم في الحياة الدنيا (وَلَا خَيْرَ لَكَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (الإسراء/21)

وقد وردت الاحاديث الشريفة في مراتب الأسلام والأيمان والورع والتقوى مما يعطي رؤية عن التفاوت الواسع في درجات الناس في الدنيا .

والمؤمن الطامح للكمال يرنو ببصره إلى أعلى تلك الدرجات ويسعى إليها، وهو متمسك لكل أحد بكرم الله تعالى وفضله، وقد وصل الى تلك الدرجات ناس ليسوا من المعصومين (عليهم السلام) حتى يقال إننا لا نصل إلى درجاتهم (صلوات الله عليهم) ، وكان وصولهم بأسباب ووسائل متعددة ، فبعضهم بموقف جهادي والشهادة في سبيل الله تعالى كأنصار الحسين (عليه السلام)

قد جاوروه هاهنا بقبورهم *** وقصورهم يوم الجزا متدانية

عجوز بني إسرائيل:

وبعضهم بعلموا الهمة وحسن الظن بالله تعالى كعجوز بني إسرائيل التي روى النبي (صلى الله عليه وآله) قصتها مع كليم الله موسى (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) وقال لها أطلبي ما تشائين

ص: 279

1- من حديث سماحة المرجع العقبوي (دام ظله) مع رابطة خطباء وأئمة مساجد مدينة الحرية ببغداد في يوم السبت 8/ربيع الثاني/1433 ومع جمع من أساتذة وطلبة المرحلة الثانية في جامعة الصدر الدينية في النجف يوم الثلاثاء 23/ج/1433 الموافق 2012/5/15.

فأني أرجو أن يحقق الله تعالى لك، فقالت أريد أن أكون معك في درجتك في الجنة، فأثنى النبي (صلى الله عليه وآله) على علو همتها(1).

وبعضهم بالمعرفة الكاملة باهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم كسلمان الفارسي الذي ورد فيه الحديث النبوي الشريف (ان الجنة لأعشق لسلمان من سلمان للجنة)(2).

مراتب الإيمان:

وعن عبد العزيز القرايطسي قال : (دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة ومن أقاويلهم، فقال: يا عبد العزيز الأيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقي وترتقى منه مرقة بعد مرقة، فلا يقولنَّ صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء ، و لا يقولنَّ صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء حتى انتهى إلى العاشرة قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعا رفيقا فافعل، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنه منكسر مؤمنا فعليه جبره، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته)(3).

كفالة الأيتام:

ومنهم من يصل تلك الدرجات السامية بكفالة الأيتام فاقد الأبوين أو الأيتام المعنويين وهم الناس المقطوعون عن إمام زمانهم فيأخذ بأيديهم ويرشدهم ، وورد في ذلك الحديث

ص: 280

1- نقلت القصة بطولها في ما الخطاب: تعرضوا لنفحات ربكم، تحت عنوان طلبات جامعة.

2- بحار الأنوار : 341 / 22

3- الخصال للصدوق باب العشرة ج2 ص 448، الفصيل: ولد الناقة إذا فُطم من اللبن وانفصل عن أمه، والبالز إذا بلغ 8-9 سنوات من العمر.

النبي الشريف (انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة اذا اتقى الله عز وجل)(1) وأشار بالوسطى و التي تليها، فقد خصصنا خطابا لبيان هذا المعنى في إحدى الزيارات الفاطمية (2).

وانتم - يا طلبة العلوم الدينية - ممن هيا الله تعالى لهم هذا السبيل للأرتقاء إلى درجات المقربين ، وفي ذلك يقول الأمام الحسن العسكري (عليه السلام) (حدثني أبي عن آباءه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قال : اشدُّ من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول اليه ولا يدري كيف حكمه فيما يُبتلى به من شرائع دينه ، ألا فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا وهذا الجاهل في شريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ، ألا فمن هداه وارشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى)(3).

وكلما ذكرنا مثل هذه المعاني استغربنا كيف لا يلتحق كل الناس بالحوزات العلمية الدينية لينالوا هذه المرتبة العظيمة.

مرتبة بكير بن أعين:

واذكر لكم أحد المباركين الذين نالوا هذه الدرجة، ولم يكن من سادات بني هاشم ولا من علية القوم ولا من الأسر المعروفة ، انه بكير بن اعين ، وكان أبوه عبداً رومياً لرجل من بني شيبان تعلم القران ثم اعتقه فكان من موالي بني شيبان ولم يلتحق بنسبهم وكان جده راهبا في بلد الروم، وأنجب اعين أولاد فقهاء أفذاذ وهم زرارة وبكير وعبد الملك وحمران، ورووا عن الإمام السجاد و الباقر و الصادق (صلوات الله عليهم أجمعين)، لما بلغ خبر موتبكير الإمام الصادق (عليهم السلام) قال (أما والله لقد أنزله الله بين رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) (4).

ص: 281

1- نور الثقلين: ج5 ص597.

2- خطاب المرحلة : 6/228

3- بحار الأنوار: 2/2-6 الباب 8 من كتاب العقل و الجهل الاحاديث 1-11

4- معجم رجال الحديث: 3/353

فهذا قدوة وأسوة لكم وفقه الله تعالى لمسلك أهل العلم فتحمل علوم أهل البيت (عليهم السلام) ونشرها بين الناس بحسب استطاعته، اذ لم تكن الفرصة متاحة لقسوة الأمويين والعباسيين وبطشهم بكل من يتشيع لعلي واله (صلوات الله عليهم أجمعين)، فثبت هذا الفقيه الكبير وواصل نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) وكان لهم الفضل الكبير على كل أجيال المسلمين إلى قيام يوم الساعة بما حفظوا ونقلوا من احاديث أهل البيت (عليهم السلام) ولولاهم لضاعت تلك الأحاديث.

نضحية العلماء (محمد بن أبي عمير نموذجاً):

لقد بذل العلماء وحملة الاحاديث الكثير من الجهود و تحمّلوا أذى كثيرا على هذا الطريق ولكنهم ثبتوا وواصلوا، طلب هارون العباسي من محمد بن أبي عمير - وهو من الرواة الأجلاء الثقات الذين قبل الأصحاب رواياتهم وان لم يسندها - ان يلي القضاء فرفض فراراً بدينه، فحبسه وعذبه في السجن ليدل على مواضع الشيعة وأصحاب الإمام موسى بن جعفر (عليهم السلام) فلم يخضع، حتى بلغ منه الألم مبلغاً عظيماً فكاد ان يقرّ فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمن وهو يقول : اتق الله يا محمد ابن أبي عمير، فصبر ففرّج الله تعالى (1).

ونحن اليوم وإن زال عذاب السجون والاعتقال والإعدام بالقضاء على المجرم المقبور، إلا أن ألواناً من البلاء تحفّ بنا قد تكون أشد من ذلك.

وانتم فاشكروا الله تعالى على توفيقه لكم لحمل هذه الرسالة (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) (عيس/20) واثبتوا (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران/200) (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس/58).

ص: 282

صورة العبادة لا تكتمل إلا بالمستحبات(1)

ضرورة المستحبات:

توجد سنن ومستحبات تسبق الصلاة المفروضة كالأذان والإقامة والجلوس في محل الصلاة انتظاراً لدخول الوقت وفسرت المرابطة في الآية الشريفة «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (آل عمران:200) بحالة الانتظار هذه، وتوجد سنن ومستحبات تلحق الصلاة كالدعاء والاستغفار وتسييح الزهراء (عليها السلام) الذي ورد فيه أنه يعدل ألف ركعة(2).

وهذه الأعمال وإن كانت مستحبة يمكن تركها إلا أنها ضرورية لإتمام تأثير الفرائض وإنتاجها للأغراض المطلوبة منها، ولو اقتصر الإنسان على أداء الواجب من الصلاة لكانت خاوية.

التخطيط الإلهي لحفظ الفرائض:

ص: 285

1- توقف سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) عند المعبر الحدودي بين العراق والكويت في صفوان أثناء سفره لأداء فريضة الحج المباركة وأقام صلاة الجماعة التي شارك فيها عدد من الحجاج والمودعين، وصادف يوم الجمعة 1/ ذي الحجة/1424 هـ الموافق 2004/1/23 وتحدث إلى المصلين بعد الصلاة وقد وقع بأيدينا تسجيل الحديث فأحببنا ذكر هذا الملتخص لحديث سماحته. تضمن برنامج الرحلة السفر برأ إلى البصرة يوم الخميس آخر ذي القعدة 1424 ثم عبور الحدود الكويتية عصر الجمعة 1/ذ.ح./1424 المصادف 2004/1/23 حيث استضافت الحكومة الكويتية الحجاج العراقيين في مدينة الحجاج في الجهراء، وغادر سماحة الشيخ اليعقوبي مطار الكويت قبيل فجر الأحد إلى جدة ومن ثم إلى ميقات الجحفة والإحرام منه ودخل مكة المكرمة منتصف ليلة الاثنين.

2- عن الصادق (عليه السلام) انه قال: (تسييح فاطمة (عليه السلام) في كل يوم في دبر كل صلاة أحب إلي من صلاة ألف ركعة في كل يوم). الكافي: ج 3 ص 343.

ويمكن لأي شخص أن يقارن النتائج بين صلاتين، الأولى بمستحباتها ومقدماتها وتعقيباتها، وأخرى خالية من كل ذلك ليدرك عظيم الفرق بين الحالتين.

وهذا التخطيط الإلهي للحرص على أداء الفرائض بأفضل صورها لا يختص بالصلاة وإنما هو جارٍ في العبادات الأخرى، فإلى جنب واجبات كل فريضة توجد أضعافها من المستحبات والسنن، فإن الصوم الواجب هو رمضان فقط لكن المستحب أكثر منه خصوصاً في رجب وشعبان لتطهير القلب وتهذيب النفس وتأهيلهما لتلقي النفحات الإلهية في شهر رمضان.

والشعائر الحسينية مستحبة وقد يعترض كثيرون على بعض مظاهرها لكنها ضرورية لحماية أصل الدين، ولم يستطع النظام الصدامي البطش بالدين وأهله إلا بعد أن أوقف تلك الشعائر في منتصف سبعينيات القرن الماضي بحجة أنها قشور لا قيمة لها، وكنا ندافع عنها بأن القشور ضرورية لحفظ اللب وإذا ترك اللب بدون قشور تحفظه فإنه يتلف.

المكروهات ودورها في اجتناب المحرمات:

والأمر كذلك في المحرمات حيث جعل الشارع المقدس إزائها أكثر منها من المكروهات وعبر عنها بالحمى والحدود وأن من يقتحمها يوشك أن يقع في المحرمات، فمَنع الاختلاء بالأجنبية أو المسامرة معها خشية الوقوع في الحرام، ولأن ضغط الشهوة الجنسية وتأثيرها قوي فقد وصل التحصين منها إلى مستوى كراهية أن يقعد الرجل في مكان جلست فيه المرأة قبل أن يبرد من حرارة جسمها خشية أن يذهب خياله بعيداً ويحرّك شهواته.

السعي لإقامة المستحبات:

فمن غير المناسب لمن يسعى لنيل رضا الله تبارك وتعالى أن يدخل في الصلاة من دون مقدمات ولو الإقامة على الأقل، أو يقوم من مصلاه فور التسليم والانتهاء من صلاته دون الإتيان بالتعقيبات ولو تسبيح الزهراء وسجدة الشكر.

خصوصاً في مثل هذه الساعة الشريفة من يوم الجمعة التي قال فيها الله تبارك وتعالى «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الجمعة: 10) وفضل الله تعالى لا يختص بالرزق المادي وإنما يشمل الرزق المعنوي واستنزال الألفاظ الإلهية بالدعاء والذكر.

ص: 287

الاهتمام بفعل المستحبات وترك الشبهات والمكروهات (1)

ضرورة الالتزام بالمستحبات وترك المكروهات:

عندما نمارس وظيفتنا في الهداية والإصلاح وتبليغ الأحكام ندعو للقيام بفعل ما ونحثّ عليه ونشرح ثواب العمل والآثار المباركة له في الدنيا والآخرة، فيقال لنا: قل لنا هل هو واجب لا يجوز تركه حتى نفعله، وكأئننا ليس علينا أن نؤدي إلا ما كان واجباً جزماً لا رخصة في تركه، أما المستحبات - وبعضها مؤكدة - أو الأمور التي يؤتى بها على نحو الاحتياط الاستجابي فلا نشعر بالمسؤولية اتجاه القيام بها.

وهكذا عندما ننهي عن فعل معين ونبيّن الآثار السيئة على النفس والمجتمع عامة، فيقال لنا: قل لنا هل هو حرام جزماً حتى نجتنبه، وإلا فلا مانع من فعله، وطبعاً ليست كل الأفعال المنهي عنها جزية الحرمة، فبعضها شبهات، وبعضها يوجد احتياط بتركها، وبعضها ليست حراماً لكنّها يمكن أن تكون باباً يؤدي إلى الحرام، فكأنّ هذه كلها مما يمكن اقتحامه ولا يجب اجتنابه.

إنّ منهج عدم فعل شيء إلا إذا كان واجباً جزماً، وعدم ترك شيء إلا إذا كان حراماً جزماً، منهج غير منتج ولا يوصل إلى الفلاح، ومن يسير وفق هذا المنهج فإنّه يسقط في الهاوية وتزلّ قدمه.

والمثال الواضح لذلك هو شق الطرق فإنه يوضع إلى جانب الطريق كتف ترابي يسمى حمى الطريق ليشعر قائد السيارة بالأطمئنان والثبات ولتحقيق الأمان للسيارة عندما تزل

ص: 288

1- من حديث لسماحة الشيخ العنقوبي (دام ظلّه) في يومين متتاليين مع وفود من طلبة الجامعات في بغداد وذي قار وجامعة الصدر الدينية فرع خور الزبير في البصرة ومؤسسات مجتمع مدني من بغداد والحلّة يوم 25-26/ع/1434 هـ المصادف 6-7/2013.

إطاراتها عن الشارع المعبّد بسبب غفلة السائق أو لتعرضه لموقف مفاجئ، ويتأكد الأمر لدى المهندس حينما يصمّم طريقاً في منطقة جبلية وعرة، وإلى جانبها وإد سحيق، فإن هذا الكتف يكون ضرورياً، ولو وضع حد الشارع على حافة الوادي فإن السقوط فيه سيكون وارداً جداً خصوصاً عندما تضايقه سيارة قادمة أو تأخذه سنة أو غفلة، بل ان قائد السيارة يكون مرتبكاً وقلقاً وغير متزن إذا لم يوجد هذا الحمى إلى جانب الطريق ويؤدي به ارتبائه إلى السقوط في المحذور، وهذا جانب نفسي لا يمكن انكاره.

وهذا هو حال من يزعم أنه يسير وفق الأحكام الإلزامية فقط من واجبات ومحرمات ولا- يعزّزها بفعل المستحبات وترك الشبهات والمكروهات بمقدار ما يستطيع وبمقدار ما يوقّعه الله تعالى إليه.

وقد وُصفت الشبهات بنفس لفظ الحمى في الأحاديث الشريفة.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه). (1)

حكى أن عالماً سأل أحد علماء السلف الصالح أنه لماذا ندعو فلا يستجاب لنا، بينما كان دعاء السلف الصالح مستجاباً، قال في جوابه: لأننا كنّا نقسّم أحكام الأشياء على قسمين فقط: ما نلتزم بفعله وهي الواجبات والمستحبات، وما نلتزم بتركه وهي المحرمات والمكروهات، أما أنتم فقسمتموها إلى خمسة أقسام: واجب ومستحب ومباح ومكروه وحرام ولم تلزموا أنفسكم إلاّ بفعل الأول وترك الأخير فسبّب لكم هذه القسوة والابتعاد عن الله تعالى.

أهمية الواجب والمستحب:

صحيح أن الواجبات أهم من المستحبات بدليل جعلها واجبات أي أن المصلحة في الفعل الواجب ملزمة -كما يعبرون- وتفيد بعض الروايات أنها أكثر ثواباً عند الله تعالى

ص: 289

من المستحبات، لكننا بصدد الحديث عمّا هو أكثر إنتاجاً وإيصلاً في طريق التكامل، والمستفاد من بعض الروايات أن النوافل هي الأكثر فاعلية، ويساعد عليه الوجدان، لأن الإنسان يؤدي الفرائض بدافع الخوف من العقوبة إذا تركها غالباً باعتبارها واجبة، أما المتسحبات فيؤديها رغبة في ثواب الله تعالى والتقرب إليه والفوز بمحبته ورضاه، وهذه النية الثانية موجبة أكثر من الأولى للتقرب من الله تبارك وتعالى.

وأذكر شاهداً على هذا التأثير للنوافل وهي حكاية رواها أحدهم عن المرحوم السيد علي القاضي صاحب المدرسة الأخلاقية المعروفة قال فيها أنه أيام إقامته في النجف الأشرف كان هناك شاب منحرف يشرب الخمر وتارك للصلاة، لكنه كان يحب السيد القاضي كثيراً ويساعده إذا رآه ويحمل عنه حاجاته إلى داره، وكان السيد ينصحه بأن يتوب إلى ربه ويلتزم بالصلاة ويترك الخمر، لكنه لم يأخذ بالنصيحة وبعد سنين قال له السيد إنني طلبت منك طلباً منذ سنين ولم تستجب لي، فقال الشاب: لا أقدر على الالتزام، فقال السيد له: إذن أطلب منك أن تفعل في ليلة واحدة بأن تقوم في منتصف الليل والناس نيام فتتوضأ وتصلي صلاة الليل، فقال الشاب أن نومي عميق ولا أستطيع الاستيقاظ في منتصف الليل، قال السيد، لا بأس أنا أضمن لك استيقاظك وواعدني بفعل ما طلبت، فوعده بذلك ولما انتصف الليل استيقظ الشاب فجأة وجاء إلى حوض الماء ليتوضأ وفكر وتدبر وتأمل طويلاً وراجع نفسه واستحيا من خالقه فأدركته الألفاظ الإلهية، وهنا خاطب ربه بكلمة اشتهرت لاحقاً (يا رب إني وإن تأخرت في الوصول إلا- إني أرجو أن لا أفارقك) ومن ذلك اليوم استقام في سيرته وأصبح من مشاهير الصالحين في النجف.

ثمرات الالتزام بالمستحبات:

وقد تبين مما سبق وجود أكثر من ثمرة للإتيان بالمستحبات، منها.

1- أنها صيانة ووقاية للواجبات، فمن كان مؤدياً للنوافل والمستحبات، فإنه بالطبع أشد التزاماً بالواجبات، أما من اقتصر على الواجبات فإنه معرض لفواتها بسبب أو آخر.

2- إن النوافل والمستحبات أسرع إيصالاً في سلم الكمال، ومن الأحاديث الواردة في ذلك صحيحة ابان بن تغلب عن الإمام الباقر (عليه السلام) في الحديث القدسي (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ أَسْأَلَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) (1).

3- إن بها إتمام نقص الفرائض من حيث القبول، لأن الناس غالباً لا يأتون بالفريضة بالشكل الموجب للارتقاء، كالصلاة الخاشعة مثلاً، فشرعت النوافل لإتمام هذا النقص، وقد وردت في هذا المعنى روايات عديدة، 1- كصحيحة محمد بن مسلم عن الإمام الباقر (عليه السلام)، قال: (إِنَّ الْعَبْدَ لِيُرْفَعَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ نَصْفُهَا أَوْ ثُلُثُهَا أَوْ رُبْعُهَا أَوْ خُمْسُهَا، فَمَا يَرْفَعُ لَهُ إِلَّا مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ، وَإِنَّمَا أَمْرُنَا بِالنَّافِلَةِ لِيَتِمَّ لَهُمْ بِهَا مَا نَقَصُوا مِنَ الْفَرِيضَةِ) (2).

وروى أبو بصير نفس الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) وقال بعده: ما أرى النوافل ينبغي أن تترك على حاله، فقال الإمام الصادق (عليه السلام): (أَجَلْ لَا) (3).

4- الثواب الكبير المرصود لمن أتى بالمستحبات بشكل مذهل أو جب عدم تصديق الكثيرين، ولم تتحمل عقولهم أن يكون مثل ذلك الثواب لمن صلى ركعتين أو قرأ سورة قصيرة من القرآن أو قضى حاجة لأخيه المؤمن أو تصدق بمبلغ يسير، لكن كرم الله تعالى واسع وخزائنه لا تنفذ، وقد حفل القرآن الكريم والروايات الشريفة (4) بأمثال ذلك، حتى ان بعض ذلك الثواب لم يذكر تعظيماً لشأنه كثواب صلاة الليل، قال تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ

ص: 291

1- كنز العمال : 1 / 229 / 1155، المعجم الكبير : ج 8 ص 206.

2- وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب اعداد الفرائض ونوافلها، باب 17 ح 3.

3- السابق.

4- راجع (مفاتيح الجنان) ونحوه.

مَا أَحْفِي لَّهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ (السجدة/17)، ومثل هذا الثواب العظيم لا يفترط به عاقل، ونحن في هذه الدنيا الزائلة نزرع لنحصد في الآخرة وفي تجارة لن تبور، والربح الجنة، ولذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجهد نفسه في النوافل والمستحبات، لأنه وعى قوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) (الإسراء/79) ومن لا يريد أن يبعثه الله تعالى في المقام المحمود؟، وإنما ينال بامتطاء الليل (1) كما عبّر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

وقد أجهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه الشريفة حتى أشفق عليه ربه وخاطبه (طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) (طه / 1-2) وقيل له: يا رسول الله أتتعب هكذا بالعبادة وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أفلا أكون عبداً شكوراً.

آثار ترك المكروهات:

وفي الطرف المقابل فإن نفس الآثار المباركة تحصل من ترك الأمور المشتبهة والمكروهات، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (حلال بينٌ وحرام بينٌ وشبهات بين ذلك، فمن ترك ما اشتبه عليه من الإثم فهو لما استبان منه اترك). (2)

وعنه (عليه السلام) (إياك والوقوع في الشبهات، والولوع بالشهوات، فإنهما يقتادانك إلى الوقوع في الحرام وركوب كثيرٍ من الآثام). (3)

وروى الإمام الصادق (عليه السلام) حديثاً عن جدّه رسول اله (صلى الله عليه وآله) جاء فيه (فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم). (4).

ص: 292

1- انظر البحار: ج75 ص379.

2- من لا يحضره الفقيه: 4/75 ح5149.

3- غرر الحكم: 2723.

4- الكافي: 68 /1 ح10.

الاتيان بالمستحبات على قدر الإمكان:

ينبغي الالتفات إلى أنه ليس من المقذور إتيان كل ما مذكور من المستحبات واجتناب كل ما ورد من المكروهات، لكننا ذكرنا في خطاب آخر عن سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انك تبذل وسعك في فعل ما تستطيع وسيوفقك الله تعالى إلى ما لم تكن تستطيع، فلنتعاون على البر والتقوى كما أمر الله تبارك وتعالى.

ومن الواضح أيضاً أننا لا نريد من الاهتمام بالمستحبات أن يكون على حساب الفرائض، لأنه (لا قرابة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض)(1) كما في الحديث الشريف كمن ينفق في الإطعام واستضافة الزوار وهو لا يؤدي الحق الشرعي، وإنما نتكلم عن الاهتمام بالمستحبات بعد الفراغ من الالتزام بالواجبات.

عدم الشعور بالمسؤولية ينتج تضييع الفرائض العظيمة:

إنّ هذا المنهج من التفكير الذي نريد معالجته في هذا الحديث منتشر مع الأسف وهو عقبة في طريق الإصلاح بل عطل فرائض مهمة في الإسلام كفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنها ذابت بسبب عدم شعور الفرد بالمسؤولية أمامها، وأحد أسباب ذلك ذهاب المشهور إلى كون وجوبها كفاً فأتكل كل على الآخر باعتبار أن الوجوب ليس متعيناً به.

وكذا صلاة الجمعة المباركة حيث قال المشهور أن وجوبها تخيري والمكلف مخير بين إقامتها أو أداء صلاة الظهر، فضيّعوها طيلة هذه القرون لأنهم اعطوا لأنفسهم الرخصة في الاختيار بين الظهر والجمعة مع أنهم يعترفون أنها أفضل من صلاة الظهر حتى لو قلنا بمقالتهم، وحرمانا بسبب ذلك من بركات هذه الفريضة العظيمة.

مشكلة عدم الحضور لصلاة الجمعة:

ص: 293

حينما نتفقد أخبار الحضور في صلوات الجمعة نخرج بنتائج إن عدد الحاضرين معتدّ به إلا أنه بلحاظ عدد من يتوقع منهم الحضور غير مرضي وحينما نسأل عن السبب يعتذر البعض بأنه يبعد أزيد من 11 كيلومتراً عن موضع الصلاة فيسقط عنه الوجوب، ويعتذر الآخر بأنه يرجع إلى مرجعية تقول بالوجوب التخيري فلا يتعين عليه الحضور، وهذه نماذج لهذا التفكير غير المثمر الذي يفرض بأعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى، فأين ذهبت مئات الأحاديث الشريفة التي تلزم بالحضور في صلوات الجمعة وتحث على الحضور فيها وتذكر الثواب العظيم والمغفرة الواسعة لمصلي الجمعة، وهب أن الحضور ليس واجباً بالتعيين على الفرد، لكن أليس هو واجباً تخييرياً وأنه أفضل الفردين، فلماذا هذا الزهد بالفضل العظيم والتجارة التي لن تبور.

لبس (الماتو) من قبل النساء:

ونفس الشيء نواجهه عند النهي عن بعض الأفعال، فحينما نقول لبعض النساء المحجبات بالثوب الذي ينزل إلى الركبة المعروف ب(الماتو) مع السروال: ان هذا النمط من اللباس يبتعد عن حجاب العفاف والحياء ويشكّل خطوة نحو التسامح والتحلل، يقال لنا: انه ساتر للبدن ولا إشكال فيه اقتصاراً على الحدود الدنيا من الواجب.

الشباب ومشكلة الحوار مع الجنس الآخر:

أو بعض الشباب والشابات من طلبة الجامعات أو الذين يجرون حوارات على الجات وأمثاله ننهائم عن إنشاء علاقات حتى لو كانت (شريفة) على مستوى تبادل المحاضرات ومناقشة شؤون الدراسة، لأنه فخ من فخور بالشيطان ومظنة للانجرار نحو الحرام، فإن الشيطان يخطط بمكر وخبث ليصل إلى مراده ويبدأ بمقدمات ليس فيها حرام واضح حتى يخدع المؤمن بإتباعه ثم تتدرج الخطوات ويبتعد المخدوع عن جادة الصواب شيئاً فشيئاً.

ففي البداية تبادل محاضرات وأحاديث عن شؤون الدراسة والحياة العامة ثم إعجاب من الطرفين ببعضهما ثم (مودّة) قلبية ثم تكثيف اللقاءات والمواعيد ثم الاختلاء ببعضهما في أماكن بعيدة عن الرقيب، ولا نعلم ما يحدث بعد ذلك وهذا ما حدّرتنا منه الله تبارك وتعالى فقال (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) (البقرة/168) لأن الشيطان يتخذ خطوات متدرجة تنتهي إلى الوقوع في الحرام وقد لا تكون هذه النتيجة واضحة من أول الأمر.

أقول: حينما تقدّم هذه التوجيهات للشباب والشابات يقولون لنا أنهم لم يفعلوا حراماً وان علاقتهم (شريفة) وأحاديثهم مقتصرة على شؤون الدراسة والأمر العامة ولا يعلمون أنهم يسرون على حافة الطريق وإلى جنبهم وادي سحيق ومن دون منطقة حماية لهم على الجوانب.

منهج عدم الاعتناء بالمستحبات والمكروهات:

إن السير بهذا المنهج من عدم الاعتناء بالمستحبات وترك الشبهات والمكروهات يؤدي إلى تضييع الدين شيئاً فشيئاً، لأنه سترك قراءة القرآن وزيارة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) والإحسان إلى الآخرين والحضور في المساجد باعتبارها ليست واجبة، وسيقترب من الشبهات لأنها ليست محرمة جسمية فماذا بقي من الدين؟ وأين التقوى والورع الذي هو خير الزاد ليوم المعاد؟.

والخلاصة أنه علينا أن نعطي أهمية كبيرة لترك الشبهات وما نستطيع من ترك المكروهات، وأن نهتم بفعل ما يوفّقنا الله تعالى إليه من المستحبات خصوصاً المؤكدة منها كبعض النوافل اليومية وقراءة القرآن ولو لبضع دقائق يومياً والحضور إلى المساجد لأداء صلاة الجمعة والجماعة، وزيارة المعصومين (عليهم السلام) بحسب المتيسّر، ويحسن زيارتهم (عليهم السلام) عن بعد يومياً بسلام خفيف (السلام عليك يا سيدي ومولاي يا رسول الله صلى الله على روحك الطيبة وجسدك الطاهر، وعليك السلام يا مولاي يا حجة الله في أرضه وسمائه ورحمة الله وبركاته) وهكذا لجميع المعصومين مع ذكر اسم كل

واحد منهم، فإنه يصل إليهم لأنهم (يسمعون الكلام ويردّون الجواب) [\(1\)](#) كما في الزيارة الشريفة.

ص: 296

1- أنظر البحار: ج 98 ص 330.

من سنن النبي: (1)

التأسي بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

حسنا الله تبارك وتعالى على الأخذ بسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال الله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) (الأحزاب/21) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إني لأكره للرجل أن يموت وقد بقيت خلة من خلال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يأت بها)(2).

وجعل الإمام (عليه السلام) سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته ميزاناً يعرف بها الإنسان درجة صلاحه، فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنّ الله خصّ رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا وارغبوا إليه في الزيادة منها)(3).

وهذا يدعونا إلى البحث والتحري عن سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى تتمكن من التأسي بها، ونحن لا نتوقع التمكن من الإتيان بها جميعاً، لكن علينا أن نسعى إلى تحقيق أكبر مقدار نستطيعه ونحافظ عليه وعندئذ يوقننا الله تعالى لا زيد من ذلك فنلتزم به ونحافظ عليه فنوفّق للمزيد وهكذا بالتدريج.

السنن النبوية في القرآن الكريم:

وسنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومكارم أخلاقه تفوق حد الحصر، وما بين أيدينا هو ما نقل لنا منه عبر الروايات أما مقاماته وخصاله وملكاته فلا يعرفها إلا الله تبارك وتعالى.

ص: 297

1- محاضرة ألقاها سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) من قناة النعيم الفضائية، لإحياء ذكرى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ربيع الأول/1434 الموافق: كانون الثاني/2013.

2- بحار الأنوار: 16/254 عن مكارم الأخلاق للطبرسي: 39.

3- وسائل الشيعة كتاب جهاد النفس أبواب جهاد النفس باب 4 ح 1.

ونحاول في هذه العجالة أن نقف عند بعض هذه السنن وأول مصدر لسننه (صلى الله عليه وآله وسلم) وآدابه التي أدبه بها ربّه هو القرآن الكريم، وقد سجّل لنا جملة منها كقوله تعالى {فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} آل عمران 159

وقوله { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف 199

وقوله {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} النمل 91

وقوله {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوفُونَ} الروم 60 وقوله {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا . إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} الكهف 23-24.

وقوله {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} الإسراء 79

وقوله وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (العنكبوت/45).

وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأمر المؤمنين و:

ومن الروايات الجامعة لمكارم أخلاقه (صلى الله عليه وآله) وسننه: وصيته لأمر المؤمنين (عليه السلام) التي رويت في الكتب المعتمدة عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): (يا علي اوصيك في نفسك بخصال فاحفظها ثم قال: اللهم اعنه، اما الاولى فالصدق لا يخرج من فيك كذبة ابدا، والثانية الورع لا تجترأ على خيانة ابداً، والثالثة الخوف من الله كأنك تراه، والرابعة كثرة البكاء من خشية الله عز وجل بيني لك بكل دمعة بيت في الجنة، والخامسة بذل مالك

ودمك دون دينك، والسادسة الاخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقتي، اما الصلاة فالخمسون ركعة، واما الصوم فثلاثة ايام في كل شهر خميس في اوله، وأربعاء في وسطه، وخميس في آخره، واما الصدقة فجهدك حتى يقال: اسرفت ولم تسرف، وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الزوال، وعليك بقراءة القرآن على كل حال، وعليك برفع يديك في الصلاة، وتقليبهما، عليك بالسواك عند كل صلاة، عليك بمحاسن الاخلاق فاركبها، عليك بمساوئ الاخلاق فاجتنبها، فإن لم تفعل فلا تلومن الا نفسك(1).

وقد تضمنت هذه الوصية عدّة محاور من سنته الشريفة منها على صعيد الصفات القلبية -كالورع والخوف من الله تعالى- ومنها على صعيد الخصال النفسية - كالصدق- ومنها على صعيد الأعمال الخارجية كالصوم والصلاة والصدقة.

الاستمداد من الله تعالى:

ويعلمنا النبي (صلى الله عليه وآله) أن العمل بهذه السنن والأخذ بها لا يتحقق إلا بالطفاف إلهية خاصة، لذلك فإنه 2 يدعو لأمير المؤمنين (عليه السلام) (اللهم أعنه).

وقد علمنا الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أن ندعو نحن أيضاً بهذا الدعاء كالذي ورد في الدعاء اليومي لشهر شعبان (اللهم فأعنا على الاستئان بسنته 2 فيه)(2).

صفة العبودية لله تعالى:

كان (صلى الله عليه وآله) يجتهد في العبادة فقليل له (يا رسول الله غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر وأنت تجهد هذا الاجتهاد؟ فقال 2: (أفلا أكون عبداً شكوراً)(3)، وصفة

ص: 299

1- وسائل الشيعة كتاب الجهاد أبواب جهاد النفس، باب 4 ح 1.

2- إقبال الأعمال: ج 3 ص 300.

3- وسائل الشيعة كتاب الجهاد أبواب جهاد النفس، باب 4، ح 2.

العبودية لله تعالى وحده والتحرّر من طاعة غيره هي مصدر كل الكمالات الأخرى لذلك اختارها الله لتكون الصفة التي يسلم عليه بها يوماً في صلواتنا (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

لكي نعمل بسنة النبي (صلى الله عليه وآله):

وأذكر لكم عملاً عبادياً بسيطاً لو واطبتم عليه تكونون ممن أخذ بسنة النبي (صلى الله عليه وآله) وجدّه إبراهيم الخليل (عليه السلام) حيث أمرنا بالتأسي به أيضاً قال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) (الممتحنة/4) وهي صلاة ركعتين يوم الجمعة بين الظهر والعصر، تقرأ في كل منهما بالحمد مرة والتوحيد سبع مرات فإذا فرغت منها تقول (اللهم اجعلني من أهل الجنة التي حشوها البركة وعمّارها الملائكة مع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأبينا إبراهيم عليه السلام)، روي عن الأئمة (عليهم السلام): أن من صلّاها لم تضره بليّة ولم تصبه فتنة إلى الجمعة الأخرى، وجمع الله بينه وبين محمدٍ وبين إبراهيم (عليهما السلام). (1)

الزواج من سنن النبي (صلى الله عليه وآله):

ومن سنن النبي (صلى الله عليه وآله) التي أكّد عليها وذمّ تركها الزواج وحبذا أن يكون مبكراً روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (تزوّجوا فإنّ التزوّج سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإنّه كان يقول: من كان يحبّ أن يتّبع سنتي فإنّ من سنتي التزوّج، واطلبوا الولد فإنّي مكاثر بكم الأمم). (2)

نقل الكلام الجارح:

ص: 300

1- مفاتيح الجنان: 90 أعمال يوم الجمعة فقرة 26.

2- وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته، باب 1 ح 6.

ومن سننه (صلى الله عليه وآله وسلم) منع نقل أي كلام عن الآخرين يؤدي إلى إيجاد حزاة في الصدر على الإخوان لذلك روى عن ابن مسعود عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال (لا يبلغني أحدٌ منكم عن أصحابي شيئاً فإنّي أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر).⁽¹⁾

الكذب أبغض الخصال:

وكانت أبغض خصلة له (صلى الله عليه وآله وسلم) الكذب فقد روي عن أم المؤمنين عائشة قولها (كان أبغض الخلق إليه الكذب) وقالت: (كانت (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أطلع على أحدٍ من أهل بيته كذبَ كذبةً لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة).⁽²⁾

الرحمة للناس:

وكان يحبّ صفة الرحمة للناس والشفقة عليهم والعفو عن إساءاتهم وقضاء حوائجهم. قال تعالى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة/128). وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول (أيها الناس إنّما أنا رحمة مهداة).⁽³⁾

وسُئِلَ الإمام الصادق (عليه السلام) (بِمَ سَادَ النَّبِيُّ) (صلى الله عليه وآله وسلم) الخلق، فأجاب بما مضمونه: بخصلتين العفو عن ظلمه وأنّه لا يرد سائلاً.

ص: 301

1- بحار الأنوار: 231 / 16 عن مكارم الأخلاق: 17.

2- ميزان الحكمة: 571 / 8 عن كنز العمال: ح 18379 و 18381.

3- ميزان الحكمة: 8 / 542 عن الطبقات الكبرى: 1 / 192.

الحل يبدأ من الالتفات الى هذه المبادئ:

تصوروا لو أنّ هذه الصفات (الصدق، الرحمة، العفو إلى المسيء، العمل على تحقيق مصالح الناس وإسعادهم) توفّرت في قادة البلاد هل تصل الحال إلى ما نحن عليه الآن من التمزّق والتناحر والصراع الطائفي والعرقي والفساد والعبث بأموال الشعب، فإذا أردنا الحل فإنّه يبدأ من الالتفات إلى هذه المبادئ السامية والأخلاق الكريمة حتى تتحوّل إلى خلق ثقافة عامة مبنية عليها، والعمل الجاد لترسيخها والله تعالى وليّ التوفيق.

سنن عند النوم:

ومن سننّه (صلى الله عليه وآله) ما روته السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) قالت: (دخل عليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد افترشت فراشي للنوم، فقال لي يا فاطمة: لا تنامي إلا وقد عملت أربعة: ختمت القرآن، وجعلت الأنبياء شفعائك، وأرضيت المؤمنين عن نفسك، وحججت واعتمرت، قال هذا وأخذ في الصلاة، فصبرت حتى أتمّ صلاته، قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أمرت بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال، فتبسّم (صلى الله عليه وآله)، وقال: إذا قرأت (قل هو الله أحد) ثلاث مرات فكأنك ختمت القرآن، وإذا صلّيت عليّ وعلى الأنبياء قبلي كُنّا شفعائك يوم القيامة، وإذا استغفرت للمؤمنين رضوا كلّهم عنك، وإذا قلت: سُبْحَانَ اللَّهِ، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقد حججت واعتمرت) (1).

ومن مستحبات ما قبل النوم تسبيح الزهراء (عليها السلام) والنوم على طهور وقراءة سورة التكاثر للوقاية من فتنة القبر كما روي عنه (صلى الله عليه وآله).

ص: 302

الفصل التاسع: الذنوب: آثارها والعصمة منها وكفاراتها

إشارة

ص: 303

كيفية الاعتصام من الذنوب (1)

كيف نحافظ على حالة التوبة؟

سألني أحدكم أن أتحدث عن كيفية المحافظة على حالة التوبة والاعتصام من الذنوب التي يتوجه إليها الإنسان في يوم عرفة يوم الدعاء وطلب التوبة، وقد ذكرني سؤاله بفقرة وردت في أحد أدعية شهر رجب (2) وهي (واعصمنا من الذنوب خير العصم) وهذا يعني وجود أشكال عديدة من العواصم عن الذنوب بعضها خير من بعض، وهو معنى صحيح إذا التفتنا إلى أن من العواصم أن يفقد الإنسان النعمة التي يرتكب بها الذنب كفقد نعمة البصر فيتخلص من النظرة المحرمة، أو يفقد الإحساس بالشهوة الجنسية التي هي نعمة أودعها الله تبارك وتعالى في الإنسان ليدفعه نحو الزواج والإنجاب ولولاها لما أقدم البعض على تحمل مسؤولية الأسرة والأطفال ومشاق التربية والرعاية، فإذا فقد هذه النعمة فستزول تلقائياً فرصة ارتكاب جريمة الزنا والعياذ بالله تعالى.

لكن الإنسان لا يريد بالتأكيد هذه الطريقة من الاعتصام من الذنوب لأنه يدعو الله تبارك وتعالى أن يمتعه بالعافية وبحواسه من السمع والبصر وغيرهما (اللهم متعني وبصري واجعلهما الوارثين) (3) الخ.

ومع ذلك قد تكون هذه الطريقة هي ما يختارها الله تبارك وتعالى لبعض عباده، يروى أن أبا بصير هو مكفوف - دخل على الإمام الصادق (عليه السلام) وسأله أن يدعو الله

ص: 305

1- من حديث سماحة الشيخ العقوبي مع حشد من طلبة كلية العلوم/ جامعة ذي قار الذين التقوا سماحته يوم الخميس 8 ذو الحجة 1430 المصادف 2009/10/27 قبل توجههم إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة، ووردت بعض الفقرات في حديث سماحته مع وفود من كلية الهندسة / جامعة ذي قار يوم الجمعة 2/ذ.ح/ ومن كلية الهندسة جامعة البصرة يوم 3 ذ.ح.

2- («2») وهو الدعاء الوارد عن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بواسطة سفيره محمد بن عثمان بن سعيد وأوله (اللهم إني أسألك بمعاني...) الخ.

3- مفاتيح الجنان: ص 413.

تبارك وتعالى ليرفع عنه البلاء ويعيد إليه بصره، فدعا الإمام (عليه السلام) له فردّ الله تعالى بصره وصار يبصر وفرح بذلك، فقال له الإمام (عليه السلام) إن شئت مضيت على حالتك الجديدة هذه وتحاسب يوم القيامة كما يحاسب الخلق أو ترجع إلى حالتك الأولى وتدخل الجنة بغير حساب، فاختار أن يعود إلى حالته الأولى ليضمن له الإمام (عليه السلام) الجنة.

رادع الحياء والخوف من الله تعالى:

وعلى أي حال فهذا شكل من أشكال الاعتصام من الذنوب، ومن الأشكال الأخرى أن يكون للإنسان رادع من نفسه عن الذنوب أما حياءً من الله تعالى لما انعم عليه من النعم التي لا تعد ولا تحصى، أو خوفاً منه عز وجل، أو خشية الفضيحة والعار خصوصاً يوم القيامة عندما تعرض الأعمال أمام الأشهاد وتبدو السرائر، نسأل الله تعالى عفوه وستره، وهذا الرادع يؤتاه الإنسان بفضل الله تبارك وتعالى حينما يخلص لله تعالى ويكون صادقاً معه ففي الحديث الشريف (إذا أحبَّ الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه)(1).

من العواصم: ذكر الله تعالى:

ومن العواصم عن الذنوب ذكر الله تعالى على كل حال والفتات الإنسان إلى أنه دوماً في محضر ربه وإن ربه مطلع عليه «أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» «مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» فمع حالة الالتفات هذه لا يقدم الإنسان على الذنب وإلا كان مستخفاً بربه، وإنما يرتكب الذنب بغفلة وجهالة فإذا التفت وتذكر ندم وتاب «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ».

ص: 306

الالتفات الى قبح الذنب:

ومن العواصم أن يلتفت الإنسان إلى قبح الذنب وتن صورته الواقعية التي تُدرك بالبصيرة لا بالبصر كما ورد في القرآن الكريم من تصوير الغيبة بأكل لحم الأخ ميتاً وهي صورة مقززة تنفر منها النفوس، وكتصوير الدنيا في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالجيفة لميته الحيوان وحولها الكلاب تنهشها وتقطعها فمن يرضى أن يشارك الكلاب في هذه الجيفة، أو تصوير أكل الحرام بأنهم «يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْدَلُونَ سَعيراً» أو تصوير حيس الحقوق الشرعية والبخل بها بأنها «يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» (التوبة: 35) وغيرها من الصور المرعبة التي وردت في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة فكيف يُقدم عليها الإنسان بعد معرفته بحقيقتها؟

الانشغال بالمباحات:

ومن العواصم أن يشغل الإنسان نفسه بالمباحات والأعمال الأخرى فضلاً عن الطاعات كالدراسة ومطالعة الكتب واللقاء مع الإخوان وحينئذٍ لا يبقى مجال ولا فرصة للمعصية والذنب لأن من أسباب

ارتكابها الفراغ، قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجِدَّة *** مفسدة للمرء أي مفسدة

ولله تبارك وتعالى مع أوليائه حالات من العصمة عن الذنوب لا يعرفها إلا أهلها، ولا يُنال كل ذلك إلا بالاعتصام بالله تعالى والتوسل إليه بطلب التسديد كما ورد في الدعاء (اللهم ارزقني توفيق الطاعة وبعد المعصية)(1).

ص: 307

ذنوبٌ قلّما نلتفت إليها(1)

الرضا عن النفس:

في ذكرى ولادة الإمام السجاد (عليه السلام) نتحدث عن حالة وردت في أدعية الصحيفة السجادية وهي إلفات نظر العبد إلى ذنوبٍ يغفل عنها تماماً، فقد يرضى البعض عن نفسه، ويعتقد أنه على خير ما دام قد أدى الواجبات الرئيسية كالصلوات المفروضة وصيام شهر رمضان ودفع ما بذمته من خمس ونحوه من الحقوق الشرعية، وما دام قد اجتنب المحرّمات الرئيسية كالزنا وشرب الخمر واللواط والسرقه والقتل بغير حق ونحوها.

وهو لعمري خيرٌ كثير أن يلتزم العبد بذلك، لكن حالة الرضا عن النفس حالة غير صحيحة لأنّ أموراً أخرى كثيرة لا يلتفت إليها الإنسان، لكنّها مؤثرة في ميزان أعماله، وقد تقلب هذا الميزان رأساً على عقب باتجاه الفوز أو باتجاه السقوط والعياذ بالله تعالى.

وكلامنا في الحالة الثانية إذ قد يظنّ الإنسان أنه على خير، ولا يعلم ما سوّد به صحائفه، ولا يلتفت إليها أصلاً إمّا لغفلته، أو لجهله بأنّ هذه ذنوب، أو أنّه يعلم ذلك ولكنه يتساهل فيها ويقلّل من شأنها وتأثيرها، ولذا ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) التحذير من المحقّرات من الذنوب قال (عليه السلام) (اتقوا المحقّرات من الذنوب فإنّها لا تغفر، قلت: وما المحقّرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي إن لم يكن لي غير ذلك). (2).

درس عملي من رسول الله (صلى الله عليه وآله):

ص: 308

1- كلمة سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلّه) مع طلبة الجامعات الذين انضمّوا إلى الدورة السريعة التي تنظّمها جامعة الصدر الدينية في النجف الأشرف خلال العطلة الصيفية، وقد التقى بهم سماحته بعد صلاة الظهرين يوم الجمعة 6/شعبان/1432 المصادف 2011/7/8.

2-، (2) وسائل الشيعة كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 43، حديث 1، 3.

وأعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله) درساً عملياً في ذلك التأثير لأصحابه كما في الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزل بأرض قرقاء، فقال لأصحابه: «اتتوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله، نحن بأرض قرقاء! قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه. فجاءوا به حتى رموا بين يديه، بعضه على بعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله). هكذا تجمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبین)(1).

أقول: هكذا تجتمع الذنوب التي يستصغرها صاحبها ويقدم عليها بلا اكتراث وتترك آثارها عليه حتى تطبع على قلبه فتورده النار والعياذ بالله.

حكى أنّ أحد التجّار كان يصنع القماش لبيعه فيعاد عليه لعيب يوجد فيه، ففرغ نفسه مدة وأتقن صنع القماش لكيلا يرد عليه، وباعه بعد أن تأكد من سلامته من العيوب، وما لبث أن رجع إليه المشتري وأخبره بعيوب قماشه، فجلس التاجر يبكي والمشتري يطيب خاطره ويقول له سأقبل القماش ولا- أرجعه فلا- تتأثر، لكن التاجر (الواعي) قال: ما لإرجاع القماش أبكي، ولكن أبكي لأعمالي إذا عرضت على الناقد البصير، كم سيجد فيها من العيوب، وكيف سيردّها عليّ، وما موقفي غداً، إذا كان المخلوق القاصر يجد كل هذه العيوب في قماش أتقنت صنعه.

وقد يبقى الإنسان على غفلته ولا يلتفت منها حتى يأتيه الموت (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (ق/22) وقال تعالى (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (المجادلة/6) وقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) (الأنعام/60).

العلاج الناجع:

ص: 309

وقد ذكرنا آنفاً أسباب هذه الحالة، أمّا علاجها فيمكن أن يكون بعدة إجراءات وردت في الأحاديث الشريفة منها:

1- الإستغفار المستمر وطلب التوبة مما يعلم ومما لا يعلم من الذنوب، وقد وردت دعوات كثيرة يومية للاستغفار في تعقيبات الفرائض اليومية وفي صلاة الليل.

أداء الصلاة في أوقاتها لأنها كفارة لما بينها ولأن فيها تذكيراً بالله تعالى وعودة إليه (وأقم الصلاة لذكري) وفي الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل في كل يوم منه خمس مرّات، أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟ قلنا: لا، قال: فإنّ مثل الصلاة كمثل النهر الجاري، كلّما صلّى صلاة كفّرت ما بينهما من الذنوب).⁽¹⁾

2- الإكثار من الطاعات لأن الحسنات يذهبن السيئات، قال تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) (هود/114) وقال تعالى (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الفرقان/70).

3- تجنّب الغفلة لأنها الأصل في الوقوع بالمعاصي.

4- محاسبة النفس يومياً، لأن المحاسبة والتدقيق والمراجعة تكشف أموراً يغفل عنها لو لم يُجر هذه المحاسبة، وهذا معلوم بالتجربة لرجال الأعمال، وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر (يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه)⁽²⁾ وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال

ص: 310

1- وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب اعداد الفرائض ونوافلها، باب 2 ح 3.

2- الوسائل: ج 16 ص 98.

(ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب عليه)(1).

5- مطالعة كتب الأخلاق والموعظة، وزيادة المعرفة بالله تعالى لأنها أصل الدين وأساسه.

6- مجالسة الصالحين والتردد على المساجد والمشاهد الشريفة.

7- الإعراف أمام الله بالتقصير وكثرة الذنوب مما نعجز عن عدّه وإيكال الأمر إلى عفوه ومغفرته وصفحه وإحسانه وكرمه.

بعض السيئات تحرق الحسنات:

وكما أنّ الحسنات يذهبن السيئات، فإنّ بعض السيئات تُذهب الحسنات وتُحرقها، ففي كتاب الأُمالي (2) للشيخ الصدوق (v) بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة، فقال رجلٌ من قريش يا رسول الله إنّ شجرنا في الجنة لكثير، قال نعم ولكن إياكم أن تُرسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك إنّ الله عزّ وجل يقول: (يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تُبطلوا أعمالكم) (محمد/33) ومن تلك النيران المناسبة للرجل من قريش إنكار ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبقرينة الآية التي استدلت بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) الآمرة بطاعة الله تعالى

ص: 311

1- الوسائل: 16 ص 95.

2- أوردها عنه في البحار: 168 / 93.

ورسوله (صلى الله عليه وآله)، ومن تلك الذنوب الغيبة فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه(1).

مع الصحيفة السجادية:

وأنتقل لكم نصاً من الصحيفة السجادية يلفت نظرنا إلى ذنوب نغفل عنها وهي تتعلق بالعلاقات مع الآخرين، ولك أن تقيس عليها غيرها مما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، قال (عليه السلام) في الاعتذار من تبعات العباد ومن التقصير في حقوقهم (اللهم إني اعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره، ومن معروف أسدي إليّ فلم أشكره، ومن مسيءٍ اعتذر إليّ فلم أعذره، ومن ذي فاقة سألتني فلم أوثره. ومن حقّ ذي حقّ لزمني فلم أوفره، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره، ومن كلّ إثم عرض لي فلم أهجره)(2)، فالسيئات لا تقتصر على ما صدر منه من أمثاله، بل على ما فوت مما ينبغي فعله، فلا ينشغل الإنسان بالنظر إلى ما قدّم من طاعة أو معروف بين الناس، بل إلى ما كان يجب عليه فعله ولم يفعله. كالشخص يفرح بما أنفق في سبيل الله، ويغفل عن مورد قصده فيه صاحب حاجة وكان قادراً على قضائها فلم يفعل، ووردت في ذلك روايات شديدة كالذي روي عن أبي الحسن (عليه السلام) قال (من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإثما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله وإن ردّه عن حاجته هو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو مُعذّباً فإن عذره الطالب(3) كان أسوأ حالاً(4).

ص: 312

1- أصول الكافي، ج2، باب الغيبة والبهتان، ح1، وفي القاموس المحيط: أن الأكلة داء في العضو يأكل منه.

2- الصحيفة السجادية: ص166.

3- قال الشارع: (أي المطلوب منه الحاجة، ووجهه إنه إذا عذره صاحبها لم يندم ولم يتب ولم يستغفر، بل ظن عدم تقصيره في حق الطالب فاجترأ على منع غيره).

4- وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب 25، ح9.

فهذا شكل من السيئات يخفى على الإنسان، مضافاً إلى ما صدر منه فعلاً، ومن دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) ليوم الإثنين (وأسألك في مظالم عبادك عندي، فأئماً عبد من عبيدك أو أمة من إمانك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها إياه في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو في أهله وولده، أو غيبةً اغتبت بها، أو تحامل عليه بميل أو هوى، أو أنفة أو حمية أو رياء أو عصبية، غائباً كان أو شاهداً، وحيّاً كان أو ميتاً، فقصرت يدي، وضاق وسعي عن ردّها إليه، والتحلل منه، فأسألك يا من يملك الحاجات وهي مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، أن تصلي علي محمد وآل محمد وأن ترضيه عني بما شئت، وتهب لي من عندك رحمة(1)).

وفي ضوء هذه الحقيقة التي لا يلتفت إليها إلا الأقلون، يمكن أن نفهم ما ورد في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (لم يعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل، ولا- يكون المؤمن عاقلاً- حتى يجتمع فيه عشر خصال) إلى أن قال (صلى الله عليه وآله) (والعاشرة وما العاشرة لا يرى أحداً إلا قال هو خير مني وأتقى(2)) وقد شرحت بعض فقرات الحديث في محاضرة سابقة(3).

نسأل الله تعالى أن ينهنا من نومة الغافلين المُبعدين بعفوه وكرمه.

ص: 313

1- مفاتيح الجنان: ص 47.

2- الخصال للشيخ الصدوق (0): ص 433.

3- أنظر خطاب المرحلة: ج 7 ص 76. الخطاب: (أول رجب بداية السنة المعنوية: ص 76).

الذنوب وآثارها والعصمة منها وكفاراتها(1)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

موعظة:

قال الله تعالى: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (البقرة: 197).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (عباد الله، الله الله في أعزِّ الأنفس عليكم، وأحبِّها إليكم، فإن الله قد أوضح لكم سُبُلَ الحق، وأنار طُرُقَه، فَشَدَّ قَمَوعَ لازمة، أو سعادةً دائمة، فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء، قد دللتم على الزاد، وأمرتم بالظعن، وحثتكم على المسير، فإنما أنتم كركبٍ وقوف، لا يدرون متى يؤمرون بالسير، ألا- فما يصنع بالدنيا من خُلِقَ للآخرة، وما يصنع بالمال من عمَّا قليل يُسَلِّبُه، وتبقى عليه تبعته وحسابه.

عباد الله، احذروا يوماً تُفحص فيه الأعمال، ويكثر فيه الزلزال، وتشيب فيه الأطفال(2).

ومن خطبة له (عليه السلام): (أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاد، زاد مبلغ، ومعاد منجح) (فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق، ما فات اليوم من الرزق رُجِي غداً زيادته، وما فات أمس من العمر لم يُرَجَ اليوم رجعته، الرجاء مع الجاني، واليأس مع الماضي ف«اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: 102) (3).

ص: 314

1- خطبتا عيد الفطر السعيد للعام 1433 المصادف 2012/8/20، والعنوان كلمة لأمر المؤمنين وردت في نهج البلاغة، الحكمة (428).

2- نهج البلاغة: الخطبة (157).

3- نهج البلاغة: الخطبة (114).

سُئِلَ الإمام الصادق (عليه السلام) عن معنى التقوى وتفسيرها، فاختصر (عليه السلام) الجواب بقوله: (أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك)(1).

فللتقوى ركنان:

(الأول) ترك ما يكره الله تبارك وتعالى ويسخطه، وهو أوسع من المحرمات فيشمل المكروهات المؤثرة في تكامل الإنسان وتقربه من الله تعالى.

(الثاني) فعل ما يحبه الله تعالى ويرضاه وهو أعم من الواجبات فيشمل المستحبات الموجبة لرضا الله تبارك وتعالى ومحبته.

فمن أراد الكمال سار بهذين الطريقتين معاً، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فمن قام ببعض الطاعات لكنه لم يجتنب المعاصي والعياذ بالله، فإنه يهدم ما بناه بتلك الطاعات وسوف لا يقوم له بناء أبداً، روي عن المعصومين (عليهم السلام) قولهم: (جدّوا واجتهدوا، وإن لم تعملوا فلا تعصوا، فإن من يبني ولا يهدم يرتفع بناؤه وإن كان يسيراً، وإن من يبني ويهدم يوشك أن لا يرتفع بناؤه)(2).

ونفس المعنى يجري في الأمراض البدنية، فإن من ابتلي بمرض معين -كالسكري أجازكم الله تعالى منه- فإن الطبيب يأمره بأخذ بعض العلاجات وينهاه عن ارتكاب بعض الأفعال أو تناول أطعمة تضره بكميتها أو نوعها، فإذا أراد الحفاظ على صحته فلا بد أن يأخذ بهما معاً.

ولو حاولنا ترجيح أحد الركنين على الآخر أو قل بيان أيهما أهم وأكثر تأثيراً في تحصيل التكامل فإن الجواب يكون لصالح الاجتناب عما يسخطه الله تبارك ويكرهه، وقد دلّت عليه بعض الأحاديث الشريفة كقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه السلام):

ص: 315

1- بحار الأنوار: 70/285، ح 8.

2- بحار الأنوار: 70/286، ح 8.

(اجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات)(1)، ومنها ما ورد في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر جمعة من شعبان لاستقبال شهر رمضان، وسأله علي (عليه السلام) عن أفضل الأعمال في هذا الشهر قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الورع عن محارم الله).

معرفة الذنوب:

فمعرفة الذنوب -بمداها الواسع ومراتبها الكثيرة بحسب مستويات الأشخاص- وتحصيل القدرة على اجتنابها صغیرها وكبیرها- مما يهتم به الساعون إلى الكمال، لذا فقد شغل حيز كبير من القرآن الكريم ببيان الذنوب وآثارها في الدنيا وعاقبتها في الآخرة والتحذير منها وبيان ما يكفرها ويزيل آثارها، وقصص الأمم التي عكفت على المعاصي ولم تجتنبها وما حلّ بها من العذاب بسبب ذلك، والحياة السعيدة لمن اجتنبها، ولو حاولنا جمعها لوجدنا أن القرآن الكريم كله يعالج هذه القضية بشكل مباشر أو غير مباشر.

لماذا يذنب العبد؟

لا- يمكن التقليل من قوة ضغط الذنوب والخطايا على الإنسان حتى يندفع إلى ارتكابها مع كثرة ما يعرف عن آثارها الوخيمة في الدنيا وعاقبتها الفظيعة في الآخرة، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه السلام): (ألا وإن الخطايا خيلٌ شمسٌ حُمِلَ عليها أهلها وخُلعت لُجُمها فتقحمت بهم في الناس)(2) فالخطايا كالخيول العنيدة المتمردة على صاحبها ولا- لجام لها ليمسك بها فتقحم بصاحبها إلى المخاطر.

وهنا يأتي السؤال: من أين جاءت هذه القوة للخطايا؟ أو قل: إذا كانت الذنوب بهذه الخطورة وهذا التأثير المدمر في حياة الإنسان فلماذا يرتكبها، وهذا بحث نفسي

ص: 316

1- غرر الحكم: 1522.

2- بحار الأنوار: 78/3، ح 51.

واجتماعي وقد يحتاج إلى إجراء استبيان، ولكن يمكن استفادة بعض مناشئ الذنوب مما ورد في الروايات الشريفة، ينفع الالتفات إليها في اجتنابها وتوقئها، عن الإمام الباقر (عليه السلام): (توقِّي الصرعة خير من سؤال الرجعة)(1):-

1- الجهل بمقام الربوبية ووظائف العبودية، فإن من يعرف الله تعالى يتجنب المعاصي بمقدار تلك المعرفة ويؤتيه الله تعالى فرقاناً يميز به بين الحق والباطل «إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» (الأنفال:29)، حتى إذا اكتملت عنده المعرفة -كالمعصومين (عليهم السلام)- أصبح عبداً خالصاً لله تعالى ينفر بطبعه من المعصية ويتقزز منها، فمن رأى الغيبة على حقيقتها ووجدها أكلاً للحم أخيه ميتاً هل يقدم عليها؟ ومن رأى الدنيا جيفة قد اجتمعت عليها الكلاب هل يتنافس عليها، وهكذا.

ثم الجهل بأمور الدين، فما دام الإنسان لم يتفقه في دينه ولم يتعرف على ما يقربه إلى الله تعالى ويجنبه سخطه فإنه يتورط في المعاصي من حيث يعلم أو لا- يعلم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه)(2)؛ وكتطبيق لهذا المبدأ فقد ورد في التجارة قول الإمام الصادق (عليه السلام): (من أراد التجارة فليتفقه في دينه ليعلم بذلك ما يحلُّ له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط في الشبهات)(3).

والتحذير لا يختص بالتجارة وإنما يعم كل شؤون الحياة؛ لأنها كلها مقنَّنة بأحكام في الشريعة، فالجهل بها يوقع في المعصية كجهل ربِّ الأسرة بأن كثيراً مما يفعله في البيت هو ظلم لزوجته وأسرته، والظلم ذنب لا يغفر حتى يرضى المظلوم.

ص: 317

1- بحار الأنوار: 78/18، ح 31.

2- بحار الأنوار: 78/91، ح 95.

3- وسائل الشيعة: 12/283، كتاب التجارة، أبواب، آداب التجارة، باب 1، ح 4.

2- وجود الدوافع وأصول الذنوب في النفس الإنسانية المعبر عنها بالغرناز والشهوات والتي خلقت أصلاً لتؤدي أدواراً إيجابية في حياة الإنسان ولتكمّل قواه الأخرى كالعقلية والجسدية والقلبية، لكنها إذا خرجت عن حدّها إلى جانب الإفراط أو التفريط كان سبباً للوقوع في المعاصي، أشار إلى هذه القوى هشام بن الحكم في ما نقل عنه ابن أبي عمير في الاستدلال على عصمة الإمام (عليه السلام) قال: (إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منتفية عنه -أي المعصوم- ثم يبين ذلك) فراجعه(1).

3- ويعاضدها الشيطان بالتزيين والإغواء والتطمين والتهوين من الأمر حتى يقارف الذنب والمعصية قال تعالى حاكياً عن إبليس: «قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» (الحجر: 3-40). وفي دعاء للإمام السجاد (عليه السلام): (فلولا - أن الشيطان يخذلهم عن طاعتك ما عصاك عاصي، ولولا أنه صوّر لهم الباطل في مثال الحق ما ضلّ عن طريقك 1- ضال)(2). وقد ورد التحذير من إغراء الشيطان وإغوائه كثيراً في القرآن الكريم والروايات الشريفة مما لا يخفى على أحد.

هذا التزيين الشيطاني وهذه الموافقة لأهواء النفس وشهواتها جعل للخطايا تأثيراً ساحراً يسكر صاحبه حتى يتورط فيها، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (احذروا سكر الخطيئة، فإن للخطيئة سكرًا كسكر الشراب، بل هي أشدُّ

ص: 318

1- بحار الأنوار: 25/192، ح 1 عن كتب الشيخ الصدوق (قدس سره) معاني الأخبار والعلل والأمالى والعيون.

2- الصحيفة السجادية: الدعاء 37.

سكراً منه، يقول الله تعالى: «صُمُّ بَكْمٌ عَمِيٌّ فَهَمٌ لَا يَرْجِعُونَ» (البقرة: 18)(1).

4- الاغترار بالستر الإلهي على العصيين وعدم فضح الإنسان بذنبه (فلو اطلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته ولو خفتُ تعجيل العقوبة لاجتنبته، لا لأنك أهون الناظرين إليّ وأخفُ المطلعين عليّ بل لأنك يا ربّ خير الساترين.. وأكرم الأكرمين .. تستر الذنب بكرمك وتؤخر العقوبة بحلمك) (الحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي)(2).

وذلك كله لسعة رحمة الله وطول أناته على ذنوب عباده رحمة بالعباد وإعطاءهم مزيداً من الفرص للندم والرجوع والإقلاع عن الذنب، وحباً من الله لعباده وشفقة عليهم، فيتمادى الإنسان ويعتر، ظاناً أن الفرصة مفتوحة على الدوام، ولا يعلم أنه قد يوصله تماديه واغتراره إلى حد هتك الستر وانغلاق الباب وسدّ الفرصة، قال تعالى: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (النساء: 17-18).

5- استصغار الذنب والاستخفاف به لما ارتكز في الذهن من أن الذنوب الموعود بها النار هي الكبائر أما غيرها فيمكن ارتكابها، وهذا التفكير بحد ذاته من الكبائر لما فيه من الجرأة على الله تعالى وعدم الاعتبار بعظمته وعلو شأنه وهو موجب لسخط الله وسلب اللطف 1- عن العبد فتؤدي به هذه الصغائر إلى الوقوع في الكبائر والعياذ بالله.

ص: 319

1- بحار الأنوار: 77/102، ح 1.

2- المقطعان من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) المعروف بدعاء أبي حمزة الشمالي.

لذا كثر التحذير من استصغار أي ذنب، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تستصغروا قليل الآثام فإن الصغير يُحصى ويرجع إلى الكبير)(1)، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: اتنوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبین)(2)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: أعظم الذنوب عند الله سبحانه ذنب صغر عند صاحبه)(3) وعنه (عليه السلام): (إن الله أخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغروا شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه وأنت لا تعلم)(4).

6- الغفلة، فإن كثيراً من الذنوب وبعضها من الكبائر - ترتكب لا للجهل بها وإنما للغفلة كالغيبية التي يُعلم أنها من الكبائر ووصفها الله عز وجل بأشنع الأوصاف وهي إدام أهل النار، ومع ذلك فقد أصبحت الغيبة فاكهة المجالس والمادة الرئيسية للأحاديث، فينبغي للمؤمن أن يتجنب الغفلة بترك المقدمات الموجبة لها، وإذا عرضت عليه فليخرج منها فور التفاته؛ بذكر الله تعالى، قال عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» (الأعراف: 201) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (الغفلة

ص: 320

1- الخصال: 616، ح 10.

2- الكافي: 2/288، ح 3.

3- غرر الحكم: رقم 3141.

4- بحار الأنوار: 73/349، ح 43.

ضلالة(1) وعنه (عليه السلام): (إياك والغفلة والاعتزاز بالمهلة، فإن الغفلة تفسد الأعمال)(2). ومن وصايا النبي (صلى الله عليه وآله)-
وسلم) لأبي ذر: (هُمَّ بِالْحَسَنَةِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْهَا لِكَيْلَا تَكْتَبَ مِنَ الْغَافِلِينَ)(3).

7- سوء الخلق، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لكل ذنب توبة إلا- سوء الخلق، فإن صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في
ذنب)(4).

8- الاختلاط الكثير مع الناس ومجالسة البطالين، والخوض في فضول الكلام، فهذه الأمور كلها مظنة الوقوع في الذنوب والمحرمات؛ لذا
ورد التحذير من حضور هذه المجالس والمشاركة في اللغو الباطل «وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ» (المدثر:45)، عن أمير المؤمنين (عليه
السلام) قال: (مجالسة أهل الهوى منسأة(5) للإيمان ومحضرة للشيطان)(6)، وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
(أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً في ما لا يعنيه)(7) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إياك والهذر، فمن كثر كلامه كثر آثامه)(6) وعنه
(عليه السلام): (الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرب كلمة
سلبت نعمة وجلبت نقمة)(7).

ص: 321

1- غرر الحكم: 196، 2717.

2- ميزان الحكمة: 3/2287.

3- مكارم الأخلاق: 2/378.

4- بحار الأنوار: 77/48، ح 3.

5- منسأة بفتح الميم والهمزة: أي تأخير وتأجيل.

6- نهج البلاغة: الخطبة: 86.

7- و (6) و (7) منتخب ميزان الحكمة: 552.

9- سوء فهم بعض ما ورد في الروايات الشريفة من الثواب على بعض الأفعال كدخول الجنة بالبكاء على الحسين (عليه السلام) وإقامة شعائره وشفاعة أهل البيت (عليهم السلام)، فقد أعطى الله تعالى هذه الكرامات لأهل البيت (سلام الله عليهم) رحمة بالعباد لكي تسدّ الخلل والتقصير والقصور مع حسن النية والعزم على فعل الخير والطاعة وبذل الوسع في ذلك، وليس بأن تكون سبباً للتمادي والجرأة والعناد واللجاجة، قال تعالى: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى» (الأنبياء: 28) وقال تعالى: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ» (الأعراف: 156)، وكما عبّر الإمام الرضا (عليه السلام) عن 1- إعطاء هذه الدرجات أنه (بشرطها وشروطها) في حديث سلسلة الذهب المعروف.

وقد حذّر الإمام الصادق (عليه السلام) في وصيته عند وفاته وقد جمع أقرباه ومتعلقيه: (إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة) (1) وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (لا تتهاون بصلاتك، فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته) (2).

وقد لخص الإمام السجاد (عليه السلام) ذكر هذه الأسباب لمقارفة الذنوب بما ورد عنه في الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الذي يدعى به في أسحار شهر رمضان، قال (عليه السلام): (إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف ولا لعقوبتك متعرض ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت وسوّلت لي نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شقوتي، وغرّني سترك المرخي عليّ) وقال (عليه السلام): (إلهي ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التوايين مجلسي، عرضت لي بلية

ص: 322

1- مستدرک الوسائل: 3/25، ح 2923.

2- الكافي: 3/269، ح 7.

أزالت قدمي ... سيدي لعلك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني، أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقليتني، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فيبني وبينهم خليتني أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني..(1).

كيف نحصل القدرة على اجتناب الذنوب؟

إن اجتناب الذنوب يحتاج أولاً إلى معرفة تفصيلية بها لأن بعضها وإن كان معلوماً كالكبائر إلا أن الكثير منها غير معلوم وبعضها لا يلتفت إليها أحد كعدم قضاء حوائج المؤمنين والاهتمام بها، ففي رواية عن الإمام الصادق وولده الكاظم (عليهما السلام): (من أتاه أخوه في حاجة يقدر عليقضائها فلم يقضها له سلط عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً)(2). وهكذا غيرها مما ذكرناه في خطاب سابق وذكرنا أمثلة عليها من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في الاستغفار من كل نعمة لم يشكرها أو ظلم أحدٌ عنده فلم ينصره وهكذا، ناهيك بالمحرمات المعروفة، وهذا يتطلب تفقهاً واطلاعاً مستمراً على كتب السلف الصالح والاستماع دائماً إلى المحاضرات الإرشادية والوعظية.

ومما يقلل فرصة ارتكاب الذنب زيادة المعرفة بالله تعالى وتقوية العلاقة به تبارك وتعالى، كتذكر أنه محسن إلينا بما لا يعد ولا يحصى من النعم، و«هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» (الرحمن:60) و«أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (القصص:77) وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

ص: 323

1- دعاء أبي حمزة الثمالي، تجده في مفاتيح الجنان، أعمال أسحار شهر رمضان.

2- وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب 25، ح 5، 9، 10.

(لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ألا يُعصى شكراً لنعمته)(1)، وعن الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث قال: (ولو لم يخوَّف الله الناس بجنة ولا نار لكان الواجب عليهم أن يطيعوه ولا يعصوه لتفضله عليهم وإحسانه إليهم وما بدأهم به من إنعامه الذي ما استحقوه)(2).

أو الالتفات إلى أن الذنوب تمنع بعض عطاء الله تبارك وتعالى ونحن محتاجون إليه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) المؤمنين (عليه السلام): (لو لم يرغب الله سبحانه في طاعته لوجب أن يطاع رجاء رحمته)(3).

أو تذكر أنك بمحضر الله تبارك وتعالى وتحت نظره ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» (غافر: 19)، فمعصيته والحال هذه جرأة على جبار السماوات والأرض وتحدي لعظمته، من وصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر: (يا أبا ذر لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت) ومن كلماته (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تنظروا إلى صغر الذنب ولكن انظروا إلى من اجترأتم)(4).

أو أن يلتفت إلى أن هذا الذنب قد يوجب هتك الستر الذي ضربه الله تعالى عليه فتفضحه الذنوب، أو أن ينال به سخط الله تعالى وغضبه بحيث لا تنفعه توبة ولا تدركه الألفاظ الإلهية، فقد أخفى الله غضبه في معصيته، فلا يُعلم أي معصية توجب ذلك فعلى العبد أن يتوفاها جميعاً، من دعاء الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكلني خذلانك إلى حيث النصب والحرمان). في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (للمؤمن اثنان وسبعون سترًا فإذا أذنب

ص: 324

1- نهج البلاغة: الحكمة 290.

2- عيون أخبار الرضا: 2/180.

3- غرر الحكم: 7564.

4- بحار الأنوار: 77/168، ح 6.

ذنباً انتهت عنه ستر، فإن تاب رده الله إليه وسبعةً معه، وإن أبي إلا قدماً قدماً في المعاصي تهتك أستاره، فإن تاب ردها الله إليه ومع كل ستر منها سبعة، فإن أبي إلا قدماً قدماً في المعاصي تهتك أستاره وبقي بلا مستر وأوحى الله تعالى إلى ملائكته أن استروا عبدي بأجنحتكم(1).

وفي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من همّ بسيئة فلا يعملها فإنه ربما يعمل العبد السيئة فيراه الرب تعالى ويقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً)(2).

ومما يساعد على تجنب المعاصي أن يعلم بأن في ارتكاب الذنب إيذاءً وإساءة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) ولفاطمة الزهراء (عليها السلام) والأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) ونحن نحبهم ولا نريد إيذاءهم وهم مظلعون على أعمال العباد، كما نطقت به الآية الكريمة: «وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» (التوبة: 105)، روي عن الإمام (عليه السلام) قال: (ما لكم تسوؤون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال رجل: جُعلتُ فداك وكيف نسوؤه؟ قال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى فيها معصية الله ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله وسرّوه)(3).

ومن المعرفة الموجبة لتجنب المعاصي الالتفات إلى الهدف من وجودنا في هذه الدنيا وما ينبغي أن نصرف أعمارنا فيه مما يوصل إلى الغاية، وحينئذٍ سوف لا يكون للإنسان مجال للعب والعبث واللهو فضلاً عن ارتكاب المعاصي، عن الإمام الكاظم (عليه

ص: 325

1- بحار الأنوار: 73/63، عن نوادر الراوندي: 6.

2- سفينة البحار: 3/216، بحار الأنوار: 73/308.

3- مجالس المفيد: 196، المجلس 23، ح 29.

السلام): (إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟ وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض)(1).

آثار الذنوب في الدنيا والآخرة:

ومما يحفز على ترك الذنوب معرفة آثارها في الدنيا والآخرة، وتعرض هنا لبعض آثارها في الدنيا، أما في الآخرة ابتداءً من الموت وما بعده من أهوال البرزخ والحساب ويوم القيامة فإن في القرآن الكريم ما يكفي لبيان تلك العظائم «يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» (الحج:2) «يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» (المزمل:17) «بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (البقرة:81) «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (الأنعام:15) «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (النمل:90) وأهون ما يذكر من تلك الآثار الحجب عن النعيم مدة قد تطول كثيراً، في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وإنه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن)(2).

إن معرفة هذه الآثار الوخيمة للذنوب توجب على كل عاقل اجتنابها، عن الإمام علي (عليه السلام): (عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار)(3) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار)(4).

ص: 326

1- بحار الأنوار: 78/301، ح 1.

2- الكافي: 2/272، باب الذنوب، ح 19.

3- تحف العقول: 204.

4- بحار الأنوار: 62/269، ح 60.

1- قصر العمر وتعجيل الفناء بحيث يظهر من أقوال المعصومين شيء عجيب وهو: أن أكثر الناس لا يبلغون أعمارهم المقدرة بسبب الذنوب مما يسمى بالأجل المخروم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر)(1)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالأجل، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار)(2)، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (تجنبوا البوائق يُمَدُّ لكم في الأعمار)(3).

ومن الذنوب التي اشتهر أنها تعجل الفناء قطيعة الرحم، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة، عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان)(4).

2- إن الذنوب سبب للمصائب والآلام والنكبات التي يتعرض لها الفرد والمجتمع، في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أما إنه ليس من عرق يُضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (الشورى:30)

ص: 327

1- سفينة البحار: 3/217، بحار الأنوار: 78/83.

2- سفينة البحار: 3/217، بحار الأنوار: 5/140.

3- عيون أخبار الرضا: 2/36.

4- ميزان الحكمة: 3/383، ح 6857.

ثم قال (عليه السلام): (وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به)(1)، وفي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن أحدكم ليكثر به الخوف من السلطان وما ذلك إلا بالذنوب فتوقوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها) وقد تستحدث لهم بلاءات لم يكن يعرفونها من قبل، في الكافي عن الإمام الرضا1- (عليه السلام) قال: (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون)(2).

3- إنها توجب اسوداد القلب وانغلاقه فلا يستجيب للهداية، في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (كان أبي يقول: ما من شيء أفسد من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله)(3) أي يصبح كالإناء المقلوب فلا يحتفظ بشيء من الحق والهدى ولا- تؤثر فيه الموعظة، وفيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا- يفلح بعدها أبداً) وشاهده من كتاب الله قوله تعالى: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (المطففين: 14).

4- نقص الرزق، في الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (إن العبد ليذنب الذنب فيزوي- أي يقبض ويصرف- عنه الرزق)(4) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا غضب الله عز

ص: 328

-
- 1- أصول الكافي: 2/269، باب الذنوب، ح 3، وللمزيد من الاطلاع راجع قائمة بالذنوب التي تغيّر النعم والتي تنزل النقم والتي تهتك العصم والتي تعجل الفناء والتي ترد الدعاء في بحار الأنوار: 376-73/375 عن معاني الأخبار للصدوق: 270-271.
 - 2- الكافي: 2/272، باب الذنوب، ح 29.
 - 3- أصول الكافي: 2/268، باب الذنوب، ح 1.
 - 4- أصول الكافي: 2/268، باب الذنوب، ح 8.

وجعل على أمة ولم يُنزل بها العذاب غلت أسعارها وقصرت أعمارها ولم ترحب تجّارها ولم تُترك ثمارها ولم تغزر أنهارها وحبس عنها أمطارها وسُلّط عليها شرارها(1).

5- الحرمان من الطاعات خصوصاً المهمة منها كصلاة الليل أو النوم عن صلاة الصبح، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن الرجل يذنب الذنب فيُحرم من صلاة الليل وإن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم)(2).

6- زوال النعم، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (الرعد: 11) في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله قضى قضاءً حتماً ألا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها حتى 1- يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النعمة)(3) وعنه (عليه السلام): (إن الله عز وجل بعث نبياً من أنبيائه إلى قومه وأوحى إليه أن قل لقومك إنه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سراء فتحولوا عما أحب إلى ما أكره إلا تحولت لهم عما يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء فتحولوا عما أكره إلى ما أحب إلا تحولت لهم عما يكرهون إلى ما يحبون).

وضرب القرآن الكريم مثلاً في سبأ(4) «لَقَدْ كَانَ لِسَ بَا فِي مَسِّ كَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا

ص: 329

1- ثواب الأعمال: 305، الخصال: 2/360، الباب 7، ح 48.

2- أصول الكافي: 2/268، باب الذنوب، ح 16.

3- أصول الكافي: 2/273، باب الذنوب، ح 22.

4- بيان الشاهد: أنه كان لأهل سبأ بساتين ورياض غنّاء عن يمين بلادهم وشمالها وطلب منهم ربهم أن يشكروا نعمه فأعرضوا فأرسل عليهم سيلاً من المطر الشديد والجرذ الذي نقب السد جزاءً لتمردهم، وجعل لهم على طول المسافة بينهم وبين الشام قرى ليستريحوا ويتزودوا لسفرهم فكانوا يقبلون في قرية ويبيتون في أخرى حتى يصلوا آمين من المخاوف والمضار فقال العصاة: باعد بين أسفارنا أي أزل القرى واجعل المسافات شاسعة في الصحراء ليصعب على غير التجار والمتمولين والمترفين السفر والتجارة ويحرموا الفقراء ويتباهون عليهم باتخاذ المراكب.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِد بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَا لَهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ» (سبأ: 15-21).

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن من الذنوب التي تغيّر النعم وتعجل عقوبتها البغي على الناس. 1- 7- عدم استجابة الدعاء والإبطاء في تحقيق ما يطلبه الداعي، قال الباقر (عليه السلام): (إن العبد ليسأل الحاجة من حوائج الدنيا فيكون من شأن الله قضاؤها إلى أجل قريب أو وقت بطيء فيذنّب العبد عند ذلك ذنباً فيقول الله للملك الموكّل بحاجته لا تنجز له حاجته واحرمه إياها فإنه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان مني) (1).

8- نكد الحياة وشقاؤها وتعاستها، قال تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» (طه: 124) وقال تعالى: «وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ، وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ

ص: 330

مُشْتَرِكُونَ» (الزخرف: 36-40) فمن يتعامى عن الحق واتباعه يخلّي الله تعالى بينه وبين شيطانه يغويه ويصدّه (عليه السلام) سبيل الله ويكون ملازماً له فيشقيه ويتعبه «وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» (فصلت: 25).

9- تشوّش الفكر وانشغال الذهن وسوء الحفظ والحرمان من العلم النافع المقرب إلى الله تعالى، بسبب الصراع الذي يعيشه ووخز الضمير وخوف الفضيحة والعقاب، والذلة الباطنية التي يحسّ بها، ولحرمانه من لطف الله تعالى، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (اتقوا الذنوب فإنها ممحقة للخيرات، إن العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه)(1)، وهو ما عبّر عنه الشاعر:

شكوتُ إلى حكيمٍ سوءَ حفظي *** فأرشدني إلى تركِ المعاصي

وعلّله بأن العلم نورٌ *** ونور الله لا يؤتى لعاصي

10- ويعم أثر الذنوب حتى يتضرر به الآخرون وربما المجتمع كله، قال تعالى: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» (الأنفال: 25)، وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) 1- قوله: (الذنب شؤم على غير فاعله، إن عبّره ابتلي، وإن اغتابه أثم، وإن رضي به شاركه)(2).

والخلاصة:

أنه إذا أراد الإنسان أن يوفقه الله تعالى للمزيد من طاعته فليترك الذنوب.

وإذا أراد أن يحيى حياة مطمئنة سعيدة صافي البال فليترك الذنوب.

وإذا أراد طول العمر بخير وعافية وسعة رزق فليترك الذنوب.

ص: 331

1- بحار الأنوار: 73/377، ح 14.

2- منتخب ميزان الحكمة: ح 2420.

وإذا أراد أن تدوم عليه نعم الله وتقل عليه المصائب فليترك الذنوب.

وإذا أراد سلامة القلب والحق بالصالحين فليترك الذنوب.

ولذا كان يوم العيد الحقيقي هو كل يوم لم تجترح فيه ما يكرهه الله تبارك وتعالى، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض الأعياد: (إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد)⁽¹⁾.

العواصم من الذنوب:

وعلى رأس العواصم من الذنوب -وهو الأصل فيها- اللطف الإلهي الذي به عصم الله تعالى أنبياءه ورسله والصالحين من عباده قال تعالى: «وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصِّرَفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» (يوسف: 24)، وقال تعالى: «وَلَوْلَا أَنْ يُبْتِنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا» (الإسراء: 74).

في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود النبي (عليه السلام) أن ائت عبدي دانيال فقل له: إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك، قال: فأثاه داود (عليه السلام) فقال له: يا دانيال، إني رسول الله إليك وهو يقول لك: إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك. فقال له دانيال: قد بلغت يا نبي الله. قال: فلما كان في السَّحَرِ قام دانيال وناجى ربه فقال: يا رب إن داود نبيك أخبرني عنك: إني عصيتك فغفرت لي، إني عصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك أنني إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي، فوعزت لك لأعصينك ثم لأعصينك، ثم لأعصينك، إن لم

ص: 332

تعصمني(1)، أي: يا رب إن وكلتني إلى نفسي فإني لا أستطيع أن أعصمها من الذنوب إلا أن تعصمني أنت برحمتك.

ومن العواصم الدعاء والذكر واليقظة كلما اعترته، قال تعالى: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (النحل: 99)، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان)(2)، وقال (عليه السلام): (تحرّز من إبليس بالخوف الصادق)(3).

(ومنها) تجنب الحضور والتواجد في الأجواء المساعدة على المعصية لقطع منافذ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء بحيث يصبح ارتكاب المعصية متعذراً، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ثلاث من حفظهن كان معصوماً من الشيطان الرحيم ومن كل بلية: من لم يخلُ بامرأة ليس يملك منها شيئاً، ولم يدخل على سلطان، ولم يُعِن صاحب بدعة ببدعته)(4)؛ والإكثار من الوجود في المساجد ومجالس الصالحين فإنها تمنع من الوقوع في الذنب، قال علي (عليه السلام): (من العصمة تعذر المعاصي)(5)، وعنه (عليه السلام): (من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان: ... أو يترك ذنباً خشيئاً أو حياءً)(6).

(ومنها) المراقبة والمحاسبة الدقيقة والمستمرة للنفس، والأحاديث الآمرة بذلك كثيرة، روى الشيخ الطوسي (قدس سره) في كتاب الغيبة بسنده إلى أبي هاشم الجعفري قال: (سمعت أبا محمد (عليه السلام) يقول: من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا، فقلت في نفسي: إن هذا لهو الدقيق ينبغي للرجل أن يتفقد من أمره

ص: 333

1- بحار الأنوار: 73/362، ح 90.

2- بحار الأنوار: ج 78/9، ح 64.

3- بحار الأنوار: 78/64، ح 1

4- بحار الأنوار: 74/197، ح 32.

5- نهج البلاغة: 535، الحكمة 345.

6- الخصال: ج 2، باب الثمانية، ح 10.

ومن نفسه كل شيء، فأقبل عليّ أبو محمد (عليه السلام) فقال: يا أبا هاشم صدقت فالزم ما حدثت بهنفسك فإن الإشراف في الناس أخفى من ديب الذر على الصفا في الليلة الظلماء ومن ديب الذر على المسح الأسود(1).

(ومنها) استعظام الذنب واستفضاع عاقبته، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبدٍ خيراً جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة والإثم عليه ثقيلًا وبيلاً، وإذا أراد بعبدٍ شراً أنساه ذنوبه)(2).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مرّ على أنفه).

(ومنها) عدم الإعجاب بالنفس، وما يصدر منها من طاعات؛ لأن ذلك يوجب إيكال العبد إلى نفسه فيذنب حتى يكون له واعظاً ومؤدباً من نفسه، في الكافي بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب أبداً)(3).

مكفّرات الذنوب:

إن الله تعالى يعلم ضعف العبد عن مسك زمام نفسه الأمارة بالسوء ومقاومة غواية الشيطان وتزيين الشهوات ويعلم بجهل الإنسان بعواقب أفعاله، وهو أشفق على عباده وأرحم بهم من أنفسهم، وأكرم من أن يقابلهم على سيئاتهم بمثلها، قال تعالى: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ

ص: 334

1- بحار الأنوار: 73/359، ح 78.

2- والذي بعده تجدهما في ميزان الحكمة: 3/375، ح 6794، 6795.

3- أصول الكافي: 2/313، باب العجب، ح 1.

مُسَمَّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا» (فاطر: 45)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به) (1)، في تفسير قوله تعالى: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (الشورى: 30).

فضاعف سبحانه وتعالى لهم الحسنات وتمهل في تسجيل السيئات، في الخصال عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا همَّ العبد بحسنة كتبت له حسنة، فإذا عملها كتبت له عشر حسنات، وإذا همَّ بسيئة لم تكتب عليه فإذا عملها أُجِّل تسع ساعات فإن ندم عليها واستغفر وتاب لم تكتب عليه وإن لم يندم ولم يتب كتبت عليه سيئة واحدة) (2)، وفي رواية أخرى: قال الله تبارك وتعالى: (قد جعلت لهم التوبة أو بسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس الحنجرة، قال يا ربَّ حسبي) (3) أي قال آدم (عليه السلام) حسبي تلك الفضائل لذريتي مما كان للشيطان من التأثير عليهم.

ثم لم يكتف سبحانه بكرمه ورحمته بذلك بل جعل لهم مكفرات لذنوبهم حتى يخفف عنهم أوزارهم التي احتملوها على ظهورهم بسوء أفعالهم ويلاحظ على تلك المكفرات أن بعضها اختيارية وبعضها غير اختيارية، فالاختيارية أفعال ينبغي للإنسان أن يقوم بها ليكفّر بها عن سيئاته وإن لم يفعل ابتلي بغير الاختيارية وهي أشق عليه، لذا ورد في بداية دعاء أبي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد (عليه السلام): (إلهي لا- تؤدبني بعقوبتك)، أما غير الاختيارية- كالأمراض- فهي أمور تعرض للإنسان بسبب منه أو من غيره فيعتبرها الله تعالى بكرمه كفارة لذنوب من تعرض لها، فعلى الإنسان أن يسعى بجد في طلب المغفرة والتكفير عن ذنوبه بالأسباب الاختيارية، وأن لا يجزع إذا حصل له ما يكفّر الذنوب، فإن بقاء ذنب واحد عليه إلى يوم القيامة كافٍ لفضيحته وإيلامه.

ص: 335

1- أصول الكافي: 2/269، باب الذنوب، ح 3.

2- الخصال: 2/418، باب التسعة، ح 11.

3- بحار الأنوار: 71/249، ح 11.

لذا ورد في أدعية شهر رمضان الاستعاذة من انقضائه أو انقضاء الليلة التي هو فيها وقد بقي عليه ذنب أو تبعة يؤاخذ به: (إلهي وأعوذ بوجهك الكريم وبجلالك العظيم أن ينقضني أيام شهر رمضان ولياليه ولك قبلي تبعة أو ذنب تؤاخذني به أو خطيئة تريد أن تقتصها مني لم تغفرها لي سيدي سيدي سيدي(1)).

من وصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لابن مسعود: (يا ابن مسعود: لا تحقرن ذنباً ولا تصغرته، واجتنب الكبائر، فإن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً، يقول الله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَيَبْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا» (آل عمران:30)، يا ابن مسعود: إذا قيل لك: (اتق الله) فلا تغضبفإنه يقول: «وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ» (البقرة:206)) (2).

أما مكفرات الذنوب فهي:

1- التوبة والاستغفار بصدق:

والتي تتضمن بحسب بيان أمير المؤمنين (عليه السلام) لمعنى الاستغفار الندم على ما صدر منه وعقد العزم بصدق على عدم العود ورد المظالم إلى أهلها وتدارك ما فاته من التقصير، وحينئذ يكفر الله سيئاته وينسى الملائكة الحافظين ما كتبوا وكل الشهود بما فيهم جوارحه ويمحو عنه آثار تلك الذنوب والخطايا، ويكتب له بدل ذلك كله حسنات، قال تعالى: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» (الفرقان:70).

2- القيام بالأعمال الصالحة والطاعات:

ص: 336

1- من أدعية العشر الأواخر في شهر رمضان.

2- بحار الأنوار: 77/101.

قال تعالى: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ» (هود:114) «ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا» (الطلاق:5).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحها)⁽¹⁾، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (أوصيكم بتقوى الله .. وارحضوا بها ذنوبكم وداووا بها أسقامكم).

وورد هذا الأثر في أعمال كثيرة كزيارة الحسين (عليه السلام) وإحياء ليلة القدر وصوم بعض الأيام المعينة وبعض الصلوات المستحبة، وهي المذكورة في كتب السنن والمستحبات، نذكر منها ما روي عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: (ثلاث ليالي من زار فيها الحسين (عليه السلام) غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ليلة النصف من شعبان واللييلة الثالثة والعشرون من رمضان وليلة العيد) وورد في صوم ثلاث أيام الخميس والجمعة والسبت من الأشهر الحرم وهي (محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة) أنها كفارة ذنوب تسعمائة عام وهكذا.

3- الصلاة في أوقاتها:

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لو كان على باب أحدكم نهر فاغتسل منه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى على جسده من الدرن شيء؟ إنما الصلاة مثل النهر الذي ينقي، كلما صلى صلاة كان كفارة لذنوبه إلا ذنب أخرج من الإيمان مقيم عليه)⁽²⁾.

ونبه دائماً إلى أن مثل هذه الأمور تلحظ مع شروطها كقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو صليتم حتى تكونوا كالأوتار، وصمتم

ص: 337

1- الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: 3/387-388، ح 6893، 6895.

2- بحار الأنوار: 82/236، ح 66.

حتى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلا بورع(1)، وكقول الإمام الصادق (عليه السلام): (من صلى ركعتين يعلم ما يقول فيهما، انصرف وليس بينه وبين الله ذنب)(2).

4- الابتلاءات والمصائب والمصاعب في الدنيا:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن المؤمن إذا قارف الذنوب ابتلي بها بالفقر، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ابتلي بالمرض، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ابتلي بالخوف من السلطان يطلبه، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ضيق عليه عند خروج نفسه، حتى يلقي الله حين يلقاه وما له من ذنب يدعيه عليه فيأمر به إلى الجنة)(3).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا أراد الله بعبد خيراً عجّل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة)(4).

5- رعاية حرمة شهر رمضان:

من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في وداع شهر رمضان (السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب وأسترك لأنواع العيوب) (السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطايا) حتى روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (سمي شوال شوالاً لأن فيه شالت أي ارتفعت

ص: 338

1- بحار الأنوار: 84/258، ح 65.

2- الكافي: 3/226، ح 12.

3- ميزان الحكمة: 3/385، ح 6869.

4- ميزان الحكمة: 3/385، ح 6873.

وذهبت- ذنوب المؤمنين فلم يبق فيه ذنب إلا غفره الله تعالى ببركة صيام شهر رمضان فإن أجر كل أجير يعطى عند ختمه للعمل(1).

6- الأمراض:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (السقم يمحو الذنوب)(2)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (حمى ليلة كفارة سنة).

7- الأحزان والهموم:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا كثرت ذنوب المؤمن ولم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها به عنه)(3)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ساعات الهموم ساعات الكفارات، ولا يزال الهم بالمؤمن حتى يدعه وما له من ذنب).

8- إتيان المساجد:

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (عليكم بإتيان المساجد، فإنها بيوت الله في الأرض، ومن أتاها متطهراً طهره الله من ذنوبه وكتب من زواره، فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء)(4).

9- العفو والصفح عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم:

لأن هذه من أخلاق الله تبارك وتعالى وهو يجازي من اتصف بها بأكثر منها، قال تعالى: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (النور: 22)، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ص: 339

1- مصابيح الجنان: 599 عن السيد في الإقبال.

2- الأحاديث الثلاثة في ميزان الحكمة: 3/386، ح 6876، 6877، 6868.

3- الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: 3/386-387، ح 6885، 6888.

4- منتخب ميزان الحكمة: 307، ح 2928.

قوله: (من عفا عند المقدرة عفا الله عنه يوم العسرة)⁽¹⁾، ولكن مع الالتفات إلى معنى العفو ومنه ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما عفا عن الذنب من قرّع به)⁽²⁾. وفي دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): (اللهم إنك أنزلت في كتابك العفو وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعفُ عنا فإنك أولى بذلك منا)⁽³⁾.

10- اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والاستئذان بسنته الشريفة في الأفعال والأقوال:

قال تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (آل عمران: 31).

11- إغاثة الملهوف:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب)⁽⁴⁾.

12- كفارات خاصة:

إن بعض الذنوب والتقصيرات لها كفارات خاصة، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صلاة ولا صوم، قيل يا رسول الله، فما يكفرها؟ قال: الهموم في طلب المعيشة)⁽⁵⁾.

وما ورد في القول المشهور: (كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان).

ص: 340

1- منتخب ميزان الحكمة: 439، ح 4329.

2- غرر الحكم: 9567.

3- من دعاء أبي حمزة الثمالي.

4- ميزان الحكمة: 3/388، ح 6899.

5- ميزان الحكمة: 3/387، ح 6886.

وما في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات)(1).

ومن الكفارات الخاصة ما ورد عند القيام من أي مجلس أو انفضاض أي لقاء أو اجتماع كان مشوباً بالغفلة عن الله تعالى فيقول: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

13- حسن الخلق:

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)(2).

14- كثرة السجود:

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله كثرت ذنوبي وضعف عملي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أكثر من السجود فإنه يحط الذنوب كما تحط الريح ورق الشجر)(3).

15- الحج والعمرة:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحججة المتقبلة ثوابها الجنة، ومن الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات)(4)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن أفضل ما توسل به

ص: 341

1- ميزان الحكمة: 3/389، ح 6902.

2- ميزان الحكمة: 3/388، ح 6898.

3- ميزان الحكمة: 3/389، ح 6901.

4- الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: 3/389، ح 6902، 6903.

المتوسلون إلى الله .. حج البيت واعتماره، فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب).

16- افتتاح صحيفة العمل واختتامها بالخير:

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (إن الملك الموكل على العبد يكتب في صحيفة أعماله فأملوا بأولها وآخرها خيراً يغفر لكم ما بين ذلك)(1).

17- الصلاة على محمد وآله:

قال الإمام الرضا (عليه السلام): (من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً)(2).

18- سكرات الموت:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الموت كفارة لذنوب المؤمنين)(3).

ص: 342

1- ميزان الحكمة: 3/389، ح 6904.

2- ميزان الحكمة: 3/389، ح 6905.

3- ميزان الحكمة: 3/389، ح 6906.

الفصل العاشر: كيف نحقق السعادة؟ وعناصر اكتمالها ومواقف تصنع الحياة السعيدة

إشارة

ص: 343

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف خلقه وأكرمهم أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أهمية السعادة:

السعادة: حلم كل الناس والهدف الذي تسعى إليه البشرية، ولذلك كان كل اهتمام الأنبياء والرسل والفلاسفة والمفكرين والعلماء هو الوصول إلى ما تتحقق به السعادة، ونحن حينما نتبادل التهاني في العيد، يدعو بعضنا لبعض: (أسعد الله أيامكم) وإن كنا نحن في العراق نقولها وقلوبنا تعتصر ألماً لما يمرُّ به شعبنا من قتل ودمار ونقص مريع في الخدمات الأساسية، وانتشار الفقر والبطالة والمرض والجهل والفساد وأمثالها من الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي تنخر بنية المجتمع وتدمره إلا من عصم الله تعالى.

ولا زالت دماء الضحايا والأبرياء لم تجف بعد في بغداد والبصرة والكوت وكربلاء والأنبار وغيرها من المدن العراقية المحرومة المنكوبة. وقد مرّت ستة أشهر على الانتخابات من دون تحقيق خطوة تذكر لتشكيل الحكومة، والزعماء السياسيون منهمكون بالصراع على السلطة وغنائمها وامتيازاتها.

وأقل من هذه البلاءات بكثير دفعت شاعراً مثل المتنبي إلى القول:

عيدٌ بأيّة حالٍ عدتَ يا عيدُ *** بما مضى أم بأمرٍ فيك تجديدُ

ويوجد اليوم في الكتاب والمثقفين من يخاطب العيد بقول المتنبي، ويسخر ممن يقول

ص: 345

1- بِمَ تَحَقِّقُ السَّعَادَةَ؟ الخطبة الأولى التي ألقاها سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه الشريف) لصلاة عيد الفطر السعيد يوم الجمعة عام 1431 الموافق 2010/9/10 م.

(أيامك سعيدة) و(أسعد الله أيامكم) مع أنها كلمات دعاء وطلب من الله تعالى بجعل أيام العمر سعيدة وهانئة وليست إخباراً عن الواقع المعاش حتى يجد البعض أنها غير لائقة وغير منطبقة على هذا الواقع المؤلم.

الفوز الحقيقي:

وأين المتنبّي وأمثاله من سمو أهل البيت (عليهم السلام) وحياتهم السعيدة وهم الذين لم يؤذَ أحدٌ كما أوذوا، انظروا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) يسقط مضرجاً بدمائه في محراب مسجد الكوفة وهو يقول: (فُزْتُ وربُّ الكعبة)، والإمام الحسين (عليه السلام) يقول وهو يرى جمع الأعداء كالسيل وقد يبلغوا عشرات الآلاف وهو وأصحابه لا يتجاوزون المائة يقول (عليه السلام): (ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً)(1).

والإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) يشكر الله تعالى وهو في قعر السجون وظلمات المطامير ويقول (إلهي طالما طلبت منك أن تقرّغني لعبادتك وقد فعلت).

روى صالح بن سعيد قال: (دخلت على أبي الحسن - الهادي - (عليه السلام) يوم وروده - سامراء - فقلت له: جُعلتُ فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا المكان الأشنع خان الصعاليك.

فقال (عليه السلام): ها هنا أنت يا ابن سعيد، ثم أوماً بيده فإذا أنا بروضات أنيقات وأنهار جاريات وجنات فيها خيرات عطرات وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر عجبِي، فقال (عليه السلام) لي: حيثُ كنّا فهذا لنا، يا ابن سعيد لسنا في خان الصعاليك)(2).

ص: 346

1- بحار الأنوار: 44/192.

2- بحار الأنوار: 50/202 رواها الشيخ المفيد والكليني (رضوان الله عليهما).

إنها الحياة السعيدة في رحاب الله تبارك وتعالى التي تشغله عن كل شيء «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد:28) فاطمئنان القلب الذي هو علامة السعادة يتحقق بأن تجعل الله تعالى محور حركاتك وسكناتك وهدفك الذي تسعى إليه، ولا تنال تلك السعادة إلا بالتقوى؛ لذا يعلمنا الأئمة (عليهم السلام) أن نطلبها في الدعاء كما طلبوها لأنفسهم، من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، وأسعدنيبتقواك.

فالسعادة الحقيقية هي الفوز بالجنة وهي ثمرة التقوى والعمل بما يرضي الله تبارك وتعالى ويقرب منه، قال تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ» (هود:108).

متى تحصل الشقاوة؟

وتحيط الشقاوة بالإنسان - والعياذ بالله - حينما يعصي الله تبارك وتعالى ويتعد عنه قال تعالى: «وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصَدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ» (الزخرف: 36-38). فتصوروا أي حياة شقية تكون للشخص الذي يلازمه فيها شيطان يكون قريناً له يخلي الله بينه وبينه ليرديه في الضلالات والمهالك وفي حياة تعيسة ضيقة يصفها قوله تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» (طه: 124) ولذا تكون النتيجة يوم القيامة قوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ سَقُوتُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ» (هود:106-107).

السعادة والشقاوة تبعان من النفس:

إن السعادة والشقاوة تتبعان من داخل الإنسان، وهي من حالات عالمه المعنوي ووصف لباطنه، فالسعيد من كان كذلك في باطنه، والشقي من كان كذلك في داخله؛ فلا تتحقق إلا بأمور من جنسها أي معنوية، وليس بأمور مادية كالمال والجنس وترف الدنيا، فكم من شخص لا تتوفر له أسباب السعادة المادية الدنيوية بفقر أصابه أو مرض ابتلي به أو مصيبة نزلت به لكنك تراه سعيداً متفائلاً مبتسماً، وآخر يعيش في ترف وتتوفر له كل أسباب المتعة والعيش الرغيد لكنه عبوس كئيب وقد ينتهي به الأمر إلى الانتحار، وهذه النشرات والإحصائيات تطلعنا باستمرار على أن أكثر حالات الانتحار موجودة في أكثر الدول رفاهية.

الدنيا للعبور والسعادة من المساعدة:

ولا يعني كلامنا هذا تقييلاً من أهمية توفير متطلبات الحياة الهنيئة السعيدة، فإن لها دوراً في تحقيق تلك السعادة إذا أخذ منها بالمقدار المناسب للحاجة ووظفت لتحقيق الهدف، فإنها خير معين لها بفضل الله تبارك وتعالى.

وإنما اشتق اسم السعادة أصلاً من المساعدة وهي المعاونة على ما تتحقق به السعادة الحقيقية التي سميت سعادة لما فيها من معاونة الألفاظ الإلهية للإنسان حتى وُفق إلى الخير والجنة ورضا الله تبارك وتعالى، ولذا نجد في الروايات الشريفة المأثورة عن المعصومين (عليهم السلام) إرشادات إلى ما تتحقق به السعادة الأخروية وما يستعان به على تحقيقها من أمور الدنيا.

مخاطبة عوالم الإنسان:

وهذا الانسجام مع الفطرة والتوازن في مخاطبة كل عوالم الإنسان، وتلبيته كل احتياجاته الروحية والنفسية والعقلية والجسدية هي من مختصات شريعة الله تبارك وتعالى

الخالق العظيم والبصير بما يصلح حال الإنسان ويسعده، بينما تاهت النظريات البشرية في تفسير السعادة وبيان ما تتحقق به لأن تحقيق السعادة حلم كل البشر ولم تنته بهم تلك النظريات إلا إلى الشقاء والقلق والخوف والكآبة والصراعات والشور والآثام، بين أصحاب النظريات المادية الذين حددوا السعادة بالمتعة وتلبية الغرائز واحتياجات الجسد إلى حد الإفراط -كما في الغرب- من دون التفات إلى حاجة الروح إلى الكمال، ونزوع النفس إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، وبين أصحاب النظريات الفلسفية والروحية الذين جعلوا السعادة في تحقق الكمالات النفسية ولو على حساب التفريط في احتياجات الجسد، بل يجعل بعض أهل الرياضات الروحية تعذيب الجسد وإيلامه سبباً لنيل تلك الكمالات وتحقيق السعادة.

السعادة بالتوازن بين الإفراط والتفريط:

ويتغافلون بذلك عن حقيقة أن من تمام السعادة تحقيق التوازن في متطلبات كل جوانب الإنسان. وهذا ما وجدناه في شريعة الإسلام دين الفطرة «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» (الروم:30) ففي الوقت الذي تؤكد فيه على الجوانب المعنوية والكمالات الروحية حين تجعل التقوى وتهذيب النفس أساس السعادة والفلاح «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» (الشمس:9-10) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وإن السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم)⁽¹⁾.

فإنها تدعو إلى الأخذ بأسباب الحياة التي توفر الطمأنينة والراحة والسكون للنفس فنرى الحث الأكيد على العمل والكسب بالتجارة أو الزراعة أو غيرهما وتجعل العمل لطلب الرزق الحلال من أفضل القربات إلى الله تعالى ففي الحديث النبوي الشريف (طلب

ص: 349

1- نهج البلاغة، خطبة رقم (223) قالها عند تلاوته «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ».

الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة(1) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أكل من كد يده كان يوم القيامة في عداد الأنبياء ويأخذ ثواب الأنبياء) وفي الحديث (الكاذب على عياله كالمجاهد في سبيل الله) وفي حديث آخر (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها) وفي حديث نبوي شريف (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة، إلا كانت له به صدقة).

وتجعل تلبية الحاجة الجنسية من طرقها المحللة - أي الزواج - من آيات الله تبارك وتعالى وسننه التي يُتقرب إليه تبارك وتعالى بإقامتها، وإن الإعراض عنه خروج عن هذه السنة قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم: 21) وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني) ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (شرار أمتي العزاب).

ونرى رفض الرهينة والانعزال وحرمان النفس والجسد من بعض ما تشتهيه بالمعروف وبما أحل الله تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (الأعراف: 31-32).

هذا التوازن والنهي عن الإفراط والتفريط معاً لتحقيق السعادة يظهر جلياً مما ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل عليالعلماء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعود، فلما رأى سعة داره قال: (ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا؟ أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج! وبلى، إن شئت بلغت بها الآخرة: تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة.

ص: 350

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال (عليه السلام): وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا، قال (عليه السلام): عليّ به، فلما جاء قال (عليه السلام): يا عُدَيّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك. قال: يا أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، قال (عليه السلام): ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعة الناس لكيلا يتبيخ بالفقير فقره(1).

كيف نحقق السعادة؟

ونذكر هنا مجموعة من الروايات الشريفة التي أرشدتنا إلى ما تتحقق به السعادة في الآخرة وما يعين عليها من أمور الدنيا:

1- عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليه السلام) عن علي (عليه السلام) أنه قال: (حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة وحقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء)(2)، فإن الإنسان لا تكتمل سعادته إلا عندما يختم عمله بخير فإننا نرى كثيرين يعملون عمل السعداء لكنهم في منعطف من حياتهم ينقلبون ويغويهم الشيطان ويلتحقون بالأشقياء وقد يحصل العكس أحياناً كما في قضية الحر الرياحي حتى قال فيه الإمام الحسين (عليه السلام): (أنت حرّ في الدنيا وسعيد في الآخرة) فلا تتحقق السعادة إلا بالمداومة على الخير والثبات عليه.

2- قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من سعادة المرء خفة لحيته)(3) أي قلة

ص: 351

1- نهج البلاغة، خطبة رقم (209).

2- بحار الأنوار: 5/154 عن الخصال: 5 ب 1 ح 14.

3- بحار الأنوار: 73/113.

أتباعه ورعيته سواء كان على صعيد العائلة أو السلطة أو الزعامة الدينية أو الاجتماعية؛ لأن التابع يتمسك¹ - بلحية المتبوع - كما يقال في العرف - وقد يتحمل المتبوع مسؤولية تكثير أتباعه بتكبير لحيته الظاهرية فيتبعه من يراعي تلك المقاييس.

وفي (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) قراءة أخرى للحديث (خفة عارضيه) أي خفة لحيته وعارضيه بذكر الله تعالى وعدم غفلته عن ربه.

3- عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ثلاثة من السعادة: الزوجة المؤمنة، والولد البار، والرجل يرزق معيشة يغدو على إصلاحها ويروح على عياله)⁽¹⁾.

وعن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن آبائه عن علي (عليهم السلام) قال: (من سعادة المرء المسلم الزوجة الصالحة والمسكن الواسع والمركب الهنيء والولد الصالح)⁽²⁾.

فالزوجة الصالحة المطيعة المتوددة، والمسكن اللائق بشأن الإنسان، والأولاد البارون الصالحون، ووسيلة التنقل المناسبة التي تغنيه عن الطلب من الناس وغيرها من الحاجات الأساسية في الحياة يؤدي توفرها إلى الحياة السعيدة المعينة على طاعة الله تعالى ونيل السعادة الحقيقية.

على أن لا تتحول هذه الأمور إلى هدف وشاغل عن الله تعالى بل يجعلها الإنسان وسائل مساعدة ومعينة على الوصول إليه تبارك وتعالى قال عز من قائل: «رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» (النور: 37) فالمشكلة ليست في وجود تجارة أو مال وإنما في

ص: 352

1- بحار الأنوار: 103/6 عن أمالي الشيخ الطوسي.

2- بحار الأنوار: 104/98، ح 64.

تحولها إلى مانع عن الوصول إليه تبارك وتعالى، وقال: «إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» (التغابن: 14).

4- وفي كتاب غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه السلام): (السعيد من استهان بالمفقود)؛ لأن الحزن على ما فات موجب للشقاء والنكد والسعيد من صبر وتسلّى عنه واحتسبه عند الله تعالى.

وقال (عليه السلام): (في لزوم الحق تكون السعادة) لأن معرفة الحق واتباعه هو أساس السعادة الحقيقية الموجبة للفوز.

وقال (عليه السلام): (من حاسب نفسه سعد) لأنه بالمحاسبة يستطيع تصحيح الأخطاء وتلافي النقص ورد المظالم إلى أهلها ويقرّر حياة أفضل وكل ذلك يوجب السعادة.

وقال (عليه السلام): (خلوّ الصدر من الغل والحسد من سعادة العبد) فإن أشقى الناس من امتلأ قلبه حقداً وحسداً وغلاً وخيانة وحياته تكون معذبة ويعيش مهموماً.

وقال (عليه السلام): (السخاء إحدى السعادتين).

وقال (عليه السلام): (سعادة المرء في - القناعة والرضا) فإذا قنع استقر ورضي ولم يحزن على فوات شيء أو يقلق حرصاً على تحصيل شيء.

وقال (عليه السلام): (سعادة الرجل في إحراز دينه والعمل لآخرته) لأن العمل بما يرضي الله تعالى والسير على هدى أوليائه يحقق السعادة الأبدية.

وقال (عليه السلام): (إذا اقترن العزم بالحزم كملت السعادة).

وقال (عليه السلام): (أمانة السعادة إخلاص العمل) لأن عمله إن لم يكن بنية مخلصه لم يكن مقبولاً ولم يحقق السعادة المطلوبة، فعلاحة سعادته كون عمله مخلصاً لله تبارك وتعالى.

في كتاب مكارم الأخلاق (من سعادة المرء دابة يركبها في حوائجه ويقضي

عليها حوائج إخوانه(1)؛ لأنه بها يستغني عن الحاجة للآخرين ويتمكن من قضاء حوائج الناس التي هي من أعظم القربات.

5- عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (من سعادة المرء المسلم أن يكون متجره في بلاده ويكون خلطاؤه صالحين ويكون له وُلدٌ يستعين بهم)(2). فمن كان متجره في بلاده كفاه الله مؤونة الغربة والبعد عن الأهل والوطن ومخاطر الأسفار، ومن كان شركاؤه وأقرانه في العمل صالحين تجنب المشاكل والخصومات والخوض في الباطل، ومن كان له ولد يعينه 1- خفت أعباء الحياة عليه وسعد برؤيتهم.

6- (من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة إلى دار الخلود)(3).

(ليس كل من يحب أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه، وليس كل من يرغب فيه يقدر عليه ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن فهناك تمت السعادة للطالب والمطلوب إليه) فهكذا تجتمع الأسباب لتحقيق السعادة: الإرادة من الإنسان وتيسير الأسباب والوسائل الطبيعية لإنجاز العمل وتوفيق الله سبحانه.

7- (ولو أن أشياعنا - وفقهم الله لطاعته- على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه)(4) فالإلفة بين المؤمنين وتواددهم وتراحمهم سبب قوي لسعادتهم ونزول الرحمة عليهم.

ص: 354

1- مكارم الأخلاق: 138.

2- بحار الأنوار: 103/7 ح 27 عن الخصال: 1/159 باب الثلاثة.

3- بحار الأنوار: 6/46.

4- الاحتجاج: ج 2، رسالة الناحية المقدسة إلى الشيخ المفيد.

ونذكر بعض الروايات الواردة في الشقاوة لتعرف الأمور بأضدادها:

قال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): اعدل، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لقد شقيت (شقيت) إن لم أعدل)(1).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أشقى الناس المملوك)(2) بعكس ما يتصور أغلب الناس فيحسدونهم على ما هم عليه فإذا انكشف لهم الواقع تبرأوا منه كما في قصة قارون التي حكاها الله تبارك وتعالى: «وَأَصْحَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (القصاص: 82).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أربع خصال من الشقاء: جمود العين وقساوة القلب وبعد الأمل وحب البقاء)(3).

سئل أمير المؤمنين (عليه السلام): أي الخلق أشقى؟ قال (عليه السلام): (من باع دينه بدنيا غيره)(4).

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه السلام): (إن الشقي من حُرِمَ ما أُوتِيَ من العقل والتجربة)(5).

ومن كلماته (عليه السلام) في غرر الحكم: (من علامات الشقاء غش الصديق)

ص: 355

1- رواه البخاري: 3138.

2- بحار الأنوار: 75/340.

3- بحار الأنوار: 73/164.

4- بحار الأنوار: 75/301.

5- شرح نهج البلاغة: 18/74.

(من الشقاء فساد النية) (من الشقاء أن يصون المرء دينه بدينه).

ونبه هنا إلى شبهة يثيرها الغارقون في المعاصي العاجزون عن التغلب على أهوائهم فيصوّرون لأنفسهم أنه مكتوب عليهم الشقاء ولا يمكن تغييره، وقد دعمت هذا الاتجاه الفكري جهات سياسية منذ عصر صدر الإسلام لتمنع الأمة من الحركة نحو الإصلاح وتغيير الواقع الفاسد وإزالة الظلم، وينقل القرآن الكريم عنهم قولهم: «قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ» (المؤمنون:106) لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) فسر الآية بقوله: (بأعمالهم شقوا)(1).

فالإنسان باختياره عمل ما يوجب شقاه، وقد جرى القضاء الإلهي - أي مجموعة القوانين والسنن الإلهية- بأن من يعصي ويعرض عن الله تعالى يشقى، قال (عليه السلام) في دعاء كميل: (إلهي ومولاي أجريت عليّ حكماً اتبعْتُ فيه هوى نفسي ولم أحترس فيه من تزيين عدوي فغرّني بما أهوى وأسعده على ذلك القضاء) فالعبد باختياره اتبع الشيطان وساعد على غوايته السنة الإلهية بإيكاله إلى نفسه وسلب التوفيق منه.

وفي احتجاج الإمام الصادق (عليه السلام) على الزنادقة لما سأله: (فما السعادة وما الشقاوة؟ قال: السعادة سبب خير تمسك به السعيد فيجره إلى النجاة، والشقاوة سبب خذلان تمسك به الشقي فجرّه إلى الهلكة، وكلُّ بعلم الله تعالى)(2) فالله تبارك وتعالى قضى تلك الأسباب، والإنسان بإرادته تمسك بهذا أو ذاك منها، وروى البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة) ولذا فسرت السعادة بما يناسب أصلها المأخوذ منه وهي المساعدة فليل أن السعادة والسعد: ((معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير

ص: 356

1- بحار الأنوار: 5/157.

2- بحار الأنوار: 10/184.

تلخيص السعادة الحقيقية:

أيها الأحبة..

نستطيع تلخيص أسباب السعادة الحقيقية بالإيمان بالله تعالى وتقواه والالتزام بطاعته وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) بإخلاص ونشاط وعزيمة لا تلين، وتطهير القلب من أمراض الحسد والحقد والبغضاء والبخل والحرص والخوف والقلق وتنقية العقل، من الشبهات والشكوك والظنون والتهم والأوهام والوساوس (فإن الشكوك والظنون لواقع الفتن ومكدره لصفو المنائح والمنن) وتهذيب النفس من الأهواء المنحرفة وضبط الغرائز على وفق ما يصلح حال الإنسان في دنياه وآخرته وتجنب الإفراط والتفريط.

والزواج بالمرأة الصالحة الودودة الجميلة وطلب الأولاد وتربيتهم ليكونوا صالحين، والسعي لطلب الرزق الحلال الذي يسدّ احتياجاته ويغنيه عما في أيدي الناس ويوفّر له فرص الطاعة والقرب من الله تبارك وتعالى.

وقد وجدت في الأحاديث الشريفة أن أكثر ما يوجب السعادة بعد التقوى محبة الآخرين ومواددتهم وبذل الوسع في إسعادهم وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم ابتداءً من الوالدين والزوجة والأولاد إلى الجيران والأرحام ثم عامة الناس.

وإن أكثر ما يوجب الشقاء بعد الإعراض عن الله تعالى هو الحزن والقلق، الحزن على ما فات من عزيز أو مال أو شهوة أو شيء حريص عليه، والقلق مما يأتي كالتاجر يخاف أن يخسر والمرأة تقلق أن يفوتها قطار الزواج أو يتزوج عليها زوجها امرأة ثانية. فينكد عيشهم باحتمالات لم تقع، والحل في تجنب هذه الحالات، وإيكال الأمر إلى الله تبارك وتعالى والأخذ بالأسباب المتيسرة قال تعالى في علاج هذه الحالة: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ

ص: 357

فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا - فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» (الحديد: 22).

ولم تحصل هذه الحالات إلا بسبب الحرص والفخر والاختيال بما في اليد.

ص: 358

لا تكتمل السعادة بالعمل الصالح إلا بعناصر ثلاثة (1)

الاطمئنان والارتياح بتأدية العبادات:

يقوم الإنسان بأعمال بدنية شاقة ويتعرض لصعوبات كثيرة ويتحمل اعباء مالية باهضة مما طلبه منه الله تبارك وتعالى ومع ذلك يشعر بالسعادة واللذة، خذ لذلك مثلاً حجاج بيت الله الحرام فإنهم يصرفون أموالاً طائلة ويفارقون الأهل والوطن ويتعرضون لمشاق السفر، ويؤدون أعمالاً شاقة ومع ذلك فإنهم يشعرون باللذة والارتياح وحينما يعودون تكون عيونهم شاخصة إلى بيت الله الحرام يفارقونه بحرقه سائلين الله تعالى العوده إليه.

ولعل أوضح مثال نعيشه هو نهضة الأمة كلها في أيام الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام)، فيقطع الكثيرون مسافات بمئات الكيلومترات مشياً على الأقدام في العراء تحت ظروف جوية قاسية بلا اصطحاب أي شيء مما يحتاجه من يقطع مثل هذه المسافات، وآخرون يجتهدون أنفسهم وأهليهم للخدمة ويبدلون ما عندهم من أموال ويواصلون الليل والنهار لتوفير الطعام والراحة والمعونة للزائرين، ومع ذلك يشعر الجميع بالسعادة والسرور، وإذا انقضت الزيارة يفارقون أيامها بألم وأمل لإدراكها في العام المقبل.

وهكذا الأعمال الأخرى كصوم رمضان ودفع الحقوق الشرعية وغيرها.

وهذه السعادة والارتياح والاطمئنان هو الأجر المعجل للعمل الصالح وما عند الله خير وأبقى، قال تعالى (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد/28)، فإن السعادة الحقيقية إنما

ص: 359

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلّه) مع موكب العسكريين (c) الذي وصل من البصرة مشياً على الأقدام يوم 16/صفر/1433 الموافق 2012/1/10 بعد أربعة عشر يوماً متوجهاً إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، ومع جمع من طلبة جامعة ميسان يوم السبت 1/ج1/1433 الموافق 2012/3/24.

تتوفر بالارتباط بالله تبارك وتعالى لا- في المتع المادية والتوسع في أمور الدنيا كما يتوهم الغافلون فيبحثون عنها ولا يجدونها ويبقون يعيشون الحياة الضنكى.

لا بد من إحسان العمل وإدامته:

لكن الملاحظ أن هذه السعادة وهذه النتائج الطيبة للعمل الصالح تتفاوت في درجاتها عند الناس كما تتفاوت في استمرار تأثيرها، فقد تنتهي بمجرد انتهاء العمل، وقد تستمر فترة أطول وتزول، وقد تبقى ثابتة، والسر في ذلك هو أن السعادة لا تكتمل بالعمل الصالح وحده بل لابد من تحقق أمرين آخرين:

1- إحسان العمل بأن يأتي به بشروطه وحدوده التي أَرادها الله تبارك وتعالى، ولا يخدع نفسه ويتوهم بأنه يقوم بعمل صالح وهو في الحقيقة من الخاسرين، كما لو قام به رياءً أو على غير وجهه الشرعي كالمرأة تذهب إلى الزيارة بدون إذن زوجها أو لا تراعي الحجاب العفيف، وكالشاب يخرج إلى الزيارة وعينه على اعراض الناس أو يكون عاقاً لوالديه، أو شخص يشارك في العمل السياسي والاجتماعي لتحصيل الجاه والسمعة والامتيازات الدنيوية وليس لتحقيق الأهداف الإلهية العليا، أو شخص يتصدق ويمن بصدقته ويؤدي الآخر، قال تعالى (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) (البقرة/264)، أو يذهب إلى الحج ويملاً وقته بالغيبة ولغو الحديث والجدال، والله تعالى يقول (فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (البقرة/197)، أو ينفق ماله في أعمال البر والاحسان وإقامة الشعائر وهو لم يخرج الحقوق الشرعية الواجبة.

فهذه كلها تجعل العمل غير مثمر وغير منتج للسعادة ولا يؤدي إلى نيل رضا الله تبارك وتعالى بل هو فشل ذريع كإبليس الذي عبد الله تعالى ستة آلاف سنة- كما في الروايات- وكان متميزاً بعبادته على الملائكة إلا أنه فشل في

اختبار السجود لآدم لأنه أراد أن يطيع الله تعالى من حيث هو يريد لا من حيث ما يريد الله تبارك وتعالى فكتب عليه الطرد واللعن.

وكأخبار اليهود الذين حملوا علماً جماً إلا ان الله تعالى وصفهم بأنهم كالحمار يحمل أسفاراً إلا أنه لا ينتفع بها لأنهم لم ينتفعوا بعلمهم ولم يستعملوه في الوصول إلى الحق والكمال، فالله تعالى مطلع على حقائق الأعمال ودوافعها وتفاصيلها ولا يقبل ولا يعطي الأجر إلا لمن أخلص وأحسن عمله (لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الملك/2) كالذي يجري بيننا نحن البشر، فإن البضاعة إن لم تكن متقنة ومستوفية لكل الشروط والمواصفات فإنها تردّ على صاحبها ويتحمل الخسائر.

2- إدامة العمل بإدامة آثاره والتزاماته وما يقتضيه ذلك العمل من مسؤوليات أخلاقية وشرعية، مثلاً المؤمن المصلي عليه أن يديم أثرها بأن يجتنب الفحشاء والمنكر، قال تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت/45).

والصائم يديم أثره بقوة الإرادة في اجتناب المعاصي وكل ما يبعده عن الله تبارك وتعالى وبمواساة الفقراء والمحرومين وتذكّر معاناتهم، وتذكر أحوال القيامة من جوع وعطش وغيرهما-.

والذي يعود من الحج يديم حالة الإخلاص لله تعالى والتجرد عما سواه، ومحورية التوحيد في حياته، ورجم شياطين الجن والإنس.

والذي يعود من زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يديم حالة الإيثار والأخوة والمحبة والسعي الحثيث لإصلاح الأمة ورفض الظلم، والتضحية في سبيل الله تعالى بكل غالٍ ونفيس.

بهذه العناصر الثلاثة تكتمل وتدوم سعادة الإنسان بأعماله الصالحة وينال الجنة في الدنيا قبل الآخرة، وقد اختصرها الإمام الحسين (عليه السلام) في دعائه يوم عرفة بكلمة واحدة

هي التقوى، قال (عليه السلام): (اللهم اسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك)⁽¹⁾ والتقوى لا تتحقق إلا إذا اجتمعت هذه العناصر.

ولكي نوفق لهذا كله لابد أن نتفقه ونتعرف على معالم الدين وسيرة أهل البيت (عليهم السلام) لأن العمل يسبقه العلم، فمن جهل شيئاً فإنه لا يفعله، وإذا فعله فإنه لا يحسنه، فاهتموا بطلب العلم ومعرفة ما يسعدكم وما يقربكم إلى ربكم إنه ولي التوفيق.

ص: 362

1- إقبال الأعمال: ج 2 ص 78.

رُبَّ موقف يكون مصدراً لبركات كل الحياة(1)

مثال أهل الكهف:

يظهر من بعض الآيات القرآنية أن موقفاً يصدر من الإنسان أو قراراً يتخذه في منعطف من حياته أو صفة كريمة يتصف بها تكون مصدراً لبركات تعمه كل حياته «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى»، ونأخذ هنا أمثلة من حياة غير المعصومين من الأنبياء والأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم) كأصحاب الكهف «إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَدَّ طَبَّا» (الكهف: 14) فقد وقفوا في وجه الشرك والوثنية ورفضوا عبادة الطاغوت وسخفوا عقائدهم وظهروا عبادة الله الواحد الأحد فكانت النتيجة «وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ» أي قويناها ونورناها بالمعرفة والبصيرة وكشفنا لها الحقائق «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» (الكهف: 12).

مع مريم بنت عمران:

ص: 363

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع مركزي الزهراء المظلومة وسبل الرشاد في الناصرية الذين أقاموا معرضاً ثقافياً في كربلاء بمناسبة الزيارة الشعبانية واستمر أربعة أيام، وقد زاروا سماحته يوم 7 شعبان، ومن حديث سماحته مع مجموعة من الشباب أشادوا بروضة خضراء في الشعلة، وأطفال مدرستي الإمام الصادق في مدينة الصدر والإمام الجواد في الكاظمية، وقد زاروا سماحته يوم 22 شعبان، ومن حديثه مع عدة سرايا من لواء الإمامين العسكريين في قضاء الهندية الذي قدموا خدمات جليلة لزوار الشعبانية وحافظوا على قدسية الشعائر في كربلاء قرب مقام الإمام المهدي بالتعاون مع موكب الزهراء في الناصرية وغيرها، وقد زاروا سماحته يوم 25 شعبان / 1427 المصادف 9/19 / 2006. وكذلك من حديث سماحة الشيخ مع حشد من الضيوف والزائرين يوم السبت 4 محرم 1432 المصادف 2010/12/11.

والمثال الآخر مريم ابنة عمران، قال تبارك وتعالى فيها «وَالَّتِي أَحْصَدْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ» (الأنبياء: 91) وضربها الله تعالى وامرأة فرعون مثلاً للمؤمنين قال تعالى «وَصَدَّ رَبُّنَا لَأُنزِلَنَّ بِهِ آيَاتًا مِنْ سَمَوَاتِهِ فَتَذَكَّرُ أَهْلُهَا وَغَرَّبَهَا قَارِئًا فَلَمَّا رَاها مُسْتَقِيمًا فَانقَلَبَتْ وَابْتِرَافًا وَنَجَّيْنَاهَا مِنَ الْغَمِّ وَرَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِينَ فِيهَا رَبَّنَا لِأَعْمَارِهِمْ لَشَدِيدٌ» (التحریم: 11-12) فالعلاقة والسببية واضحة بين العفة والحياء المعبر عنها بصيانة الفرج وبين نفخ روح الله السيد المسيح (عليه السلام) فيها حيث عبر عنها بفاء التفريع - وكذلك امرأة فرعون التي رفضت الانصياع لفرعون واتباعه في عمله فجعلها الله تبارك وتعالى مثلاً يحتذى به المؤمنون في كل الأجيال.

قصة عن الإخلاص في العمل:

ومن تلك البركات ما يظهر من بعض الروايات أن من أقسم على الله تبارك وتعالى بعمل مخلص من هذا القبيل لحاجة أبر الله قسمه وقضى حاجته.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (بينما ثلاثة رهط⁽¹⁾ يتماشون، أخذهم المطر فأووا الى غار في جبل، فبينما هم فيه انحطت صخرة فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أفضل الأعمال علمتموها فأسألوه بها لعله يفرج عنكم، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان كبيران، وكانت لي امرأة وأولاد صغار، فكنت أرعى عليهم⁽²⁾، فإذا أرحت عليهم⁽³⁾ غنمي بدأت بوالدي فسقيتهما، فلم آت حتى نام أبوي، فطبيت الإناء، ثم حلبت ثم قمت بحلابي عند رأس أبيي، والصبيبة يتصاغون⁽⁴⁾ عند رجلي أكره

ص: 364

1- الرهط: ما دون العشرة من الرجال. مجمع البحرين: ج 4 ص 292.

2- فلان يرعى على أبيه: أي يرعى غنمه. لسان العرب: ج 14 ص 325.

3- أي رددت عليهم.

4- صاغية الرجل: الذين يميلون اليه ويأتونه ويطلبون ما عنده ويغشونه. لسان العرب: ج 14 ص 461.

أن أبدأ بهم قبل أبي، وأكره أن أوقفهما من نومهما، فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر، اللهم إن كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عني فرجة نرى منها السماء، ففرج له فرجة فرأى منها السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه كان لي بنت عم فأحببتها حباً، كانت أعز الناس إلي، فسألتها نفسها، فقالت: لا، حتى تأتيني بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار، فأتيته بها، فلما كنت بين رجليها، قالت: أتق الله، ولا تفتح الخاتم(1) إلا بحقه، فقممت عنها، اللهم إن كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عني فرجة، ففرج الله لهم فيها فرجة.

وقال الثالث: اللهم اني كنت استأجرت أجيراً بفرق ذرة(2)، فلما قضى عمله عرضت عليه فأبى أن يأخذها، ورغب عنه، فلم أزل اعتمل به حتى جمعت منه بقرراً ورعاءها، فجاءني وقال: أتق الله ولا تظلمني، فقلت له: أذهب الة تلك البقر ورعاتها فخذها، فذهب واستاقها، اللهم إن كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عني ما بقي منها، ففرج الله عنهم، فخرجوا يتماشون(3).

من أسباب زيادة التكامل:

ورد في الحديث الشريف (إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، وولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به بعد موته)(4) وانتم الذين أتشرف بخدمتكم الآن قد حققتم الثلاث، فأنتم أبناء صالحون ليس لأبويكم فقط وإنما للإسلام وللمرجعية وللوطن

ص: 365

- 1- قال ابن منظور: أصل الخاتم التغطية، وختم البذر تغطيته. أنظر لسان العرب: ج12 ص165.
- 2- وهو مكيال ضخم لأهل المدينة، وقيل لأهل العراق، أنظر لسان العرب: ج10 ص306، وكتاب العين: ج5 ص147.
- 3- البحار: ج67 ص383، والأمالى للطوسي: ص395.
- 4- شرح أصول الكافي للمازندراني: ج6 ص137.

وللأمة، ومدارسكم هي التي تتداول العلوم التي ينتفع بها في إصلاح الناس وتعليمهم أحكام الحلال و الحرام وسيرة أهل البيت (عليهم السلام) والعقائد الحقّة.

أما الصدقة الجارية فلا تنحصر في بناء مسجد أو حسينية أو مدرسة وإنما تعم كل مشروع خيري وعمل يستمر في عطائه الإنساني النبيل، كالذي قمتم به حين زرعتم منطقة خضراء في مدينة الشعلة وزينتموها بالورود و هيأتموها لكي يروّح فيها الإنسان عن نفسه همّ الحياة ومشاقها ونكدها، ويلهو فيها الأطفال ببراءة وتجتمع فيها العوائل على الحب والتآخي والمودّة.

وليس كثيراً على كرم الله تعالى وفضله ورحمته أن يهيئ للإنسان أسباباً لزيادة الأجر والتكامل حتى بعد وفاته ، وليس اعتباراً أن يرزق الله أحداً مثل هذه الأسباب دون غيره ، لأن الأول لا بد انه قام بعمل أو اتخذ موقفاً وجد رضاً وقبولاً عند الله تبارك و تعالى فأغدق عليه من كرمه ورضاه بما هو أهله.

هذه أمثلة لكرم الله تبارك و تعالى وسعة رحمته ولطفه العميم فهو الذي يهدي عباده إلى الطاعة ويوقّتهم إليها وييسّر لهم أسبابها «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ» الأعراف 43 ثم يشكرهم عليها ويشيهم بأحسن الجزاء وأوسعها فيدلّل عبده ويرعاه لعمل واحد صدر منه.

الحذر من العجب:

لكن يجب الحذر من النفس الأمارة بالسوء فإن الذي قلناه لا يعني أن العبد يمتنّ بعمله على الله تبارك و تعالى، بل لا يحق له أن يظن أنه قدّم شيئاً بين يدي الله تعالى وعليه أن يعتقد أن كل ما عنده هو من الله تعالى .

كُنَّا فِي الرُّوْضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ فِي المَوْسَمِ المُنْقِضِي (1431) وَجَاءَ أَحَدُ الرِّفْقَةِ فَرِحًا بِزِيَارَتِهِ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَبِمَا وَرَدَ فِي النِّصِّ المَعْرُوفِ الَّذِي يَسْتَحِبُّ أَنْ يَزَارَ بِهِ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كُلَّ يَوْمٍ سَبْتٍ وَهُوَ (اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا، إِلَهِي فَقَدْ أَتَيْتَ نَبِيَّكَ مُسْتَغْفِرًا تَائِبًا مِنْ ذُنُوبِي) (1) وَشَعَرْتُ مِنْهُ وَكَأَنَّهُ قَدَّمَ شَيْئًا وَيَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْجِزَاءَ فَقُلْتُ لَهُ : لَسْتُ أَنْتَ الَّذِي جِئْتُ إِلَى هُنَا وَأَتَيْتَ وَإِنَّمَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي جَاءَ بِكَ وَأَذَنَ لَكَ وَيَسِّرَ لَكَ العَسِيرَ وَطَوَّى لَكَ المَسَافَاتِ البَعِيدَةَ. لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِكِرْمِهِ ضَمَّنَ لِعِبَادِهِ أَنَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرٌ مِنْ أَحْسَنِ عَمَلًا.

من درجات الإخلاص:

وهكذا عندما تقرأ صباحاً في دعاء العهد مع الإمام المنتظر (عليه السلام) (اللهم أني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبداً) (2) فلا تشعر أنك أنت الذي بقدراتك الذاتية المليئة بالنقص والقصور والتقصير والعجز لا تحول عن بيعة الإمام (عليه السلام) ولا تزول أبداً، فقد زلت أقدام كثيرين وفتنتهم الدنيا وضعفوا أمام المغريات أو الصعوبات، فالثبات على الحق نعمة من الله تعالى وفضل.

قصة عن العمل الذي غير حياتي:

وإذا أردت أن اذكر مثلاً من حياة هذا القاصر المقصّر من باب «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» ولرفع الهمة في النفوس فهو القرار الصعب الذي اتخذته عندما تخرجت من كلية الهندسة عام 1982 وكانت القوانين تلزمنا بالخدمة العسكرية لكنني كنت مطمئناً بلا تردد

ص: 367

1- مفاتيح الجنان: ص 81.

2- مفاتيح الجنان: ص 585.

بضرورة رفض الانخراط في الخدمة لأن فيها دخول في منظومة الظالمين مهما كان مكان الوحدة العسكرية أميناً ومريحاً باعتبارنا مهندسين مدنيين- واتخذت ذلك القرار الذي كانت عقوبته الإعدام وفي قمة بطش النظام وقسوته حيث أعدم عشرات الآلاف خصوصاً بين 1980- 1982 وملاً- السجون والمعتقلات بأمثالهم وكانت عيون جلاوزته والمنافقين والمتملقين تلاحق الناس كالظل، وكان الأب يخبر الجلاوزة على ولده المتخلف عن الخدمة العسكرية ويسلمه إلى الإعدام خوفاً على نفسه أن يعثر على ولده عنده فيعاقب، وكان ظرفي العائلي في أشد مراحلها حيث توفي والدي واعتقل أخي الكبير وفقد أخ آخر ومات ثالث والحاصل انه بقيت وحدي حبيس الدار مع النساء ولم يمنعني ذلك من الإقدام على هذا العمل وتحمل كل تبعاته وثبتت عليه كل تلك السنين ومحل الشاهد أنني أجد الألفاظ الإلهية تغمرني إلى الآن ببركة التوفيق الإلهي لذلك الموقف فله الحمد أولاً وآخراً.

النهى عن التكاسل:

ومحل الشاهد أننا يجب أن لا نقصّر عن استثمار أي فرصة للطاعة والمشاركة في أي مشروع خيري أو عمل إنساني، فلعل هذا العمل بالذات هو الذي يقع في محل الرضا والعطاء الإلهي والنفحات الخاصة، فقد ورد في الحديث الشريف إن الله تعالى أخفى وليه بين عباده لكي تحترم الجميع ولا تستحقر أحداً مهما كان ضعيفاً أو رثّ الحال لاحتمال أن يكون من أولياء الله تعالى، وأخفى رضاه في طاعته أي أخفى مقدار الرضا والعطاء على أنواع الطاعات لكي يهتم الإنسان بها جميعاً ولا يفرط في أي واحدة منها إذ لعل هذه هي من أسباب الألفاظ الإلهية الخاصة .

ولا- تقللوا من شأن أي طاعة فإنكم لا تعلمون أيها جعلها الله تعالى سبباً لشمول أطفاه، فلا تعلم أي معصية تكون القاصمة والضربة القاضية التي تؤدي إلى الطبع على القلب بحيث لا تنفعه الهداية والعباد بالله تعالى .

فالمأمول منكم أن لا- تقصروا في مشاريع الخير والنفع للأمة واحتسبوا بها الأ-جر عند الله تعالى «وَلَا يَسَّ تَخَفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» (الروم:60) من هؤلاء المتصارعين على حطام الدنيا الزائفة فحينما تنصب الموازين الحق سيعلمون عندئذ الفائزين والمفلحين «يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ» (الباقية: 27).

فلا- تتقاعسوا أيها الأحبة عن القيام بأي عمل صالح أو اتخاذ قرار فيه لله رضا في حياتكم خصوصاً في المنعطفات الحاسمة ولا شك أنكم تعرضتم لمثل هذه الاختبارات كشاب تعرض له امرأة ذات جمال في غير ما أحله الله تعالى، أو مبلغ كبير يعرض عليه إزاء عمل لا يرضي الله ورسوله أو يطلع على حاجة لمؤمن يستطيع قضاءها ببذل مال أو جهد أو نصرة مظلوم أو الإجهار بذكر الله تعالى والنيي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) في أوساط الغافلين ونحوها.

ص: 369

ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى

ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى (1)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سادة خلقه أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أولانا.

المعنى الحقيقي للتزيّن:

من مستحبات العيد التزيّن، والمعنى المعروف منه هو التزيّن الظاهري الشكلي ولا بأس به، لكن أهل البيت (عليهم السلام) يدلّوننا على المعنى الحقيقي الواعي للتزيّن؛ روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (زيتوا أعيادكم بالتكبير) وعنه (صلى الله عليه وآله): (زيتوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتقديس) (2).

معنى التكبير:

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أكثرُوا من التهليل والتكبير فإنه ليس شيء أحبّ إلى الله من التكبير والتهليل) (3)، ويشرح الإمام (عليه السلام) معنى التكبير في رواية عن أحد أصحابه قال: (قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): أي شيء الله أكبر؟ فقلتُ: الله أكبر من كل شيء، فقال (عليه السلام): فكان ثمَّ شيء فيكون أكبر منه؟ فقلتُ: فما هو؟ فقال: الله أكبر من أن يوصف) (4).

ص: 373

1- الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك التي أقامها سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله يوم الجمعة الموافق 2012/10/26.

2- ميزان الحكمة: 6/323، باب 2962.

3- ثواب الأعمال: 18، باب ثواب لا إله إلا الله، ح 13.

4- الحديث والذي يليه في معاني الأخبار: 11

وفي رواية أخرى (قال رجلٌ عنده: الله أكبر، فقال (عليه السلام): الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): حدّدتَه! فقال الرجل: وكيف أقول؟ فقال (عليه السلام): الله أكبر من أن يوصف).

الذكر في القرآن الكريم:

لقد أولى القرآن الكريم قضية (الذكر) أي ذكر الله تعالى اهتماماً بالغاً لأهميتها وعظيم آثارها، حتى أن هذه المفردة ومشتقاتها تكررت في عشرات الآيات، والملاحظ أن ورودها في الآيات المكية حوالي ثلاثة أضعاف الآيات المدنية تقريباً حيث كان القرآن المكي يركّز على بناء عقيدة التوحيد وعلاقة المسلم بالله تعالى ونبذ الشركاء والأنداد وتطهير القلب وتهذيب النفس.

قال تعالى: «وَأذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» (آل عمران: 41) وقال تعالى: «وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ» (الأعراف: 205) وقال تعالى: «وَأذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ» (الكهف: 24)، وقال تعالى: «فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» (البقرة: 152) وقال تعالى: «وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ» (البقرة: 203)، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» (الأحزاب: 9)، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (الأحزاب: 41-42)، وقال تعالى: «وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الجمعة: 10) وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» (الأعراف: 201) وقال تعالى: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ» (آل عمران: 191) وقال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد: 28) وقال تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ» (العنكبوت: 45) وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ

أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (المنافقون : 9) وقال تعالى: «وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً» (المزمل:8).

وجاءت الأحاديث الشريفة لتؤكد هذه الأهمية، وتدعوا المؤمنين إلى ذكر الله تعالى على كل حال، ففي الخصال عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي سيد الأعمال ثلاث خصال: إنصافك الناس من نفسك، ومواساتك الأخ في الله عز وجل، وذكر الله تعالى على كل حال)، وروى الحسن بن علي (عليهما السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): بادروا إلى رياض الجنة، فقالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حَلَقُ الذِّكْرِ(1).

معنى (ذكر الله تعالى على كل حال):

ونفهم من (على كل حال) عدة مستويات وكلها صحيحة ومستفادة من الآيات المتقدمة:

أي في كل زمان وفي كل آن، كما في الآية (41 من آل عمران) «بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» و (الآية 205 من الأعراف) «بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (مكتوب في التوراة أن موسى سأل 1- ربه فقال: إني أكون في حال أُجَلُّك أن أذكرك فيها، قال: يا موسى اذكرني على كل حال وفي كل أوان)(2).

2- أي في كل وضع من أوضاع الإنسان قائماً وقاعداً وعلى جنوبهم كما في (الآية 191 من آل عمران) «قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ»، وعن الإمام الباقر

ص: 375

1- معاني الأخبار: 321، أمالي الصدوق: 297، المجلس 58، ح 2.

2- هذا الحديث وما بعده بحار الأنوار: 93/160.

(عليه السلام) قال: (لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً إن الله تعالى يقول: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ»).

3- في كل مكان وموضع كان فيه، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن سمعت الأذان وأنت على الخلاء فقل مثل ما يقول المؤذن ولا تدع ذكر الله عز وجل في تلك الحال لأن ذكر الله حسن على كل حال) ثم ذكر (عليه السلام) المكتوب في التوراة أعلاه، وفي كتاب الخصال في حديث الأربعمائة قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (اذكروا الله في كل مكان فإنه معكم، وقال (عليه السلام): (أكثرُوا ذكر الله عز وجل إذا دخلتم الأسواق وعند اشتغال الناس فإنه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات ولا تُكتبوا من الغافلين)(1).

4- في كل قضية تعرض لك وكل معاملة وكل قضية، فإن كان فيها رضا الله سبحانه فعلتها، وإلا تركتها، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (ألا أحدثك بأشد ما فرض الله عز وجل على خلقه، قلتُ بلى، قال، قال: إنصاف الناس من نفسك مواساتك لأخيك وذكر الله في كل موطن، أما إنني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر - وإن كان هذا من ذلك - ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعته أو معصيته)(2). وفي حديث آخر عنه: (وذكر الله على كل حال فإن عرضت له طاعة لله عمل بها وإن عرضت له معصية تركها)(3).

5- في كل حال من أحوال النفس من الغضب أو الرضا، والفرح أو الحزن، والغم والضيق أو الانشراح والسرور، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن

ص: 376

1- الخصال: 2/614، باب الأربعمائة، ح 10.

2- معاني الأخبار: 192.

3- أمالي الطوسي: 88، المجلس (3)، ح 135.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: 1- (يقول الله عز وجل: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، ولا أمحك في من أمحك) (1). وفي حديث: (إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرج غضبه من حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له) (2).

6- أن يُعبد لكل حال ذكره الخاص به، فللنعمة ذكر وللمصيبة ذكر وللقتال ذكر وللوضوء ذكر وللتناول الطعام ذكر وللنوم ذكر وللنكاح ذكر وللتخلي ذكر ولركوب السيارة ذكر، وهكذا، وهذا معنى شرحناه مفصلاً في كتاب (شكوى القرآن).

وخالصة الوجوه أن معنى الذكر الكثير أن يكون الإنسان في جميع أحواله مطيعاً لله تبارك وتعالى، عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) (قال النبي (صلى الله عليه وآله): من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلواته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلواته وصيامه وتلاوته) (3).

جزاء الذكر وآثاره وفضل مجالس الذكر:

فضل مجالس الذكر: كهذا الحشد الذي نذكر فيه الله تعالى، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها:-

1- عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (ما جلس قومٌ يذكرون الله إلا ناداهم من السماء: قوموا فقد بدلتُ سيئاتكم حسنات وغفرت لكم جميعاً، وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله إلا قعد معهم عدة من الملائكة).

ص: 377

1- أمالي الطوسي: 279، المجلس (10) ح 532.

2- الكافي: 2/183.

3- معاني الأخبار: 399.

2-وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج على أصحابه فقال: (ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبدُ الله من نفسه، واعلموا أن خير أعمالكم عند مليكمم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم وخير 1- ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى، فإنه تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني).

3- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) (أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ذاك الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين والمقاتل في الفارين نزوله الجنة(1) فأكثر اجتماعات الناس تتخللها أحاديث فارغة لا جدوى منها، وقد تتضمن محرقات، فمن يلتفت حينئذٍ إلى ذكر الله تعالى يكون من أهل هذا الحديث.

4- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض) ولتلافي الغفلة التي تحصل في بعض المجالس والأحاديث، فقد ورد استحباب أن يقول الشخص عند قيامه من المجلس: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

جزء الذكر وآثاره:

إن التوفيق لذكر الله تعالى من أعظم النعم على العبد، من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): (إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزهتك عن ذكري إياك، على أن ذكري لك

ص: 378

بقدري لا بقدرك، وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أجعل محلاً لتقديسك، ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا) إلى أن يقول (عليه السلام): (وقلت وقولك الحق: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشریفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً، وها نحن ذاكرك كما أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا، يا ذاكر الذاكرين)(1).

ومما ورد في كتاب الله تعالى: -

1- ذكر الله سبب لطمأينة القلب وما أعظمها من نتيجة، قال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد : 28)، ومن آثار الطمأنينة الأُنس، عن أمير المؤمنين 1- (عليه السلام): (ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضمائر) وعنه (عليه السلام): (ذاكر الله مؤانسه) وعنه (عليه السلام): (إذا رأيت الله سبحانه يؤنسك بذكره فقد أحبك، وإذا رأيت الله يؤنسك بخلقه ويوحشك من ذكره فقد أبغضك).

2- أنه سبب ليقظة القلب من غفلته، وحياته بعد قسوته، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» (الأعراف : 201)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من ذكر الله استبصر) وعنه (عليه السلام): (من كثر ذكره استنار لبه) وعنه (عليه السلام): (دوام الذكر ينير القلب والفكر).

3- إن الله تعالى يذكر من ذكره، قال تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» (البقرة : 152)، وفي عدة الداعي: (يعني اذكروني بالطاعة والعبادة أذكركم بالنعم والإحسان والرحمة والرضوان، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال الله تعالى: يا ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في الخلاء أذكرك في خلاء، ابن آدم اذكرني في ملاأ أذكرك في ملاأ خير من

ص: 379

1- مفاتيح الجنان: 206، المناجاة (13) مناجاة الذاكرين.

ملاك، وقال: ما من عبد يذكر الله في ملاء من الناس إلا ذكره الله في ملاء من الملائكة(1).

4- إن الذكر سبيل موصل إلى الله تعالى، قال تعالى: «إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» (المزمل : 19) (الإنسان: 29).

جزاء الذكر في الأحاديث الشريفة:

أما الأحاديث الشريفة فقد ورد فيها الشيء الكثير:-

1- إن الذكر يوجب محبة الله تعالى للذاكر، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (يا رب وددت أن أعلم من تحب من عبادك فأحبته، فقال: إذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك وأنا أحبه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبتة وأنا أبغضته)، 1- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أكثر ذكر الله أحبته).

2- وأن الله تعالى يتولى أمر الذاكر وجميع شؤون حياته في دنياه وآخرته، فكم يكون الإنسان سعيداً حينما يتولى شؤونه محباً له شفيق عليه حكيم بأفعاله عالم بكل شيء إلى غيرها من الأسماء الحسنى، ففي بعض الأحاديث القدسية قال الله تعالى: (أيما عبدٍ اطلعتُ على قلبه فرأيتُ الغالب عليه التمسكُ بذكري توليتُ سياسته وكنْتُ جليسه ومحادثه وأنيسه)، وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (قال الله سبحانه إذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلتُ شهوته في مسألتني ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حلتُ بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقاً، أولئك الأبطال حقاً، أولئك الذين إذا أردتُ أن أهلك أهل الأرض عقوبةً زيتها

ص: 380

1- أكثر الأحاديث المذكورة نقلناها عن مصادرها بواسطة: بحار الأنوار: 175-93/148، وميزان الحكمة: 360-3/341.

عنهم من أجل أولئك الأبطال)، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إن الله تبارك وتعالى يقول: من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي من سألني)، وروي فيما ناجى به موسى (عليه السلام) ربه عز وجل: (إلهي ما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى أظله بظل عرشي وأجعله في كنفِي)(1).

3- أنه يوجب الثواب العظيم فعنهم (سلام الله عليهم): (إن في الجنة قيعاناً فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فربما وقف بعض الملائكة فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: إن صاحبي قد فتر، يعني عن الذكر)(2). وعن أحد الإمامين الصادقين (عليهما السلام) قال: (لا يكتب الملك إلا ما أسمع نفسه وقال الله: «وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً» قال: لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد لعظمته إلا الله)(3).

4- الذكر الطيب، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من اشتغل بذكر الله طيب الله ذكره)، ومن وصية النبي (صلى الله عليه وآله 1- وسلم) لأبي ذر قال: (عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض)(4).

5- يقيه الكثير من الحوادث، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الصاعقة لا تصيب ذاكراً لله عز وجل)(5).

ص: 381

1- أمالي الصدوق: 173، المجلس (37) ح 8.

2- بحار الأنوار: 93/162-164.

3- بحار الأنوار: 93/159، ح 36.

4- معاني الأخبار: 334، الخصال: 2/525، أبواب العشرين وما فوقه، ح 13.

5- أمالي الصدوق: 375، المجلس (71) ح 3.

6- في الذكر إعمار القلب وصلاحه وهذا القلب هو الذي ينجو صاحبه يوم القيامة، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): (أوصيك بتقوى الله أي بُني، ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره) وعنه (عليه السلام): (وأصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله) وعنه (عليه السلام): (مداومة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح) وعنه (عليه السلام): (من عمر قلبه بدوام الذكر حسنت أفعاله في السر والجهر).

7- وبالذكر تحيي القلوب، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (بذكر الله تحيي القلوب، وينسيانها موتها)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (اذكروا الله ذكراً خالصاً تحيوا به أفضل الحياة وتسلخوا به طرق النجاة) وعنه (عليه السلام): (من ذكر الله سبحانه أحى الله قلبه ونور عقله ولتبه).

8- وبه شفاء القلوب، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ذكر الله شفاء القلوب)، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء)، وفي دعاء كميل: (يا من اسمه دواء وذكره شفاء).

9- بالذكر يطرد الشيطان، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إن الشيطان واضع خطمه -أي فمه- على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله سبحانه خنس، وإذا نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذكر الله مطردة الشيطان) وعنه (عليه السلام): (ذكر الله رأس مال كل مؤمن، وربحه السلامة من الشيطان).

10- وأن في الذكر أماناً من النفاق، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أكثر من ذكر الله فقد برئ من النفاق).

خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في فضل الذكر:

ولأمير خطبة جامعة في فضل الذكر والذاكرين قالها عند تلاوته (عليه السلام) قوله تعالى: «رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» قال (عليه السلام): (إن الله سبحانه جعل الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوفرة، وتُبصر به بعد العسوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عبادٌ ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصحبوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة، يذكرون بأيام الله، ويخوفون مقامه، بمنزلة الأدلة في الفلوات، من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه، وبشروه بالنجاة ومن أخذ يميناً وشمالاً ذموا إليه الطريق وحدّروه من الهلكة. وكانوا كذلك مصايح تلك الظلمات وأدلة تلك الشبهات. وإن للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة ويهتفون بالزواج عن محارم الله في أسمع الغافلين)(1).

من مصاديق الذكر الكثير:

- 1- تسبيح الزهراء (عليها السلام) عقب كل فريضة، عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث يقول في آخره: (تسبيح فاطمة من الذكر الكثير الذي قاله عز وجل: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ»)(2) وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام): إنه (التسبيح في دُبر كل صلاة ثلاثين مرة)(3).
- 2- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (صلوات الله عليهم وسلامه) قال: (قال النبي (صلى الله عليه وآله) من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت

ص: 383

1- نهج البلاغة.

2- معاني الأخبار: 194.

3- ميزان الحكمة: 3/344، ويحتمل أن المقصود به هنا (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله الأكبر).

صلاته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته).1- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» قال (عليه السلام): (إذا ذكر العبد ربه في اليوم مائة مرة كان ذلك كثيراً)⁽¹⁾.

4- وعنه (عليه السلام) قال: (من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً، إن المنافقين يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر قال تعالى: «يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» (النساء: 142))⁽²⁾.

خسارة الغفلة والإعراض عن الذكر:

قال تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى» (طه: 124-126)، وقال تعالى: «وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهَؤُلَاءِ قَرِينٌ» (الزخرف: 36) وقال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (الحشر: 19).

الروايات المحذرة من الغفلة:

ومن الروايات المحذرة من الغفلة عن ذكر الله تعالى:-

1- روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (ما من ساعة تمرُّ بآدمٍ لم يذكر الله فيها إلا حَسِرَ عليها يوم القيامة)⁽³⁾.

ص: 384

1- بحار الأنوار: 93/160، ح 38.

2- بحار الأنوار: 93/160، ح 41.

3- ميزان الحكمة: 3/344.

2- وفي عدة الداعي روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا الله ولم يصلّوا على نبيّهم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم).

3- وفي تنمة الحديث السابق(1) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ولا يذكر فيه الله تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين). 4- وروى الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: (أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى (عليه السلام): لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كل حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب وترك ذكري تقسي القلوب)(2).

5- عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من (نسي الله سبحانه أنساه الله نفسه وأعمى قلبه)(3).

حقيقة الذكر:

قالوا: إن الذكر بمعنى الحفظ، إلا أن الاختلاف بينهما باللحاظ، فيقال الحفظ باعتبار إحرار المحفوظ، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره.

ص: 385

1- مرّ الحديث في كلام سماحته في النقطة الرابعة من (فضل مجالس الذكر) وهو قول الإمام الصادق (عليه السلام): (البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته ..) الحديث.

2- الخصال: 1/39، باب الاثنين، ح 23.

3- غرر الحكم : 8875.

وأقول: إنه تارةً يراد بالذكر معناه المصدرى فيكون معناه حضور الشيء في القلب أو على اللسان، وتارةً يراد به المعنى اسم المصدرى، فيعبر عن قابلية عقلية وقلبية بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة.

والمعنى الحقيقي لذكر الله تعالى هو حضوره في القلب والالتفات إليه لأنه الذي تتحقق به الآثار، أما حركة اللسان به فهي تعبير وكاشف عنه ومظهر ومبرز له، وليست ذكراً حقيقياً إلا من باب ذكر الدال وإرادة المدلول به، ولا تترتب الآثار المتقدمة عليه وحده.

أترى لو أن إنساناً كان له حصن يحميه من عدوه فهل يكفيه أن يكرّر: أعوذ بهذا الحصن من عدوي لحمايته من العدو إذا هجم عليه، أم المطلوب الدخول فعلاً في الحصن، وهكذا كل الأذكار لها حقائق تترتب عليها الآثار ولا يكفي مجرد لقلقة اللسان، كما في الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة لرجل قال بحضرتة: أستغفر الله، فعلمه الإمام (عليه السلام) حقيقة الاستغفار.

لكن الله تعالى بكرمه جعل ثواباً حتى على مجرد تحريك اللسان بالذكر وإن كان ليس ذا قيمة مقابل ما يقترن بالذكر القلبي، لذا لا ينبغي الالتفات إلى ما يقوله بعض الصوفية من أن الذكر باللسان دون حضور القلب لا قيمة له وتركه أولى، فهذا من تسويلات الشيطان؛ لأن لكل جارحة ذكراً، والذكر اللساني يحقق طاعة بمقداره ويصونه من استعماله في المعاصي اللسانية بمقداره أيضاً، وفيه إرغام للشيطان ولو بأدنى مستوياته فلا ينبغي تركه.

يقول السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عن قيمة الذكر القلبي إنه ((من أعظم الرياضات التي توصل إلى المدارج والمقامات التي فوقه بلطف الله سبحانه. وإن من أفضل أشكال الذكر القلبي هو استحضار مضمون الأسماء الحسنى ذات المدلول الطيب أعني ليس من قبيل (شديد العقاب) و (ذو الانتقام) ونحوها، بل نحو (العظيم) و (الرحيم) و (الحليم) و (الغفور) و (الشكور) وغيرها.

ثم التفكير في الخلق الذي يرجع إلى مضمون مجموعة أخرى من الأسماء الحسنى كالخالق والرازق والمدبر والمنعم والمعطي والحنان والمَنَّان ونحوها.

ثم التفكير في شأن الفرد أمام خالقه من القصور والجهل والذنب والتقصير وحسن الظن به تبارك وتعالى وكونه محل لطفه ونعمه وسبحانه ونحو ذلك))[\(1\)](#).

مجالس أهل البيت (عليهم السلام) من الذكر:

ومن حلق الذكر التي وصفتها الأحاديث الشريفة بأنها رياض الجنة: المجالس التي تعقد لذكر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومصائبهم، وللوعظ والإرشاد وتعليم أحكام الشريعة، عن الباقر (عليه السلام) قال: (ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها، إلا أن يجيء بذنوب يخرجه من الإيمان)[\(2\)](#)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (شيعتنا الرحماء بينهم، الذين إذا خلوا ذكروا الله (إن ذكرنا من ذكر الله) إنّا إذا ذكرنا ذكر الله وإذا ذكر عدونا ذكر الشيطان)[\(3\)](#).

ص: 387

1- قناديل العارفين: 148.

2- سفينة البحار: 3/207.

3- الكافي، ج 2، باب تذاكر الإخوان، ح 1.

الفصل الثاني عشر: تعويق الغفلة للتنمية الأخلاقية والرسالية

إشارة

ص: 389

الغفلة الأخلاقية:

ورد في حديث مشهور (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)(2) فالناس وإن تراهم يعملون ويأكلون ويتحدثون إلا أنهم في نومٍ هو نوم الغفلة عن حقيقة وجودهم، وما يراد منهم والهدف الذي يجب أن يتوجهوا إليه، وما الذي ينتظرهم بعد موتهم والنتيجة التي سيحصلون عليها من السعادة أو الشقاء، فإذا ماتوا اكتشفوا أنهم كانوا في هذه الغفلة، وفوجئوا بعدم الاستعداد لتلك الحياة الجديدة الدائمة التي لا يستطيع أحد مهما أوتي من علم أن يدعي معرفة حقيقتها إلا من عرفهم الله تعالى، وحينئذٍ سيصاب بالذهول وتأخذه الحسرة والندامة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت)(3)، قال تعالى في ذلك: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (ق:19-22).

لقد كنت في الدنيا غافلاً عن هذه المشاهد وهذه العاقبة منهمكاً في مشاغلها من مالٍ ومنتعة ولهو ولعب وعبث وصراعات وجدلٍ فارغ من غير استعداد لهذا اليوم،

ص: 391

- 1- كلمة سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) يوم السبت 3/ج2/1432 الموافق 2011/5/7، التي ألقاها على الجموع القادمة لزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) في المناسبة.
- 2- نسبة العلامة المجلسي (رحمه الله) في بحار الأنوار (4/43 وفي 50/134) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونسبه ابن ميثم البحراني في (شرح مائة كلمة لأمر المؤمنين (عليه السلام)، الكلمة الثانية) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يذكر مصدراً لذلك فلعلها كلمة مشهورة مستفادة من أحاديث المعصومين (عليهم السلام) التي سترد في الخطبة، ولعلها مستفادة من قول الإمام علي (عليه السلام): (أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام) (نهج البلاغة، ج4).
- 3- نهج البلاغة، خطبة 109.

وبالموت انكشف عنك غطاء الغفلة فصرت ترى بعين البصيرة النافذة الحادة حقيقة أمرك وعاقبتك بعد زوال الحجاب عنها، فما كنت تعتقد أنه حقيقة من مشاغل الدنيا ولهوها ومتعتها وجدت أنه خيال ووهم زائل وسراب كنت تتعلق به يحسبه الظمآن ماءً، وما كنت غافلاً عن الاستعداد له ولا تحسب حسابه -هو الموت وما بعده من أهوال الآخرة- قد وجدته حقيقة ثابتة، فالغفلة باتجاهين «وَبَدَأَ لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» (الزمر: 47).

معنى الغفلة:

وبقراءة ما بين سطور الآية الشريفة نستنتج أن هذه الحقائق موجودة في هذه الدنيا؛ لأن الغفلة لا تكون إلا عن شيء موجود، لكن الإنسان لا يرى تلك الحقائق بالعين وإن كانت مفتوحة وإنما بالبصيرة والقلب الطاهر من الرجس فإذا ضرب عليه بحجاب من الغفلة والقساوة والرين فإنه سوف لا يكون مرآة قابلة لانعكاس الحقائق الموجودة في اللوح المحفوظ.

وفي غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (انتباه العيون لا ينفع مع غفلة القلوب)(1)، والخطاب في الآية الشريفة «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ» لا يشمل من بلغوا من المعرفة أقصاها وزالت عن بصائرهم حجب الجهل والغفلة وغشاوتها لأنهم مبصرون وليسوا غافلين، لذا فهم يرون العالم الآخر ويتحدثون عنه كرسول الله(2) (صلى الله عليه وآله وسلم)، فترى أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل نفس تعبير الآية الشريفة حينما قال: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)(3)؛ لأنه (عليه السلام) لم يكن في غفلة عن هذه الحقائق بل كانت حاضرة عنده (عليه السلام).

إن الغفلة وكذا النسيان - وإن كانت أمراً خارجاً عن إرادة الإنسان ظاهراً، إلا

ص: 392

1- غرر الحكم: 909.

2- والشواهد على ذلك كثيرة كتكليم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقتلى بدر وحكايته عما جرى لسعد بن معاذ من ضغطة القبر ولعبد الله والد جابر الأنصاري من النعيم بعد موتهما، ولعمرو بن لحي وغيرهم.

3- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 1/317.

أن الإنسان هو الذي يوقع نفسه فيها لقلته تحفظه وانتباهه وبارتكا به مقدماتها وإيجاده الأسباب الموجبة لها، والتي نعرفها من مضاداتها أي علاج الغفلة التي ذكرها الأئمة (عليهم السلام).

الغفلة أضّر الأعداء:

فالإنسان إذن هو الذي يحرم نفسه من معرفة الحقيقة ويحبسها في سجن الغفلة، حينما يرتكب ما يبغده ويشغله عن الله تعالى حتى يقسو قلبه فلا يتقبل المعرفة، عن الإمام الحسن (عليه السلام): (الغفلة تركت المسجد وطاعتك المفسد) (1) وهذه بعض مصاديق ما يوجب الغفلة، وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (إياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب) (2)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في غرر الحكم: (من غلبت عليه الغفلة مات قلبه) (3) (دوام الغفلة تعمي البصيرة) (4).

ولقد ورد التحذير من الغفلة عن الله تبارك وتعالى قال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (الحشر: 19)؛ لذا وصفها أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن (الغفلة أضّر الأعداء) (5) لأن (الغفلة ضلال النفوس وعنوان النحوس) (6) وقال (عليه السلام): (ويل لمن غلبت عليه الغفلة فنسي الرحلة ولم يستعد) (7).

ص: 393

1- بحار الأنوار: 78/115.

2- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 93.

3- غرر الحكم: 5765.

4- غرر الحكم: 5146.

5- غرر الحكم: 5744.

6- السابق: 5746.

7- السابق: 2656.

وبينوا (عليهم السلام) لنا ما يوقظ من نوم الغفلة، كالقيام بالأعمال الصالحة ولو على مستوى النية وإن لم يفعلها، فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا أبا ذر: همّ بالحسنة وإن لم تعملها؛ لكي لا تكتب في الغافلين)(1).

وتلاوة القرآن، فقد روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين)(2).

وتقوى الله تبارك وتعالى، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أوصيكم بتقوى الله.. أيقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم)(3).

والإكثار من ذكر الله تعالى، فعنه (عليه السلام): (بدوام ذكر الله تنجاب الغفلة)(4).

والاستعداد للموت، قال (عليه السلام): (إن من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد)(5).

واستماع المواعظ، ومطالعة كتب الموعدة والتذكير بالآخرة، قال (عليه السلام): (بالمواعظ تنجلي الغفلة)(6)، (أغفل الناس من لم يتعظ بتغيير الدنيا من حال إلى حال)(7).

وترك اللهو والعبث، والأمور الفارغة، والاشتغال بما هو مفيد، قال (عليه السلام): (إن كنتم للنجاة طالبين فارفضوا الغفلة واللهو والزموا الاجتهاد والجد)(8).

والالتزام بالصلاة والمحافظة على أوقات فضيلتها، عن الباقر (عليه السلام): (أيما

ص: 394

1- البحار: ج 77 ص 88.

2- أصول الكافي، كتاب فضل القرآن، باب ثواب قراءة القرآن، ح 5.

3- نهج البلاغة: الخطبة: 191.

4- غرر الحكم: 4269.

5- التوحيد: ص 74.

6- غرر الحكم: 4530.

7- البحار: ج 77 ص 112.

8- غرر الحكم: 5749.

مؤمن حافظ على الصلوات المفروضة فصلاها لوقتها فليس هذا من الغافلين(1).

وقد تضمنت الأدعية المباركة طلب اليقظة من الغفلة كقولهم (عليهم السلام): (نبهني فيه من نومة الغافلين)(2)

الغفلة عن القيادة الرسالية:

أيها الإخوة المؤمنون: هذه الغفلة عن الله تعالى ترتبط بها غفلة أخرى لا تقل عنها ضرراً هي عدم الاهتداء إلى الحجة المنصوب من الله تعالى لأن بها الضلال عن الدين كما في الدعاء المعروف: (اللهم عزّني حجّتك فإنك إن لم تعرفني حجّتك ضللت عن ديني)(3) وفي ذلك يقول الإمام الحسين (عليه السلام): (معرفة الله هي معرفة كل أهل عصر إمامهم)(4).

فأخطر النوم الذي سيعرف الإنسان حقيقته عندما ينكشف عنه غطاء الغفلة بالموت، هو النوم عن معرفة السبيل الذي يوصله إلى معرفة ربّه ويهديه إلى الصراط المستقيم وفي دعاء الندبة (وقلت ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً، فكانوا هم السبيل إليك والمسلك إلى رضوانك)(5).

والغفلة عن القيادة الحقة للأمة قد تكون غفلة كاملة باتباع قيادة مناقضة تماماً لها كمن اتبع معاوية ويزيد ونظراءهما وعادى علي بن أبي طالب والحسن والحسين وأولادهم المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين)، وقد تكون على نحو الانحراف عنها باختيار غير الأكفأ والأقدر على تحمل المسؤولية.

وبحسب نوع الغفلة ودرجتها تتفاوت الآثار(6) المترتبة على ذلك ومقدار الابتعاد

ص: 395

- 1- الكافي: ج 3 ص 270.
- 2- دعاء يقرأ في الأول من شهر رمضان، البحار: ج 95 ص 4.
- 3- مفاتيح الجنان: ص 112.
- 4- علل الشرائع: ج 1 ص 9، والبحار: ج 5 ص 312.
- 5- مفاتيح الجنان: ص 606.
- 6- يوجد تفصيل لهذه الآثار في خطاب (ماذا خسرت الأمة حين ولّت الأمة من لا يستحق) المنشور في كتاب (من وحي الغدير). أنظر: خطاب المرحلة: ج 1 ص 217.

عمّا أمر الله تعالى، وإن كان الحق واحداً وصراطه مستقيم، وإنما تتكثر طرق الضلالة والانحراف «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (يونس:35) «فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَىٰ تُصْرَفُونَ» (يونس:32).

نتائج الغفلة عن القيادة الحقيقية:

وهذا ما حصل ويحصل في كل زمان حتى يومنا الحاضر حيث لم تحصّد الأجيال من تسلط وزعامة غير المؤهلين لقيادة الأمة إلا الفتن والضلال وتمزيق الشمل، والصراعات التي أهلكت الحرث والنسل، وتشويه صورة الإسلام، وضعف الوازع الديني بحيث لا يبقى من المتدينين إلا النزر اليسير، وتلكؤ حركة الإسلام لهداية البشرية، وحرمان الناس من ثروته المعنوية الهائلة، واستعباد الناس والاستئثار بثروات الأمة وهدرها على نزوات وأطماع المتسلطين وفسادهم، وغيرها من الكوارث العظيمة.

الفصل الثالث عشر: الدعاء أفضل العبادة

إشارة

ص: 397

الدعاء أفضل العبادة وسلاح المؤمن(1)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطاهرين.

الأعمال بآثارها وخواتيمها:

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (من أحبَّ أن يعلم قُبِلت صلاته أم لم تقبل، فليُنظر هل منعتَه صلاته عن الفحشاء والمنكر؟ فبقدر ما منعتَه قُبِلت صلاته)(2).

والإمام (عليه السلام) ناظر إلى قوله الله تبارك وتعالى: «أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» (العنكبوت: 45).

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً).

وروي أن فتىً من الأنصار كان يصلي الصلوات مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: (إن صلاته تنهاه يوماً ما)(3).

فقيمة العمل تقاس بما يحقق من الغرض الذي جعل من أجله، وبمقدار ما يحسن من العمل ويرتب عليه الآثار المرجوة تزداد قيمة العمل وتزداد تبعاً له قيمة الإنسان العامل نفسه وإلا فلا قيمة للعمل، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (قيمة كل امرئ ما يحسنه)(4).

ص: 399

1- الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك للعام 1429 المصادف 2008/12/9.

2- هذا الحديث والذي يليه من البحث الروائي الملحق بتفسير الآية (45) من سورة العنكبوت في كتاب الميزان في تفسير القرآن.

3- البحار: ج79 ص198.

4- نهج البلاغة: الحكمة: 81.

تحصيل التقوى هو الغرض من التشريع:

والمتتبع لأعراض الشارع المقدس من جعل الأعمال والتكاليف يجد أن الهدف هو تحصيل ملكة التقوى وذكر الله تبارك وتعالى ومراقبته في السر والعلن، كما تقدم في أثر الصلاة على سلوك الإنسان، وقال الله تبارك وتعالى في الصوم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» وقال عز من قائل في الهادي الذي يتقرب به الحاج: «لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالَهُ التَّقْوَى مِنكُمْ» وقال تعالى في عموم الشعائر من حج وغيره: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شِدَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ» حتى في المعاملات فإن الله تبارك وتعالى يذكر عباده بالتقوى ففي سورة الطلاق المؤلفة من اثنتي عشرة آية وردت مفردة التقوى خمس مرات.

وهذا التركيز على التقوى لأنها خير وسيلة لتحصيل الكمال والفوز والفلاح قال تعالى: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» وإذا كانت الأمور والأعمال بخواتيمها فإن الله تبارك وتعالى يقول: «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

يوم عرفة يوم التوبة:

وبالأمس كان يوم عرفة وهو يوم دعاء وتوبة واستغفار فإذا أردنا أن نعرف أننا ممن قبلهم الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم واستجاب لهم وجعلهم من أهل طاعته فلا بد أن تنعكس آثار هذا اليوم على سلوكنا وتصرفاتنا بالندم عما تقدم منا مما لا يليق بوظائف العبودية لله تبارك وتعالى وعقد العزم على أن لا نعود لأمثالها وأن نبذل الوسع لرد المظالم إلى أهلها والاستحلال منهم والبدء بصفحة جديدة بفضل الله تبارك وتعالى.

ومن وسائل تحصيل التقوى بل تحقيق كل أمنية وطلب الدعاء قال تعالى: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» وقال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

دَعْوَةُ الدَّاعِ إِذَا دَعَانَ فَلَيْسَتْ جَبِيئًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» (البقرة: 186).

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: «مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» قال (عليه السلام):
(الدعاء) (1).

الدعاء أيسر الوسائل إلى أعظم الخزائن:

أيها الأحبة.. هذه حقيقة نغفل عنها وهي امتلاكنا لهذه الوسيلة التي تفتح خزائن رحمة الله تبارك وتعالى التي وسعت كل شيء من خلال الدعاء، تصوروا لو أن لأحدكم وسيلة إلى مسؤول كبير وشخصية ذات نفوذ وقوة فإنه سيكون حريصاً على إبقاء تلك الوسيلة والاستفادة منها، وها نحن نمتلك أيسر الوسائل إلى أعظم الخزائن وهو الدعاء، ولا نستثمره، يقول الإمام السجاد (عليه السلام): (ولو دلّ مخلوق مخلوقاً من نفسه على مثل الذي دللت عليه عبادك منك، كان موصوفاً بالإحسان ومنعوتاً بالامتثال ومحموداً بكل لسان، فلك الحمد ما وُجد في حمدك مذهب، وما بقي للحمد لفظ تُحمد به، ومعنى ينصرف إليه) (2)، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، فإنه ليس من باب يكثر قرعه إلا أوشك أن يُفتح لصاحبه).

وللدعاء أهمية كبرى في كتاب الله تبارك وتعالى والأحاديث الشريفة عن أهل بيت العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم) ففي خبر صحيح عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قول الله تبارك وتعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

ص: 401

1- الروايات الواردة في الخطبة موجودة في كتاب بحار الأنوار، المجلد التاسع عشر، عن مصادرهما الأصلية، وأصول الكافي.

2- الصحيفة السجادية، من دعائه (عليه السلام) في وداع شهر رمضان.

دَاخِرِينَ» (غافر: 60) قال (عليه السلام): (هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء) ويشهد لذلك صدر الآية «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»، وفي تفسير قوله تعالى: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» (التوبة: 144) قال (عليه السلام): (الأواه هو الدَّعاء) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (وكان أمير المؤمنين رجلاً دَعَاءً).

وقال تعالى: «قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا» (الفرقان: 77) وقال تعالى: «وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (النساء: 32).

الدعاء لكل حاجة:

والدعاء لكل حاجة مهما صغرت ونحن في كل نفس وكل طرفة عين محتاجون إلى الله تبارك وتعالى الغني فلا نتوقف عن اللجوء إلى الله تبارك وتعالى في كل شيء حتى إذا كان تافهاً بنظرك أو أن الحصول عليه سهل يسير فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (سلوا الله عزوجل ما بدا لكم من حوائجكم حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسره لم يتيسر) وقال: (ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من عدوكم ويدرّ أرزاقكم؟ قالوا: نعم، قال: تدعون بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء) وروي أن الإمام الكاظم سئل عما قيل: لكل داء دواء فقال (عليه السلام): (لكل داء دواء فإذا ألهم العليل الدعاء فقد أذن في شفائه)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (عليكم بالدعاء فإنكم لا تتقربون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تسألوها فإن صاحب الصغائر هو صاحب الكبائر).

الدعاء في كل زمان:

والدعاء في كل زمان حتى زمان اليسر والرخاء ويشتد في زمان العسر والضيق

والبلاء، يروي أحد أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) الثقات في شدة المحنة التي فرضها المنصور العباسي بعد استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) وسيفه يقطر دماً من شيعه أهل البيت يقول: (دخلت على أبي الحسن موسى (عليه السلام) بالمدينة وكان معي شيء فأوصلته إليه فقال: أبلغ أصحابك وقل لهم: اتقوا الله عز وجل فإنكم في إمارة جبار -يعني أبا الدوانيق- فأمسكوا ألسنتكم وتوقوا على أنفسكم وادفعوا ما تحذرون علينا وعليكم منه بالدعاء، فإن الدعاء - والله- والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق إلا إمضائه فإذا دعي الله وسئل: صُرف البلاء صرفاً، فألحوا في الدعاء أن يكفيكموه الله، قال أبو ولاد: فلما بلغت أصحابي مقالة أبي الحسن (عليه السلام) قال: ففعلوا ودعوا عليه وكان ذلك في السنة التي خرج فيها أبو الدوانيق إلى مكة فمات عند بئر ميمون قبل أن يقضي نسكه فأراحنا الله منه، قال الراوي: وكنت تلك السنة حاجاً فدخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فقال: يا أبا ولاد كيف رأيتم نجاح ما أمرتكم به وحثتكم عليه من الدعاء على أبي الدوانيق، يا أبا ولاد: ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء).

وقد ورد عن الإمام الهادي في حق دعاء (يا من تُحلُّ به عُقدُ المكاره) وهو من أدعية الصحيفة السجادية: (إن آل محمد صلى الله عليهم أجمعين يدعون بهذه الكلمات عند إشراف البلاء وظهور الأعداء وخوف الفقر وضيقة الصدر وغيرها).

الدعاء يمنع اليأس والإحباط:

ولمنع الإنسان من الوقوع في حالة اليأس والإحباط والقنوط والاستسلام لما يصيبه فقد تبه الأئمة سلام الله عليهم إلى أن الدعاء يبقى مؤثراً وكفياً بتغيير الحال حتى لو أحكم القضاء والقدر ومهما كان التغيير عسيراً قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ادعُ ولا تقل: إن الأمر فرغ منه، إن عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة، ولو أن عبداً سدّ فاه ولم

يسأل لم يعط شيئاً فسل تعطّ) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (الدعاء يرد القضاء بعدما أبرم إبراماً).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما زالت نعمة عن قوم ولا- نضارة عيش إلا- بذنوب اجترحوها، إن الله ليس بظلام للعبيد، ولو أنهم استقبلوا ذلك بالدعاء والإنابة لم تنزل، ولو أنهم إذا نزلت بهم النقم وزالت عنهم النعم فزعوا إلى الله بصدق من تياتهم ولم يهنوا ولم يسرفوا: لأصلح الله لهم كل فاسد ولرد عليهم كل صالح).

ظروف استجابة الدعاء:

ولا- شك أن ليس كل لقلقة لسان هو دعاء بل لا بد من توفرّ ظروف لاستجابة الدعاء، روي أن رجلاً من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) (قال: إني لأجد آيتين في كتاب الله أطلبهما فلا أجدهما، قال (عليه السلام): وما هما؟ قال الرجل: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» فندعوه فلا نرى إجابة، قال: أفترى الله أخلف وعده؟ قلت: لا، قال (عليه السلام): فمه؟ قلت: لا أدري، قال (عليه السلام): لكنني أخبرك: من أطاع الله فيما أمر به ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه، قال الرجل: وما جهة الدعاء؟ قال (عليه السلام): تبدأ فتحمد الله وتمجّده وتذكر نعمه عليك فتشكره ثم تصلّي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم تذكر ذنوبك فتقرّ بها ثم تستغفر منها فهذه جهة الدعاء، ثم قال (عليه السلام): وما الآية الأخرى؟ قلت: قوله: «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» وأراني أنفق ولا أرى خلفاً، قال (عليه السلام): أفترى الله أخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فمه؟ قلت: لا أدري، قال: لو أن أحدكم اكتسب المال من حله وأنفقه في حقه لم ينفق درهمًا إلا أخلف الله عليه).

وهنا نصحح فكرة وهي أننا حينما نقول: إن لاستجابة الدعاء ظروفًا فهذا لا يعني تضييقاً في كرم الله تبارك وتعالى وأنه سبحانه يشترط شيئاً لعطائه فإن نعمه تفضلّ وبيئتئ بها من لا يستحق كما ورد في أدعية شهر رجب (يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه

تحنناً منه ورحمة)، والإنسان الكريم لا يشترط ثمناً لعطائه فكيف يشترطها الكريم الحقيقي، يقول الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء يوم عرفة: (إلهي تقدس رضاك أن يكون له علة منك، فكيف يكون له علة مني) وهكذا كل صفاته عز شأنه ومنها الكرم تقدست أن يكون لها علة منه تبارك وتعالى لأنها ذاتية فكيف يكون لكرمه سبب من خلقه. وإنما أراد الأئمة (عليهم السلام) بذكر تلك الظروف تربية الإنسان وتكامله ليسعد وليكون لائقاً بمقام العبودية لله تبارك وتعالى ومحلاً قابلاً لنزول الفيوضات الإلهية، هذا المقام الذي يفخر به أمير المؤمنين (عليه السلام) حين يقول: (إلهي كفى بي فخراً أن تكون لي رباً، وكفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً، إلهي أنت كما أحب فاجعلني كما تحب).

ويمكن من خلال الأحاديث الشريفة الحصول على ظروف الاستجابة.

فمنها: زمانية، كليلة الجمعة ويومها وما بين الطلوعين وعند الزوال وأيام الأعياد كهذا اليوم وغيرها من المذكورات في كتب السنن والمستحبات.

ومنها: مكانية، كالروضات الشريفة للمعصومين (سلام الله عليهم) والمساجد خصوصاً الأربعة المعظمة وعند قبر الوالدين ونحوها.

ومنها: حالية، كحال نزول المطر وإذا كان الدعاء جماعياً وإذا كان يدعو لغيره.

ومنها: ذاتية مرتبطة بنفس الشخص، ككونه متطهراً وفي حالة السجود وبعد الصلاة خصوصاً الفريضة فإن للمؤمن دعوة مستجابة إثر كل صلاة مفروضة (1) وأن يسبق الدعاء بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى والصلاة على النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) وأن يعترف بذنبه ويستغفر وأن يكون متوجهاً لما يقول وليس ساهياً (2) غافلاً ويلجّ في الدعاء ولا يمل من تكراره وأن يكون بحال الاضطرار ومن تقطعت به الأسباب واثقاً

ص: 405

1- عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أدّى فريضة فله عند الله دعوة مستجابة).

2- عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساهٍ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة).

بالإجابة وإن تأخرت فلعل تأخيرها خير له (1) وأن يدعو لإخوانه المؤمنين أولاً بالمغفرة والرحمة وقضاء الحوائج (2) وأن يطلب من الغير أن يدعو له (3) خصوصاً الإمام العادل والوالدين (4).

إن من مفاخر شيعة أهل البيت (سلام الله عليهم) هذا العطاء المبارك الوفير من الأدعية التي صدرت عن أهل بيت العصمة وغطت كل حاجات الإنسان، ولولا أنهم (سلام الله عليهم) علمونا كيف ندعو الله تبارك وتعالى وأدب الوقوف بين يديه لما علمنا كيف نتاجي ربنا، وماذا تقتضي وظائف العبودية لله العظيم سبحانه.

لقد تضمنت تلك الأدعية أرقى معاني المعرفة بالله تبارك وتعالى وأسمى الأخلاق

ص: 406

1- في صحيحة البزنطي عن الإمام الرضا (عليه السلام): (والله لَمَّا أَخَّرَ اللَّهُ عن المؤمنين مما يطلبون في هذه الدنيا خير لهم مما عجل لهم منها) ثم قال (عليه السلام) له: (أخبرني عنك لو أني قلت قولاً كنت تثق به مني؟ قلت له: جعلت فداك: وإذا لم أثق بقولك فبمن أثق وأنت حجة الله تبارك وتعالى على خلقه، قال: فكن بالله أوثق فإنك على موعد من الله، أليس الله تبارك وتعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» وقال: «وَلَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ» وقال: «وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً» فكن بالله عز وجل أوثق منك بغيره، ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فإنكم مغفورون لكم.

2- عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا دعا أحد فليعلم فإنه أوجب للدعاء ومن قدم أربعين رجلاً من إخوانه قبل أن يدعو لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من مؤمن أو مؤمنة مضى من أول الدهر أو هو آتٍ إلى يوم القيامة إلا وهم شفعاء لمن يقول في دعائه: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات وإن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب، فيقول المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي كان يدعو لنا فشفّعنا فيه فيشفّعهم الله فينجو).

3- روي أن الله سبحانه أوحى إلى موسى (عليه السلام): (يا موسى ادعني على لسان لم تعصني به، فقال: أنى لي بذلك؟ فقال: ادعني على لسان غيرك)، وبذل الإمام الهادي (عليه السلام) مالاً لأحد أصحابه كي يذهب إلى كربلاء ويזור جده الحسين (عليه السلام) ويدعو له.

4- عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أربع لا ترد لهم دعوة: الإمام العادل لرعيته، والأخ لأخيه بظهر الغيب يوكل الله به ملكاً يقول له ولك مثل ما دعوت لأخيك، والوالد لولده، والمظلوم يقول الرب عز وجل: وعزّتي وجلالي لأنتقمّن لك ولو بعد حين).

الكرامة وأفضل العلاقات الإنسانية وأعمق العلوم مما لا يمكن صدوره عن غيرهم (سلام الله عليهم) وليتأمل من يطلب الشواهد على ذلك في الأدعية الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين والإمام الحسين والإمام السجاد (سلام الله عليهم أجمعين) ومنها الأدعية التي ورد الحث على المواظبة عليها كدعاء كميل ودعاء الصباح والمناجاة الشعبانية ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة.

فوائد الدعاء:

إن الأدعية المأثورة لا تتلى فقط لأنها عبادة بل أفضل العبادة كما ذكرنا ولا طلباً للثواب المرصود لها وإن كان عظيماً وإنما للترود مما فيها من علوم ومعارف، وللتعرض للنفحات والألطف الإلهية المودعة فيها فيطلب من الله تبارك وتعالى أن يحققها له ويتحفه بها، ولمعرفة الحلول لكل المشاكل والعقد النفسية والاجتماعية والفكرية والعقائدية والأخلاقية، بل حتى السياسية والاقتصادية.

وخلاصة ما تقدم أن نكثر من الدعاء في كل صغيرة وكبيرة وأن نحرص على توفير ظروف استجابته وهي يسيرة ومتوفرة وأيسرها أن لا نفتل من صلاتنا المفروضة حتى نسبح تسبيح الزهراء (عليها السلام) ونسجد شكراً لله تعالى ثم نقول: (يا أرحم الراحمين) سبغاً ونصلي على النبي وآله أجمعين ثم نستغفر الله تعالى مما صدر منا ونطلب العصمة منه تبارك وتعالى لما يأتي وندعو لإخواننا المؤمنين والمؤمنات بحوائجهم العامة والخاصة ثم ندعو لأنفسنا.

والأفضل أن نضم إليه مجالس الدعاء الجماعي في المساجد وعقيب صلاة الجماعة وغيرها وبذلك تحققون أكثر ظروف الاستجابة المذكورة.

اللهم صل على محمد وآل محمد (صلاة لا يقوى على إحصائها إلا أنت، وأن تشركنا في صالح من دعاك في هذا اليوم من عبادك المؤمنين يا رب العالمين، وأن تغفر لنا ولهم إنك على كل شيء قدير، اللهم إليك تعمدت بحاجتي، وبك أنزلت اليوم فقري

وفاقتي ومسكنتي، وإني بمغفرتك ورحمتك أوثق مني بعملتي، ولمغفرتك ورحمتك أوسع من ذنوبي، فصلّ على محمد وآل محمد وتولّ قضاء كل حاجة هي لي بقدرتك عليها، وتيسير ذلك عليك، وبفقرتي إليك، وغناك عني، فإني لم أصب خيراً قطّ إلا منك، ولم يصرف عني سوءاً قطّ أحدٌ غيرك، ولا أرجو لأمر آخرتي ودنياي سواك(1).

وأفضل الدعاء وأكمله لسيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان (أرواحنا له الفداء) أن يجمع الله تبارك وتعالى له الخير كله.

ص: 408

1- الصحيفة السجادية، من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في يوم الأضحى.

لغة الجسد في الأدعية وسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) (1)

الحركات الظاهرية لها مدلولها الباطني:

ورد في بعض الأدعية القيام بحركات في الأعضاء مقترنة مع الدعاء، كما في دعاء العهد حيث ورد في نهايته (ثم تضرب على فخذك الأيمن بيدك ثلاث مرات، وتقول في كل مرة: العجل العجل يا مولاي يا صاحب الزمان) (2).

وكان الأئمة (عليهم السلام) يقومون ببعض الحركات في موارد معينة كالذي ورد في دعاء شهر رجب المعروف (يا من أرجوه لكل خير) (3) حيث تقول الرواية في نهاية الدعاء (ثم مدّ الإمام الصادق (عليه السلام) يده اليسرى فقبض على لحيته ودعا بهذا الدعاء، وهو يلوذ بسبّابته (4) اليمنى ثم قال بعد ذلك: يا ذا الجلال والإكرام يا ذا النعماء والجود، يا ذا المنّ والطول حرّم شييتي على النار) (5).

وأرى الكثير من المؤمنين لا يلتزمون بهذه التوجيهات ويتساهلون فيها، ربما لأنهم يجهلون معناها ولا يعرفون أسرارها، وربما يستهجن فعل من يقوم بها عند من لا يفهمها، لذا أحببنا أن نلفت نظرهم إلى أن هذه الحركات لها مدلولاتها المعبرة عن الخلجات الباطنية والمعاني الروحية.

ص: 409

- 1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع الزائرين في مجلسه العام في ذكرى ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم 13/رجب/1432 المصادف 2011/6/16.
- 2- مفاتيح الجنان: ص 586.
- 3- السابق: ص 170.
- 4- تسمّي العرب الأصعب المجاور للإبهام (السبّابة) لما جرت عليه سيرتهم، لكن المهذبين لا يسمونه بذلك بل يقولون (الابهام والذي يليه) أما المتشعبة فيسمونها بالمسبحة.
- 5- مفاتيح الجنان: ص 170.

معنى ضرب الفخذ في دعاء العهد:

فالضرب على الفخذ المشار إليه في دعاء العهد يمكن أن يكون له أكثر من معنى:

1- ما جرى عليه الناس حين يريد أحد أن يستعجل آخر ويطلب منه الإسراع في التنفيذ فإنه يضرب على فخذة مكرراً لحثه على ذلك، والداعي بدعاء العهد يستعجل ظهور الإمام وإعلان دعوته المباركة.

2- إن الانسان عندما يبكي جزعاً في مصيبة معينة، فإنه يقرن البكاء بالضرب على الفخذ، ولعل هذا معروف عند النساء أكثر ومع التسليم بحرمة جزع الإنسان في مصائبه المادية، فإن طول غيبة الإمام (عليه السلام) وظهور الفساد في البر والبحر وغلبة أهل الباطل 1- واستضعاف أهل الحق موجب للأسى والألم والجزع، وهو جزع محمود لأن غايته رضا الله تبارك وتعالى، كما في دعاء الندبة (هل من جزوع فأساعد جزعه إذا خلا، هل قذيت عين فساعدتها عيني على القذى) (1).

3- ما يقوله المتخصصون من أن الضرب على الفخذ يساعد على تثبيت المعلومة وتلقين العقل الباطن بما نطق به، فتكرار الضرب مع تكرار دعاء العهد كل صباح يحقق هذه النتيجة بإذن الله تعالى.

معنى القبض على اللحية والإشارة بالسبابة:

وهكذا في دعاء رجب المتقدم فإن القبض على اللحية يعني الاعتراف بالذنب والتقصير واستحقاق الغضب الإلهي ولذا اقترن بطلب النجاة من النار التي هي عقوبة المتمردين لأن المعروف عند الناس أن من غضب على آخر وله مقام الاستعلاء عليه أخذ بلحيته، كالذي حكاه القرآن الكريم عن فعل النبي موسى (عليه السلام) مع أخيه هرون (عليه السلام) (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا

ص: 410

1- السابق: ص 582.

تَأْخُذُ بِرِجْلَيْهِ وَلَا بِرَأْسِي) (طه/94)، كالتعبير بأنه (أخذ بناصيته) وهي مقدم الرأس وأول قصاص الشعر منه للإشارة إلى تمام المقدرة عليه، قال تعالى (مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) (هود/56) أي أنها في قبضته وتحت قدرته يفعل بها ما يشاء.

أما التلويح بالمسبحة فكأنه طلب للهداية والرشاد لأن التلويح بالمسبحة علامة المنذهل الحيران الطالب للدلالة على الطريق الصحيح، ويكون مجموع معنى الحركتين هو طلب النجاة من النار والفوز بالجنة وعدم الاكتفاء بالأول، وهو معنى قوله تعالى (مَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) (آل عمران/185).

القيام ووضع اليد على الرأس:

ومن تلك الحركات: القيام ووضع اليد على الرأس عند ذكر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) للتعبير عن الإيمان بحياته وأنا بمحضر وجوده المبارك الشريف.

لغة الجسد في السكنات أيضاً:

هذا في جانب الحركة، وقد يكون عدم الحركة هو المطلوب للتعبير عن حالة باطنية، كما في الصلاة لابرز حالة الخشوع في الجوارح مع توجه القلب قال تعالى (الَّذِينَ هُمْ فِي صَدَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (المؤمنون/2)، لذا كُره في الصلاة العبث باللحية والأصابع، والروايات في هذا المجال كثيرة.

الهدف من هذه الحركات:

والهدف من هذه الحركات والسكنات هو تفاعل واشتراك كل مكونات الانسان في العبادة والطاعة وتحقيق حالة الانسجام بين عوالم الانسان: القلب والجسد والنفس والروح،

وورد في حديث مرسل عن النبي (صلى الله عليه وآله) (لا يقبل الله من عبده عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه)(1).

أمير المؤمنين (عليه السلام) ولغة الجسد:

هذا التفاعل التام في عبادة الله تبارك وتعالى وطاعته تجلّى عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، تروي كتب السير عنه (عليه السلام) انه إذا وقف للصلاة بين يدي ربه سكنت كل جوارحه واستسلم للملك العلام ولا يتحرك منه إلا ما حركته الريح بحسب وصف الروايات ولا يشعر بما حوله مهما كان ملفتاً، وجاذباً للمشاعر.

لكنه (عليه السلام) يتحرك في المواضيع الأخرى بما يناسبها من حركة البدن من دون تكلف أو رياء، بل يتحرك بوجود واحد، ففي وصف ضرار بن ضمرة وهو من أصحاب علي (عليه السلام) عندما دخل على معاوية وطلب منه أن يصف علياً (عليه السلام) قال (فأشهدُ لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا يا دنيا إليك عني أبي تعرضت؟! أم إلي تشوقت؟! لا حان حينك هيهات غزي غيري)(2).

عليّ الأواه الحزين المعظم لمقام ربّه يتقلب لا يقر له قرار كما يتقلب الملسوع الذي لدغته حية فلا استقرار له من الألم والعياذ بالله تعالى.

العلم الحديث بدأ يدرك أهمية هذه الحركات:

لقد التفت العلم الحديث مؤخراً إلى دلالة حركات الأعضاء على المشاعر الباطنية وما يدور في ذهن وقلب الانسان، وبدأ يُعدّ الدراسات والتحليلات في ما يعرف بعلم (لغة الجسد)(3).

ص: 412

1- هامش المفردات للراغب مادة (خشع) عن تخريج أحاديث الاحياء: 1/339.

2- البحار: 34 ص 284.

3- من أراد التعرف على التفاصيل فليراجع الموسوعات العلمية ودوائر المعارف.

ولا زالت نتائجهم ظنية مبنية على الاستقراء الناقص. فيفهمون من تقاسيم الجبين شيئاً، وإذا حكَّ أنفه أثناء حديثه أو إذنه فلها مدلولها، وإذا نظر إلى آخر من فوق النظارات فلها معنى، وهكذا.

فطوبى لمن والى علياً الانسان الكامل واتخذه إماماً وهادياً وسيفخر يوم يُدعى كل اناس بإمامهم فيأتي غيرهم وأئمتهم الفراعنة والطواغيت والظلمة والكفار والفاستقون، ويأتي شيعة علي (عليه السلام) وإمامهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيت العصمة (عليهم السلام) «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {الأعراف}43.

ص: 413

يتحقق التكامل بالعمل بما نتعلم(1)

الكل هالك إلا العالم العامل المخلص:

الذين يتكلمون كثيرون، والمعلومات المبدولة وفيرة من خلال الكتب والنشرات والفضائيات والإذاعات وغيرها، لكن العلم وحده لا يكفي، والمطلوب هو العمل بذلك العلم، كما أن العمل وحده لا يكفي وإنما لا بد من أن يقترن بالإخلاص، لذا ورد في الحديث الشريف (هلك العاملون إلا العابدون وهلك العابدون إلا العالمون وهلك العالمون إلا الصادقون وهلك الصادقون إلا المخلصون وهلك المخلصون إلا المتقون وهلك المتقون إلا الموقنون وإن الموقنين لعلی خطر عظیم)(2).

إذا كان أهم ما يتقرب به العبد إلى ربه من الأعمال وهي العبادات موجبة للاستغفار كما ورد في الأدعية، كدعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة (إلهي كم من طاعة بنيتها، وحالة شيدتها، هدم اعتمادي عليها عدلك، بل أقالني منها فضلك)(3)

وفي بعض الأدعية عقيب الفرائض (إلهي إن كان فيها خلل أو نقص من ركوعها أو سجودها فلا- تؤاخذني وتقصد لي عليّ بالقبول والغفران)(4)، فإذا كانت العبادات والطاعات تقتضي طلب المغفرة والعفو فما هو حال الأعمال الأخرى؟

حولوا كل معلومة الى عمل:

ص: 417

- 1- من حديث سماحة الشيخ يعقوبي مع عدد من الوفود التي زارته يوم الخميس 2 ع 1431 المصادف 2010/3/18.
- 2- مستدرك الوسائل: ج 1 ص 100.
- 3- مفاتيح الجنان: ص 315.
- 4- السابق: ص 37.

إن الواعين والملتفتين يحولون كل معلومة إلى عمل، فمثلاً ينقل عن بعض الصالحين أنه كان لا يؤدي جميع ركعات صلاة الليل دفعة واحدة بل يؤدي بعضاً ثم ينام قليلاً ثم يقوم ليؤدي بعضاً آخر وهكذا إلى أن يتمها، ولم يذكر الناقل الوجه في ذلك ولعله تأسى بما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه كان يفعل ذلك، لكن يمكن أن نذكر الآن وجهاً واحداً، وهو أن هذا الرجل الصالح لما بلغه الحديث النبوي الشريف: (إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنعاس في عينه ليرضي ربه بصلاة ليله باهى الله به الملائكة، وقال: أما ترون عبدي هذا قد قام من لذيذ مضجعه لصلاة لم أفرضها عليه، اشهدوا أنني قد غفرت له)(1) فأراد هذا الرجل الصالح أن يفعل ما يحبه ربه عدة مرات بدل المرة الواحدة.

وهكذا انتم تستطيعون تحويل العلم إلى عمل، مثلاً ورد في الحديث القدسي عن النبي (صلى الله عليه وآله): (يقول الله تعالى: من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ، ولم يصل ركعتين، فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ، وصلى ركعتين، ودعاني ولم أجبه فيما سألتني من أمر دينه ودنياه، فقد جفوته، ولست برب جاف)(2).

والحديث صريح باستحباب الكون على الطهارة، ولكن المعنى العملي الذي يمكن أن نحصل عليه هو أن الإنسان إذا كانت عنده حاجة عسرت عليه بالأسباب الطبيعية أو مريض يطلب شفاءً أو طلب يريد تحقيقه -وما أكثرها- فليتوضأ إذا أحدث وليصلي ركعتين في غير وقت الفريضة وليطلب من الله تبارك وتعالى حاجته بعدها، فإن الله تبارك وتعالى سيحقق له مراده لأنه تبارك وتعالى ليس برب جافٍ.

وحيثما يبلغك الحديث الشريف في فضل سورة الفاتحة أنها (إذا قرأت سبعين مرة على ميت فقام حياً لم يكن عجباً)(3) نستفيد منه عملاً وهو قراءة سبعين مرة سورة الفاتحة إذا أردنا من الله تبارك وتعالى قضاء حاجة أو شفاء مريض أو تحقيق شيء نطلبه، لأنها كلها

ص: 418

1- وسائل الشيعة: ج 5 ص 277، كتاب الصلاة، أبواب الصلوات المندوبة، باب: 39 ح 36.

2- الوسائل: ج 1 ص 382.

3- أنظر مفاتيح الجنان.

دون إرجاع الحياة إلى الميت الذي يقبل التحقق بهذا العمل بإذن الله تعالى. وبهذه العين وهذه البصيرة يمكن النظر في كثير من هذه الأحاديث الشريفة بفضل الله تبارك وتعالى.

ص: 419

أنتم في امتحان دائم فأحسنوا العمل (1)

سنة الابتلاء:

ما دام الإنسان في هذه الدنيا فهو في امتحان وابتلاء قال تعالى: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» فالابتلاء سنة ثابتة من السنن الإلهية، ولا يفهم منها معنى القهر وإظهار الغلبة والانتقام، فإن الله تعالى غني عن ذلك، وإنما أجرى هذه السنة لمصلحة العباد، واضرب لكم مثلاً من الحياة الأكاديمية فإن السنة الدراسية تشتمل على امتحانات متنوعة من أولها إلى آخرها، ومهما أشكل بعض التربويين وعلماء النفس على الامتحانات وتأثيرها على نفسية الطالب، وإنها ليست معبراً حقيقياً عن مستويات الطلبة، إلا أن هذا الإجراء هو لمصلحة الطالب من أكثر من جهة:

1- إن الامتحان يميّز مستويات الطلبة ويبين استحقاق كل طالب ليكرّم الناجح ويُحفظ الفاشل ويأخذ كل ذي حق حقه.

2- أنه يحفز الطلبة على القراءة والمراجعة، ولو خلت الدراسة من الامتحانات فإن النادر من الطلبة سيبدل جهداً لمراجعة دروسه واستيعابها حياً للعلم لا أكثر.

وهذا الابتلاء الذي يجري على الإنسان في هذه الدنيا فإنه لمصلحته لكي يثاب المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته، ويلتزم الناس بالحقوق والواجبات، ولو شعر الناس بأنه لا ثواب ولا عقاب ينتظرهم لانتشر الظلم والعدوان والفساد، ولعمّ اليأس الحياة.

الابتلاءات متفاوتة كالامتحانات الأكاديمية:

ص: 420

1- من حديث سماحة الشيخ العقوبي مع حشد من طلبة جامعة الصدر الدينية في النجف الأشرف من المرحلتين الخامسة والسادسة، يوم 24 ج 1431 المصادف 2010/6/8 بمناسبة الامتحانات النهائية وقرب العطلة الصيفية.

وكما أن الدروس تتفاوت في ثقل احتسابها لإخراج المعدل العام للدروس - وهذا يعرفه طلبة الجامعات- أو تفاوت الدرجات الموضوعية بإزاء الأسئلة في الامتحانات فسؤال عليه درجة كاملة، وآخر فرع بمثابة نصف سؤال وآخر أقل منه، فكذلك الابتلاءات التي يمر بها الإنسان متفاوتة الدرجات والتأثير في ميزان الأعمال، فقد ورد في الحديث عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر عند الطاعة، وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين درجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش(1). فهذه الأمور كلها تحتاج إلى الصبر لكن درجات الصبر متفاوتة فالصبر على الطاعة - كالقيام من النوم اللذيذ الدافئ في الشتاء لأداء صلاة الصبح، وكبذل المال وفراق الأحبة وتحمل أعباء السفر لأداء الحج - أعلى من الصبر على الحرام - كمن تعرض له امرأة متبرجة فيصرف نظره عنها أو الذي يعرض له مال مغري إلا أنه من طريق غير مشروع فلا يمدُّ يده إليه - وهذا أعلى من الصبر على النوائب كفقْد عزيز.

وكما أن الامتحانات في الدراسة الأكاديمية على نوعين، فبعضها ثابتة معلومة مسبقاً ومحددة المواعيد كالامتحانات الفصلية والنهائية، وبعضها يفاجئ الأستاذ بها الطالب من دون إشعار مسبق كالامتحانات اليومية ليكشف عن الاستعداد المتواصل والتحضير اليومي، ولا يعذر الطالب فيه أن يقول: لا أعلم بموعده وأنتي لو علمت لحضرت له، لأن وظيفته التحضير باستمرار والاستعداد لمثل هذه الامتحانات فكذلك الامتحانات التي تمر بالإنسان في الحياة الدنيا ويراد منه تأديتها بنجاح على نوعين:

ص: 421

1- الوسائل: ج15 ص238.

فبعضها ثابتة معلومة كالصلوات اليومية وصوم شهر رمضان والحج عند الاستطاعة وحرمة الخمر والزنا ووجوب بر الوالدين ونحوها.

وبعضها تعرض له وتتهياً فرصتها أمامه امتحاناً له، قال تعالى «إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَازْتَبْتُهُمْ وَاصْطَبِرْ» (القمر: 27)، فإن أحسن استغلال الفرصة فقد أصاب الخير وأدركته الرحمة، وإلا فقد ضاعت عليه الفرصة وإضاعتهَا غَصَبَةً، كما لو قصده صاحب حاجة وهو يقدر على قضائها ولو بالتعاطف مع صاحب الحاجة والتفاعل مع قضيتها، وكالشاب الذي يتعرض لغواية امرأة متبرجة فيتركها خوفاً من الله وحباً وطاعة لله تبارك وتعالى فهذه كلها امتحانات عارضة له.

وكما أن بعض الامتحانات في الدراسة الأكاديمية ذات أنماط معروفة متداولة كالاتحانات التحريرية والشفهية، وبعضها لا يشعر بها الطالب وإنما يحدّد معايير التقييم فيها المدرّس البصير كمشاركاته في المناقشات خلال الدرس ونوعية أسئلته وإشكالاته وهكذا، فإن من الامتحانات في هذه الدنيا ما تخفى على صاحبها، ولكنها لا تخفى على الله تبارك وتعالى (فإن الناقد بصير)، كما ورد في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)، وشبّهت بعض الأحاديث خفاء الشرك في النفس بأنه أخفى من ديبب النملة بين الصخور في الليلة الظلماء، ويوم تبدو السرائر وتتكشف الحقائق سيتفاجأ الإنسان مما يجده في كتابه الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهذه الامتحانات هي الأخطر لعدم الالتفات إليها إلا ممن بصّر الله تبارك وتعالى.

الفتنة والابتلاء في الأحاديث الشريفة:

وقد ورد ذكر الفتنة والابتلاء التي هي بمعنى الامتحان في آيات كريمة وروايات شريفة كثيرة كما ورد نفس لفظ الامتحان في كثير من الموارد، نذكر واحداً منها لإلفات النظر إلى أننا فعلاً في امتحان مستمر أولاً ومنوع في أشكاله ثانياً، ومتفاوت في درجاته ثالثاً.

في الخصال بسنده عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال (امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدونا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها)⁽¹⁾.

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا:

وإزاء هذه الامتحانات فإن وظيفتكم هو إحسان العمل وإتقانه والإتيان به على وجهه، فإن الله تعالى لا ينظر إلى كثرة الأعمال بل إلى حسنها كما في الآية التي أوردنا في بداية الكلمة «لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» وليس أكثر ولا أي شيء آخر، وأمامكم الآن - وأنتم على أبواب العطلة الصيفية فرص للعمل فاغتموها، لأن الشباب منتظرون لعودتكم إليهم حتى تقيموا لهم الدورات الصيفية لتعلموهم فيها الفقه والقرآن والأخلاق والعقائد وسيرة أهل البيت (عليهم السلام) وهي تتزامن مع هذه الأشهر المباركة (رجب وشعبان ورمضان) مما يزيد الحافز إلى العمل ويوجب عظيم الأجر.

الدعوة لإعمار المساجد وإقامة الشعائر:

وعندكم الكثير من المساجد والحسينيات المعطلة فالفرصة متاحة لإعمارها بصلوات الجماعة والشعائر الدينية ومجالس الوعظ والإرشاد، وفي المجتمع انحرافات ومفاسد وتقصيرات يراد منكم أن تعالجوها وتصلحوا أحوال الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وتوجد بينهم نزاعات ومشاكل تستطيعون التوسط لحلها والإصلاح بين المتخاصمين، ومن الناس من هم أصحاب حوائج يطلبون مساعدتكم بما تقدرون عليه فهذه كلها امتحانات تمر بكم ليلوكم الله تعالى كيف تتصرفوا إزاءها، وهكذا كل الشرائح في المجتمع لها

ص: 423

امتحاناتها، فالشباب ممتحن بوالدين يراد منه البر بهما والإحسان إليهما بأقصى الدرجات، وممتحن بشهوات تعرض له والمطلوب منها اجتنابها، وهكذا.

فرصة لعمل الخير:

ونؤكد ما قلناه سابقاً من أن هذه الامتحانات ليست لقهر الإنسان وإثبات الغلبة عليه وإفشاله والانتقام منه، بل هي لإعطائه المزيد من الكرامات والألطف الإلهية وإظهار جدارته واستحقاقه لها.

وقد عرضت عليكم فرصة ثمينة لعمل الخير مع بساطتها، وهي أن يقوم كل واحد بتعميم رسالة قصيرة على من يحتفظ بأرقام هواتفهم المحمولة ويوصيهم بتعميمها تتضمن الرسالة القصيرة تعليم مسألة شرعية أو موعظة أو إرشاد إلى عمل الخير كالتنبيه على زمن شريف قريب - كالأول من رجب، والنصف منه، والمبعث الشريف أو آخر أيام من رجب - والأعمال الواردة فيه ليستعد لها ولا تقوته بسبب الغفلة عنها، أو تتضمن الرسالة مسألة شرعية غير ملتفت إليها فيتورط فيها الناس - كحرمة الزواج بأخت و بنت من لاط به آخر على اللائط، أو حرمة الزواج بامرأة لم تطلق بشكل صحيح - فإن الالتفات إلى مثل هذه المسائل لاحقاً يوقع الزوجين في الحرج وهكذا.

أو يبعث بموعظة قصيرة توقظه وتحيي قلبه من الأحاديث الشريفة المباركة المؤثرة في النفوس، كأن يبعث على الشباب المبتلين بالنظر إلى النساء الأجنبية قوله (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها لله تعالى أبدله نوراً يجد حلاوته في قلبه) فلعل شاباً يتأمل بهذه الكلمات فيستحقر هذه النظرة ويتركها لاكتساب ذلك النور الإلهي.

والخلاصة أن الإنسان المؤمن الواعي الراغب بالكمال عليه أن يكون ملتفتاً دائماً إلى أن كل ما يجري له ويتعرض إليه هو امتحان له وعليه أن يحسن في اتخاذ التصرف المناسب بإزائه وان ينتهز فرص الخير بلطف الله تبارك وتعالى.

أهم من العمل أمران:(1):

العمل وحده لا يكفي:

أن الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى لها مدى واسع يستوعب الخلق كلهم، وهنا نقول أن القيام بالعمل الصالح وحده لا يكفي بل يوجد ما يتممه ويعطيه قيمته وهو أهم من العمل نفسه لأنه بدونه يبقى عملاً فارغاً وشكلياً لا قيمة له، كما ورد في بعض الروايات إن صلاة بعض الناس تُلّف في خرقة يوم القيامة وترمى بها في وجهه، وإنه (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ، وكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه)(2) وما ورد في الحج أن أحد أصحاب الأئمة أعجب بكثرة الحجيج وارتفاع أصواتهم بالتلبية والتكبير والحمد لله تعالى فقال له الإمام (عليه السلام): ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج.

فالعمل وحده لا يكفي لنيل رضا الله تبارك وتعالى والفوز عنده، بل قد يكون وبالاً على صاحبه كما ورد في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة (إلهي كم طاعة بنيته، وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالي منها فضلك)(3) فقد كنت أتصور أن ميزاني تقيل بالأعمال الصالحة التي قدّمتها وعوّلت عليها لكنها لما عُرِضت

ص: 425

1- في يوم الجمعة 27/ذو القعدة/1431 هـ الموافق 2010/11/5 م أقدم سماحة الشيخ (دام ظلّه الشريف) على خطوة تاريخية مباركة وغير مسبوقة على الأقل في العقود القريية المنصرمة- فقد أقام سماحته أول صلاة جمعة في مكة المكرمة في مقر إقامته، وقد ألقى سماحته خطبتي صلاة الجمعة مرتدياً ثوب إحرامه حيث أعاد إلى الأذهان تلك الأجواء التي عاشها المؤمنون في العراق أيام إقامة صلاة الجمعة في مسجد الكوفة المعظم من قبل السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وبكى فيها (دام ظلّه) وأبكى العيون لأكثر من مرة لما تضمنته الخطبة من مواضع، وما في المتن الخطبة الثانية منها.

2- نهج البلاغة: 4/ من حكمه (عليه السلام) الحكمة رقم (145) وفيه (وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء، حبذا نوم الأكياس وإفطارهم).

3- البحار: ج95 ص225.

على الموازين القسط ليومالقيامة وإذا بها لا قيمة لها، بل صرت أهرب وأتبرأ منها وأطلب الإقالة والعفو عنها.

لنضرب لكم مثلاً:

وقد تستغرب ذلك لكنني أقرب القضية بمثال: فلو أن ملكاً دعا شخصاً حقيراً للقائه وضيافته فلبى الدعوة وكان الملك مقبلاً عليه وهياً له كل أسباب التكريم والجوائز الثمينة لكن المدعو كان مُعرضاً عنه ولا يلتفت إليه ومتشاعلاً بأمور أخرى، ألا تعد هذه إساءة في الأدب مع الملك ويعاقب عليها؟ فالصلاة دعوة للقاء الله تبارك وتعالى ومناجاة معه فإذا كان المصلي مشغولاً عن ربه وشارد الذهن عن صلاته فهو كهذا الشخص مع حقارة قدره أمام ملك الملوك فماذا سيكون جزاؤه؟ فهذا هو حال صلاتنا التي هي أهم العبادات وعمود الدين فكيف نرجوا الثواب عليها؟ إلا بلطف الله تعالى وكرمه وفضله وصفحه.

اقتران العمل بتحسينه:

فلا بد أن يقترن العمل بأمرين لينتج الغرض المطلوب وهما:

الأول: تحسين العمل، قال تعالى «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (الملك:2) فليس المهم كثرة العمل وإنما حسنه، وقد حثت آيات كثيرة على حُسن العمل وإن القبول بحسب الإحسان في العمل. قال تعالى «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (الأعراف:56) «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» (الكهف:30).

كيف يمكن تحسن العمل؟

ص: 426

منها: إخلاص النية لله تبارك وتعالى والإتيان بالعمل لنيل رضاه وليس لأي هدف آخر، فهذا الحجج قد يأتي به شخص للمباهاة أو للرباء وليقال له (حاج فلان) أو للسياحة والاطلاع على تلك المشاهد المقدسة وغيرها من النوايا غير المخلصة، فهذا لا يكون عملاً مقرباً إلى الله تعالى وإن كان الحاج لا يحرم الأجر مطلقاً مهما كانت نيته لكن قد يكون أجره في الدنيا كما ورد في بعض الروايات. ومنها: إتقان الأحكام الشرعية للعمل وحفظ حدوده، فللحج أحكام وتفصيل لا بد من معرفتها وأداء العمل بشروطه لأن الإخلال بها إخلال بالعمل نفسه وقد يقع باطلاً، لذا لا بد من اختيار المرشدين العارفين الورعين والآخذ منهم ومتابعتهم وسؤالهم عن دقائق الأمور، فالعمل التام لا بد أن يقترن بالعلم والإخلاص، ورد في الحديث الشريف (الناس كلهم هلكي إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكي إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكي إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم) (1).

ومنها: الالتفات إلى أسرار العمل ومعانيه وحقائقه، فإن وراء هذه الأعمال الجوارحية حقائق هي المطلوبة من العمل وليس هذه الحركات الشكلية، كالأمثال التي تُضرب وتراد منها الحقيقة التي صورت على شكل هذا المثل، وكالرؤيا الصادقة في المنام التي لها حقيقة تؤول إليها الرؤيا وترجع إليها لذا سميت تأويل الأحلام فمثلاً ملك مصر رأى في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات وكانت حقيقة هذه الرؤيا ما فسرها به يوسف الصديق (عليه السلام).

فيحسن التعرف إلى الأسرار المعنوية لمناسك الحج والأغراض المقصودة من حركاته وأفعاله وهي على مستويات وتحتاج إلى بحث مفصّل كالذي ورد في رواية الإمام السجاد (عليه السلام) مع الشبلي (2).

1- جامع السعادات: 1/220.

2- راجعها في رسالة مناسك الحج لسماحة الشيخ، صفحة 244 الطبعة الثالثة.

الثاني: المداومة على العمل وحفظه ومواصلته، ولا نعني بهذا الأمر تكرار الحج لأن هذا غير متيسر إلا نادراً فللمداومة أنحاء عديدة ربما نتعرض لشرحها في خطبة مستقلة بإذن الله تعالى(1).

لكننا نريد الإشارة هنا إلى أن الإنسان قد يوفق في مثل هذه المواسم الروحية الخالصة إلى أعمال إضافية لم يكن معتاداً عليها فيؤديها بسبب ارتفاع الهمة للطاعة والأجواء المشجعة ومصاحبة المؤمنين الصالحين والتعلم منهم كصلاة الليل أو تلاوة القرآن (الذي يستحب ختمه في رحلة الحج) أو صلاة جعفر الطيار التي كان السلف الصالح يهتم بها ويواظب عليها، أو الصلاة في أوقاتها ومنها صلاة الصبح وصلاة الجماعة والاستماع إلى التوجيهات الدينية وغيرها، فالمطلوب منه أن يستمر على هذا التقدم ويحافظ على هذا الانتصار الذي حققه على النفس الأتارة بالسوء فيواظب على هذه الأعمال التي وُفق إليها وذاق حلاوة أدائها.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يحافظ على كل المكاسب التي يحققها في جهاده مع نفسه مما يُوفق له في الأزمنة الشريفة -كشهر رمضان- أو الأمكنة الشريفة أو المواسم المباركة كالحج.

لاحظوا ما ورد في من حفظ سورة من القرآن الكريم أو آية ثم نسيها وهي عدة روايات معتبرة منها صحيحة أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): (من نسي سورة من القرآن الكريم مثلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة فإذا رآها قال: ما أنتِ فما أحسنك ليتك لي؟ فتقول: أما تعرفني أنا سورة كذا وكذا ولو لم تتسني رفعتك إلى هذا)(2).

ص: 428

1- ستأتي إن شاء الله تعالى في الفصل الخامس عشر: بعنوان: كيفية إدامة حالة الطاعة كالحج.

2- أصول الكافي: كتاب فضل القرآن، باب (من حفظ القرآن ثم نسيه).

ومن المداومة على العمل إدامة آثاره كالانتهاء عن الفحشاء والمنكر بالنسبة للصلاة قال تعالى «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» (العنكبوت: 45) فيجعل المؤمن صلاته نصب عينيه ويتذكرها دائماً لتردعه عن الهم بأي معصية أو منكر، فهذه مداومة على الصلاة، وقد وعد الله تعالى بأن (الحاج لا يزال عليه نور الحج ما لم يلمّ بذنب)(1).

ص: 429

1- وسائل الشيعة: كتاب الحج، أبواب وجوب الحج وشرائطه، باب 38، ح 14.

النية تزكي العمل وتنميه (1)

يستطيع الإنسان تنمية عمله وتركيبته وتكثيره بالنية، وهذا أحد معاني الحديث الشريف (نية المؤمن خير من عمله) (2)؛ لأن العمل واحد ولكن النية تكثره وتنوعه وتضاعفه، فتكون النية حينئذٍ خيراً من العمل نفسه.

خذ لذلك مثلاً حينما يريد الشاب أن يتزوج، فإنه عمل مبارك يقيم به سنة الله تبارك وتعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (النكاح سنتي) (3) فيؤجر على ذلك، ولكن أجره يمكن أن يزداد بإضافة نية أخرى وهي أنه بزواجه وإنجابه سيزيد من عدد السمات الصالحة في البشرية وعدد الموحدين الذين يتقلون الأرض بكلمة (لا إله إلا الله) ويكون مشمولاً بشكل من الأشكال بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (يا عليّ، لا تُقاتلن أحداً حتى تدعوه، وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا عليّ) (4)؛ لأن إنجاب ولد صالح إسهامته في زيادة عدد الصالحين كما لو أصلح رجلاً فاسداً ومنحرفاً.

ويمكن أن يزيد أجره بإضافة نية أخرى وهي إدخال السرور على قلب المؤمنة التي يتزوجها حيث أنها بالزواج تجد نفسها وتعزز مكانتها وتزيد من قيمتها، والزواج يوفر لها هذه الفرصة ويحقق أمنيتها ويدخل السرور عليها، فيحصل على ما وعد به المعصومون

ص: 430

1- من حديث سماحة الشيخ العنقوبي مع حشد من المواكب المتوجهة إلى كربلاء المقدسة من عدة مدن في الجنوب لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام يوم الاثنين 11 شعبان 1430 المصادف 2009/8/6.

2- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (نية المؤمن خيرٌ من عمله، ونية الكافر شرٌ من عمله، وكل عامل يعمل على نيته). الكافي: ج2 ص84.

3- البحار: ج103 ص222.

4- الكافي: ج5 ص28.

(سلام الله عليهم) من الثواب العظيم على هذا العمل بحيث ورد في بعض الأحاديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمناً سوراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) (1).

ويمكن أن يضيف نية أخرى بأنه من خلال التزويج يساهم في إصلاح المجتمع وعلاج مفاصله الأخلاقية لما في الزواج من إحصان واطمئنان واستقرار ففي الحديث (إلا تفعلوه - أي التزويج - تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) (2).

بذكر الله تعالى نلتفت الة النية:

وهكذا نلاحظ أن عملاً واحداً - وهو الزواج في المثال - كيف ضاعفت النية الصالحة ثوابه وعظمت شأنه فإذا استطعنا أن نلتفت إلى هذا اللطف الإلهي في كل أعمالنا فإنه سيكون سبباً لثواب ورضا الله تبارك وتعالى ونعوض بذلك قصر أعمارنا في هذه الدنيا وعدم استيعابها لكثير من فعل الخيرات، وهذه كلها من ثمرات ذكر الله تبارك وتعالى في أغلب الأحوال والحياة في حضرته المقدسة، فإن المؤمن لا يستطيع أن يستحضر كل هذه النيات إذا لم يكن ذاكراً لله تبارك وتعالى وحاضراً عنده تبارك وتعالى.

الالتفات الى النية يزيد الهمة:

وهذه الالتفاتة من أسباب زيادة الهمة في العمل الصالح والمسارة إليه وعدم الاكتراث بصعوباته ومعوقاته، تذكروا -أيها الأحبة- وأنتم تتوجهون إلى كربلاء المقدسة مشياً على الأقدام من مدن بعيدة تصل إلى مئات الكيلومترات للتشرف بزيارة الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) في ليلة النصف من شعبان وإحياء ذكرى ميلاد المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه)، تذكروا ما أعد الله تعالى من الكرامة لمن زار الحسين (عليه السلام) معتقداً بولايته عارفاً بحقه ناصرراً له ولقضيته التي خرج من أجلها وهو الإصلاح

ص: 431

1- الكافي: ج 2 ص 189.

2- انظر الكافي: ج 5 ص 347.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتشملكم بذلك دعوات الإمام الصادق (عليه السلام) لزائري قبر جدّه.

تركيز النية ومضاعفة العمل:

فإذا كانت هذه الزيارة هي زيارة النصف من شعبان التي ورد فيها أن (من أراد أن يصفح أرواح مائة وأربعة وعشرين ألف نبي فليزر الحسين (عليه السلام) ليلة النصف من شعبان)(1) فكم سيتضاعف الأجر؟

وإذا كان الزائر يسير على قدميه ولو لمسافة قصيرة فإن الحديث الشريف يعده بكتابة حسنة كلما رفع قدماً ومحو سيئة كلما وضعها وغيرها من الأجر.

وإذا أضاف لذلك نية تعظيم الشعائر وإظهار عزة أهل البيت (عليهم السلام) وعلو مكانتهم وإظهار حقهم ومظلوميتهم والفرح بميلاد منقذ البشرية من الضلالة ومقيم دولة الحق والعدل فإن قيمة عمله ستزداد بلطف الله تبارك وتعالى.

وله أن يزيد قيمة العمل أكثر ياهدائه إلى المعصومين الأربعة عشر (سلام الله عليهم) فإنهم بكرمهم سيتقبلون الهدية ويباركونها ويردّون الفعل الجميل بأجمل وأحسن منه. كما ورد في الدعاء (مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك)(2) وكما قال إخوة يوسف لأخيهم لما وردوا مصرًا «وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ» لكنه (عليه السلام) أكرمهم ورفع من شأنهم بما يليق بكرمه وليس بما يليق بفعلهم.

تداخل النية والعمل:

وهذه الالتفاتة تنفعكم -أيها الأحبة- على صعيد الأحكام الشرعية من خلال تداخل الأعمال والنيات، كمن أجنب يوم الجمعة فإنه ينوي بغسله الجنابة والجمعة فيؤجر

ص: 432

1- أنظر: مفاتيح الجنان: ص 200.

2- البحار: 95 ص 225.

لهما وقد ينوي أيضاً غسل التوبة أو غسل يوم المبعث النبوي أو الغدير إذا صادفا ذلك وهكذا.

أو على صعيد الصلاة فلو فرضنا أن همّته قصرت عن صلاة أربع ركعات نافلة المغرب وركعتي صلاة الغفيلة بين المغرب والعشاء فيجوز لهأن ينوي بصلاة الغفيلة أنها ركعتان من نافلة المغرب، وهذا طبعاً في الموارد القابلة للتداخل.

وهذا الباب الواسع من الألفاظ الإلهية يحتاج إلى التفات وحضور وقبل كل شيء يحتاج إلى معرفة لذا ورد في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) (أول الدين معرفته)⁽¹⁾ وبدون معرفة كيف سيلتفت الإنسان إلى مثل هذه الأمور.

النية توجب الثواب:

وزيادة على ما مضى فإن مجرد النية الصالحة لأعمال الخير توجب الثواب للإنسان وإن لم يعمل، كما لو نوى أن لا يظلم أحداً وأضمر في نفسه الخير والرحمة لكل الناس لذا ورد عن المعصومين (عليهم السلام) أن من أهم الأعمال أن يصبح الإنسان ويمسي وهو لا يهتم بظلم أحد.

وهكذا ينوي أن يبرّ والديه وأن يحسن إلى جيرانه وأن يقضي حوائج الناس وغيرها من الأعمال الصالحة فيؤجره الله تبارك وتعالى حتى لو لم تيسّر له الأسباب لإنجازها ما دام صادقاً في عزمه مخلصاً في نيته.

وقد ورد أن أحد أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) قال بعد نصر الله الحق في معركة الجمل: وددت أن أخي فلانا كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك.

فقال له (عليه السلام): أهوى أخيك معنا؟ فقال: نعم، قال فقد شهدنا. ولقد

ص: 433

شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان (1) ويقوى بهم الإيمان (2).

ص: 434

-
- 1- الرعاف: دم يسبق من الأنف، ويرعف بهم أي سيجود بهم الزمان كما يجود الأنف بالرعاف يأتي بهم على غير انتظار.
 - 2- نهج البلاغة: الخطبة: 13.

مواظب من مناسك الحج(1)

علينا أن نستشير الموعظة:

من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): (يا بني أحي قلبك بالموعظة وأمتة بالزهادة)(2)

فالقلوب تحتاج إلى بعث الحياة فيها من جديد كلما اقتربت من الموت بسبب الرين والقساوة التي تطرأ عليها، وقد ورد في الرواية أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوماً لأصحابه (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، قيل وما جلاؤها يا رسول الله. قال: ذكر الموت وتلاوة القرآن)(3).

فلا بد للمؤمن أن يتحرى الموعظة ليستشير في قلبه الحياة ويأخذ بأسبابها كالتي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلا فإن الرين الذي ينشأ من خوض الإنسان في أفعاله الحياتية ولوازمها وما تقتضيه طبيعته البشرية فضلاً عن ارتكاب المعاصي والعياذ بالله تعالى - يتراكم على القلب فيسود ويقسو حتى يطبع عليه فيموت ولا تؤثر فيه الموعظة وأسباب الهداية.

ص: 437

1- تواصلت مع أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في الدول الإسلامية أجاب المرجع اليعقوبي (دام ظله) دعوة حملة (أنوار المؤمن) القطيفية من المملكة وذلك مساء يوم الأربعاء 4/ذو الحجة الموافق 2010/11/10. وكان في استقباله عدد من الفضلاء والمؤمنين الذين عبروا عن شكرهم وامتنانهم لهذا التكريم الذي يعزز في نفوسهم عظمة المذهب وشموخه من خلال الاتصال بالعلماء الأعلام والمراجع الكرام، هذا وقد بدأ البرنامج بكلمة ترحيبية، بعدها تقدم أحد الفضلاء من أعضاء البعثة بكلمة موجزة والتي قدم في نهايتها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) كلمته الوعظية هذه والتي تضمنت الكثير من العبر ذكرت بالسفر الأبدي وغفلة معظم الناس عن الاستعداد له، وقد جسدت هذه المحاضرة مناسك الحج،.. والعظة والعبرة المستوحاة منها عملياً.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: 1/25.

3- شجرة طوبى: 2/292.

ومن هنا جاء العتاب الرباني للذين لا يديمون إحياء قلوبهم بالموعظة، قال تعالى «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» (الحديد:16) ثم يضرب مثلاً لحياة القلوب قال تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (الحديد:17).

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأخذ من كل شيء موعظة حتى من الحركات الاعتيادية كدخول الحمام فقد روى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) انه إذا رأى المال الساخن قال (نعم البيت الحمام: يزيل الدرن ويذكر بالآخرة) فان ماء سخنه الإنسان ليغتسل به لا يطبق حرارته ما لم يعالجها بماء فائر فكيف بالماء الحميم الذي يسقى به أهل النار فقطع أمعاءهم والعياذ بالله تعالى.

وقد حفلت روايات أهل البيت (عليهم السلام) بالكثير من المواعظ ومنها ما رووها عن الأنبياء والحكماء السابقين كعيسى روح الله ولقمان الحكيم، فاستفيدوا أيها الأخوة من الكتب التي جمعت هذه المواعظ كالبحار وتحف العقول وغيرهما واستمعوا إلى مواعظ الخطباء والفضلاء والمصلحين والتربويين، وقد تيسرت اليوم كثيراً بفضل الله تعالى وتعرض قنواتنا الفضائية أنواعاً من الخطب والمجالس والأحاديث والكلمات.

مواعظ من الحج:

والحج من أوله إلى آخره، حافل بالمواعظ ابتداءً من الاستعداد للسفر والتزود له الذي يذكرك بسفر الآخرة الطويل المجهول الأبدى والتزود له بالتقوى والأعمال الصالحة، قال تعالى: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ» (البقرة:197).

ومصاعب السفر وغربته ووحشة الأهل والوطن والأحبة تذكّر بوحشة البرزخ وغربته خرج الإمام الكاظم (عليه السلام) في تشييع جنازة فلما وقف على شفير القبر قال: (إن شيئاً هذا أوله -وهي الآخرة- لتحقيق أن يخاف من آخره، وإن شيئاً هذه آخره -وهي الدنيا- لتحقيق أن يزهد في أوله).

ويُقَرَّنُ السفر الصالحين كانوا أو مزعجين تتذكر قرينك في القبر وهو عملك فإن كان صالحاً أنسك وأسعدك وإلا كان بسّ القرين الذي ينغص ويكدر ويؤلم.

وبلبس ثوبي الإحرام والتجرد عن كل متعلقاتك في الدنيا تتذكر أنك ستغادرها في يوم ما ملفوفاً بكفن كثوب الإحرام ولا تصحب منها شيئاً إلا ما قدمت لآخرتك «وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ» (البقرة:110).

وهكذا تتوالى المواعظ التي يفهمها كل واحد بحسب مستواه، فإذا خرج إلى عرفات -وهي أرض تقع خارج الحرم- التفت إلى هذا الدرس وهو أن مقتضى استحقاق الناس بحسب سعيهم في الحياة الدنيا أن يخرجوا من حرم الله وجنانه وأن يحرموا رضوانه، ولكنهم بعد أن يجأروا إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء ويلجأوا بطلب التوبة يوم عرفة يؤذن لهم بالعودة التدريجية إلى حرم الله، ولكن بعد أن يطهروا أنفسهم بالدعاء وذكر الله تعالى في مزدلفة «فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ» (البقرة:198)، ويستجمع العدة لمواجهة الشيطان ورد كيده - بجمع الحصى - ثم يتوجه إلى منى ليرمي الجمرات معبراً عن رفضه لطاعة وعبادة كل ما سوى الله تبارك وتعالى (لا إله إلا الله) وينحر أطماعه وشهوته وأهواءه المضلّة، ثم يحلق رأسه علامة على الاستعداد التام لنصرة الله تبارك وتعالى والتضحية في سبيله (حيث أن حلق الرأس كان دليلاً على بلوغ أعلى درجات التضحية وشدة الاستعداد للحرب) وحينئذ يؤذن له بالعودة إلى بيت الله الحرام الآمن لأداء بقية المناسك تعبيراً عن رضا الله تعالى عنه وقبوله إياه ودخوله في جنانه وتحت ظلّه.

رمي الجمرات: شعار لرفض كل الآلهة من دون الله تعالى

إشارة

رمي الجمرات: شعار لرفض كل الآلهة من دون الله تعالى (1)

ما المراد من رمي الجمرات؟

من مناسك الحج رمي الجمرات الثلاث في منى بالحصى، وقد ورد في الروايات عن أصلها بأن خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) لما أخذ ولده إسماعيل لذبحه امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى اعترضه إبليس في الموضوع الأول ليردّه ويخذله ويحرك عواطفه حتى يتراجع عن تنفيذ ما أمر الله تعالى فرماه إبراهيم (عليه السلام) بالحصى فانهمز اللعين، ثم تمثّل له مرة أخرى في الموضوع الثاني والثالث وكان رد إبراهيم (عليه السلام) الحازم هو هو فتحوّل إلى منسك يؤديه الموحّدون لرمي الشياطين.

وقد يثار هنا إشكال حاصله إن رمي الجمرات في الإسلام تعبير عن نبذ أصنام الجاهلية ورفض عبادتها، وقد كان هذا العمل مبرراً وله وجه في صدر الإسلام حيث كانوا حديثي عهد بالجاهلية فأراد لهم الشارع المقدس قلع عبادة الأصنام بالكلية من داخل نفوسهم وترسيخ رفضها، أما اليوم حيث لم تعد توجد أصنام تُعبّد من دون الله تعالى فلا يبقى معنى لأداء هذا المنسك. وأجوبة هذا الإشكال عديدة نريد أن نجعل واحداً منها محور خطبتنا.

الأصنام التي تعبد من دون الله تعالى:

وهو أن الأصنام والآلهة التي تُعبّد من دون الله تعالى عديدة ومتنوعة وباقية ما بقي البشر إلا أن يملأ الله تبارك وتعالى الأرض قسطاً وعدلاً ويبسط كلمة التوحيد على

ص: 440

1- أقام سماحة الشيخ (دام ظلّه) صلاة الجمعة الثانية في مقر إقامته في مكة المكرمة يوم 6/ذو الحجة/1431 المصادف 2010/11/12. وما في المتن الخطبة الثانية منها.

إرجاء الأرض، ولئن زال أحد أشكالها وهي الأصنام والأوثان التي تُصنع من الحجر والخشب وربما التمر ثم تعبد من دون الله وتقدس وتقدم لها النذور والقرايين، فإن أشكالاً أخرى من الأصنام تعبد وتقدس وهي أشد وطناً على الإنسان وأكثر إذلالاً للبشرية وتكلف الناس أضعاف ما كانت تكلفهم تلك الأصنام، وأولها هوى النفس وشهواتها وأطماعها وغرائزها التي يطيعها الإنسان ويسعى لتنفيذ إرادتها ويخضع لسلطتها وإن كان في ذلك معصية الله تبارك وتعالى، فأصبح الهوى إلهاً يعبد من دون الله تعالى لأن معنى العبادة هي الطاعة والانقياد والاستسلام بحيث ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان) (1)، وقد سمي الله تبارك وتعالى الهوى إلهاً في قوله تعالى «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...» (الجاثية: 23)، كم من تاجر تعرض له معاملة مشبوهة ينهى عنها الشرع المقدس لكن ربحها يسيل لعبه ويشير طمعه فيرتكبها؟ وكم من امرأة تعلم أن السفور حرام وإن إبداء مفاتها أمام الرجل الأجنبي معصية فتفعله إرضاءً لغرائزها؟ وكم من شاب يعلم أن الصلاة واجبة عليه وأنها عمود الدين وهوية المسلم لكنه يتركها كسلاً وحباً للراحة والدعة؟ أليس كل هؤلاء وأمثالهم قد نصبوا من أهوائهم وأنفسهم الأمانة بالسوء أصناماً وآلهة يعبدونها ويطيعونها من دون الله تبارك وتعالى؟

التشريعات البشرية:

وثاني الآلهة التشريعات التي تُسنُّها عقول الناس القاصرة وبحسب ما يقدرونها من مصالح بنظرهم الضيق ويتعبدون بها ويلتزمون بها ويعاقبون على مخالفتها من دون الرجوع إلى شريعة الله تبارك وتعالى تحت عناوين مختلفة كالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان وحاكمية الشعب والقوانين والرسائل الوضعية وغيرها، وهذا الوضع قائم حتى في الدول

ص: 441

التي تصف نفسها بأنها إسلامية، وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذه الآلهة وهذه الأرباب في قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (التوبة: 31)

وورد في تفسيرها عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون)(1)

فانطبق عليهم اتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى لأنهم شرّعوا لهم من أنفسهم قوانين تحكّمهم من دون الرجوع إلى الشريعة الإلهية.

وهذه الرواية تنطبق على كثير مما يجري في مجتمعاتنا كبعض القوانين التي سنّها البرلمان، والسنينة العشائرية التي يضعها ناس جاهلون بأحكام الشريعة وتفاصيلها فتأتي مليئة بالمظالم والفساد والانحراف.

آلهة الأعراف والتقاليد غير الصحيحة:

ومن الآلهة الأخرى الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي يضعها الناس ثم يعطونها قداسة وأهمية بحيث لا يستطيع الفرد الخروج عنها خشية العار والفضيحة والضغط الاجتماعي ونحوها.

فبعض السادة التزموا بعدم تزوج بناتهم العلويات إلا من سادة ولو أدى ذلك إلى عنوستهن وحرمانهن من هذا الحق المقدس رغم إقدام الشباب الأكفاء على خطبتهن، أو إلزامهن التزويج من ابن العم فلو نهى عليها ابن عمها فلا يحق لأي أحدٍ خطبتها ولو أعرض عنها ابن العم ولم يتزوجها.

أو المغالاة في المهور الذي حرم الكثير من الشباب عن التفكير في الزواج لعدم قدرته على هذه التكاليف الباهظة، وكل هذه الأعراف والتقاليد مخالفة للشريعة ولوصايا النبي (صلى الله عليه وآله) الذي روي عنه: (إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه،

ص: 442

إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير) (1) وقوله (صلى الله عليه وآله): (النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني) (2)

ومثلهم بعض النساء اللواتي يلزمن أزواجهن بتوفير احتياجات باهظة كلبس بدلة جديدة في كل مناسبة أو تغيير أثاث بيت في كل سنة أو موسم مما يكلف الزوج كثيراً وقد يضطر إلى الإغماض عن مصدر الأموال الواردة إليه ليلبي رغبة امرأته، فهؤلاء يعبدون هذه الأعراف والتقاليد ويقدسونها من دون الله تعالى.

الحكام والطواغيت:

ومن تلك الآلهة الحكام والطواغيت الذين يريدون من شعوبهم الاستسلام لهم وتنفيذ أطماعهم ونزواتهم والتضحية من أجل إدامة حكمهم وتقديم الشعب كله قرابين لهم، وهكذا سائر النظم الاقتصادية والسياسية والقوانين الوضعية المتبعة في المحاكم والكيانات المتنفذة كالمصارف وغيرها مما صنعه البشر من دون الرجوع إلى حكم الله تعالى «أَلَلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» (يونس: 59).

كونوا موحدين:

هذه نماذج من الآلهة التي تُعبد وتطاع من دون الله تعالى ومن الأصنام التي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ولكنها تُقدَّس وتُتخذ أرباباً للبشر الذين يصنعونها بأيديهم ويعلمون أنها زائفة «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ» (الحج: 73)، يسخر الناس اليوم من عقول أسلافهم في الجاهلية ويسخفونهم حيث اتخذوا آلهة من أصنام يصنعونها بأيديهم وهامهم اليوم يفعلون فعلتهم وينقادون لأصنام وآلهة من صنعهم وإن كان من نوعٍ آخر.

ص: 443

1- عوالي اللئالي: ج 3 ص 340.

2- كنز العمال: ج 16 ص 272.

هذه الحقيقة التي يدمغ الله تبارك وتعالى بها الناس في قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (يوسف:106).

موعظة الشيخ جعفر الشوشري:

نُقل عن الواعظ الشهير الشيخ جعفر الشوشري (توفي عام 1303 هجرية) صاحب كتاب الخصائص الحسينية وقد كان له منبر وعظ في الصحن الحيدري الشريف يحضره المجتهدون والعلماء والفضلاء وعمامة الناس، نُقل عنه أنه قال يوماً: أيها الناس أن مئة وأربع وعشرين ألف نبي بعثهم الله تعالى كلهم يقولون للناس: (كونوا موحدين وأنا أقول كونوا مشركين) فتعجب الناس من كلامه ولم يفهموا مرامه فأمهلهم حتى قال لهم: (إنكم أصبحتم كلكم للدنيا وأنا أدعوكم إلى أن تجعلوا لله نصيباً من حياتكم فأشركوه في أعمالكم).

خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً:

وستجدون في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة: (إلهي عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً) (1) وهذه هي الخسارة الحقيقية أن لا يخلص الإنسان عمله لله تبارك وتعالى ويوحّد هدفه في هذه الحياة ليجعله رضا الله تبارك وتعالى، ولا يُثبت على الصراط المستقيم وبتيه يمنة ويسرة بين هذه الآلهة والأرباب المصطنعة.

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بُعث ليحرّر الإنسان من هذه التبعية المقيتة التي تُكبّله بقيود وأغلال وآصار تعيقه عن التكامل ونيل رضوان الله تبارك وتعالى «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ

ص: 444

عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف:157)،
فلا يحق للإنسان الحر أن يعيد إلى عنقه تلك الأغلال ويحيط نفسه بتلك القيود.

وهذه بعض معاني رمي الجمرات أن نرفض كل الآلهة التي تُعبد وتُطاع والأرباب التي تتخذ من دون الله تبارك وتعالى.

ص: 445

من أسماء الله الحسنى (اللطيف) (1)

اللفظ الإلهي محيط بالإنسان:

من أسماء الله الحسنى (اللطيف) وللإسم عدة مناشئ ذكرناها في حديث سابق (2)، منها بلحاظ صدور اللطف منه واللفظ كل ما يقرب من الطاعة ويبعد عن المعصية وهذا هو شأن الله تعالى مع عباده، قال عز من قائل «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» (الحجرات:7).

فاللفظ الإلهي محيط بالإنسان من أول الأمر إذ هداه إلى الإيمان وزينه له وحببه إليه وعرفه إياه ثم بتيسير أسباب الطاعة وتذليل الصعوبات وإزالة المعوقات ورفده بكل ما يعينه عليها، وبعد ذلك يشكر الله تعالى عبده على ما أدى من عمل صالح ويثيبه عليه فله الحمد أولاً وآخراً.

العبادات من لطف الله تعالى بنا:

وهكذا كل طاعة، والحج منها فقد أذن الله تعالى لكم بالدخول في ضيافته والوفود على بيته المحرم الآمن ثم يسر لكم العسير وقرب إليكم البعيد وطوى لكم المسافات وأعانكم على تأدية المناسك كما أمر وأراد، ثم بعد ذلك يغدق عليكم بالثواب الجزيل الذي لا يقتصر عليكم بل تشمل بركات الحجاج أهلهم وذويهم وقرباتهم وجيرانهم وأصدقاءهم كما دلت عليه الروايات ومنها ما رواه في ثواب الأعمال بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل ليغفر للحجاج، ولأهل الحاج،

ص: 446

1- يوم الجمعة 13/ ذو الحجة الموافق 2010/11/20 أقام سماحة الشيخ (دام ظلّه) صلاة الجمعة المباركة الثالثة في مقر إقامته في مكة المكرمة. وما في المتن الخطبة الأولى منها.

2- أنظر الخطاب: الألفاظ الإلهية في البعثة النبوية الشريفة، وقد أدرجناه في هذا الكتاب.

ولعشيرة الحاج، ولمن يستغفر له الحاج بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر(1).

بل إن الألفاظ الإلهية وبركات الحج تمتد بتأثيرها إلى ما هو أوسع من ذلك حتى الحمل في بطن أمه ففي الرواية عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه سمع في يوم عرفة سائلاً يسأل الناس فقال له (ويلك أتسأل غير الله في هذا اليوم، وهو يوم يُرجى فيه للأجنة في الأرحام أن يعمها فضل الله تعالى فتسعد)(2).

كرامة الحاج:

وانظروا في الأحاديث الشريفة لتروا ما أعدّ الله تعالى من الكرامة لحجاج بيته الحرام ففي رواية صحيحة عن محمد بن مسلم عن أحدهما - أيباقر أو الصادق (عليهما السلام) - قال (ودّ من في القبور لو أن له حجة واحدة بالدنيا وما فيها)(3).

وفي صحيحة صفوان الجمال عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من حجّ حجتين لم يزل في خير حتى يموت)(4)، وفي صحيحة منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن حجّ أربع حجج، ما له من الثواب، قال: (يا منصور: من حجّ أربع حجج لم تصبه ضغطة القبر أبداً، وإذا مات صوّر الله الحجج التي حجّ في صورة حسنة أحسن ما يكون من الصور بين عينيه، يصلي في جوف قبره حتى يبعثه الله من قبره، ويكون ثواب تلك الصلاة له، واعلم أن الركعة من تلك الصلاة تعدل ألف ركعة من صلاة الأدميين)(5).

ص: 447

1- الوسائل: ج 11 ص 103.

2- مفاتيح الجنان: ص 315.

3- الوسائل: ج 11 ص 110.

4- السابق: ص 129.

5- السابق: ص 130.

لا تنهبوا أو تستصعبوا الطاعات:

فيا أيها الإخوة والأخوات لا تنهبوا أي طاعة ولا تستصعبوها بل أ قدموا عليها وأحبوها وتشوقوا إليها فإنها مهما كانت صعبة فإنها ليست أصعب من الحج الذي يجمع مشاق كل العبادات وقد تكفل الله تعالى بتيسرها وتذليل صعوباتها، وحتى لو لم تتمكنوا من أدائها فإنكم تؤجرون على النية، فقد ورد في الحديث الشريف: أن من نوى العمل الصالح وعمله كتب له عشر حسنات ومن نواه ولم يعمله كتبت له حسنة واحدة.

كونوا ممن يلبي دعوة الله تعالى:

وكونوا ممن يلبي دعوة الله تعالى إلى الطاعة وامتثلوا قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» (الأنفال: 24) وقوله تعالى «مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ» (الشورى: 47)، ولا تلتفتوا إلى الشيطان الذي يعمل عكس ذلك فيزين المعصية والفسوق ويصعب الأعمال الصالحة ويجعل أمام الإنسان الاحتمالات والتصورات السيئة ويشير في النفس المخاوف والقلق والمثبطات. يضرب لنا الله تبارك وتعالى مثلاً من بني إسرائيل لأنحاء من التصرفات إزاء الطاعة قال تعالى حاكياً عن نبيه الكريم موسى (عليه السلام) وقومه «يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ» (المائدة: 21-22).

وهذا هو موقف أغلب الناس مع الأسف، لكن الأرض لا تخلو من المخلصين الصادقين «قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (المائدة: 23)، فالمطلوب

منك الإقدام على الطاعة وعدم التهيب وامتلاك الحزم والشجاعة ودخول الباب كما في الآية وسيمنحكم الله تعالى القوة والغلبة وإنجاز العمل بفضله وكرمه.

لنأخذ الدرس من عنوان (اللطيف):

ونلفت النظر هنا إلى درس ثانٍ نأخذه من عنوان (اللطيف) وهو أن يكون كلٌّ منا لطيفاً يقرب الآخرين للطاعة ويعينهم عليها ويسرها لكم ويهيئ لهم أسبابها كمن يؤذن لإلفات النظر إلى دخول وقت الصلاة ودعوتهم إليها أو يشوق الآخرين للحضور في المساجد والمشاركة في صلوات الجمعة والجماعة لما فيها من البركات والثواب أو يتبرع بأجور سيارة لنقل الزائرين أو يدفع نفقات حاج أو معتمر أو يسعى لتزويج مؤمن ومؤمنة ونحوها، فإننا قد دُعينا إلى التخلُّق بأخلاق الله تعالى والتحلِّي بمقدار ما ييسره الله تعالى من أسمائه الحسنی كما ورد في الحديث (تخلَّقوا بأخلاق الله) (1) ومن أخلاقه أنه (لطيف) فليكن المؤمن لطيفاً بهذا المعنى فإن درجات الناس تتفاوت يوم القيامة بحسب ما يحققونه في ذواتهم من أسماء الله الحسنی وصفاته العليا.

ص: 449

1- البحار: ج 58 ص 129.

كيفية إدامة حالة الطاعة كالحج(1)

قلق المؤمن:

ورد في الحديث عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في نقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة)(2)، وهنا قد يشعر المؤمن المخلص بالقلق باعتبار أنه أنهى أياماً مباركة في جوار بيت الله الآمن والمشاعر المقدسة وزيارة النبي (صلى الله عليه وآله) وتجرد فيها لله تبارك وتعالى وتخلي عن الأهل والمال والموقع والجاه والمنزلة الاجتماعية، وسيعود بفضل الله تبارك وتعالى إلى أهله ووطنه ووضع الطبيعي ويعود إلى انشغالاته فهل سيكون أمسه الذي قضاه في هذه الأرض المقدسة أفضل من يومه الذي سيعود إليه فيوطنه ويكون مشمولاً بما ورد في الحديث أعلاه؟

وهذا القلق نابع من روح إيمانية صادقة ولكن يمكن دفعه بوجوه:

1- إن هذه الانتقالة هي بمشيئة الله تبارك وتعالى وإرادته كإرادته انتهاء شهر رمضان ورفع موائد ضيافة الرحمن وغيرها من موارد نزول الألفاظ الإلهية، وما دام الأمر كذلك فهو ليس من فعل العبد والحديث الشريف ناظر إلى ما يصدر من العبد.

علماً بأن الله تعالى يرأف بالعبد ويرحمه فلا يجعله في حالة روحية مستمرة لأن بدنه لا يطيق ذلك، كما ورد في بعض الأخبار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يستغرق في بعض الحالات مع ربه حتى يخشى عليه

ص: 450

1- يوم الجمعة 13/ذو الحجة الموافق 2010/11/20 أقام سماحة الشيخ (دام ظله) صلاة الجمعة المباركة الثالثة في مقر إقامته في مكة المكرمة. وما في المتن الخطبة الثانية منها.

2- البحار: ج75 ص327.

فيضرب على فخذ إحدى زوجاته ويقول لها كلميني، فهذا الانتقال في الحالات من رحمة الله تعالى بالعباد فلا يقلق منه.

2- إن العمل وإن لم يستمر لانتفاء موضوعه أو لزوال ظروفه كانهاء شهر رمضان أو موسم الحج إلا إن نية العود والمواصلة يمكن أن تبقى مستمرة فتكون سبباً لاستمرار الأجر لذلك ورد استحباب نية العود إلى الحج وكراهة نية عدم العود وأن (من رجع من مكة وهو ينوي الحج من قابل زيد في عمره)(1)، (ومن خرج من مكة وهو لا ينوي العود إليها فقد اقترب أجله ودنا عذابه)(2).

ومما ورد في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة (إلهي إنك تعلم إنني وإن لم تدم الطاعة مني فعلاً جزماً فقد دامت محبة وعزماً)(3) وهذا المعنى يريد الإمام (عليه السلام) أن تتأدب به إزاء كل طاعة وليس الحج فقط.

3- تكرار العمل واستمراره في موعده وإدامته تعني أن يقع ذلك في ظرفه المخصص له لإدامة الحج يعني أن يحج كل سنة في أيامه المعدودات وإدامة صوم رمضان يعني صوم هذا الشهر من كل سنة فمن فعل ذلك فهو مداوم على العمل وليس في عمله تراجع.

4- قد جعل الله تعالى بدائل عن هذه الطاعات المهمة ونزلها منزلتها لإشباع رغبة التواقين للكمال فجعل مثلاً صوم ثلاثة أيام في كل شهر (أول خميس وأربعاء في العشرة الوسطى وآخر خميس) تعدل صوم الشهر كله(4) فإذا التزم

ص: 451

1- الكافي: ج 4 ص 281.

2- من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 220.

3- البحار: ج 95 ص 225.

4- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من صام ثلاثة أيام من كل شهر كان كمن صام الدهر كله، لأن الله عز وجل يقول: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } الأنعام 160). دعائم الإسلام: ج 1 ص 283. وعن الصادق (عليه السلام) يقول: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصوم ... ثلاثة أيام في الشهر: الخميس في أول الشهر وأربعاء في وسط الشهر وخميس في آخر الشهر وكان يقول: ذلك صوم الدهر). الكافي: ج 4 ص 90.

بها فكأنما بقي في حالة صوم مستمر، وجعل زيارة الحسين (عليه السلام) تعدل حجة أو عمرة أو أكثر كتعويض عمّن فاته الحج، وهذا وجه لفهم الروايات 1- الواردة في فضل زيارة الحسين (عليه السلام) نستطيع به مخاطبة العقول التي لا تدرك معنى الولاية ودرجتها وقد أمرنا بمخاطبة الناس على قدر عقولهم والشاهد على هذا المعنى أن الروايات كلها تنزّل زيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أو الحسين (عليه السلام) أو الأئمة الآخرين منزلة الحج والعمرة دون العكس ومقتضى القاعدة عدم أفضلية المنزّل على المنزّل عليه.

وهنا أوصي الخطباء والمتحدثين عبر القنوات الفضائية الكتاب بالالتزام بهذه الوصية النبوية الشريفة أعني عدم تحميل الناس فوق طاقتهم وإنما التعامل معهم برفق ومدارة.

ومن البدائل الواردة عن الحج أن (صلاة الجمعة حج المساكين) (1)، وتوجد اليوم بفضل الله تبارك وتعالى صلوات الجمعة جامعة للشرائط كثيرة، بل ورد في صحيحة أبي بصير ويونس بن زبيان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (صلاة فريضة أفضل من عشرين حجة، وحجة خير من بيت مملوء من ذهب يتصدق به حتى لا يبقى منه شيء) (2).

5-إننا قلنا أن وراء هذه الأعمال حقائق وأغراض يرجع إليها العمل ويؤول إليها وتكون تلك الحقائق والآثار هي المراد من تلك الأعمال، كالأمثال التي

ص: 452

1- الوسائل: ج 7 ص 301.

2- الكافي: ج 3 ص 265، والتهذيب: ج 5 ص 21.

تضرب ويراد منها حقائقها أو تأويل الأحلام ونحوها، والمراد من الحج هو الشخصوص إلى الله تبارك وتعالى والتجرد له والتخلي عما سواه والحياة في كنفه وذكره، وباختصار فإن الحج فرار إلى الله تعالى من أسر الهوى والشهوات والتعلق بغير الله تعالى مما ذكرته الآية الشريفة «رُئِنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» (آل عمران:14) ومن الأغلال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية وغيرها التي بُعث النبي (صلى الله عليه وآله) لتحريرهم من أسرها ووضع 1- أوزارها عنهم، قال تعالى «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (الأعراف:157).

ورد في الكافي للكليني ومعاني الأخبار للشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليهما) بسندهما عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى «فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ» (الذاريات:50) قال (عليه السلام): (حجّوا إلى الله عز وجل) (1).

فيمكن للعبد إدامة الحج بإدامة آثاره وأغراضه التي شرّع من أجلها بأن يكون العبد متجرداً إلى الله تعالى لا تشغله أمور حياته- وإن اقتضت طبيعته البشرية والتزاماته الخوض فيها- عنه تبارك وتعالى.

ففي الكافي والتهذيب بالإسناد عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: (الحاج لا يزال عليه نور الحج ما لم يلم بذنوب) (2)، وهذا يعني أن الله تعالى تفضل على الحجاج بإبقائهم في حج مستمر-إذا صح التعبير- وفي رحاب بيته الآمن وإن غادروه إلى أوطانهم إلا أن يشاؤوا هم الخروج منه بار تكابهم الذنوب والعياذ بالله تعالى.

ص: 453

1- الكافي: ج 4 ص 256، ومعاني الأخبار: ص 222.

2- الكافي: ج 2 ص 255، ومن لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 225، والوسائل: ج 11 ص 98.

فعلينا أيها الإخوة والأخوات أن نحترم حجتنا ونعطيها أكبر قيمة ممكنة ونحافظ على آثارها بمراقبة النفس وأن نتذكر دائماً أننا ضيوف الرحمن ومن حجاج بيته ولا يمكن أن يكون حال الإنسان بعد الحج كحالته قبله فإذا خاض الجالسون في غيبة أو انتقاص من مؤمن أو عرضت معاملة مشبوهة أو محرمة أو مالت النفس إلى نظرة خائنة أو فعل محرّم فتذكر أيها الأخ والأخت أن كحاج وحاجة وهذا لا يناسبكما.

ص: 454

الفصل السادس عشر: الاستقامة وحسن الخاتمة

إشارة

ص: 455

الحمد لله الذي هدانا لحمده، وجعلنا من أهله، لنكون لإحسانه من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين، والحمد لله الذي حَبَّانا بدينه، واختصنا بملئته، وسَبَّلنا في سُبُل إحسانه، لنسلكها بمنه إلى رضوانه، حمداً يتقبله منا، ويرضى به عنا، وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

لنستفد من القرآن الكريم:

البعض يقرأ القرآن بلسانه طلباً للثواب الذي أفادته الروايات الكثيرة، والبعض يقرأ القرآن بعقله ليستخرج منه نظرية علمية أو يستدل به على مطلب ما، كاستدلال الأصولي بآية النفر(2) على حجية خبر الواحد، أو استدلال النحوي على بعض القواعد الإعرابية، والبعض يقرأ القرآن ليتدبر في آياته، ويشير مكنوناته ليأخذ منه علاجاً لأمرضه المعنوية، وبرنامجاً لسيره التكاملي لنيل رضا الله تعالى.

فالذي يريد أن يكون من المفلحين الفائزين بما عند الله تبارك وتعالى يجد وصفة العلاج المتضمنة لعدة فقرات في قوله تعالى في أول سورة المؤمنون: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صِدْقِهِمْ حَاسِدُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ..» إلى قوله تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (المؤمنون: 1-11).

وهكذا الآيات التي تصف عباد الرحمن أو المتقين وغيرهم.

ص: 457

1- الخطبة الأولى التي ألقاها سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) لصلاة عيد الفطر السعيد عام 1432 يوم الأربعاء الموافق 2011/8/31 م

2- يعني بها سماحة الشيخ (دام ظله) قوله تعالى: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» (التوبة: 122) والاستدلال بها مذكور في كتب أصول الفقه.

واليوم نقف عند آية مباركة تتحدث عن امتيازات جليلة ومنن عظيمة وهي قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ، نَزَّلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ» (فصلت 30-31-32) ووردت بتفصيل أقل في موضع آخر «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (الأحقاف: 13) فنحن أما مفردة قرآنية هي (الاستقامة) تتحقق بها آثار عظيمة نطقت بها آية سورة فصلت.

تتنزل عليهم الملائكة فتطمئنهم أن لا- خوف عليهم ولا- هم يحزنون، وقد قيل في الفرق بين الخوف والحزن أن الأول من الأمور القادمة والثاني من الأسى على ما مضى، فلا يخافون من القادم في القبر أو أهوال يوم القيامة أو مما يخوفونهم به في الدنيا بسبب رفضهم الانصياع لما سوى الله تعالى من طواغيت أو تقاليد اجتماعية وغيرها، ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا من أمورها الزائلة؛ لأنهم سيجدون أن الله تعالى قد عوضهم بكرمه بما هو خير وأبقى. وقيل إن ((الخوف إنما يكون من مكروه متوقع كالعذاب الذي يخافونه والحرمان من الجنة الذي يخشونه، والحزن إنما يكون من مكروه واقع وشر لازم كالسيئات التي يحزنون من اكتسابها، والخيرات التي يحزنون لفوتها عنهم، فتطيب الملائكة أنفسهم أنهم في أمن من أن يخافوا شيئاً أو يحزنوا لشيء فالذنوب مغفورة لهم والعذاب مصروف عنهم)) (1).

وتبشّرهم الملائكة بالجنة التي وُعدوا بها على لسان القرآن الكريم والناطقين به (صلوات الله عليهم أجمعين) بما تتضمن من نعم وما لا عين رأت ولا أذن سمعت خالدين فيها.

وتتولى أمورهم الملائكة بإذن الله تعالى مدير الأمور وليسوا هم البشر الضعيف الجاهل الضال العاجز عن أن يتولى أمره، وإذا تولّتها الملائكة فإنها لا تأتي إلا بالخير وترعاهم وتداريهم أكثر مما تداوي الأم الشفيقة ولدها، وتجنّبهم كل سوء، في كل المواطن التي يحتاج فيها إلى المعونة حيث لا ناصر إلا الله تعالى في صعوبات الدنيا وعند سكرات الموت وعندما يترك وحيداً في قبره وفي أهوال القيامة وعبّاتها، وتعوّضهم عما سيفقدونه من إخوان وأصدقاء وأصحاب بسبب استقامتهم على الحق وسقوط الآخرين وابتعادهم عن الاستقامة، كما نُسب إلى أبي ذر (0): (ما ترك الحق لي صديقاً) (1). لهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم بل أوسع من ذلك فلهم كل ما يتمنون من النعم المعنوية والحسّية من دون أن يطلبها، عن الإمام الباقر (عليه السلام) من حديث عن نعم الله تعالى في الجنة قال (عليه السلام) فيه: (إذا دعا وليّ الله بغذائه أتى بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمى شهوته) (2) وهكذا ما يدّعي.

وأعظم النعم التي ذكرتها الآية الكريمة لهم أنهم يحلّون ضيوفاً عند الله الغفور الرحيم معززين مكرمين مرحّباً بهم وتكون النُّزُل التي تقدّم للضيوف كما يليق بأي ضيف كريم عند الرب العظيم.

هذه المواهب الجليلة لا تُعطى للإنسان لمجرد أن يؤمن بالله تعالى بلسانه من دون استقامة على التوحيد ورفض الخضوع والانقياد لكل الآلهة المصطنعة من دونه، وأولها النفس الأمارّة بالسوء، وهذا أمر طبيعي، إذ لا يبقى للتوحيد معنى إذا لم يستقم عليه، ويلتزم بمتطلباته.

ص: 459

1- بحار الأنوار: 31/180.

2- الكافي: 8/99.

والإيمان الحقيقي يدعو إلى الاستقامة وهي من ثمراته كما يدعو إلى العمل الصالح، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن تلا الآية الشريفة المتقدمة: (وقد قلتم «رَبُّنَا اللَّهُ») فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثم لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها، فإن أهل المروق منقطع بهم عن الله يوم القيامة(1).

معنى الاستقامة:

وفي ضوء كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) يظهر أن الاستقامة تتضمن عدة معانٍ:

(أولها) الثبات وعدم الميلان والانحراف تحت ضغط الشهوة أو الخوف أو الحرص على منصب أو المجاملة أو التقليد ونحوها فيخرج عن حد الاستقامة، في حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن تلا هذه الآية قال (صلى الله عليه وآله): (قد قالها الناس - أي كلمة الإيمان - ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها)(2)، فعلامة الاستقامة عدم الزيغ والانحراف باتجاه المعصية أو التقصير في الطاعة، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) في معنى قوله تعالى: «اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» يعني أرشدنا إلى لزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلِّغ إلى جنتك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك(3).

(ثانيها) المداومة على الطاعة وعمل الخير والاستمرارية فيه؛ إذ لا يصل الإنسان إلى الهدف بمجرد وضع قدمه على الطريق الصحيح بل لا بد من الحركة الصحيحة باستمرار على الطريق الصحيح، عن علي (عليه السلام) في معنى قوله تعالى: «اهدِنَا الصِّرَاطَ

ص: 460

1- نهج البلاغة: الخطبة (176).

2- مجمع البيان في ذيل تفسير آية (30) من سورة فصلت.

3- معاني الأخبار: ص 33.

المُسْتَقِيمِ»: (يعني أدِم لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضي أيامنا، حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا)(1).

(ثالثها) الاعتدال فلا إفراط ولا تفريط، لأن كلاً منهما ابتعاد عن الاستقامة، قال تعالى: «فَأَسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (هود: 112) والطغيان هو الخروج عن حد الاعتدال.

(رابعها) الوضوح في الإيصال إلى الهدف فلا شبهات ولا شكوك ولا غموض ولا التفاف ولا حيرة أو تردد، كما أن من صفات استقامة الطريق ذلك ليتحقق المطلوب منه بشكل كامل ولا يضل السائر عليه.

(خامسها) الإخلاص، فالاستقامة لا تكون إلا إذا كانت لله تبارك وتعالى وعلى الصراط الذي أمر باتباعه، وليس لنيل غاية معينة من شهرة أو مال أو منصب أو جاه، قال تعالى: «فَأَسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ» لا كما تشتهي ولا أي نحو آخر.

صعوبة الاستقامة:

إن الوصول إلى النجاح أو القمة أيسر من الثبات عليها والمحافظة على التمسك بها، وهذا معروف لدى المتنافسين في كل المجالات وهو أمر شاق لا ينال إلا بلطف من الله تبارك وتعالى؛ لذا يظهر من الآية الشريفة أن الخطوة الأولى من العبد بأن يستقيم وحينئذٍ يستحق مزيداً من اللطف الإلهي فتنزل عليه الملائكة لتتولى أمره وتقوده إلى الخير، وتثبته على الاستقامة، قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا» (النساء: 66).

ويكون الأمر أشق حينما يكلف الإنسان بأن يأخذ بيد من معه في طريق الاستقامة، قال تعالى: «فَأَسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (هود: 112)، روى في الدر المنثور بسنده عن الحسن (عليه السلام) قال: (لما نزلت هذه

ص: 461

الآية «فَأَسَدِّ بِتَيْمٍ كَمَا أَمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ» قال (صلى الله عليه وآله): شَمَّرُوا شَمَّرُوا، فما رؤي ضاحكاً) وفي مجمع البيان في قوله تعالى «فَأَسَدِّ بِتَيْمٍ كَمَا أَمِرْتُ» ((قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية كانت أشدَّ عليه ولا أشقَّ من هذه الآية، ولذلك قال لأصحابه - حيث قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله-: (شيبتني هود والواقعة)) (1).

وأرجع البعض سبب ذلك إلى تكليفه بمن معه؛ لأن آية أخرى أمرت بالاستقامة وليس فيها هذا الذيل فلم يذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو قوله تعالى: «فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» (الشورى: 15).

فالمسؤوليات شاقة وعديدة، إذ عليه الاستقامة في كل لحظة وفي كل قول وفعل، وهو أمر شاق، وأن يكون كل ذلك خالصاً لله تعالى وهو أشق، ثم عليه أن يقوم الآخرين على هذا الطريق على اختلاف طباعهم وتباين مستوياتهم وتنوع اتجاهاتهم، وتتسع هذه المسؤولية وتزداد المشقة بسعة من كلف بقيادتهم، حتى تكون بمستوى ولاية أمر المسلمين، وبمستوى المواجهة التي نشهدها اليوم حيث برز الشرك والكفر والفسوق والظلم والاستبداد بكامل عدته وعدده.

لنحقق الاستقامة:

هذه الاستقامة على الصراط الذي ارتضاه الله تعالى وسار عليه الصالحون من عباده، علّمنا الله تبارك وتعالى أن نسأله إياها ونطلبها منه يومياً عشر مرات على الأقل في صلاتنا، لأنه متضمن لكل خصال الخير قال تعالى: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» (الفاتحة: 6)، ويعرفنا الله تبارك وتعالى بهذا الصراط ويدلنا على معالمه فيصفه بأنه: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» (الفاتحة: 7) ومن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم؟ قال

ص: 462

1- سورة الواقعة ليس فيها أمر بالاستقامة ومما قيل في وجه الاشتراك مع سورة هود أنها متشابهة في ذكر أهوال يوم الفصل وأحوال القيامة الأمر الذي يخشاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أمته لما علمه من عدم استقامة الكثير منهم على الصراط من بعده رغم أنهم أقروا بالإيمان بالله لساناً).

تعالى: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (النساء:69).

فالاستقامة تتحقق بطاعة الله تبارك وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) ومن أمر بطاعته بعده وهم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) ثم نوابهم بالحق، فاتباع القيادة الدينية الحقة ضمان للبقاء على الاستقامة على الصراط المستقيم، وفي مجمع البيان عن الرضا (عليه السلام) (أنه سئل: ما الاستقامة؟ قال: هي والله ما أنتم عليه) وفي تفسير القمي في تفسير قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» قال: ثم استقاموا على ولاية علي أمير المؤمنين)، وفي الكافي بسنده عن محمد بن مسلم قال: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» فقال أبو عبد الله (عليه السلام): استقاموا على الأئمة واحداً بعد واحد «تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ..». وفي معاني الأخبار في تفسير قوله تعالى «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» (الفاتحة:6) عن الصادق (عليه السلام) (وهي الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه بالدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم(1)).

إن الإنسان إذا استقام على طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) من بعده يتنعم في الدنيا فضلاً عن امتيازات الآخرة التي ذكرناها، قال تعالى: «وَأَلِّوْا سُبُوحًا غَلِيًّا لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» (الجن:16) في الكافي بسنده عن الباقر (عليه السلام) (في قوله تعالى «وَأَلِّوْا سُبُوحًا غَلِيًّا لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» قال: يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده (عليهم السلام) وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءً غدقاً، يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء.

ص: 463

أيها الأحبة: إن تحقق الاستقامة والثبات عليها التي نطلبها يومياً في صلاتنا -مما يعني أنها شيء يجب السعي لتحصيله- تتطلب أموراً:

1- العزم والإرادة الصادقة والشجاعة في اتخاذ القرارات والمواقف وإنجاز الأعمال المطلوبة.

2- الوعي والمعرفة والمطالعة الواسعة لروايات المعصومين (عليهم السلام) وآثار السلف الصالح لأن أي عمل لا بد أن تسبقه معرفة، وبعد العمل يكتسب معرفة جديدة.

3- الالتفات إلى موجبات الانحراف عن صراط الاستقامة مقدمة لاجتنابها وهي اتباع الشهوات والركون إلى الدنيا بزخارفها الباطلة أو الخوف من فقدان شيء أو القلق من فوات أمور، ومن موجبات الانحراف أيضاً أمور تبدو خارجة عن إرادة الإنسان، لكن مقدماتها بيده فيستطيع تجنبها بإزالة مقدماتها كالجهل والنسيان والغفلة والسهو فقد يشد الإنسان عن الصراط المستقيم لا عن عمدٍ بل جهلاً وغفلة، وبالنتيجة فقد فاته خير كثير.

ولذلك فإن الإنسان يدعو يومياً عشر مرات على الأقل في صلواته بعد طلب الهداية للصراط المستقيم أن يعصمه الله ويحميه من كلا النوعين من موجبات الانحراف عن الاستقامة، ابتداءً واستدامةً لأنه معرض في أي لحظة للزلل والانحراف والإغواء إلا أن يمدّه الله تعالى بلطفه ونوره.

مفردات عملية لتحقيق الاستقامة:

ولتحصيل الاستقامة مفردات عملية وبرامج ذكرتها الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ولو التفتنا فإن الآيات التالية لقوله تعالى: «فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ» تتضمن

مفردات أساسية لهذا البرنامج وهي عدم الركون إلى الظالمين والمحافظة على الصلاة في أوقاتها والصبر، قال تبارك وتعالى: «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ، وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» (هود: 113-115).

موعظة وتذكير:

وأورد هنا للموعظة والتذكير روايتين تتضمنان وصفيتين مهمتين لتطهير القلب وتهذيب النفس لمن أراد الكمال على طريق تحقيق الاستقامة.

(الأولى): رواية صحيحة رواها الثقات في كتبهم جميعاً كالكليني والصدوق والشيخ الطوسي (قدس الله أسرارهم والبرقي في المحاسن عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها، ثم قال: اللهم أعنه، أما الأولى: فالصدق لا يخرجن من فيك كذبة أبداً، والثانية: الورع لا تجترين على خيانة أبداً، والثالثة: الخوف من الله كأنك تراه، والرابعة: كثرة البكاء من خشية الله عز وجل يبني لك بكل دمة بيت في الجنة، والخامسة: بذل مالك ودمك دون دينك، والسادسة: الأخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقتي، أما الصلاة فالخمسون ركعة، وأما الصوم فثلاثة أيام في كل شهر خميس في أوله، وأربعاء في وسطه، وخميس في آخره، وأما الصدقة فجهدك حتى يقال: أسرفت ولم تسرف، وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الزوال، وعليك بقراءة القرآن على كل حال، وعليك برفع يديك في الصلاة، وتقليبهما، عليك بالسواك عند كل وضوء وصلاة، عليك بمحاسن الأخلاق فاركبها، عليك بمساوي الأخلاق فاجتنبها، فإن لم تفعل فلا تلومن إلا نفسك(1).

ص: 465

1- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس وما يناسبه، باب 4، ح.2.

(الثانية) وصية الإمام الصادق (عليه السلام) لعنوان البصري وكان شيخاً كبيراً حضر عند مالك بن أنس ثم هداه الله إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وجاء في الرواية (ثم قال (عليه السلام): ما مسألتك؟ فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك علي ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته، فقال: يا أبا عبد الله (وهي كنية عنوان البصري أيضاً) ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك. قلت: يا شريف فقال: قل يا أبا عبد الله، قلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟ قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما حوَّله الله ملكاً، لأن العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما حوَّله الله تعالى ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المرء والمباهاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا، وإبليس، والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزاً وعلواً، ولا يدع أيامه باطلاً، فهذا أول درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ». قلت: يا أبا عبد الله أوصني، قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله، ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها، قال عنوان: ففرغت قلبي له. فقال: أما اللواتي في الرياضة: فإياك أن تأكل ما لا تشتهيهِ (1) فإنه يورث الحماسة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً وسم الله، واذكر حديث الرسول (صلى الله عليه

ص: 466

1- أي لا تأكل شيئاً قبل أن تجوع فتشتهي.

وآله): ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشرًا فقل: إن قلت عشرًا لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك، ومن وعدك بالخنى (1) فعدده بالنصيحة والرعاء.

وأما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنتاً و تجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً، واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً.

قم عني يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تقسد علي ورتدي، فإني امرؤ ضنين بنفسي (2).

ص: 467

1- الخنى: الفحش في الكلام.

2- بحار الأنوار: 1/224.

أعمال تكون كالقشة التي تقصم ظهر الجمل(1)

لنتعظ بغيرنا:

وصفت الأحاديث الشريفة المؤمن بأنه (كيس فطن)(2)

ومن كياسته ما ورد في أحاديث أخرى أن (الكيس من اتعظ بغيره)، وهذا الغير الذي دعينا للاتعاظ به قد يكونون أشخاصاً وقد تكون حالات أو مواقف أو مشاهد.

ومن تلك الحالات ما نراه في السوق عندما يشتري أحد وزناً معيناً من الدقيق أو السكر فإن كيلة كبيرة منهما يغترفها البائع المحترف لا تنزل الميزان بالوزن المطلوب لكن حبات يضعها البائع في الكفة يقطرها بعد ذلك تنزل بها كفة الميزان، محل الشاهد أن نأخذ من هذه الأمثال درساً، وهو أن الإنسان قد تصدر منه معاصي فيمهله الله تبارك وتعالى ويحلم عنه بطول أناته في غضبه (الحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي)(3) بل يواصل نعمه عليه والعبد يجازيها بالمعصية ويسود صحائف أعماله بها ثم يصدر منه فعل قد لا يراه من الكبائر إلا انه يقع بعين المقت والغضب من الله تبارك وتعالى فتنزل عليه العقوبة الإلهية والعياذ بالله، ويكون هذا الفعل كما قيل في المثل (القشة التي قصمت ظهر الجمل)(4).

ص: 468

1- من حديث سماحة المرجع اليعقوبي في ملتقى مرشدي قوافل الحجيج الذي يعقده في مكتبته سنوياً يوم الخميس 7/ذ.ق/1432 المصادف 2011/10/6 ومن حديث سماحته مع طلبة جامعة الصدر الدينية فرع الكوت ومعهد الإمام الجواد (عليه السلام) للعلوم الدينية في الصويرة يوم السبت 9/ذ.ق.

2- البحار: ج 64 ص 307.

3- مصباح المتعجب: ص 582.

4- وهو مثل متداول ولا يختص باللغة العربية، فقد وجدت على النت نصاً له باللغة الإنكليزية. وقيل في أصله أن رجلاً حمل بعيراً أثقالاً أضعاف الاعتيادية فنهاه الناس عن ذلك رفقاً بالحيوان لكن استمر وفي النهاية وضع باقة من قش فوق الأحمال فسقط الجمل. ويضرب المثل للحالات التي يحصل فيها الانهيار بسبب أمر يُعدُّ بسيطاً ولا يمكن أن يتسبب في هذه النتيجة، لكنه أدى إليه باعتباره حصل على خلفية تراكمات سابقة أوصلت الحالة إلى حافة الانهيار فجاء الأمر البسيط لينهي كل شيء.

هذا في جانب السيئات، والأمر كذلك في جانب الحسنات، فإن الإنسان قد يقوم بطاعات يحصل عليها ثواب لكنها لا تجعله من أهل رضا الله تبارك وتعالى ورضوانه (ورضوان من الله أكبر)، وهذه مراتب عالية في الجنان أسمى من جنة الحور العين ولحم طير مما يشتهون ومن امتيازاتها أن صاحبها يحاسب حساباً يسيراً، لأن أهل رضا الله تبارك وتعالى كالتالي كالتالي الذي يُعفى من الامتحانات النهائية بعد أن حصل بجهده على درجة الإعفاء، وكالتالي الذي عُرف بنيله الدرجات الكاملة في الامتحانات فإن المدرّس لا يدقق في ورقته الامتحانية وبمجرد أن يرى اسمه يوضع علامة الإجابة الصحيحة على كل أجوبته من دون أن يقرأها لأنه يعلم أن الطالب أهل لهذه الدرجة حتى لو وقعت في أجوبته أخطاء فإنه لا يحاسبه عليها لأنها لا تضرّ بمستواه العام وإنما وقعت لظروف خاصة.

استثمار فرص الطاعة:

ولذا ورد عن الله تعالى كما في الحديث الشريف أنه: (أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئاً من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم) (1) فمع أن جملة من الأعمال هي من الطاعات التي يؤجر عليها الإنسان لكنه لا يعلم أي عمل منها الذي

ص: 469

يحقق رضا الله تبارك وتعالى، ومع أن جملة من الأعمال هي معاصي يعاقب عليها الإنسان إلا أنه لا يعلم أي منها الذي يوجب المقت والسخط والعياذ بالله.

وأذكر لكم مورداً لكل منهما مستفاداً من الروايات الشريفة، فمن موجبات الرضا كفالة اليتيم المادي والمعنوي كما شرحناه في إحدى خطب الزيارات الفاطمية، ومما ورد فيه قول النبي (صلى الله عليه وآله): (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا أتقى الله عز وجل) (1).

وأشار بالمسبحة والوسطى. أو ما ورد في إدخال السرور على المؤمن ونحوها من الأفعال البسيطة.

من موجبات المقت الإلهي:

ومن موجبات المقت والطرده أمر يستسهل فعله الكثير من المتدينين ولكن ورد فيه ما لم يرد حتى في الكبائر، وهو تسقيط المؤمنين ففي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان) (2).

الاستدراج الإلهي:

لذا على الإنسان الذي يعرف قيمة نفسه أن لا يقصّر في استثمار فرص الطاعة مهما اعتقد بضآلتها فلعل ذلك العمل يكون موجباً لتحصيل الرضا الإلهي، وأن لا يستخف بمعصية فلعلها تكون موجبة للغضب الإلهي والعياذ بالله ولا يغتره توالي النعم عليه فيظن أن له حظوة عند الله تبارك وتعالى، بل عليه أن يخشى من ذلك إذ ربما كان من المستدرجين إلى الهلاك بهذه النعم، فمن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة قوله: (إنه من

ص: 470

1- تفسير نور الثقلين: 587/5.

2- أصول الكافي، ج 2، باب الرواية على المؤمن، ج 1.

وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرِ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفًا(1) وروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه، وكم من مستدرج يستر الله عليه، وكم من مفتون بثناء الناس عليه)(2) وورد عنه (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) (الأعراف: 182-183) قوله (عليه السلام) (هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه، تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب)(3) وفي كتاب الكافي ورد عنه (عليه السلام) قوله (إن الله إذا أراد بعد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد الله بعد شراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادي بها، وهو قوله عز وجل (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) (الأعراف/182) بالنعم عند المعاصي)(4).

فتواتر النعم من مواطن الحذر من الاستدراج الإلهي نحو المقت والسخط، ومن مواطنه أيضاً غفلة الإنسان ووقوعه في المعاصي بعد مواسم الطاعة وتمتعه بنعم الرحمن وموائده المعنوية، فهذا الذي يحصل في عيد الفطر بعد مائدة شهر رمضان المعنوية، أو ما يحصل في عيد الأضحى بعد يوم عرفة وأيام ذي الحجة المباركات، أو يقضي الإنسان صلاة الجماعة في المسجد ولا يقدر هذه النعمة المعنوية وغيرها فهذه كلها من مواطن الحذر والخشية، ويطبق بعضهم على هذه الموارد قوله تعالى في طلب حواربي المسيح عيسى (عليه السلام) مائدة من السماء { قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ } (المائدة: 114-115).

ص: 471

1- نهج البلاغة: الحكمة: 358.

2- الكافي: ج 2 ص 452.

3- الكافي: ج 2 ص 452.

4- راجع هذه الأحاديث مع مصادرها في تفسير الأمل: 4/587.

وموائد النعم المعنوية أولى من الموائد المادية في ترتيب هذه الآثار القاسية والعياذ بالله تعالى.

معنى الطاعة الموجبة للرضا:

وينبغي الالتفات أيضاً إلى أن المقصود بالطاعة الموجبة للرضا الإلهي ما يشمل اجتناب المحرّم، كالذي ورد في غض البصر عن المرأة الأجنبية، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها لله عز وجل لا لغيره أعقبه الله آمناً وإيماناً يجد طعمه)(1)، وعنه (عليه السلام) قال (من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غض بصره لم يرتد إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين)(2).

معنى المعصية الموجبة للغضب الإلهي:

وكذا تشمل المعصية الموجبة للغضب الإلهي ترك الطاعة والتقصير فيها، كالذي ورد في التقاعس عن قضاء حاجة المؤمن، وقد وردت في ذلك عدة روايات منها قول الإمام الكاظم (عليه السلام) (من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً)(3).

وانتم بفضل الله تبارك وتعالى بين يديكم فرص عظيمة لنيل رضا الله تبارك وتعالى، فكثير منكم من الشباب المتفقهين الرساليين فعندكم فرصة كفالة أيتام آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) بالموعظة والارشاد والتوجيه والتعليم الأحكام، وعندكم فرصة إدخال

ص: 472

1- وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته وآدابه، باب 104، ح 5، 9.

2- السابق: ح 9.

3- وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف، أبواب فعل المعروف، باب 25، ح 9.

السرور عليهم وقضاء حوائجهم، وقد اختاركم الله تبارك وتعالى لحمل هذه الأمانة فاستثمروا هذه الفرص، كل منكم بحسب موقعه وساحة عمله. والله الموفق.

ص: 473

أيها الشباب الرسالي اثبتوا على الخير فإن الأمور بخواتيمها(1)

لطف الله تعالى بالشباب:

في الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن الله تعالى يباهي بالشباب العابد الملائكة، يقول: أنظروا إلى عبدي! ترك شهوته من أجلي)(2). فمن حقنا أن نفخر بكم أيها الشباب الرساليون، إذا كان الله تعالى يفخر بكم ويباهي بكم ملائكته، لأن الملائكة مجبولون على الطاعة وخلقوا مفسورين عليها ويتحركون نحوها تلقائياً، أما انتم فقد خلق فيكم نوازع الخير والشرو وجودكم محاط بالشهوات الجاذبة والأهواء الصارفة، فحينما تنجحون في هذا الصراع المرير والدقيق والمستمر الذي لا هوادة فيه فأنكم أفضل من الملائكة بالتأكيد وأعلى منهم منزلة.

وما كان لذلك أن يتحقق لولا لطف الله تبارك تعالى وحسن توفيقه إذ وفر لكم أسباب الهداية وأولها أن قدر لكم أن تخلقوا في هذا المجتمع المؤمن الموالي لأهل البيت وبذلك فقد اختصر عليكم المسافة للوصول إلى الهداية، فتصوروا لو أن أحدكم ولد في بعض المجتمعات المنهمكة في الحيوانية والبعيدة عن الإسلام في أمريكا أو في مجاهل أفريقيا فما هو احتمال هدايتكم إلى هذا الخير الذي انتم فيه.

شواهد عن الثبات في الطريق الإلهي:

ص: 474

-
- 1- من حديث سماحة الشيخ العنقوبي (دام ظلّه) مع وفد رابطة الطالب الرسالي في الناصرية يوم الخميس 27/جمادى الثاني/1428 هـ المصادف 2007/7/12.
 - 2- كنز العمال: 43057.

والمهم يا أحبتي أن تثبتوا على هذا الخير وتعصّوا عليه بالنواجذ فإن الأمور بخواتيمها كما ورد في الحديث الشريف، واذكر لكم شاهدين على الحديث

أولهما: الزبير بن العوام ابن عمّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ابن أخ خديجة الكبرى ومن السابقين للإسلام في أوائل الدعوة الإسلامية في مكة حيث تحمّل أذى قريش ثم هاجر إلى المدينة وشارك في بدر وأبلى بلاء حسناً وله في معركة الخندق موقف جليل حين انبرى إلى الفارس من قريش الذي وقع في الخندق حينما حاول مع عمرو بن عبد ود العامري عبوره وطلب من ييارزه في الخندق فنزل إليه الزبير وقتله.

ثم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من المدافعين عن بيت علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) حتى كسر سيفه، وكان من الستة أهل الشورى وأعطى صوته لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، هذا التاريخ المشرف الذي لا يرقى إليه الكثيرون انهار حين بايعت الأمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وانصرفت عنه الخلافة التي كان يحلم أن تصير إليه بعد مقتل الخليفة الثالث، حيث كان يحرض هو وزميلاه علي الخليفة، وقد أفسدت الدنيا التي انفتحت على المسلمين قلوب الكثير من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (حب الدنيا رأس كل خطيئة)⁽¹⁾ حتى ترك أحدهم من الذهب ما يكسر بالفؤوس.

الزبير صاحب هذا التاريخ وهذه المواقف الجليلة يقود حرباً على أمير المؤمنين الإمام الحق والزبير يعرفه أكثر من غيره، وأزهقت أرواح الآلاف من المسلمين، وذكّره أمير المؤمنين بكلمات سمعها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق أمير المؤمنين فرجع عن القتال ولكن بعد أن أنشبت المنية أظفارها، ثم اغتيل من قبل أحد الجنود في

ص: 475

جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) ولما جاءه قاتله بسيفه قبله أمير المؤمنين وقال: سيف طالما كشف الكرب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال (عليه السلام) لقاتله: بشر قاتل ابن صفية - وهو الزبير - بالنار(1).

ثانيهما: الحر الرياحي الذي كان من كبار قادة جيش الأمويين وأرسله عبيد الله بن زياد على رأس ألف مقاتل حينما علم بتوجه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة ليأتي به أسيراً، وحصل ما حصل بينه وبين الإمام الحسين (عليه السلام) في الطريق حتى صار القرار أن يتخذ الإمام طريقاً لا يرجعه إلى المدينة ولا يذهب به إلى الكوفة فسار باتجاه كربلاء ووقعت الواقعة.

لكن الحر هذا حينما اصطف الجيشان للقتال يوم عاشوراء أدركته ألطف الهداية فحكّم عقله في الموقف الذي يتخذه وكانت لحظات عصبية ومهولة فأخذ يرتعد وقال له زميله: لو سئلت من أشجع من في المصر لما عدوتك فما هذا الخوف ، قال الحر: ويلك إنني أخير نفسي بين الجنة والنار ولا أختار على الجنة شيئاً والتحق بصف الإمام الحسين خجلاً معتذراً عمّا سبق منه، ولما استشهد قال له الإمام (عليه السلام): حرّ كما سمّتك أمك حرّ، حرّ في الدنيا والآخرة وسعيد في الآخرة(2). هذان مثالان لفريقين من الناس فكونوا ممن لا يختار على الجنة شيئاً ولا يكون ذلك إلا بأن تعملوا العمل الذي يؤدي بكم إليها وتثبتوا عليه «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ

ص: 476

1- انساب الأشراف للبلاذري: ج 9 ص 430.

2- انظر: تاريخ الطبري: ج 5 ص 400، وأنساب الأشراف: ج 3 ص 380، والكامل في التاريخ: ج 2 ص 551، ومقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج 1 ص 299.

وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَكْرُورًا ، كَلَّا تَمُدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا» (الإسراء 18-20).

نموذج معاصر ممن فشل في الثبات:

تناقلت وسائل الإعلام صور الكارثة التي حلت بالأطفال شديدي العوق في دار الحنان في بغداد(1)، وبدلاً من أن يعلن وزير العمل والشؤون الاجتماعية مسؤوليته الأدبية والأخلاقية عن الكارثة ويستقيل حفظاً لكرامته وتسعى الجهات المختصة لمحاسبة المقصرين، يظهر السيد الوزير المدعوم من قبل المرجعية والذي ينتمي إلى أسرة علمية جلييلة في النجف الأشرف على وسائل الإعلام ويندد بالمعرضين الذين اظهروا الحالة على وسائل الإعلام، وأنه سيقاضي القوات الأمريكية والعراقية التي داهمت المقر بتهمة الإساءة إلى سمعة وزارته، علماً بأن هذه القوات لم تفعل ذلك إلا بعد أن استنجد ذوو الأطفال بها لأنهم قدّموا بلاغات إلى كل الجهات المعنية في الوزارة على مدى عدة أشهر لإيقاف الانتهاكات في الدار ولم يجدوا أذناً صاغية.

هذا نموذج من كثيرين من المتصددين للعملية السياسية الذين يتشدقون بتاريخ طويل من الجهاد والنضال ضد الدكتاتورية وأنهم انتموا إلى الحركة الإسلامية منذ عشرات السنين وتراهم يسقطون بسبب حب الدنيا في بئر عميقة من الظلم وسرقة أموال الشعب واللامبالاة والانغماس في الأنانية وترك الشعب يحترق والبلد يُدمّر ، فما قيمة ذلك التاريخ وماذا سينفعهم؟

ص: 477

1- داهمت القوات الأمريكية هذه الدار بعد وصول شكوى إليهم من ذوي الأطفال النزلاء فيها وعجز الجهات المختصة عن اتخاذ الإجراءات المناسبة وكشفت القوات الأمريكية عن إهمال الإدارة للأطفال ورميهم مربوطين على الأرض وعراة والتعامل معهم بقسوة وحرمانهم مما يخصّص لهم من أغذية وألبسة وفُرش، وكانت المشاهد التي عرضتها القنوات مؤلمة وقاسية.

أيها الشباب الأحيّة الأتقياء كلكم قادرون على أن تنخرطوا في تيارات وجهات تحقق لكم الثروة والتسلط على رقاب الناس، ولكنكم زهدتم فيها وآثرتم التمسك بمنهج الهدى والصلاح فطوبى لكم وحسن مأب وحقاً إن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة ونحن نتقرب إلى الله تعالى بمحبتكم ومواددكم والسعي الحثيث لخدمتكم بما نستطيع والله ولي التوفيق.

الفصل السابع عشر: أأبو الله تعالى وحبوه وحببوا إليه

أشارة

ص: 479

أحبوا الله تعالى وحببوهو تحببوا إليه

أحبوا الله تعالى وحببوهو تحببوا إليه(1)

الحمد لله

كما هو أهله وكما يستحقه حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأكملهم أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

حببوا الله تعالى للناس:

ورد في حديث نبوي شريف أنه توجد فئة من الناس لهم مقام رفيع يوم القيامة يغطهم عليه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وتشرأب أعناق طالبي الكمال إزاء مثل هذه الأحاديث ويقبلون عليها بكلهم، والحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة: الذين يحبون الله ويحببونه إلى خلقه يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبهم الله)(2).

فمن الغريب أنك تجد بعض الناس يتحمس في الدعوة إلى محبة حزبه أو فريقه الرياضي الذي يشجعه، أو الشخص الذي يعجبه، ويغفل عن الدعوة إلى محبة خالقه الكريم ويزهد في هذا المنزلة الرفيعة وهي منزلة قد لا يبدو من الصعب وصول الإنسان إليها بلطف الله تبارك وتعالى وتوفيقه إذ ليس عليه إلا أن يحبب الله تعالى إلى مخلوقاته.

يأمر الله تعالى النخبة من عبادة ليكونوا من الدعوة إلى محبة الله تعالى، ففي حديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام): أحببني وحببني إلى خلقي، قال موسى: يا رب إنك لتعلم أنه ليس أحد أحب إلي منك فكيف لي

ص: 481

1- خطبة سماحة آية الله الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في صلاة عيد الأضحى سنة 1430 التي أقيمت بتاريخ 2009/11/28.

2- مجمع الزوائد للهيثمى: 1/126.

بقلوب العباد؟ فأوحى الله إليه: فذكّرهم نعمتي وآلآئي فإنهم لا يذكرون مني إلا خيراً(1)، وورد مثله(2) عن النبي داود (عليه السلام).

كيف تحب الله تعالى؟

وهذا الحديث يبين طريقاً لتحبيب الله تعالى إلى خلقه بتذكيرهم بنعمه التي لا تُعدّ ولا تحصى، ولا تحتاج معرفتها إلى مؤونة كبيرة، وليقم الإنسان بمراجعة لنفسه وحاله ليعرف سعة النعم، فمثلاً إذا جلس على الطعام ورأى أنواع المواد الداخلة في إعداده، وكم بُذل عليها من جهود لتصل إليه بهذا الشكل، ولننظر في الخبز الذي هو طعام مشترك لكل الناس كيف تعب الزّراع لإنتاج حبات القمح ثم طحنت وعُجنت وخبزت، وكل مرحلة من هذه المراحل يقوم عليها عمال ومكائن ولوازم أخرى كالوقود والماء وغيرها، فإذا تأمل الإنسان في هذه المنظومة الواسعة من النعم التي تشترك لتقدم له رغيف الخبز، أحبّ الإنسان خالقه الذي هَيّأ له كل هذه الأسباب وذلل له كل الصعوبات، وإذا تأمل في الأنواع الأخرى من طعامه وشرابه فإنه سيعجز عن إدراكها فضلاً عن استقصائها. لذلك حكى عن البعض أنه كان يبكي حينما يقَدّم له الطعام لما يراه من أعظم النعم.

وهذا لا يعني اقتصار النعم على المطعم والمشرب، ومن ظن ذلك فهو جاهل، فإن لله تبارك وتعالى على عبده نعماً لا تحصى على رأسها الإيمان بالله تعالى وتوحيده ونعمة الإسلام وولاية النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وقد تضمن دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفه جملة من تلك النعم من قبل خروجنا إلى هذه الدنيا، ولو تعرّف الإنسان على عجائب بدنه لرأى عجباً. في أمالي الشيخ الطوسي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (من لم يعلم فضل الله عليه إلا في مطعمه

ص: 482

1- بحار الأنوار: 13/351.

2- بحار الأنوار: 14/38.

ومشربه فقد قصر علمه ودنا عذابه(1) فإذا علم الإنسان بعض مأنعم عليه ربه وهى لا تعد ولا تحصى - أحبه، لأن الإنسان مجبول فطرياً على حب من أحسن إليه، ولو أن شخصاً قرأ لآخر واحدة من نعم الله كالحياة بانقاده من غرق أو موت محقق أو قرأ له نعمة البصر أو السمع أو الطعام لأحبه وكان مديناً له طول حياته بذلك الإحسان. فكيف لا يحب الله تعالى الذي قرأ له كل هذه النعم.

ومن الوسائل الأخرى لتحيب الله تعالى إلى خلقه بيان صفاته الحسنى وتعريفه إلى خلقه بما هو أهله من الكمال فإن الإنسان ينجذب فطرياً إلى الجمال والكمال، وذلك يتطلب معرفة فإنه لا حب إلا بمعرفة، فنحن لم نر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والحسن والحسين والأئمة المعصومين والأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) ولم نعايشهم ولكنهم وُصفوا لنا بمحاسن الأخلاق واطلعنا على سيرتهم الكريمة وسمو ذواتهم ومواقفهم النبيلة فأحببناهم، أما الجاهل بهم فإنه لا يعرفهم حتى يحبهم، وهكذا العلماء من السلف الصالح (قدس الله أرواحهم) فإن العامي الذي لا يعرف قيمة إنجازاتهم العظيمة يكون حبه هامشياً مجملاً، أما العلماء الذين وقفوا على مؤلفاتهم وسبروا أغوار علومهم وعلموا قوة ملكاتهم والجهود المضنية التي بذلوها فإنهم يحملون لهم كل الحب والإجلال والتعظيم.

وهكذا إذا تعرّف الإنسان على الصفات الحسنى لخالقه أحبه، فمثلاً إذا عرف سعة عفو عن المذنبين وقرأ قوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (الزمر: 53) وقرأ بعض الروايات في ذلك كقول الإمام الكاظم (عليه السلام) في الشاب الذي قتل مائة بريء وكان يائساً من عفو الله عنه فقال (عليه السلام): (إن يأسه من رحمة الله أعظم من قتله مائة نفس محرمة).

أو عرف سعة رحمة الله تبارك وتعالى بعباده وأنه تعالى ورّع جزءاً من مائة جزء من

ص: 483

رحمته على مخلوقاته فيها تتراحم)، تصوروا أن رحمة الأمهات والآباء بأبنائهم لدى الإنسان والحيوان والمشاعر النبيلة التي تتدفق عند رؤية مبتلى أو عاجز أو ذوي عاهة، تشكّل هذه كلها جزء من مائة جزء من رحمة الله تعالى التي لا حدود لها، والقصص في رحمة الله تعالى وتدييره لأمر خلقه ورعايتهم عجيبة.

أو عرف كيف أن الله يستر على المذنبين والخاطئين ويحفظ كرامتهم ويصون سمعتهم بين الناس كقصة السيد بحر العلوم (قدس سره) الذي أمره الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء) بأن يزور رجلاً عادياً من عامة الناس ويشره بعلو منزلته لخصلة أحبها الله تعالى فيه وهي أنه لما تزوج امرأة لم يجدها باكراً فطلبت منه الستر عليها وعدم فضحها فاستجاب لطلبها قربة إلى الله تعالى.

أقول: إذا تعرف الإنسان على مثل هذه الصفات لخالقه أحبه قطعاً.

ومما يحبب الله تعالى إلى عباده التعرف على سيرة أنبيائه ورسله وأوصيائهم المنتجبين وسمو أخلاقهم وطهارة نفوسهم، فإن رباً يكون رسله وسفراؤه إلى خلقه مثل نبينا الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويكون أوليائه مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام) لجدير بأن يستأثر بحب عباده، لأنهم يعكسون صورة عن صفات ربهم. وكمثال على ذلك أن بعض الناس يحبون مرجعية ما يقلدون لها لأن وكيلها ومعتمداً عندهم حسن السيرة محبوب عندهم.

حب الله تعالى:

ولا بد للإنسان قبل أن يحبب الله تعالى إلى خلقه أن ينطوي قلبه على حب الله تعالى، ويظهر من الآيات الكريمة والروايات الشريفة أن هذا الحب علامة الإيمان، بل لا يؤثر عليه حب غيره، قال تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَحْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (التوبة: 24) وقال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ» (البقرة: 165) وقال تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» (المائدة: 54).

وروي أنه سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما)(1) وفي حديث آخر (لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين). ويحصل الحب لله تبارك وتعالى بعد تحقق مقدمتين، كلما قويتا قوي الحب وكُمُل:

الأولى: تطهير القلب من حب الدنيا وتهيئته بتفريغها لحب الله تعالى، فإن القلوب أوعية لا تستوعب أمراً ما حتى تخلبها من غيره، قال تعالى: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» (الأحزاب: 4) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن كنتم تحبون الله فأخرجوا من قلوبكم حب الدنيا) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله تعالى) ولذا وردت الوصية فيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله).

وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيت بين أبيه يغذونه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون)(2).

الثانية: المعرفة بالله تعالى، فإنه لا حب إلا بعد المعرفة، ولا يحب الإنسان شيئاً يجهله؛ ويكرر القرآن الكريم كثيراً الأمر بالتدبر والتأمل والتفكير في آيات الله للوصول إلى المعرفة، قال تعالى: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (فصلت: 53).

وتفاوت الناس في حبهم لله تبارك وتعالى بمقدار تفاوتهم في هاتين المقدمتين، وتبعاً

ص: 485

1- الحديث والذي يليه تجده في مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر): 1/223.

2- المحجة البيضاء، كتاب مقامات القلب: 114.

لذلك تتفاوت درجاتهم عند الله تبارك وتعالى.

آثار حب الإنسان لله تعالى وعلاماته:

إذا كان الحب صادقاً فإن آثاره ستظهر على سلوك الإنسان وعلاقته بالآخرين، فهذه الآثار تكون علامات على صدق الحب، ومن دون تحققها يكون ادعاء الحب وهمياً:

1- طاعة المحبوب والقيام بكل ما يقربه من محبوبه ويطبق ما يكسبه رضاه ويجتنب ما يسخطه، ففي الحديث: (قال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا رسول الله علّمني شيئاً إذا أنا فعلته أحبني الله من السماء وأحبني الناس من الأرض، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) له: ارغب فيما عند الله عز وجل يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس(1) قال الله تبارك وتعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (آل عمران: 31)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (مأحب الله عز وجل من عصاه، ثم تمثّل فقال:

تعصي الإله وأنت تُظهرُ حبه *** هذا لعمرى في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته *** إن المحب لمن أحب مطيع

(2)

ولا يجتنب المحرمات فقط بل يترك المكروهات لأن الله تعالى لا يحبها.

2- إدامة ذكر الله تبارك وتعالى، فإن المحب لا يغفل عن ذكر حبيبه ومن أحب

ص: 486

1- بحار الأنوار: 70/5 عن ثواب الأعمال والخصال.

2- بحار الأنوار: 70/15 عن أمالي الصدوق.

شيئاً أكثر ذكره بلسانه أو بقلبه وعقله وأحبّ ذكر الله تعالى، عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (علامة حب الله تعالى حب ذكر الله، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله تعالى)(1)، ودوام ذكر الله تعالى حصن الإنسان من الوقوع فيما يسخط الله تعالى ويبعد منه ومفتاح الارتقاء في الكمالات وسبب لذكر الله تعالى إياه «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» (البقرة: 152).

3- إيثار محبة الله على ما يحبه العبد، فإذا خُيّر بين أمرين اختار أرضاهما لله تبارك وتعالى وإن كان على خلاف هواه وما تشتهيئه نفسه، لأن المحب يؤثر رضا محبوبه على رضا نفسه ففي البحار عن الإمام الصادق (عليه السلام): (دليل الحب، إيثار المحبوب على من سواه).

4- إنه سيحب كل ما يرتبط بمحبوبه فيحب الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) لأنهم مبعوثون من الله تبارك وتعالى، ويحب الأئمة والأوصياء (عليهم السلام) لأنهم منتجبون من الله تبارك وتعالى، ويحب القرآن لأنه رسالة ربه إلى عباده، عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس وهم مجتمعون عنده: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لله عز وجل وأحبوا قرابتي لي)(2) ويحب العلماء 1- والفقهاء لأنهم يهدونه إلى الله تبارك وتعالى، ويحب الشعائر والمشاعر المقدسة لأنها تذكّره بالله تعالى، ويحب المؤمنين لأنهم أهل طاعة الله تعالى، عن الإمام الباقر (عليه السلام): (إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك فإن كان يحب أهل طاعة الله عز وجل ويبغض أهل معصيته ففبك خير والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب).

ص: 487

1- ميزان الحكمة: 1/510.

2- بحار الأنوار: 70/16 عن علل الشرائع والأمالى للصدوق.

5- وإذا أحبَّ العبدُ ربَّه نشطت الأعضاء للعبادة ولم يستثقلها واستزاد منها فلم يقتصر على الواجبات، بل يكثر من المستحبات لأنها محبوبة عند الله تعالى، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (كان فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران (عليه السلام) أن قال: يا بن عمران كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه، هذا أنا ذا يا بن عمران مطلع على أحبائي إذا جئهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور، يا بن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع في ظلم الليل وادعني فإنك تجدني قريباً مجيئاً) (1).

6- ومن علامات حب الله تعالى أن العبد لا يكره الموت قال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (الجمعة: 6) في الرد على زعمهم «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ» (المائدة: 18)، وكيف يكرهه وبه ينتقل الإنسان من سجن الدنيا إلى حظيرة القدس ولقاء ربه وأوليائه ((وإذا علم أنه لا وصول إلى هذا اللقاء إلا بالارتحال عن الدنيا بالموت، فينبغي أن يكون محباً للموت غير فارٍ منه، فالمحِب لا يتقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته. والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)) (2).

نعم قد يحب الإنسان البقاء في الدنيا للاستزادة من طاعة الله تبارك وتعالى ونيل رضاه وهذا لا ينافي الحب ((وفي الخبر المشهور أن إبراهيم (عليه السلام)

ص: 488

1- بحار الأنوار: 70/14 عن أمالي الصدوق.

2- المحجة البيضاء للفيض الكاشاني، كتاب مقامات القلب.

قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميّت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه، فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض!!(1).

7- ومن علامات حب الله تعالى وآثاره أنه يسعى للاتصاف بصفاته الحسنی، فالمحب يتمثل في حياته كل حركات وسكنات بل رغبات محبوبه، كما نجد من يحب عالماً أو بطلاً فيقلّده في ملبسه ومشيته ومطعمه وحركاته ونحوها، فالعبد إذا أحب ربه اتصف بصفاته الحسنی.

8- ومن علامات حبّ الله تعالى حبّ عباده ومخلوقاته والرحمة بهم والشفقة عليهم لأنهم من صنع ربه وإبداعه ولأنهم رعاياه فيسعى لإسعادهم وقضاء حوائجهم وتفريج كربهم ورفع الظلم عنهم. فالذي يقابل حاجة الناس ومعاناتهم بقسوة قلب وعدم اكتراث لا يحلّ في قلبه حبّ الله تعالى.

9- ومن علامات حب الله تعالى الرضا بقضائه والتسليم لأمره روي (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرّ بقوم فقال لهم: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون. فقال: ما علامة إيمانكم؟ قالوا: نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): مؤمنون برب الكعبة(2) وقال أيضاً: (إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم حساباً؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فيقولون: هل جزتم على الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فيقولون لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: من أمة 1- من أنتم؟ فيقولون: من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيقولون: نشدناكم الله حدثونا ما

ص: 489

1- مجموعة ورام: 1/223.

2- مجموعة ورام: 1/229.

كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضلته ورحمته، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا(1).

10- وأن يكون الحب ممزوجاً بالخوف من الإعراض أو الإبعاد أو أن يستبدل به غيره، يروى أن الإمام (عليه السلام) إذا أحرم وليي وقال: (ليك اللهم ليك) كانت ترتعد فرائضه ويقول: أخشى أن يجيئني الله تبارك وتعالى: لا ليك). وقد يكون الخوف من التوقف وعدم التوفيق لمزيد القرب من الله تعالى فيكون من أهل الحديث: (من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون)(2).

جزاء من يحب الله تبارك وتعالى:

1- إذا أحب العبد ربه أحبه وقربه منه وأدخله جنته قال تعالى: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده)(3) ويشرح الحديث الآخر كيفية معرفة ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله منه عند الذنوب كذلك منزلته عند الله تبارك وتعالى)، وفي حديث آخر عن علي (عليه السلام) قال: (من أحب أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلته عنده فإن كل من خيّر له أمران أمر الدنيا وأمر الآخرة فاختار أمر الآخرة على الدنيا فذلك الذي يحب الله ومن اختار الدنيا فذلك الذي لا منزلة لله عنده)(4).

ص: 490

1- مجموعة ورام: 1/230.

2- معاني الأخبار للصدوق: 242.

3- الحديث وما بعده في بحار الأنوار: 70/18 عن معاني الأخبار والخصال.

4- بحار الأنوار: 70/26.

وروي في أخبار داود (عليه السلام) (يا داود أبلغ أهل أرضي أنني حبيب من أحبني، ما أحبني أحد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلا قبلتهلنفسى وأحبته حباً لا- يتقدمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني، فرفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وموانستي وأنسوني أوأنسكم وأسارع إلى محبتكم)(1).

2- وإذا أحب الله عبده: وفقه لطاعته وجنبه معصيته، روي أن موسى (عليه السلام) قال: (يا رب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك فأوحى الله تعالى إليه: إذا رأيتني أهيبى عبدى لطاعتي وأصرفه عن معصيتي فذلك آية رضاي)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا أحب الله عبداً ألهمه طاعته). وفي حديث آخر (إذا أحبَّ الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه).

3- وإذا أحب الله عبده: تولى أمره وتديبر شؤونه، ونصره على أعدائه، وأولهم نفسه التي بين جنبيه فلا يخذله ولا يكله إلى نفسه وشهواته، وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (عن جبرئيل قال: قال الله تبارك وتعالى: وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلا- يدخله عجب فيفسده، وإن من عبادي المؤمنين لمن لم يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك)(2) إلى آخر الحديث.

4- وإذا أحب الله عبده: كان دليله وسدد خطاه وأنار بصيرته وما أحوجنا إلى دليل يسدّدنا ويميّز بين الحقّ والباطل ويبصّرنا بحقائق الأمور، في الحديث النبوي المتقدم: قال الله تبارك وتعالى: (وما يتقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتهلل إليّ حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويدا)

ص: 491

1- الحديث والذي يليه في بحار الأنوار: 70/26.

2- علل الشرائع: 12 الباب 9، ح 7.

وموثلاً إن دعائي أجبتة وإن سألني أعطيتة(1).

5- وإذا أحب الله عبداً حشره مع من أحب، جاء إعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أعددت لها؟ فقال: ما أعددت كثير صلاة ولا صيام إلا أنني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): المرء مع من أحب. قال: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك(2).

ما يحبكم إلى الله تعالى:

من خلال استقراء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تحصل على قائمة طويلة بما يحبك إلى الله تعالى، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» (البقرة: 222) وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُيُوتًا مَرْصُوصًا» (الصف: 4).

ومن الأحاديث الشريفة(3) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاثة يحبها الله سبحانه: القيام بحقه، والتواضع لخلقه والإحسان لعباده) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاثة يحبها الله: قلة الكلام، وقلة المنام، وقلة الطعام، ثلاثة يبغضها الله: كثرة الكلام، وكثرة المنام، وكثرة الطعام) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (يقول الله تعالى: إِنَّ أَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَيَّ الْمُتَحَابِّينَ بِحَالِهِ الْمُتَعَلِّقَةَ قُلُوبِهِمْ بِالْمَسَاجِدِ الْمُسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ، أَوْلَيْكَ إِذَا أَرَدْتَ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عِقُوبَةً ذَكَرْتَهُمْ فَصَرَفْتَ الْعِقُوبَةَ عَنْهُمْ).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أحب العباد إلى الله عز وجل رجل

ص: 492

1- وفي المحاسن: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) (بحار الأنوار: 70/22).

2- مجموعة ورام: 1/223.

3- هذه الأحاديث نقلت من بحار الأنوار ومجموعة ورام.

صدوق في حديثه محافظ على صلواته وما افترض الله عليه مع أدائه للأمانة) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (أحب المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأمة نبيه وتفكر في عيوبه وأبصر وعقل وعمل) وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (ما عبد الله بشيء أحب إلى الله عز وجل من إدخال السرور على المؤمن) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (ألا وإن أحب المؤمنين إلى الله من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين)، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج)(1).

أوثق عرى الإيمان:

أيها الأحبة:

إن الله تبارك وتعالى يحبكم لأنه خالقكم وصانعكم وأبدع في صنعكم وجعلكم في أحسن تقويم وكرمكم وفضلكم على كثير ممن خلق وسخر لكم ما في الأرض جميعاً ويباهي بكم ويتحدى بكم من اتخذوهم أرباباً من دونه وأنداداً له «هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (لقمان: 11) يروى أن أبا تمام الشاعر المشهور يقول إن كل بيت من شعري عندي كابني، أقول: هذا وهو بيت من الشعر مهما كان بديعاً، فما هو محل هذا الكائن العجيب عند خالقه ومبدعه.

أتحسب أنك جرمٌ صغير *** وفيك انطوى العالم الأكبر

فأحبوا الله تبارك وتعالى وحبوه إلى عباده وأحبوا عباد الله ومخلوقاته، واجعلوا دليلكم في من تحبون ومن تبغضون حب الله لهم وبغضه إياهم، في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله

ص: 493

وتمنع في الله(1) وفي المحاسن عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع له فهو ممن كمل إيمانه).

ص: 494

1- الحديث والذي يليه في بحار الأنوار: 238/69-239.

على الشباب المتدينين أن يتحدثوا بنعمة ربهم(1)

معنى أن تتحدث بنعمة ربك:

يفسر البعض الآية الشريفة «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» بمعانٍ لا تخلو من إشكال أخلاقي، كأن يقولون عليه ان يتحدث بما وفقه الله تعالى اليه منطاعات وورزقه من نعم في الدنيا، ولذا يشكل بعضهم بأن التحديث بالنعمة على هذا يوجب الرياء والعجب خصوصاً إذا كانت النعمة طاعة أداها ونحوها، وأريد هنا أن أفسرها بمعنى أفضل وهو أنك إذا حباك الله بنعمة فانفع الآخرين بها وانقلها إليهم بأن تتحدث لهم عن موجباتها ومقدماتها ليحظوا من ربهم بنفس النعمة لأننا مأمورون بأن نحب للناس ما نحب لأنفسنا ونكره لهم ما نكره لها.

مثلاً أنت شاب متدين ملتزم بالصلاة والصوم وباراً بالديك وذو أخلاق محمودة وتزور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ونحوها من الكمالات، فلا تقتصر بهمك على نفسك وأحب أن يكون غيرك مثلك وحدت بهذه التجربة المباركة للآخرين وعلمهم كيف يبدأون وكيف يصيرون.

من أين تبدأ بالإصلاح؟

وإذا سألتني من أين أبدأ معهم؟ فأقول لك ابدأ من أمرهم بالالتزام بالصلاة وخصوصاً أدائها في أوقاتها الأولى، فإذا التزم بالصلاة فقد وضع رجله على الطريق الصحيح لأنه سيحب المصلين ويلتقي بهم ويتعلم منهم، وسيذهب إلى المسجد ويحضر

ص: 497

1- من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (مد ظله) مع حشد من طلبة جامعة الصدر فرع بغداد الجديدة وطلبة الإعداديات في قضاء الرفاعي في محافظة ذي قار يوم السبت 25 محرم 1432 المصادف 2011/1/1.

صلاة الجماعة وفي ذلك فوائد عظيمة، وسيواظب على الجمعة ويستمتع من خلالها إلى خطب الوعظ والإرشاد والتوجيه، وسيلتزم بالواجبات الأخرى وسيراعي الطهارة وبيتعد عن كل ما يشين مما لا يليق بكونه من المصلين وسيصبح إنساناً صالحاً محبوباً.

أما ترك الصلاة فإنه مفتاح الشرور والآثام فإنه إذا ترك الصلاة فإنه يترك بقية الواجبات وسوف لا يتورع عن ممارسة الفاحشة والمنكر وبذاءة اللسان، وسوف لا يراعي الطهارة والنظافة ويتحول إلى إنسان سيء عاق والعياذ بالله تعالى.

التفقه في الدين:

والخطوة التي تلي الالتزام بالصلاة هي التفقه في الدين بمقدار ما يحتاجه في حياته والتعرف على العقائد الإسلامية والأخلاق الفاضلة، وإذا زادت همته أكثر وحظي بالألطف الإلهية فليتنصم إلى الحوزة العلمية الشريفة فإنها من أعظم النعم على الإنسان. وقد توفرت اليوم فرصة ميسرة لتلقي العلوم الدينية في المحافظات ولم تعد مقتصرة على النجف من خلال نشر فروع جامعتي الإمام الجواد (عليه السلام) والصدر الدينية، بل الأمر أيسر من ذلك حيث يقدم موقع (رسالة النجف) على الإنترنت لكل الراغبين شرحاً صوتياً للدروس المقررة لطلبة الحوزة العلمية في المراحل الثلاث الأولى، وبذلك يقطع شوطاً مهماً من التحصيل العلمي والأخلاقي والفكري وليتأهل لتحصيل الدروس العالية في النجف الأشرف إن أحب.

لا تعزفوا عن طلب العلم:

ونحن نحث على هذا التوجه وندعو إليه برغبة كبيرة لأن عدد الدارسين في النجف لا زال أقل بكثير مما تحتاجه الساحة العراقية فضلاً عن الحاجة العالمية لأن أنظار الدنيا كلها متوجهة صوب النجف وتريد أن تأخذ منها معالم دينها ولكن الحوزة في النجف عاجزة عن ملئ الساحة العراقية فضلاً عن العالمية، فعزوف الشباب المتدين الواعي المثقف عن

الالتحاق بالحوزة العلمية غير مبرر وغير مقبول وفيه تقصير بحق قوله تعالى «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» (التوبة:122) وبحق الناس المتعطشين لسماع صوت حوزة أمير المؤمنين (عليه السلام) وسائر بقاع العالم، ولو سألتهم حجاج بيت الله الحرام لحدثوكم كيف أن حجاج الدول الأخرى يتبركون بالحجاج الذين يحملون لوحة تشير إلى أنهم من النجف الأشرف.

وَلْتَسألُنَّ يَوْمئِذٍ عَنِ النِّعَمِ (1)

الالتفات الى نعم الله تعالى:

قال الله تبارك وتعالى في أكثر من موضع من كتابه الكريم (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي لَكُمْ لَنْ تُحْصَوْهَا) (إبراهيم/34) (النحل/18)، ولو أجهد الانسان نفسه لإحصاء هذه النعم فانه يعجز فعلاً، بل ان كل نعمة يذكرها -كصحة وسلامة البدن- هي في الحقيقة مجموعة من النعم لا تُعدّ ولا تحصى، فكل نفس من الهواء يستنشقه هو نعمة، وكل قطرة دم تسري في عروقه هي نعمة وكل نبضة من قلبه هي نعمة وهكذا، وإذا أراد الانسان أن يعرف أهمية هذه النعم التفصيلية فليلتفت إلى ما يحصل لو حُرِم منها.

وهكذا كل نعمة كرهيف الخبز الذي يأكله كل إنسان يومياً ويعتبره أمراً عادياً، فليتأمل كيف وصل إليه وكم نعمة اشتركت في إعداده، من الأرض التي جعلت صالحة للزراعة والماء الذي يسقيها، والحب الذي ينبت في تلك الأرض، والزراع الذي يصلح الأرض ويداري الزرع إلى أن يحصده ويخرج الحب من سنبله، ثم التاجر الذي ينقله، إلى الطحان والعجان والخباز والبائع، وأودع الله تعالى في هؤلاء غرائز تدفعهم إلى القيام بهذه الأعمال وتحمل المشاق والصعوبات كحب البقاء.

علينا أن نشكر الله تعالى على نعمه:

ولكن الانسان يغفل عن هذه النعم، وحتى لو التفت إليها فإنه لا يشكرها ولا يؤدي حقها، قال تعالى في ذيل الآية في موضعها الأول من سورة إبراهيم (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم/34) فهو يظلم ربّه إذ لا يوفيه حقه، ويظلم نفسه لأنه يوقعها في الخسران

ص: 500

1- كلمة سجّلها سماحة الشيخ يعقوبي (دام ظلّه) الى قناة النعيم الفضائية لمباركة انطلاقتها تزامناً مع حلول شهر رمضان المبارك يوم الجمعة 27/شعبان/1432 المصادف 2011/7/29.

العظيم، وهو كفار لأنه جاحد و متنكر لهذه النعم، لكن الله الرحمن الرحيم خالق هذا الانسان والعالم بمكوناته غفر له هذا التقصير، قال تعالى في ذيل الآية في موضعها الثاني من سورة النحل (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ).

ومن رحمته أن جعل الاعتراف بالقصور والتقصير عن احصاء النعم فضلاً عن شكرها هو حق الشكر له تبارك وتعالى، كما روي في أخبار الرسول الكريم موسى بن عمران (عليه السلام) ان الله تعالى أوحى إليه أن يا موسى اشكرني حق شكري، قال (عليه السلام) وأتني لي أن أشرك حقَّ شكرك، فأوحى الله إليه: إن هذا الاعتراف بالعجز هو حق شكري.

وفي الكافي (كان الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) إذا قرأ هذه الآية (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) يقول: سبحان الذي لم يجعل في أحد من معرفة نعمة إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه، فشكر جل وعز معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً، كما علم علم العالمين أنهم لا يدركونه فجعله إيماناً(1).

وفي مناجاة الشاكرين للإمام السجاد (عليه السلام) (فألاؤك جمّة ضعف لساني عن احصائها، ونعمائك كثيرة قصّر فهمي عن إدراكها، فضلاً عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر، فكلّما قلتُ لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد)(2).

شكر النعم المعنوية:

هذا كله في النعم المادية-إذا أمكن تسميتها- وهي ملتفت إليها في الجملة، لكن ما لا نلتفت إليه إلا نادراً النعم المعنوية وعلى رأسها الإيمان بالله تعالى وبرسوله (صلى الله عليه وآله) وما جاء به، الذي هو وسيلة النجاة والفلاح في الحياة الباقية، وهو من أعظم النعم على الإنسان، بل به يصبح الإنسان إنساناً، أما غير المؤمنين فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

ص: 501

1- الكافي: ج 8 ص 394.

2- مفاتيح الجنان: ص 156.

نعمة الولاية لأمر المؤمنين (عليه السلام):

ثم نعمة ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بنيه (صلوات الله عليهم أجمعين)، في الكافي وتفسير القمي (قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله (الْمُتَرِّ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) (إبراهيم/28-29).

قال (عليه السلام): ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعدلوا عن وصيِّه ولا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب: ثم تلا الآية ثم قال: نحن النعمة التي أنعم الله على عباده وبنا يفوز من فاز يوم القيامة(1) وورد في هؤلاء المبدلين لنعمة الله تعالى من طرق الفريقين عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعمر بن الخطاب (هما الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة، فقطع الله دابرههم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (عنى بها قريش قاطبة الذين عادوا رسول الله ونصبوا له الحرب وجحدوا وصيه(2)).

وهذا التفسير شاهد على أن النعمة المقصود هي الإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله)، وقد جاءت الآية محل البحث في ختام هذا السياق من الآيات المباركة.

تذكير الناس:

وفي ضوء هذا فقد كان الأئمة (عليهم السلام) يصححون هذا الفهم لدى الناس وينبهونهم من غفلتهم، فقد ورد في تفسير قوله تعالى (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر/8) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (إن النعيم الذي يُسأل عنه: رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن حلَّ محلّه من أصفياء الله، فإن الله أنعم بهم على من أتبعهم من أوليائهم(3)).

ص: 502

- 1- تفسير الصافي 4/240 عن الكافي، باب أن النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الأئمة (عليهم السلام).
- 2- هذا تطبيق منه (عليه السلام) لقوله تعالى (وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصَدَّبَتْكُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) آل عمران/103.
- 3- أنظر تفسير الأصفى: ج 2 ص 1473.

وفي تفسير العياشي عن الصادق (عليه السلام) (أنه سأله أبو حنيفة عن هذه الآية، فقال له: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد، فقال: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه، فما النعيم جعلت فداك؟ فقال: نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائلفوا بعد أن كانوا مختلفين (1)، وبنا أَلَّفَ الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً. وبناهداهم الله للإسلام، وهو النعمة التي لا تقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم، وهو النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته (عليهم السلام)).

وفي رواية: (انه (عليه السلام) قال له: بلغني انك تفسّر النعيم في هذه الآية بالطعام، والطيب، والماء البارد في اليوم الصائف؟ قال: نعم، قال: لو دعاك رجل وأطعمك طعاماً طيباً وسقاك ماءً بارداً ثم امتنّ عليك به إلى ما كنت تنسبه؟ قال: إلى البخل، قال (عليه السلام): أفييخل الله تعالى؟ قال فما هو؟ قال (عليه السلام): حبنا أهل البيت (عليهم السلام)). (2)

وروايات أخر بهذه المضامين (3).

نعمة حسن الخلق:

ومن هذه النعم المعنوية حُسن الخلق وبها امتدح الله تعالى نبيه الكريم (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم/4) والناس لا تلتفت إلى هذه النعم ولا تعيرها اهتماماً ولذا فإنهم لا

ص: 503

-1

2- أقول: ذكر الإمام (عليه السلام) هذا لتصحيح فهم أبي حنيفة وإلا فإن الإنسان يُسأل عن ماله مم اكتسبه وفيه انفق، وعن أولاده كيف ربّاهم ومم أنفق عليهم وهكذا، نعم لا يُسأل عن ضرورات حياته وهذا وجه للجمع بين الروايات، ويشهد له صحيح الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (ثلاثة أشياء لا يحاسب عليهن المؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة سالحة تعاونه ويحصن بها فرجه) (وسائل الشيعة، أبواب مقدمات النكاح، باب 9، ح 1).

3- نقلها تفسير الصافي: 548-7/547 عن تفسير القمي والعياشي وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) والكافي والمحاسن.

يחסدون صاحبها عليها، وقد ورد في التواضع ما مضمونه انه نعمة لا يحسد عليها صاحبها , فهل يلتفت المجتمع الى تهنئة من يكتسب خلقاً كريماً أو يؤدي طاعة عظيمة كصلاة الليل أو بر الوالدين أو قضاء حوائج الناس أو المواظبة على صلاة الجماعة في المساجد كما يهنئون من يرزق مالاً أو ولدًا , وهل يعزّون أحداً على فوات شيء من ذلك كنومه عن صلاة الصبح أو عقوق الوالدين أو الإفطار في شهر رمضان كما يعزّون على فقدان عزيز أو حصول خسارة .

نعمة الزوجة الصالحة:

ومن هذه النعم الزوجة الصالحة، ففي الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله)(1).

علينا أن نتحدث بالنعم المعنوية:

هذه النعم المعنوية (الإيمان بالله ورسوله وولاية أهل البيت (عليهم السلام) وحسن الأخلاق) هي الأوضح في عدم قبولها الاحصاء والاستقصاء لأنها تمتد الى الحياة الباقية الخالدة ، ولأن بركاتها وأثارها واسعة , ولأنها مستمرة بالعطاء لا تنقطع كما عبّر الامام (عليه السلام) في حديثه مع ابي حنيفة وهذه النعم هي التي طلب الله تعالى من عباده أن يتحدثوا بها وينشروها ويدعوا الناس إليها لتغمرهم سعادتها، قال تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث).

عن الحسين بن علي (c) قال: (أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه من دينه)(2).

ص: 504

1- وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته وآدابه، باب 9، ح 10.

2- تفسير الصافي: 70/504 عن المحاسن للبرقي.

ولا نتوقع أن المطلوب أن يتحدث الإنسان بما عنده من أموال وعقارات وأولاد ونحوها، نعم ورد في تطبيق الآية على هذا المستوى أن يُظهر الإنسان نعمة الله عليه، لأن التظاهر بعكسها كذب في الفعل وإخفاء لنعمة الله عليه، ففي الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال (إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سمي حبيب الله محدثاً بنعمة الله، وإذا أنعم الله على عبده بنعمة فلم تظهر عليه، سمي بغيض الله مكذباً بنعمة الله)(1).

شهر رمضان: من النعم المعنوية:

ومن تلك النعم المعنوية التي أكرمنا الله تعالى بها شهر رمضان الذي أطلّ علينا. بفضل الله تبارك وتعالى، فاستقبلوه بمعرفة فضله، وعظيم نعمة الله تعالى به، وأتى لنا أن نعرفه حق معرفته لولا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام، فاعرفوا حقه وقدره من خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في آخر جمعة من شعبان (2) وتأملوا فيها جيداً.

واعرفوه أيضاً من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في استقباله، ودعائه في وداع شهر رمضان الذي نصحتُ مراراً بقراءته قبل دخول الشهر لنزداد بصيرة بعظمة هذا الشهر الشريف ونستعد له، والدعاء ان موجودان في الصحيفة السجادية.

ومما ورد في ثانيهما في بيان عظيم نعمة الله تعالى بهذا الشهر الشريف قوله (عليه السلام) (ما أفشى فينا نعمتك، واسيغ علينا منّتك، وأخصّنا ببرّك، هديتنا لدينك الذي اصطفت، وملّتك التي ارتضيت، وسبيلك الذي سهّلت، وبصّرتنا الزلفة لديك، والوصول إلى كرامتك) ثم قال (عليه السلام) (اللهم وانت جعلت من صفايا تلك الوظائف وخصائص تلك الفروض شهر رمضان الذي اختصصته من سائر الشهور، وتخيّرته من جميع الأزمنة والدهور، وآثرته على كل أوقات السنة، بما أنزلت فيه من القرآن والنور. وضاعفت فيه من الإيمان، وفرضت فيه من الصيام، ورغبت فيه من القيام) إلى أن قال (عليه السلام) (وقد أقام فينا هذا

ص: 505

1- المصدر نفسه عن الكافي: باب التجمّل وإظهار النعمة.

2- راجعها في مفاتيح الجنان في فضل شهر رمضان وأعماله .

الشهر مُقام حمد، وصبحنا صحبة مبرور، وأربحنا أفضل أرباح العالمين(1)، وقد شرح النبي (صلى الله عليه وآله) هذه الأرباح في خطبته التي اشرنا إليها، وهي حقاً أفضل أرباح العالمين.

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ:

والتزاماً بالآية الشريفة «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» الضحى 11، ينبغي لنا أن نستقبل هذا الشهر الشريف وهذه النعمة المباركة بمعرفته والاستعداد له بالتوبة والاستغفار والعزم على مضاعفة الهمة في الطاعات والورع عما حرّم الله تعالى، وصيام الأيام الأخيرة من شعبان ولو للقضاء عما في الذمة، وأن نضع لنا برامج نقضي بها أيامه ولياليه الشريفة تتضمن أداء صلوات مستحبة وأدعية وتلاوة القرآن لأنه شهر رمضان ربيع القرآن، وتتضمن حضور المساجد لأداء صلاة الجماعة والاستماع الى محاضرات الوعظ والإرشاد مباشرة أو التي تنقلها الفضائيات بفضل الله تبارك وتعالى. وإن نتحدث بفضل هذا الشهر وعظمته، ندعو الناس إلى أداء حق الله تعالى فيه أكثر مما في غيره من لزوم الطاعات واجتناب المعاصي، وإن نقيم الفعاليات التي تحفّز المجتمع على طاعة الله تبارك وتعالى وذم معصيته بنشر اللوحات الجدارية والبوسترات التي تتضمن الأحاديث الشريفة، ونذكركم بما قلناه سابقاً من وضع مكبرات الصوت على السيارات وتجوب شوارع المدن مرحبةً بالشهر الشريف ومبينة لعظمته وثواب الطاعة فيه وعقوبة المخالفين، إقامة المسيرات والمهرجانات الاحتفالية بقدم هذا الشهر المبارك وتلبية الدعوة لضيفاة الرحمن والتزوّد من الموائد الإلهية.

ماذا علينا تجاه النعم المعنوية؟

أقول كلامي هذا:

ص: 506

1- لنتلفت إلى النعم الحقيقية التي تبقى ونعمل على تحصيلها.

2- ولنزهد في ما سواها من النعم الزائلة التي يفني الغافل عمره في جمعها والعناية بها ومتابعتها فيكون خادماً لها بدل أن تكون هي خادمة له، فصاحبها لا يحسد عليها حقيقة .

3- وأن نبذل الوسع في التحدث بهذه النعم الحقيقية ندعو الناس إليها ونرغبهم فيها.

4- ولنتجنب هذا التزاحم والتغالب والصراع على تلك الأمور الوهمية التي يُخدع بها الغافلون.

قال تعالى في المقارنة بين النوعين من النعم (رُزِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ * قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران/14-15).

ص: 507

الفصل التاسع عشر: عناصر شخصية المسلم في آثار أهل البيت (عليهم السلام)

إشارة

ص: 509

عناصر شخصية المسلم في آثار أهل البيت (عليهم السلام)

عناصر شخصية المسلم في آثار أهل البيت (عليهم السلام) (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والحمد لله كما يستحقه حمداً كثيراً، وأعوذ به من شر نفسي إنَّ النفس لأمارَةٌ بالسوء إلاَّ ما رحم ربي، وأعوذ به من شر الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي، واحترز به من كلِّ جبارٍ فاجرٍ وسلطانٍ جائرٍ وعدوِّ قاهرٍ، اللهم أصلح لي ديني فإنه عصمة أمري، وأصلح لي آخرتي فإنها دار مقري، وإليها من مجاورة اللثام مفري، واجعل الحياة زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، والوفاة راحة لي من كلِّ شرٍ. اللهم صلِّ على محمدٍ خاتم النبيين وتمام عدة المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

الإمام (عليه السلام) يستعرض أعمالنا كل يوم:

للإمام المهدي (عليه السلام) شكوى (2) عديدة من شيعته، جعلها (عليه السلام) هي المانعة عن التشرف بلقائه ونيل بركات ظهوره، ولا يعني شكواه من شيعته عدم وجود شكوى من غيرهم، بل الخطبُ عند أولئك أفضع، ولكنَّه باعتبار المسؤولية الخاصة عن شيعته وأحاطتهم برعاية إضافية باعتبارهم الشريحة المؤمنة بإمامته (عليه السلام) والمالية له والمبادرة إلى نصرته، كالأب الذي إذا أساء ولده يجره ويوبخه، وربما يعاقبه، بينما لا يهتم

ص: 511

1- محاضرة ألقى في مسجد الرأس الشريف على حشد كبير من فضلاء وطلبة الحوزة العلمية والزوار الذين وفدوا إلى النجف الأشرف بتاريخ 13/رجب/1423 هـ الموافق 2002/9/20م بمناسبة ذكرى ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي المحاضرة الأطول حيث استغرقت ساعة و(26) دقيقة.

2- عرض سماحة الشيخ (دام ظله) عدة منها في محاضرات عديدة ثم جمعت في كتاب بعنوان (شكوى الإمام (عليه السلام)).

بنفس الدرجة فيما لو أخطأ الغريب عنه، وما ذلك إلا لشعوره الخاص بالمسؤولية عن تربية ولده، وهكذا الإمام (عليه السلام) يحيط بشيئته بتربية خاصة وعناية إضافية، وانطلاقاً من هذه المسؤولية ينتبههم إلى ما في سيرة بعضهم من أخطاء وانحرافات، فإنه (عليه السلام) يستعرض أعمالنا كل يوم أو كل أسبوع، فعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» (التوبة: 105)؟ قال: هم الأئمة (1)، وفي بعض الروايات: إن أعمال العباد تعرض على نبيكم كل عشية خميس وعلى الأئمة (عليهم السلام)، فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح، فلا تسووا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسرّوه (2)، وقال أحدهم للإمام الرضا (عليه السلام): إن قوماً من مواليك سألونني أن تدعو الله لهم، فقال (عليه السلام): (والله إني لأعرض أعمالهم على الله في كل يوم) (3)، والإمام المهدي (عليه السلام) هو الإمام الفعلي لهذا العصر فتعرض عليه جميع أعمالنا.

الإمام (عليه السلام) يشكو ابتعادنا عن الصفات الحقيقية التي كان عليها السلف الصالح:

وأول هذه الشكاوى ما يناسب عرضها اليوم في ذكرى ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو يوم فرح وسرور ليس للشيعة فقط، بل لكل المسلمين، بل لكل الإنسانية التي تنشد العدالة والسمو والطهارة المتمثلة بعلي (عليه السلام)، ولكن الشيعة أولى الناس به

ص: 512

1- مستدرک سفینه البحار: 7/165.

2- میزان الحکمة: 3/2134.

3- بحار الأنوار: 23/348.

(عليه السلام)، فترفع نيابة عن الإمام المهدي (عليه السلام) هذه الشكوى التي ذكرها في رسالته الشريفة إلى الشيخ المفيد (قدس سره) الأولى والثانية.

فقال في الرسالة الثانية: (ولو أن أشياعنا وفقههم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل)(1) وقال (عليه السلام) في رسالته الأولى: (فأنا نحيط علماً بأنائكم، ولا يُعزبُ عنا شيءٌ من أخباركم ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مُذ جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون)(2). وقد تحقق مثل ذلك لبائع الأقفال(3).

ص: 513

1- الاحتجاج: 2 / 325.

2- الاحتجاج: 2 / 323.

3- خلاصة هذه القصة: (أن عابداً كان يتمنى لقاء إمام الزمان (عليه السلام) وبعد فترة من الرياضات الروحية والتعب والمشقة لم يصل إلى شيء واخذ اليأس يدب إلى قلبه، وفي ليلة من الليالي بينما كان قائماً يتعبد إذا بهاتف يناديه: (الوصول إلى المولى يعني شد الرحال إلى ديار الحبيب) فشدَّ الرحال من جديد واخذ يزيد من الصلاة والتعبد حتى انتهى الأمر به إلى المكوث في المسجد أربعين يوماً فأتاه نداء آخر يقول: (إنَّ سيدك تجده في سوق الحدادين يجلس في باب رجل عجوز يصنع الأقفال) فذهب مسرعاً فوجد الإمام (عليه السلام) يشع نوراً فارتعدت فرائص العابد إلا أن الإمام (عليه السلام) طلب منه أن ينظر ما سيحصل، فجاءت عجوز منحنية الظهر بيدها قفل عاطل وقالت للبائع: أرجوك اشترِ هذا القفل بثلاثة دنانير فقال البائع: إن هذا القفل بثمانية دنانير وإذا أصلحته (يصبح بعشرة فتصورت العجوز إنه يسخر منها إلا أنه بادر بإعطائها سبعة دنانير وقال لها: لاني أبيع)=== واشتري أخذته بسبعة دنانير لأربح ديناراً فذهبت العجوز مسرورة فالتفت الإمام (عليه السلام) إلى العابد وقال: (كونوا هكذا كهذا العجوز كي نأتيكم نحن بأنفسنا لا حاجة إلى التعبد أربعين يوماً ولا فائدة من الجفر والحروف فقط أصلحوا أعمالكم).

فما هي صفات الشيعي الحقيقي التي يشكو الإمام (عليه السلام) من ابتعادنا عنها ويجعل هذا الابتعاد سبب حرماننا من أطفاف اللقاء به وبركات ظهوره (عليه السلام)؟ هذه الصفات التي استحق بها الشيعي ما سنسمع من الأحاديث في فضله وعلو منزلته عند الله تعالى، وما مدى مصداقيتنا لهذا العنوان العظيم؟ الظاهر إنهم قليلون أولئك الذين ينطبق عليهم العنوان كما قال تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى، وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» (الواقعة: 10-14)، ولكن لا- تضجروا ولا تقنطوا؛ فإن الكمال يُنال بالتدرّج، فعندما نزل قوله تعالى: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» (آل عمران: 102) فقد الصحابة يكون وأصيبيوا بالإحباط؛ فمن الذي يستطيع أن يتقي الله حق تقاته؟ فكان جوابهم في قوله تبارك وتعالى: «اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسَّ تَطَعْتُمْ» (التغابن: 16)، فإذا اتقيتم وعملتكم بما تستطيعون تأهلتكم للدرجة الأعلى، فتتقون ما تستطيعون وفق هذه الدرجة الجديدة فتأهلون للأعلى، وهكذا حتى تبلغوا حق تقاته.

الخطاب ليس للشيعه فقط:

وحيثما نذكر صفات الشيعي الحقيقي فإنما نخاطب بهذا الكلام جميع الناس: الشيعة والمسلمين من غير الشيعة وغير المسلمين، فهذه فئات ثلاث يترتب على مخاطبتها ثلاثة أغراض:

أما الشيعة فلكي يراقبوا أنفسهم، ويعرضوا أعمالهم على هذا الميزان الدقيق، وليحكموا على أنفسهم: هل أنهم شيعة حقاً يستحقون تلك المقامات العالية والدرجات الرفيعة أم لا؟.

وأما المسلمين من غير الشيعة فلكي يعرفوا من هم الشيعة، وليحكموا حينئذٍ: هل يحلّ خلافهم وسبهم والقطيعة معهم وربما الحكم بكفرهم ومناذتهم؟.

وأما غير المسلمين فلأنهم بدؤوا صراعاً حضارياً مع المسلمين جعلوا أهم أدواته تشويه صورة المسلمين، فكان من أهم وظائفنا في هذا الصراع بيان مقومات وعناصر شخصية المسلم التي بيّنها بوضوح أهل البيت (عليهم السلام) وجسد دورها عملياً في حياتهم، وكان على رأسهم أمير المؤمنين (عليه السلام).

لذلك كان التشيع روح الإسلام وجوهره بحسب ما بينه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما ستسمعه بعد قليل بإذن الله تعالى، وفهمه كبار الصحابة كسلمان المحمدي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر وذي الشهادتين وابن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص الأموي وغيرهم، حتى استشهد الكثير منهم من أجله.

ما ورد في فضل شيعة علي (عليه السلام):

وقبل الإجابة عن السؤال: (ما هي صفات الشيعة؟) يحسن أن نذكر بعض ما ورد في فضل شيعة علي (عليه السلام) وعلو مقامهم في كتب الفريقين.

فقد نقل في الدر المنثور للسيوطي في تفسير قوله تعالى في نهاية سورة البينة: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» (البينة: 7-8): عن أبي هريرة قال: أتعبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك، واقرؤا إن شئتم: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ».

وعن جابر بن عبد الله قال: (كنا عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل علي (عليه السلام)، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم

الفائزون يوم القيامة)، ونزلت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»، فكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أقبل علي (عليه السلام) قالوا: جاء خير البرية(1).

وعن ابن عباس قال: لما نزلت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): هم أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مُقمحين(2)، وفي الصواعق المحرقة لابن حجر وغيره: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): (أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن إيماننا وعن شمائلنا(3)). وإذا أردنا معرفة صفات الشيعي فإنه يجب علينا أن نذكر كل ما أراد الله تعالى وأحب من فضائل ونبذ كل ما كره من رذائل، فلا يمكن اختصاره بمحاضرة واحدة، ولكنني سأحيل على بعض المصادر ككتاب (صفات الشيعة)، و(ثواب الأعمال وعقاب الأعمال) للشيخ الصدوق والجزء الحادي عشر من كتاب وسائل الشيعة تحت أبواب (جهاد النفس) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والجزء الثامن من الوسائل تحت عنوان (آداب العشرة) وكتاب (تحف العقول).

ويكفي أن تقرأ خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المتقين لتعرف منها أوصاف شيعة علي (عليه السلام)، وغيرها كثير، وتوجد رسالة مهمة - رغم أن الكثير غافل عنها - وطويلة وجهها الإمام الصادق (عليه السلام) إلى شيعته وأمرهم بمدارستها والنظر فيها

ص: 516

-
- 1- زبدة الأفكار: ص 209 - 210. عن الدر المنثور 8: 588 - 589 تذكرة الخواص: 18 وقال أوردها الطبري في تفسيره والآلوسي والشوكاني في فتح القدير والمناوي في كنوز الحقائق والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل.
 - 2- بنور فاطمة اهتديت: ص 49، عن الصواعق المحرقة الباب (11) الفصل الأول الآية الحادية عشر.
 - 3- زبدة الأفكار: ص 211 عن الصواعق المحرقة لابن حجر: 161.

وتعاهدها والعمل بها(1)، فكانوا - السلف الصالح - يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها.

هكذا كان السلف الصالح يراقب نفسه ويزن أعماله في ضوء المنهج الذي رسمه لهم أهل البيت (عليهم السلام) وتجد الرسالة بطولها في كتاب روضة الكافي للكليني ص 325 - 336.

محاوِر صفات المؤمن:

ويمكن باستقراء المصادر أن نصنّف الصفات ضمن ثلاثة محاور:

الأول: مع الله تبارك وتعالى.

الثاني: مع نفسه.

الثالث: مع الآخرين.

والتصنيف من ناحية فنية فقط، وإلا فإن المؤمن الحقيقي ينظّم كلّ علاقاته وتصرفاته وفق ما يريد الله تبارك وتعالى فهو مع الله في كلّ شيء(2).

المحور الأول: مع الله تبارك وتعالى معرفة الله تعالى أساس الدين:

1 - المعرفة بالله تبارك وتعالى: وهي أساس الدين وأصله(3)، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أول الدين معرفته)، ويمكن أن يكون منشأها عقلي مستفاد من البراهين(4)،

ص: 517

1- فلنسأل أنفسنا نحن النخبة المؤمنة أولاً كم منا تدارس هذه الرسالة وتعاهدها وعمل بها؟ أعتقد أن الجواب هو إن القلة القليلة منا قد عمل بها! فكيف إذن نقود المجتمع على طريق الإمام الصادق (عليه السلام) ونحن لم نعمل: (شيعتنا من عمل عملنا).

2- فالمؤمن الحقيقي مع نفسه يلاحظ الله ومع الآخرين يلاحظ الله تعالى ويعيش مع الله تعالى دائماً «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» (الأعراف: 201).

3- وهي الغاية التي خلقنا الله تعالى لأجل السير نحوها فقد سئل الإمام الحسين (عليه السلام) كما في مضمون الرواية عن معنى قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ». (الذاريات: 56). فقال (عليه السلام): يعني إلا ليعرفون.

4- الموجودة في كتب العقائد والكلام.

وهذه لا بدّ منها ولو ببراهين مبسطة تخاطب الفطرة(1)، لأنّ العقائد يجب أن تؤخذ عن دليل ويمكن أن تكون قلبية بالوجدان، والثانية خير من الأولى، كما في الحديث: (المعرفة الأنفسية خير من المعرفة الآفاقية)(2) إشارة إلى قوله تعالى: «سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (فصلت: 53).

وخير مصدر للمعرفة القلبية: التدبر، والتفكر في القرآن الكريم، والأدعية، والأحاديث الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) خصوصاً دعاء الصباح ودعاء كميل ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) - يوم عرفة - ودعاء أبي حمزة الثمالي ومناجاة العارفين، بل عموم المناجاة الخمس عشرة للإمام السجاد (عليه السلام)، وتكون الفائدة أكمل إذا انضم إليها بعض أفكار وشروح العلماء المخلصين.

فضل معرفة الله تعالى:

وفي فضل معرفة الله تعالى(3) قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): (لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزّ وجلّ ما مدّوا أعينهم إلى ما منح الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا

ص: 518

- 1- فمثلا الدليل على التوحيد قوله تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» (الأنبياء: 22).
- 2- روي عن أهل البيت (عليهم السلام): (من عرف نفسه عرف ربه)، (معرفة النفس أنفع المعارف)، (من جهل نفسه كان بغير نفسه أجهل)، (أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه)، (أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه).
- 3- عن أبي جعفر (عليه السلام): (إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ فَإِنَّمَا يَعْْبُدُهُ هَكَذَا صَدَّالًا قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ قَالَ: تَصَدِّقُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَتَصَدِّقُ رَسُولَهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَمُؤَالَاةٌ عَلِيٍّ (عليه السلام) وَالِإِتِّمَامُ بِهِ وَبِأَيْمَةِ الْهُدَى (عليهم السلام) وَالْبِرَاءَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ هَكَذَا يُعْرِفُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) الكافي، (جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ما رأس العلم قال: معرفة الله حق معرفته قال وما حق معرفته قال أن تعرفه بلا مثال ولا شبه وتعرفه إليها واحدا خالقا قادرا أولا وآخرا و ظاهرا وباطنا لا كفو له ولا مثل له فذاك معرفة الله حق معرفته) بحار الأنوار، وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (خرج الحسين بن علي (عليه السلام) على أصحابه فقال أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا لعبادته عن عبادة ما سواه فقال له رجل يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته). بحار الأنوار: 3/14.

ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم مما يطؤونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله جلّ وعزّ، وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إنّ معرفة الله عز وجل أنس من كلّ وحشة، وصاحب من كلّ وحدة، ونور من كلّ ظلمة، وقوة من كلّ ضعف، وشفاء من كل سقم). ثم قال (عليه السلام): (وقد كان قبلكم قوم يقتلون، ويحرقون ويُسْخرون بالمناشير، وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردهم عمّا هم عليه شيء ممّا هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم، ولا أذى بل ما تقموا منه إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدرکوا سعيهم).

قبول الأعمال مقرون بولاية أهل البيت (عليهم السلام):

2- ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ومحبتهم ومعرفة حقهم حيث جعل الله تبارك وتعالى مودتهم وولايتهم أجر الرسالة: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (1)، فبهم تقبل الأعمال؛ لأنهم واسطة الفيض والعطاء الإلهي.

وإن لم تستوعب ذلك (2) وقلت إن عطاء الله لا يحتاج إلى واسطة ففسه على التشريع، فإنهم واسطة لتبليغ الأحكام إلى المخلوقين، والله قادر على أن يوصل تشريعاته بلا

ص: 519

1- سورة الشورى: 23.

2- وكيف نستكثر ذلك على أهل البيت ويوجد من هو أقل مرتبة منهم له عطاء تكويني كعزرائيل (عليه السلام) حيث يروى أن الدنيا كالدرهم بيده يقلبه كيف يشاء وأنه ينظر في وجه كل إنسان في اليوم خمس مرات بعدد الصلوات اليومية، وكذلك عيسى (عليه السلام) حيث أعطاه الله تعالى إحياء الموتى وخلق الطير وغيرها.

واسطة، فالأمر في العطاء التكويني كذلك، وللتعرف على حقيقة أهل البيت (عليهم السلام) ومنزلتهم الرفيعة اقرأ بتدبر الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي (عليه السلام)، وهي من أقوى الزيارات متناً وسنداً(1).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (من أحبنا كان معنا أو جاء معنا يوم القيامة، ثم قال (عليه السلام): والله لو أن رجلاً صام النهار وقام الليل ثم لقي الله عز وجل بغير ولايتنا أهل البيت لَلَّيْهِ وهو عنه غير راضٍ أو ساخط عليه)(2)، وقال الصادق (عليه السلام): (إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل يزداد فيها كل يوم إحساناً، ورجل يتدارك منيَّته بالتوبة، وأنى له بالتوبة؟ فوالله أن لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله عز وجل منه عملاً - إلا - بولايتنا أهل البيت)(3). ولا - أحتاج أن أذكر أن المحبة العاطفية(4) وحدها لا تكفي، بل لا بد من المحبة الحقيقية التي تستلزم التأسي والاتباع والطاعة، كما أنشد الإمام الصادق (عليه السلام):

تعصي الإله وأنت تظهر حبه*** هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته*** إن المحب لمن أحب مطيع

ص: 520

1- وقد أوصى بها الإمام الحجّة (عليه السلام) ثلاث مرات للرجل الذي ضل الطريق في الحج وفيها إشارات واضحة عن الولاية التكوينية كما في المقطع (بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْعَيْثَ وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَبِكُمْ يَنْفُسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ).

2- الكافي، الروضة: 8/92.

3- المصدر السابق: ص 111.

4- فاللطم في وفيات المعصومين والمواليد في ولاداتهم (عليهم السلام) لا يكفي وحده ونحن نخالف أعمالهم.

وقال (عليه السلام): (والله ما أنا إمام إلا من أطاعني، فأما من عصاني فلست لهم إماماً، فوالله لا يجمعني الله وإياهم في دار)(1).

الإيمان لا يكون إلا بعقيدة وعمل:

3 - الإيمان بالعقائد الحقة: والتي جمعها القرآن تحت عنوان «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» (البقرة:3) ومدح أصحابها وأثنى عليهم، فيؤمن بالله وملائكته وأنبيائه ورسوله وأن الموت حق ومسألة القبر حق والبعث والنشور والحساب كله حق، وهذا الإيمان سيحفزه على العمل الصالح ويدفعه له: «إِلَيْهِ يَصَّعَّدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» (فاطر:10)، إذ من غير المعقول أن يؤمن الإنسان بذلك كله ولا- يعمل له، فالذي يعلم بل يظن أن خطراً في جهة ما فإنه يحترز منه ويتخذ التدابير اللازمة للنجاة منه، وإلا فلا معنى لإيمانه وعلمه، لذا جاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل، والعمل منه)(2) والإيمان بالغيب من الفروق الأساسية بيننا وبين الغرب؛ فهم يؤمنون بالحسيات ويسعون لتحقيق لذائذهم الحسية، فنشأ بسبب ذلك الاستئثار والاستكبار والظلم والحرص والحسد والطمع وغيرها من الرذائل التي انعكست على علاقتهم مع غيرهم من الشعوب.

حديث جامع لكل العقائد:

ومن الأحاديث التي جمعت العقائد الحديث المعروف عن السيد عبد العظيم الحسيني قال: (دخلتُ على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق (عليه السلام) فلما أبصرني قال لي: (مرحباً بك يا أبا القاسم، أنت وليُّنا حقاً). قال: فقلت: يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إني أريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضياً أثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل، فقال: هات يا أبا القاسم، فذكر عقيدته في توحيد الله

ص: 521

1- الكافي، الروضة: 8/374..

2- بحار الأنوار: 66/23.

تعالى ونفي الصفات عنه ونبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنه خاتم الأنبياء وشريعته خاتمة الشرائع، ثم ذكر الأئمة (عليهم السلام) واحداً بعد واحد حتى وصل إلى الإمام الهادي (عليه السلام) فقال: ثم أنت يا مولاي، فقال (عليه السلام): ومن بعدي الحسن ابني، وكيف الناس بالخلف من بعده؟. فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟ قال (عليه السلام): (لأنه لا يرى شخصه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)، قال: فقلت: أقررت، وأقول: إنَّ وليهم ولي الله وعدوهم عدو الله، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأقول: إنَّ المعراج حق والمساءلة في القبر حق وإنَّ الجنة والنار حق والصراف حق والميزان حق وإنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وإنَّ الله يبعث من في القبور، وأقول: إنَّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحقوق الوالدين، فقلت: هذا ديني ومذهبي وعقيدتي و يقيني قد أخبرتك به، فقال علي بن محمد (عليه السلام): يا أبا القاسم، هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه، ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة(1).

أداء الواجبات:

4 - أداء الواجبات الشرعية: كالصلاة والصوم والخمس والزكاة والحج مع الاستطاعة، فعن أبي الحسن (عليه السلام) قال: (شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون البيت الحرام ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت ويتبرؤون من أعدائهم)(2)، وعن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): (يا جابر يكتفي من اتخذ التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون إلا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن

ص: 522

1- صفات الشيعة: ح68.

2- المصدر السابق: ح5.

عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرتهم في الأشياء(1)، قال جابر: يا ابن رسول الله، ما نعرف أحداً بهذه الصفة، فقال لي: يا جابر، لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه، فلو قال: إني أحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خير من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فانتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، أحبّ العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم له وأعملهم بطاعته، يا جابر، ما يتقرب العبد إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، ما معنا براءة من النار(2)، ولا على الله لأحدٍ منكم حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ولا تُنال ولا يتنا إلا بالعمل والورع(3).

ولما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة قام على الصفا فقال: (يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، إني رسول الله إليكم، وإني شفيق عليكم، لا تقولوا إن محمداً منا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون)(4)، وهو أدب قرآني، فعندما طلب نوح (عليه السلام) نجاة ابنه أناه الجواب: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» (هود:46)، وقال إبراهيم (عليه السلام): «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي» (إبراهيم:36).

اجتناب المحرمات:

ص: 523

- 1- تأمل وتدبر جيدا بقول الإمام (عليه السلام) فلعمري إن كل فقرة من هذه الفقرات تحتاج إلى عمل كثير فلا يكفي أن تقرأها فقط.
- 2- كما هو موجود عند بعض الأديان حيث يعطون قومهم صكوك الغفران بالرغم من أعمالهم السيئة.
- 3- صفات الشيعة: ح22.
- 4- المصدر السابق: ح8.

5 - اجتناب المحرمات (1) والذنوب، سواء كانت من الكبائر وهي التي وعد الله عليها النار كالزنا واللواط وشرب الخمر وأكل مال اليتيم وشهادة الزور وأكل الربا وقتل النفس المحترمة (2) أو البخس في المكيال (3)، وحتياالصغائر، وإن كان الوارد في الحديث الشريف: (لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت)، فعن الصادق (عليه السلام): (من زنى خرج من الإيمان، ومن شرب الخمر خرج من الإيمان، ومن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً خرج من الإيمان) (4) (5).

ومن الكبائر قذف المحصنة (6) وعقوق الوالدين والتعرب بعد الهجرة (7) ومعونة الظالمين وحبس الحقوق من غير عسر والسحر واليمين الغموس، بل ورد التحذير من كل

ص: 524

- 1- روي أنه: (روح الإيمان يلازم الجسد ما لم يعمل كبيرة فإذا عمل بكبيرة فارق الروح).
- 2- كما يحصل عند بعض العشائر فإنهم يتقاتلون وتذهب نفوس محترمة من اجل أسباب تافهة.
- 3- كما يتفنن البعض اليوم بالبخس في الميزان بطرق عديدة كوضع المغناطيس في إحدى الكفتين أو حفر جوف العيار أو اللعب بإحدى العلتين وغيرها ولا يعلمون أن هذا من الكبائر التي وعد الله تعالى عليها في كتابه العزيز أقصى العقاب فلماذا تلقون بأنفسكم في هذه المهالك من اجل بضعة دنابر والتي لو اتقيتم الله تعالى لرزقكم أضعافها «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» (الطلاق: 2 - 3).
- 4- كما يحدث ذلك وللأسف الشديد من قبل بعض شبابنا وتجده يتباهى بذلك ولا يعلم أنه بعمله هذا قد خرج من الإيمان وألحق بالأعراب «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلْنَا لِمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (الحجرات: 14).
- 5- بحار الأنوار: 66/197.
- 6- وعشائرنا أيضاً مبتلية بهذه الكبيرة ببساطة شديدة يقذفون المحصنة ويقتلون غسلاً للعار ولا يعلمون إن القذف وحده يعاقب عليه الشرع بالجلد ثمانين سوطاً وهو من الكبائر ولا يحق لأحد ذلك إلا بعد حضور أربعة شهود فائقوا الله ولا تسخطوه.
- 7- كما يحدث اليوم فبمجرد ما يحصل الشاب على فرصة للسفر غادر بلده المسلمة إلى أي بلد كافر يضيع فيه دينه، ولا يعلم أن هذا من مصاديق التعرب بعد الهجرة أي يصبح أعرابياً فالأعراب ليس الذين يسكنون البدو وإنما غير المتفقه في دين الله.

الذنوب، فعن الباقر (عليه السلام): (الذنوب كلها شديدة)(1)، ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): (اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر، قلت: وما المحقرات قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي إن لم يكن لي غير ذلك)(2)(3).

ويضرب لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثلاً من الواقع، فقد نزل (صلى الله عليه وآله وسلم) بأرض قرعاء فقال لأصحابه: (ايتوا بحطب. فقالوا: يا رسول الله، نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): فليأت كل إنسان بما قدر عليه. فجاءوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب؛ فإن لكل شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبین)(4).

ويحذرون شيعتهم إن كل ما يحصل لهم من مصائب هو بسبب الذنوب، فعن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (يا مفضل، إياك والذنوب وحذرها شيعتنا، فوالله ما هي إلى أحد أسرع منها إليكم، إن أحدكم لتصيبه المعرة من السلطان وما ذلك إلا بذنوبه، وإنه ليصيبه السقم وما ذلك إلا بذنوبه، وإنه ليحسب عنه الرزق وما هو إلا بذنوبه، وإنه ليشتد عليه عند الموت وما ذاك إلا بذنوبه حتى يقول من حضره: لقد غم

ص: 525

1- الكافي: 2/270.

2- أي أن ذنوبي هينة ولا- تساوي شيئاً أو يقارن نفسه بالذي اقترف ذنوباً أكبر من ذنوبه فيقول: (مهما فعلت فأنا لست كفلان) وهذا المسكين قد خدعه الشيطان بهذا العذر الذي سيعاقب عليه أقسى عقاب لاستهانتة بالذنب المقترف بحق الله مالك الملك الجبار المتعال!!!.

3- الكافي: 2/287.

4- الكافي: 2/288.

بالموت. فلما رأى ما قد دخلني (1) قال: أتدري لم ذاك؟ قلت: لا، قال: ذاك والله إنكم لا- تؤاخذون بها في الآخرة وعُجِّلت لكم في الدنيا(2)، فمن أراد أن يقي نفسه هذه الصعوبات فليجتنب الذنوب.

التقوى والورع:

6- التقوى والورع: أحد وجوه التفريق بينها ما قاله سيدنا الأستاذ (قدس سره): إن الورع اجتناب المحارم وفعل الواجبات، أمّا التقوى فتضاف لها اجتناب الشبهات وعدم ترك المستحبات(3)، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إنما أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه، هؤلاء أصحابي)(4)، وفي وصية للإمام الصادق (عليه السلام) لأحد أصحابه: (أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم إنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه)(5)، ووعظ (عليه السلام) شيعته فقال: (عليكم بالورع؛ فإنه لا يُنال ما عند الله إلا بالورع)، (ليس منّا ولا كرامة من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحد أروع منه)، وقوله (عليه السلام): (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية)(6)، وأيضاً: (عليكم بالورع؛ فإنه الدين الذي نلازمه وندين الله تعالى به ونريده ممن يوالينا)(7).

ص: 526

1- أي لماذا تسرع الذنوب إلى الموالين للأئمة والمفروض إنهم أقرب إلى الله تعالى من غيرهم.

2- بحار الأنوار: 6/157.

3- عدم ترك المستحبات كلياً وليس بعضها فقد يترك بعضها أحياناً.

4- بحار الأنوار: 65/166.

5- بحار الأنوار: 67/296.

6- ولتقريب هذه الفكرة إلى الذهن تصور أنّ رجلاً عالماً معروفاً بالصلاح والتقوى قد مرّ من أمامك ولم يتكلم معك بحرف ألا تذكرك رؤيته بالله تعالى ويخفق قلبك له؟ فهذا الرجل إذن داعية لله تعالى ولكن بغير لسانه وهكذا أرادنا المعصومون (عليهم السلام).

7- بحار الأنوار: 67/306.

وفي التقوى كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: (لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟! إشارة إلى قوله تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» (المائدة: 27)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من أخرج الله عز وجل من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه الله بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء (1))، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل (2)، ولأمير المؤمنين (عليه السلام) خطبة في وصف المتقين صعق من سماعها صاحبه الوفي همّام فمات من ساعته (3).

7 - الموازنة بين الخوف والرجاء: عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: (كان أبي (عليه السلام) يقول: ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا (4)). ويقول (عليه السلام): (كان فيما أوصى به لقمان لابنه أن قال: يا بني خف الله خوفاً لو جنته ببر الثقلين خفت أن يعذبك الله، وارح الله رجاءاً لو جنته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر الله لك (5)(6))، ويقول

ص: 527

1- عندما تأملت كثيراً في هذه المعاني العظيمة حاولت أن أفهمها من خلال ربطها بصفات الله تعالى فكلماً اقترب الإنسان من الله تعالى تخلق بأخلاقه وصفاته كما في مضمون الرواية: (تخلقوا بأخلاق الله) فالله تعالى العزيز وهو يهب العزة لمن يشاء إن قال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً» (فاطر: 10). «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» (المنافقون: 8). والله تعالى القوي ويهب القوة لمن يشاء وهكذا تستطيع فهم المعاني الأخرى (وكذلك تستطيع أن تربط ذلك بأهل البيت عليهم السلام فهم الأسماء الحسنی).

2- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس وما يناسبه، باب 20، ح 5.

3- راجع نهج البلاغة: ص 303، لصبحي الصالح.

4- وسائل الشيعة: كتاب جهاد النفس، أبواب جهاد النفس، باب 13، ح 1 و ح 4.

5- المصدر السابق: ح 6.

6- نقل الإمام (عليه السلام) كلام لقمان لتوضيح الموازنة بين الخيفة والرجاء وهي معادلة دقيقة حيث لا ينبغي للخوف أن يزيد بحيث لا رجاء لرحمة الله بعده وهو المسمى بالقنوط الذي هو من الكبائر كما يقول البعض ان ذنوبي كثيرة ولا يغفرها الله لي.

بعض شيعته قلت له: قومٌ يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت، فقال: هؤلاء قوم يترجحون(1) في الأمانى، كذبوا ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه(2)، وقال (عليه السلام) عنهم: ليسوا لنا بموالٍ(3)، وهو (عليه السلام) به يستقي ذلك من قوله تعالى: «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (الأعراف: 56)، «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى» (الأنبياء: 28). 8 - تقديم رضا الله تعالى على هوى النفس ورضا المخلوقين: عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبدٌ هواه على هواي إلا شئت عليه أمره، ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم آت منها إلا ما قدرْتُ له، وعزتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا - استحفظته ملائكتي، وكفلت السماوات والأرضين رزقه، وكنْتُ له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة(4)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله عز وجل كان حامده من الناس ذاماً، ومن آثر طاعة الله عز وجل بما يغضب الناس كفاه الله عز وجل عداوة كل عدو(5) وحسد كل حاسد، وبغى كل باغ وكان الله له نصراً وظهيراً(6)).

ص: 528

- 1- رجح الميزان: يرجح رجحاناً أي مال، وترجحت الأرجوحة بالغلام أي مالت، الصحاح: 1 / 364، مادة (رجح).
- 2- وسائل الشيعة: نفس الباب، ح 2.
- 3- المصدر السابق: ح 3.
- 4- المصدر السابق: باب 32، ح 3.
- 5- تأمل جيداً في هذه العبارة وما يشابهها واجعلها دوماً نصب عينيك ومنهاجاً لك في حياتك، فبعد هذا الضمان الإلهي، لا ينبغي للمرء أن تقف بوجهه كل الاعتبارات، بل يؤدي ما فيه رضا الله تعالى ولا تأخذه في الله لومة لائم.
- 6- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب الأمر والنهي، باب 7، باب 11، ح 2.

وصفات أخرى لا يتسع المقام لذكرها كاليقين بالله في الرزق والعمر والنفع والضرر، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإنّ الضار النافع هو الله عز وجل) (1)، والاعتصام بالله والتوكل على الله وقطع الأمل عن غير الله تعالى، قال تعالى: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (الطلاق:3)، والبكاء لله تعالى، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كلّ عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غصّت عن محارم الله، وعينبات ساهرة في سبيل الله) (2)، ومن صفاتهم حسن الظن بالله تعالى، فإن الله عند حسن ظن عبده.

المحور الثاني: صفاته في نفسه:

محاربة الهوى:

1 - أن يجعل أهواءه النفسية عدواً له لا يغفل عن مجاهدته؛ للحديث: (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك)، ولا يجعلها إلهاً يطيعه ويسير وفق رغبات نفسه، قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (الجاثية:23)، وبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سرية فلما رجعوا قال: (مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال جهاد النفس) (3).

إصلاح العيوب:

ص: 529

- 1- وسائل الشيعة: كتاب جهاد النفس، أبواب جهاد النفس، باب، 7، ح 1.
- 2- المصدر السابق، باب 15، ح 8.
- 3- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 1، ح 1.

2 - أن يشتغل بإصلاح عيوب نفسه بدل التفتيش عن عيوب الناس، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث خصال من كُنَّ فيه أو واحدة منهنَّ كان في ظل عرش الله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجلٌ لم يقَدِّم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أن ذلك لله رضا، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه فإنَّه لا ينفي منها عيباً إلا بدا له عيب، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس)(1).

انصاف الناس من نفسه:

3 - أن ينصف الناس من نفسه، فيحب لهم ما يحب لها، ويكره لهم ما يكره لها، ويقول الحق ولو على نفسه. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ألا إنَّه من ينصف الناس من نفسه لم يزد الله إلا عزاً)(2).

ترك التعصب:

4 أن لا يتعصَّب لنفسه، أو لعشيرته، أو قوميته، أو أي شيء آخر سوى الله تبارك وتعالى. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من تعصَّب أو تعصَّب له فقد خلع ربة الإيمان من عنقه)(3).

انتهاز فرص الخير:

ص: 530

-
- 1- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 36، ح 1. فإن العمر سينتهي لا محالة وأنت لم تنته من إصلاح عيوب نفسك فلا مجال إذن للاشتغال بعيوب الآخرين.
 - 2- المصدر السابق، باب 24، ح 3.
 - 3- المصدر السابق: باب 36، ح 1.

5 - أن ينتهز فرص الخير، قال تعالى: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» (البقرة: 148)، وقال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (آل عمران: 133)، وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): (يا علي، بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك)(1)، وأن يجعل حياته زيادة في كل خير، قال الصادق (عليه السلام): (من استوى يومه فهو مغبون(2)، ومن كان آخر يومه خيراً مما فهو مغبوط، ومن كان آخر يومه شراً مما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة)(3).

المحاسبة:

6 - أن يحاسب نفسه، عن موسى الكاظم (عليه السلام)، قال: (ليس متاً من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب عليه)، وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر: (يا أبا ذر، لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلالاً أو من حرام(4)، يا أبا ذر، من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين ادخله النار)(5).

التحلي بالصدق:

ص: 531

- 1- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 91، ح 1.
- 2- لأن الله تعالى لم يخلقنا لحياة لا تكامل فيها، بل خلقنا من أجل أن نتكامل ونرتقي.
- 3- المصدر السابق: باب 95، ح 5.
- 4- البعض ممن وفقه الله تعالى لطاعته أعد لنفسه دفترًا صغيراً يضعه في جيبه يكتب فيه ما أقره من ذنوب في النهار، وقبل أن ينام يفتح هذا الدفتر ليحاسب نفسه.
- 5- المصدر السابق: باب 96، ح 7.

7 - أن يتحلى بالصدق، ومطابقة قوله لفعله، وسره لعلانيته. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (أبلغ شيعتنا أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم يخالفه إلى غيره(1)(2))، وقال (عليه السلام): (ليس من شيعتنا من قال بلسانه، وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك شيعتنا(3)). وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر: (يا أبا ذر، يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار، وإنما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم وتأديبكم؟! فيقولون: إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله(4)). قال تعالى: «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» (الصف:3).

الصبر:

8 - أن يتصفوا بالصبر، فمن وصية للإمام الصادق (عليه السلام): (اصبروا على الدنيا فإنّما هي ساعة، فإن ما مضى منه لا تجد له ألماً ولا سروراً، وما لم يجئ فلا تدري ما هو، وإنّما هي ساعتك التي أنت فيها، فاصبر فيها على طاعة الله، واصبر فيها عن معصية الله(5)). وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (لما حضرت أبي الوفاة ضمّني إلى صدره وقال: يا بني، اصبر على الحقوان كان مرّاً تُوفَّ أجرك بغير حساب(6)). وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إني لأصبر من غلامي هذا

ص: 532

- 1- والوصية علينا نحن الحوزويون أكد.
- 2- المصدر السابق: باب 38، ح 1.
- 3- المصدر السابق: باب 21، ح 19.
- 4- المصدر السابق: باب 9، ح 12.
- 5- المصدر السابق: باب 19، ح 5.
- 6- المصدر السابق: ح 8.

ومن أهلي على ما هو أمرٌ من الحنظل؛ إنّه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (1).

تقديم الآخرة:

9 - يقدّمون الآخرة على الدنيا (2)، فمن خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختر الدنيا وترك الآخرة لقي الله وليست له حسنة يتقي بها النار، ومن أخذ الآخرة وترك الدنيا لقي الله يوم القيامة وهو عنه راضٍ) (3)، فهم يحقرون الدنيا لأنها تشغل عن الآخرة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أحبّ دنياه أضّرّ بآخريته) (4)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (حبّ الدنيا رأس كل خطيئة) (5)، وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي: (يا علي، إنّ الله أوحى إلى الدنيا: اخدمي من خدمني، وأتعيبي من خدمك) (6)، يا علي، إنّ الدنيا لو عدلت عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة من ماء، يا علي، ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو يتمنى يوم القيامة أنّه لم يُعطَ من الدنيا إلا قوتاً) (7)، وشبّه الإمام الباقر (عليه السلام) قانلاً: (مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز) (8)؛ كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد

ص: 533

- 1- المصدر السابق: باب 25، ح 4.
- 2- لا بد أن نعرف إن الدنيا الممقوتة في الروايات ليست كل دنيا، وإنّما التي يجعلها الإنسان غاية وهدفاً له، أما إذا كانت الدنيا وسيلة وطريقاً للآخرة فلا تكون ممقوتة لأنها ستكون رأس مال الإنسان يتاجر فيه مع الله تعالى.
- 3- المصدر السابق: باب 52، ح 2.
- 4- المصدر السابق: باب 61، ح 5.
- 5- المصدر السابق: ح 4.
- 6- فتجد أن طلاب الدنيا لا يجدون طعم الراحة فكلما ملكوا شيئاً أرادوا الآخر كما في الرواية: (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا) بحار الأنوار: 1/182.
- 7- وسائل الشيعة: باب 63، ح 4.
- 8- قال الشاعر: كدودة القز ما تبنيه يهلكها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

لها من الخروج حتى تموت غمماً(1)؛ لذلك رغبوا شيعتهم في الزهد بالدنيا، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من زهد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام)(2).

الأدب في الحديث والدعوة بالحسنى:

10 - والشيعي لا يكون كلامه بذيناً ولا فاحشاً ولا لعاناً أو سبباً، فقد بلغ الإمام الصادق (عليه السلام) أن أحد أصحابه قال مثل هذه الكلمات لرجل ظلمه، فقال (عليه السلام): (إن هذا ليس من فعالي ولا أمر به شيعتي، استغفر ربك ولا تعد)(3)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك الشيطان)(4)، ولا يبغى الشيعي على أحد؛ ففي وصية الإمام الصادق (عليه السلام) لأصحابه: (وإياكم أن يبغى بعضكم على بعض؛ فإنها ليست من خصال الصالحين، فإنه من بغى صير الله بغيه على نفسه، وصارت نصرة الله لمن بغى عليه، ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله)(5)، ومن ألقاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكاً، أعجل الشر عقوبة البغي، وأسرع الخير ثواباً البر).

التوبة:

11 - وإذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم، أو مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا والتفتوا إلى خطأهم الكبير في حق ربهم الكريم، فتداركوا أمرهم بالتوبة، واستغفروا الله تعالى.

ص: 534

1- المصدر السابق: باب 64، ح 1.

2- المصدر السابق: باب 62، ح 1.

3- المصدر السابق: باب 71، ح 7.

4- المصدر السابق: باب 49، ح 15.

5- المصدر السابق: باب 74، ح 6.

ففي حديث: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى التَّائِبِينَ ثَلَاثَ خِصَالٍ لَوْ أُعْطِيَ خِصْلَةٌ مِنْهَا جَمِيعُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَجَّوْا بِهَا، قَوْلُهُمْ وَجَلَّ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» (البقرة: 222)، فَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ لَمْ يَعْذِّبْهُ، وَقَوْلُهُ: «فَاعْفُزْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» (غافر: 7)، وَذَكَرَ الْآيَاتِ، وَقَوْلُهُ: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» (الفرقان: 70). وَيَقُولُ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَشَدَّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ وَزَادَهُ فِي لَيْلَةٍ ظُلْمَاءٍ فَوَجَدَهَا، فَاللَّهُ أَشَدَّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ وَجَدَهَا» (1).

وَيَتَخَوَّفُونَ الْاسْتِدْرَاجَ وَالْإِمْلَاءَ فَقَدْ سَأَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنِ الْاسْتِدْرَاجِ؟ فَقَالَ: (هُوَ الْعَبْدُ يَذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُؤْمَلِي لَهُ، وَيَجِدُّ لَهُ عِنْدَهَا النِّعَمَ فَيُلْهِمُهُ عَنِ الْاسْتِغْفَارِ؛ فَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ) (2).

البطن والفرج:

12 - عَفِيفُ الْبَطْنِ عَفِيفُ الْفَرْجِ (3). قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (وَاللَّهُ مَا شِيعَةَ عَلِيٍّ إِلَّا مِنْ عَفْفِ بَطْنِهِ وَفَرْجِهِ وَعَمَلِ لَخَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابِهِ وَخَافَ عِقَابَهُ) (4)، وَرَوَى أَنْ قَوْمًا تَبِعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ؟ قَالُوا: شِيعَتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: مَا لِي لَا أَرَى عَلَيْكُمْ سِيْمَاءَ الشَّيْعَةِ. قَالُوا: وَمَا سِيْمَاءُ الشَّيْعَةِ؟ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (صَفْرُ الْوَجْهِ مِنَ السَّهْرِ، خَمَصُ الْبَطْنِ مِنَ الصِّيَامِ، ذَبْلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدَّعَاءِ، عَلَيْهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ).

ص: 535

1- المصدر السابق: باب 86، ح 6.

2- المصدر السابق: باب 90، ح 4.

3- أي لا يدخل بطنه إلا الطعام الحلال ويحفظ فرجه إلا فيما أحل الله تعالى له.

4- صفات الشيعة: 7، ح 12.

13 - التفقه في الدين ولا أقل من المسائل الابتدائية كما يسميها الفقهاء. أي تلك التي يتعرض لها كثيراً في عباداته، أو في معاملاته. وسئل أبو الحسن (عليه السلام): هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون إليه؟ فقال: لا (1)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا- إن الله يحبّ بغاة العلم) (2)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لوددت أنّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا) (3)، وخاطب (عليه السلام) أصحابه: (عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر إليه يوم القيامة ولم يركّ له عملاً) (4)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لبشير الدهان: (لا خير فيمن لا يتفقه من أصحابنا، يا بشير، إنّ الرجل منهم إذا لم يستغنِ بفقهِه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم) (5)، ونقل الإمام الصادق (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انزعاجه ممن لا يتفقه في دينه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفّ لرجل لا يفرغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه) (6).

وتوجد صفات كثيرة أخرى وردت في النصوص، ومنها كونه: (ليئناً قوله، غائباً منكراً، قريباً معروفاً، صادقاً قوله، حسناً فعله، مقبلاً خيره، مدبراً شره، فهو في الهزاهر وقور، وفي المكروه صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يآثم على من لا

ص: 536

1- أصول الكافي: كتاب فضل العلم، الباب 1، ح 3.

2- المصدر السابق: ح 5.

3- المصدر السابق: ح 6.

4- المصدر السابق: ح 7.

5- المصدر السابق: باب 2، ح 6.

6- المصدر السابق: باب 9، ح 6.

يحب، لا يدّعي ما ليس له، ولا يجحد حقاً هو عليه، يعترف بالحق قبل أن يُشهد عليه، ولا يضيّع ما استُحفظ، ولا يناز باللقاب، ولا يبغى على أحد، ولا يهّم بالحسد، ولا يضرّ بالجار، ولا يشمت بالمصائب(1).

المحور الثالث: العلاقة مع الآخرين:

1 - يصنع المعروف إلى كلّ أحد: فقد أوصى الإمام السجاد (عليه السلام) ولده الباقر (عليه السلام): (يا بني، افعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثمّ تحول إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبلعذره(2)). وأصله في القرآن الكريم في قوله تعالى: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ» (المؤمنون:96).

2 - ويتجنبون الظلم والاعتداء على الآخرين بغير حق. فأمر المؤمنين (عليه السلام) يعلم أنّ قاتله عبد الرحمن بن ملجم يريد به الشر، ف قيل له: لِمَ لا تقتله أو تسجنه دفعاً لشره؟ قال (عليه السلام): (لا يجوز القصاص قبل الجنائية)، وفي المقابل ترى الولايات المتحدة نموذج الغرب المتحضر تتوعد البشرية بالدمار والويل والثبور تحت عنوان (الضربات الوقائية والاستباقية) دفعاً للأخطار المحتملة، فأين هم من أدب الإسلام وأهل البيت (عليه السلام)؟!.

وقد حذّر الأئمة (عليه السلام) بشدة من الظلم مهما كان بسيطاً، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة)، وفي حديث للإمام السجاد (عليه السلام): (ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم)(3)، وعدّ حديث للإمام الباقر (عليه السلام) ظلم الناس من الذنوب التي لا

ص: 537

1- صفات الشيعة: ح35.

2- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب3، ح3.

3- عقاب الأعمال: ص272.

يدعها الله تبارك وتعالى: لذا فهم يأمرون بردّ المظالم إلى أهلها قبل أن يفاجئهم الموت، وحدّروا من معونة الظالمين. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم)(1)، ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) في هؤلاء: (يا علي، شرّ الناس من باع آخرته بدنياه، وشرّ منه من باع آخرته بدنياه غيره)(2).

3 - يوالون في الله ويعادون في الله، وهو مبدأ قرآني مهم أكد عليه الله تعالى كثيراً، وإذا ضاع هذا المقياس مُحقق الدين. قال تعالى: «لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»(المجادلة:22). فأين من هذه الحقيقة القرآنية هؤلاء الذين يلهثون وراء الغرب وقوى الاستكبار الذين آخروا ما أمرهم به أن يغيروا مناهج التعليم الديني(3) وعلى رأسها القرآن الكريم لأنها تشجّع على الإرهاب كما يزعمون، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (كذب من زعم أنه من شيعتنا وهو متمسك بعروة غيرنا)، ويقول الإمام أبو الحسن الرضا (عليه السلام): (من والى أعداء الله فقد عادى أولياء الله، ومن عادى أولياء الله فقد عادى الله تبارك وتعالى، وحقّ على الله عزّ وجلّ أن يدخله في نار جهنم)(4)، وعن الإمام الرضا (عليه السلام) أيضاً قال: (إن ممن ينتحل مودتنا أهل البيت لمن هو أشدّ لعنة على شيعتنا من الدجال، فقلتُ له: يا ابن رسول الله، بماذا؟ قال: بموالة أعدائنا ومعاداة أوليائنا، إنه إذا كان

ص: 538

- 1- المصدر السابق: باب 80، ح 1.
- 2- المصدر السابق: باب 68، ح 11.
- 3- كان هذا أحد أوامر الولايات المتحدة للدول الإسلامية السائرة في ركابها بعد أحداث أيلول/2001.
- 4- صفات الشيعة: 1124.

كذلك اختلط الحقّ بالباطل واشتبه الأمر فلم يعرف مؤمن من منافق(1)، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ألا ومن أحبّ في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله)(2).

4 - يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: وهي من أهم صفات خير أمة أخرجت للناس كما نطق القرآن الكريم، روي عن النبي (عليه السلام) أنّه قال: (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء)(3)، وكتب الإمام الصادق (عليه السلام) إلى الشيعة: (ليعطفنّ ذوو السنّ منكم والنهي على ذوي الجهل وطلاب الرئاسة، أو لتصيبنّكم لعنتي أجمعين)(4)، وأقل مراتبه الإنكار القلبي، فعن الإمام علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده)(5)، وقال الإمام علي (عليه السلام): (أدنى الإنكار(6) أن تلقى أهل المعاصي بوجه مكفهرة)(7)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لأصحابه: (إنه قد حقّ لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم، وكيف لا يحقّ لي ذلك وأنتم بيّلتكم عن الرجل منكم القبيح

ص: 539

-
- 1- صفات الشيعة: 8، ح14.
 - 2- وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب 15، ح3.
 - 3- المصدر السابق: باب 1، ح18.
 - 4- المصدر السابق: ح8.
 - 5- المصدر السابق: باب 5، ح2.
 - 6- ولكن يجب فهم ذلك بشكل صحيح وليس كما يفعله بعض شبابنا سامحهم الله تعالى فإنهم أول ما يبدأون في وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستعملون الغلظة والشدة والوجه المكفهرة، وهذا غير صحيح، بل لا بد أن نبدأ بالحكمة والموعظة الحسنة ونقابلهم بأخلاق طيبة لكي يتأثروا بنا وبكلامنا وبالتدريج نحاول معهم بطرق الإصلاح المختلفة.
 - 7- المصدر السابق: باب 6، ح1.

فلا- تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يترك(1)، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله فيه، ولا يقدر على تغييره)(2).

5 - الاهتمام بأمور المسلمين في شرق الأرض وغربها: قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)(3)، وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام): (إنّ المؤمن لتردّ عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده، فيهتمّ بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمة الجنة)(4).

6 - أمرهم بالتزاور بينهم وتكثير اللقاءات الهادفة الواعية التي يستغلّونها للتذاكر بأمور مفيدة. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (تزاوروا فإن في زيارتكم إحياءً لقلوبكم وذكرًا لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتهم، وإن تركتموها ضللتهم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم)(5)، ويقول (عليه السلام): (أما والله لوددتُ أني معكم في بعض تلك المواطن)(6).

7 - وأعطى الأئمة أهمية كبرى لقضاء حوائج المؤمنين: قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى: عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة)(7)، وقال الإمام أبو الحسن (عليه السلام): (من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنّما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها، سلّط الله

ص: 540

- 1- المصدر السابق: باب 7، ح 4.
- 2- المصدر السابق: باب 38، ح 4.
- 3- المصدر السابق: باب 18، ح 1.
- 4- المصدر السابق: باب 18، ح 4.
- 5- المصدر السابق: باب 23، ح 3.
- 6- المصدر السابق: ح 5.
- 7- المصدر السابق: باب 25، ح 4.

عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذباً(1) وجعلوا هذه القضية أفضل من سائر القربات كالحج والعمرة والاعتكاف والطواف المندوبات، بحيث إن الإمام (عليه السلام) يقطع طوافه بالبيت الحرام ويخرج ليقضي حاجة المؤمن، ويهدّون شيعتهم إن قصروا في ذلك أنواع التهديد؛ يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (أيما رجل من شيعتنا أتى رجلاً من إخوانه فاستعان به في حاجته، فلم يعنه وهو يقدر، إلا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج عدة من أعدائنا، يعذبه الله عليها يوم القيامة)(2) وهي حالة مجرّبة.

8 - ومن الحوائج التي اهتموا بها مساعدة الفقراء وإقراض المحتاجين وإنظار المعسرين: فعن أبي بصير قال: ذكرنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) الأغنياء من الشيعة فكأنه كره ما سمع ممّا فيهم، فقال: (يا أبا محمد، إذا كان المؤمن غنياً وصولاً رحيماً له معروف إلى أصحابه أعطاه الله أجر ما ينفق من البر مرتين ضعفين، لأنّ الله يقول في كتابه: «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ صُغْفِرُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ»(سبأ: 37) (3)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين)(4).

9 - وأمور أخرى كثيرة؛ كإدخال السرور على المؤمن حيث جعلوه إدخالاً للسرور على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين(5)، والستر على المؤمن وحفظ كرامته

ص: 541

- 1- المصدر السابق: 16 ح 5.
- 2- المصدر السابق: باب 37، ح 3.
- 3- وسائل الشيعة: باب 1، ح 13.
- 4- المصدر السابق: باب 11، ح 4.
- 5- مستدرک الوسائل: 21 / 395، ح 5.

وسمعته، والمنع من تشويه صورته لدى الناس(1)، والنصيحة للمؤمنين وعدم الغش(2)، والرفق بالمؤمنين وعدم تحميلهم ما لا يطيقون(3)، واستشعار الرحمة لجميع الناس كما في عهد الإمام علي (عليه السلام) لما لك الاشر: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا- تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم؛ فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه)، فأين أدياء حقوق الإنسان الذين تترأ حتى وحوش الغاب من أفعالهم من هذه التعاليم؟!.

غيب من فيض:

هذا غيب من فيض ممّا أدّب به الأئمة (عليه السلام) شيعتهم وأرادوهم أن يكونوا كذلك، لذلك أحبوهم ومنحوهم المقامات الرفيعة. يقول الإمام الصادق (عليه السلام) لشيعة: (أما والله إنني لأحب ربيكم وأرواحكم)(4)، ويقول الإمام الرضا (عليه السلام): (شيعتنا ينظرون بنور الله، ويتقلبون في رحمة الله، ويفوزون بكرامة الله؛ ما من أحدٍ من شيعتنا يمرض إلا مرضنا لمرضه، ولا اغتم إلا اغتمنا لغمه، ولا يفرح إلا فرحنا لفرحه، ولا يغيب عنا أحدٌ من شيعتنا أين كان في شرق الأرض أو غربها)(5) وقال شخص: (دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) في زمن مروان - وهو الملقب بالحمار آخر ملوك بني أمية - فقال (عليه السلام): من أنتم؟ فقلنا: من أهل الكوفة؟ فقال: ما من بلدةٍ من البلدان أكثر

ص: 542

- 1- وسائل الشيعة: 12 / 294، ح.2.
- 2- ((7)) المصدر السابق: 17 / 466، ح.1.
- 3- المصدر السابق: 23 / 237، ح.4.
- 4- المصدر السابق: 1 / 88، ح.11.
- 5- صفات الشيعة: ح.5.

محبّاً لنا من أهل الكوفة، ولا سيّما هذه العصاة، إنّ الله جلّ ذكره هداكم لأمر جهله الناس، وأحببتمونا وأبغضنا الناس، واتبعتمونا وخالفنا الناس، وصدّقتمونا وكذّبنا الناس، فأحياكم الله محيانا وأماتكم الله مماتنا، فأشهد على أبي إنه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يرى ما يقترّ الله به عينه وأن يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هذه - وأهوى بيده إلى حلقة - (1) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (خرجت أنا وأبي حتّى إذا كدّا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة، فسلمّ عليهم ثم قال: أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمّنا لكم الجنة بضمّان الله عزّ وجلّ وضمّان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. في حديث طويل لكنّه (عليه السلام) قال: (واعلموا أنّ ولا يتنا لا تُنال إلا بالورع والاجتهاد، من اتّم منكم بعبدٍ فليعمل بعمله) (2).

اللهم أحيينا حياة محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمّتنا مماتهم واحشرنا معهم ولا تفرّق بيننا وبينهم يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ص: 543

1- الكافي، الروضة: 81 / 8، ح 38.

2- المصدر السابق: ح 259.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

